المركز القومى للترجمة

من المصادر الفارسية
فى التاريخ العام والإسلامى

روضة أولى الألباب
فى معرفة التواريخ والأنساب

المشهور
بتاريخ البناكتى

المشروع القومى للترجمة



تأليف: أبو سليمان البناكتى

1156

ترجمة وتقديم: محمود عبد الكريم على



هذا الكتاب ترجمة لمصدر مهم من المصادر الفارسية فى التاريخ العام للعالم والتاريخ الإسلامى، قسمه مؤلفه إلى تسعة أقسام أرَّخ فيها منذ بدء الخليقة حتى الثلث الأول من القرن الثامن الهجرى - الرابع عشر الميلادى.

وقد اكتسب مؤلفه معلومات كثيرة من البلاط المغولى؛ حيث كان له منصب ملك الشعراء، والكتاب يحتوى بلا شك على معلومات قيمة خاصة ما تحدث عنه بعد أن رآه رأى العين. والكتاب يتضمن شروحًا وتأريخًا عن الأمم غير الإسلامية مثل: اليهود والقياصرة والبابوات والمسيحيين والهنود والمغول والنصارى والفرنجة وغيرهم إلى جانب الدول الإسلامية، وقد أحسن المؤلف فى اختيار مصادر كتابه، فمعظمها من المصادر الأمهات؛ حيث يقول: "سنؤرخ تاريخ كل أمة وطائفة وشعب وفق معتقداتهم كما هو مسطر بحذافيره فى كتبهم".

وتهدف هذه الترجمة إلى تعريف القارئ العربى ما لم يكن يعرف من تاريخ شعوب المشرق الإسلامى من خلال متخصصين فى هذه اللغات؛ لأنه يجب معرفة تاريخهم من كتبهم التى ألفت بلغتهم ومصادرهم التى سطروا بها حضاراتهم.

تصميم الغلاف: مكرم الحلاوس



روضة أولى الألباب فى معرفة التواريخ والأنساب

المركز القومي للترجمة
المشروع القومى للترجمة
إشراف : جابر عصفور

- العدد : ١١٥٦
- روضة أولى الألباب فى معرفة التواريخ والأنساب المشهور بتاريخ البناكتى
- أبو سليمان داود بن أبى الفضل محمد البناكتى
- محمود عبد الكريم على
- الطبعة الأولى ٢٠٠٧

هذه ترجمة كتاب :

روضة أولى الألباب فى معرفة التواريخ والأنساب مشهور به تاريخ بناكتى

تأليف : أبو سليمان داود بن أبى الفضل محمد البناكتى

شارع الجبلاية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة . ت : ٢٧٣٥٤٥٢٤ - ٢٧٣٥٤٥٢٦
El-Gabalaya St., Opera House, El-Gezira, Cairo
e.mail:egyptcouncil@yahoo.com

من المصادر الفارسية فى التاريخ العام والإسلامى

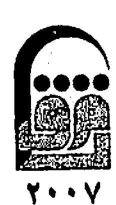
روضة أولى الألباب في معرفة التواريخ والأنساب

المشهور

بتاريخ البناكتى

تـأليـف : أبو سليمان داود بن أبى الفضل محمد البناكتى

ترجمة وتقديم : محمود عبد الكريم على



٢٠٠٧

بطاقة الفهرسة

إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية

إدارة الشئون الفنية

البناكتي ، داود بن محمد ، ٠٠٠ - ١٣٣٠م

روضة أولي الألباب في معرفة التواريخ والأنساب ، المشهور ، بتاريخ البناكتي / تأليف : أبو سليمان داود بن أبي الفضل محمد البناكتي ؛ ترجمة : محمود عبد الكريم علي .

القاهرة : المركز القومي للترجمة ، ٢٠٠٨

٥٠٨ ص ، ٢٤ سم

من المصادر الفارسية في التاريخ العام والإسلامي

١ - الأنساب ، علم

(أ) العنوان

(ب) علي ، محمود عبد الكريم (مترجم) ٩٢٩

رقم الإيداع ٢٠٠٨/٢٧٥٠

الترقيم الدولي I.S.BN. 977 - 437 - 595 - 5

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

المحتويات

(القسم التاسع)

(١) هكذا في الأصل .

مقدمة المترجم

الكتاب الذى بين أيدينا هو ترجمة للنص الفارسى لكتاب "روضة أولى الألباب فى معرفة التواريخ والأنساب المشهور بتاريخ البناكتى"، ألفه أبو سليمان داود بن أبى الفضل محمد البناكتى المتوفى سنة ٧٣٠هـ. واشتهر الكتاب باسم مؤلفه الذى ينسب إلى مدينة بناكت التى تقع فى بلاد ما وراء النهر، وقد تبدل اسمها مع مرور الزمان، وتعرف الآن باسم مدينة طشقند عاصمة دولة أُوزبكستان، إحدى الدول المستقلة عن الاتحاد السوفيتى.

والكتاب فى التاريخ العام للعالم منذ بدء الخليقة بصفة عامة، وفى التاريخ الإسلامى بصفة خاصة، وتنتهى أحداثه فى ٧١٧هـ، ولم يكتفِ صاحبه بالتأريخ للشعوب الإسلامية فقط، لكنه تطرق إلى عرض تاريخ الكثير من الأمم غير الإسلامية مثل اليهود والنصارى والقياصرة والباباوات والهنود والخطا والإفرنج، إضافة إلى المغول الذين كان يعيش فى عصرهم وبلاطهم.

وتعتبر حملات المغول فى القرنين السابع والثامن الهجريين (الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين) على مراكز الحضارة الإسلامية، وقيام إمبراطوريتهم التى كانت تضم إيران والصين وما بين النهرين وآسيا الصغرى وشرق أوروبا. ولاشك أن استيلاءهم على هذه البقاع من العالم، وما تبع ذلك من سقوط دول وعروش، وقتل لآلاف من السكان، وحرق وتخريب لبلاد؛ مالفت نظر المؤرخين فى هذه الفترة، وحفزهم على التأريخ لها.

ومعلوم أنه عن طريق التأريخ يعرف ابتداء كل ملة، وأول كل دولة، وأن ظهور الإمبراطورية المغولية بقيادة چنكيزخان كان أكبر حدث فى تلك الفترة، فكان جديراً

بالتاريخ، حيث إنه فى زمن قليل فتح بلاداً كثيرة، وأسقط عروشاً عديدة، وقهر كل من وقف فى طريقه، وورَّث أولاده وأحفاده هذه الإمبراطورية من بعده، وكان المؤرخون والعلماء يؤرخون هذه الأحداث بحلوها ومرها فى كل وقت؛ حتى يَعتبرَ بها من سيأتى بعدهم. ومن الأهمية بمكان أن أذكر أننى سافرت إلى أوروبا الغربية فى بعثة للحصول على درجة الدكتوراه، فوجدت البيئة العلمية هناك تهتم بدراسة لغات الشعوب الإسلامية وتاريخها أكثر من اهتمام أهل الشرق بها بصفة عامة، كما يهتمون بالحقب التاريخية لهذه الشعوب وخاصة تاريخ الإمبراطورية المغولية التى امتدت من أقصى الصين فى الشرق، حتى قرب حدود مصر فى الغرب بالنسبة للعالم الإسلامى. وقد شبه أحدُ المستشرقين الغزوَ المغولى بأنه أشبه شىء بسرطانٍ انتشر على وجه الأرض بداية من أقاصى الشرق حتى حدود برلين فى الغرب.

ولا يفوتنا أن ننوِّه أن هذا الكتاب تُرجم إلى لغات عديدة نذكر منها، الإنجليزية والصينية والروسية والألمانية واللاتينية والفرنسية والأردية.

قَسَّم البناكتى كتابه إلى تسعة أقسام يتحدث فى كل قسم منها عن موضوع جديد لم يرد فى القسم السابق، ولا القسم اللاحق. وقد مهد لكتابه بمقدمة.

القسم الأول : فى معرفة أنساب وشعب وتواريخ الأنبياء والأوصياء والحكماء، بداية من آدم (عليه السلام) إلى آخر أيام إبراهيم الخليل (صلوات الرحمن عليه) وعددهم عشرون، ومدة أعمارهم أربعة آلاف سنة وثمانمائة وثمانٍ وثلاثون. وهذا القسم قسمه البناكتى إلى طبقات :

الطبقة الأولى : تحت عنوان (آدم وحواء وأبناؤهم) إلى نوح (عليه السلام) وهم عشرة ومدة أعمارهم ألفان وثلاثمائة وستون سنة، ويقال: ألفان وخمسمائة واثنتان وتسعون سنة، ويبدأ البناكتى تأريخه لهذه الطبقة بآدم (عليه السلام) وآخرها نوح بن لامك. وقد أرَّخ لهذه الطبقة، ورجع إلى مصادر كثيرة، كان يذكرها أثناء حديثه.

الطبقة الثانية : وتبدأ هذه الطبقة بسام بن نوح (عليه السلام) وتنتهى بإبراهيم الخليل (صلوات الرحمن عليه) وهم عشرة أشخاص، ومدة أعمارهم ألف عام وأربعمائة وثمانية وسبعون. بعد ذلك يلحق البناكتى فصلاً بهذه الطبقة يتحدث فيه عن بيان التواريخ وأنواعها التى اعتمد المنجمون عليها فى عمل الرصد والزيج وغير ذلك، وهى سبعة تواريخ.

القسم الثانى : من أقسام الكتاب يتضمن ذكر ملوك الفرس والمشاهير من الأنبياء والحكماء الذين كانوا فى أيام هؤلاء الأنبياء السالف ذكرهم، بداية من عهد كيومرث، إلى آخر أيام يزدجرد بن شهريار الذى كان آخر ملوك العجم، وقسم البناكتى هؤلاء الملوك إلى أربع طبقات، وعددهم ثمانية وستون، ومدة حكمهم ثلاثة آلاف وستمائة وأربعة وأربعون عامًا وأربعة أشهر وثلاثة أيام.

الطبقة الأولى، طبقة البيشداديين: وهم أحد عشر ملكًا، ومدة ملكهم ألفان وأربعمائة وخمسة وثمانون عامًا، ويعرف البناكتى بكل واحد منهم بداية من كيومرث، وتنتهى هذه الطبقة بكرشاسف بن إشتاسف.

الطبقة الثانية من القسم الثانى: فهى طبقة الكيانيين، وهم تسعة ملوك، وجاء بعدهم الإسكندر الرومى، ومدة ملكهم سبعمائة عام وسبعة. أولهم كيقباد، وآخرهم، الإسكندر بن فيلاقوس.

والطبقة الثالثة من القسم الثانى: طبقة الأشكانيين، وعددهم ستة عشر، ومدة ملكهم ثلاثمائة وأربعون سنة، ويقال: ثلاثمائة واثنتان وستون سنة. وأولهم ذو القرنين، وآخرهم أردوان بن بلاش.

والطبقة الرابعة من القسم الثانى: طبقة الساسانيين، وعددهم ثمانية وعشرون ملكًا، وحكموا خمسمائة وإحدى وخمسين سنة وأربعة أشهر وثلاثة أيام. أولهم أردشير بن بابك، ويلحظ عليه أنه بسط القول فيه طويلاً، وتنتهى هذه الطبقة بيزدجرد بن شهريار، وختم تأريخه لهذه الطبقة بأربعة أبيات فى زوال ملكهم، ولم ينسبها إلى أحد.

القسم الثالث من الكتاب : فى بيان النسب المطهر لسيد المرسلين وخاتم النبيين محمد المصطفى (عليه أفضل الصلوات و أكمل التحيات)، حتى إبراهيم الخليل (صلوات الرحمن عليه). وشرح حال وشعب الخلفاء الراشدين والأئمة المهديين حتى المستعصم الذى كان آخر الخلفاء العباسيين. وهم ثلاث طبقات، وعددهم سبعة وخمسون شخصاً ومدة ملكهم ثلاثمائة وستة وخمسون عاماً.

الطبقة الأولى: محمد المصطفى (صلى الله عليه وسلم) والخلفاء الراشدون، حتى الحسين بن على (رضى الله عنهم) وهم سبعة أشخاص، ومدة خلافتهم واحد وأربعون عاماً وشهران وخمسة أيام، إلا أنه ذكر بعد ذلك غيرهم وألحقهم بالطبقة نفسها، وذكر فى الطبقة نفسها تاريخ القرامطة، كما ذكر تقريراً كتب فى عهد الحاكم فى بطلان نسبهم، ثم ذكر بعدهم الحسن بن الصباح وغيره، كما ألحق بهذه الطبقة التى خصصها لذكر الرسول (صلى الله عليه وسلم) والخلفاء الراشدين، أئمة الشيعة الإثنى عشرية، وهذا دليل على أنه كان شيعياً.

والطبقة الثانية من القسم الثالث: أمراء بنى أمية، وعددهم أربعة عشر، ومدة إمارتهم إحدى وتسعون سنة وشهر واثنان وعشرون يوماً. وتبدأ هذه الطبقة بمعاوية (رضى الله عنه)، وتنتهى بأبى عبد الملك بن مروان بن محمد بن مروان بن الحكم، ويلحظ على تأريخه عنهم أنه يسهب أحياناً، ويوجز أحياناً أخرى.

والطبقة الثالثة من القسم الثالث: طبقة خلفاء بنى العباس، وهم سبعة وثلاثون، ومدة خلافتهم خمسمائة وثلاثة وعشرون عاماً وأحد عشر شهراً ويوم واحد. وتبدأ هذه الطبقة بأبى العباس السفاح، وتنتهى بالمستعصم بالله أبى أحمد.

والقسم الرابع من الكتاب: فى أخبار السلاطين العظام والملوك الكرام الذين كانوا فى أيام خلفاء بنى العباس، وكان لهم الملك فى إيران مستقلين عنهم، وهم سبع طبقات، وعددهم تسعة وستون، ومدة حكمهم منذ خروج يعقوب بن الليث الصفار حتى آخر أيام خور شاه ملك الملاحدة أربعمائة عام.

الطبقة الأولى: طبقة الصفاريين، وهم ثلاثة، وحكموا أربعين عاماً وخمسة أشهر. وأولهم يعقوب بن الليث الصفار، وآخرهم طاهر بن محمد بن عمرو بن الليث.

الطبقة الثانية، طبقة السامانيين: وهم عشرة، ومدة ملكهم مائة وثلاثة أعوام وشهران وخمسة عشر يومًا. أولهم الأمير إسماعيل بن أحمد الساماني، وآخرهم المنتصر إسماعيل بن نوح.

الطبقة الثالثة: طبقة الديالمة، وهم خمسة عشر، ومدة ملكهم مائة وخمس وثمانون سنة وثلاثة أشهر. أولهم الأمير عماد الدولة أبو الحسن على بن بويه الديلمى، وآخرهم الأمير فخر الدولة أبو الحسن على بن حسن.

الطبقة الرابعة: طبقة الغزنويين، وعددهم ستة عشر، ومدة حكمهم مائة وأربعون عامًا وستة أشهر. أولهم السلطان يمين الدولة أبو القاسم محمود بن سبكتكين، وآخرهم خسرو شاه بن بهرام شاه.

الطبقة الخامسة: طبقة السلاجقة، وهم أربعة عشر، ومدة ملكهم مائة وتسعة وثلاثون عامًا وسبعة أشهر. أولهم السلطان ركن الدين أبو طالب طغرل بك بن محمد، وآخرهم أرسلان بن طغرل.

الطبقة السادسة: طبقة الخوارزميين، وهم ثمانية، ومدة ملكهم مائة وثمانية وثلاثون عامًا. أولهم خوارزم شاه بن محمد بن بيلكاتكين، وآخرهم السلطان غياث الدين.

الطبقة السابعة والأخيرة من القسم الرابع: طبقة ملوك قهستان، الذين يسمون بالملاحدة، وهم ثمانية، ومدة ملكهم مائة وسبعة وسبعون عامًا. أولهم الحسن الصباح، وآخرهم ركن الدين خور شاه، وأورد البناكتى بيتين من الشعر لنصير الدين الطوسى فى انقراض دولتهم. أولهم الحسن الصباح، وآخرهم ركن الدين خور شاه.

القسم الخامس من الكتاب: فى تاريخ اليهود، وذكر ملوك بنى إسرائيل من عهد موسى (عليه السلام)، إلى آخر ملوكهم متنيا الذى سماه بختنصر صدقيا، وهم ثلاث طوائف، وعددهم تسعة وخمسون، ومدة حكمهم تسعمائة وإحدى وأربعون سنة وستة أشهر.

الطائفة الأولى من القسم الخامس: تبدأ من موسى كليم الله (عليه السلام) إلى ايشوشت بن شاؤل الذى يسمونه فى العربية طالوت، وهم تسعة عشر، ومدة حكمهم خمسمائة عام، أولهم موسى (عليه السلام)، وآخرهم طالوت.

يقـول البناكـتي : "لمـا وجب على المؤرخ أن يكتب تاريخ وشـعب كل طائفـة وفق اعتقادها، وجب عليه أن يتحرز من تناول معتقداتهم بالتجريح والتزييف والتبديل والتغيير، ومما لاشك فيه أن كثيرًا من بعض تواريخهم ومعتقداتهم لن تكون صحيحة، إذ إن الله عز وجل يقول: ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ﴾[1]. فإننا سوف نؤرخ المسطور فى كتبهم طبق معتقداتهم بحذافيره، والعهدة على الراوى، وكذلك سوف نؤرخ للنصارى والهنود وأهل الصين والمغول وفق ما جاء فى كتبهم وطبق معتقداتهم، "تعالى الله عما يقول الظالمون علوًا كبيرًا"[2]، [3].

الطائفة الثانية: داود (عليه السلام) وأبناؤه، إلى متنيا الذى قتله بختنصر، وهم واحد وعشرون، ومدة ملكهم أربعمائة وواحد وأربعون عامًا ونصف. أولهم داود (عليه السلام) وآخرهم متنيا بن يوشياهو.

الطائفة الثالثة : وهم تسعة عشر، ومدة ملكهم مائتان وإحدى وستون سنة وتسعة أشهر وسبعة أيام. أولهم يروعام بن نواطو، وآخرهم هوشيع بن إيلا.

القسم السادس من الكتاب: فى تاريخ النصارى والفرنجة ونسب مريم أم عيسى (عليه السلام) إلى داود (عليه السلام)، وذكر مملكة الفرنجة والقياصرة والباباوات، وهم خلفاء المسيح (عليه السلام) إلى يومنا هذا وهى شهور سنة سبع عشرة وسبعمائة من الهجرة المباركة، وهم طائفتان: القياصرة والباباوات، وعدد القياصرة مائة وواحد، وعدد الباباوات مائتان واثنان، ومدة ملكهم ألف وثلاثمائة وسبعة وثلاثون عامًا، وينقسم هذا القسم إلى بابين، ويندرج تحت كل باب فصول.

الباب الأول : فى معرفة بلاد الأرمن والفرنجة وملوكهم، وينقسم هذا إلى ثلاثة فصول. **الأول :** فى بيان حدود بلاد الأرمن من المدن والضياع. **الثانى :** فى معرفة الفرنجة وبحارهم وجزرهم. **الثالث :** فى ذكر القياصرة وملوكهم، منذ عهد روملوس مؤسس روما الكبرى، إلى عهد أغسطوس القيصر، ومدتهم أربعمائة واثنان وعشرون عامًا.

الباب الثانى : فى معتقدات أقوام النصارى فيما يختص بالمسيح (عليه السلام)، وذكر الباباوات وهم خلفاؤه، وينقسم هذا الباب إلى ثلاثة فصول. **الأول :** فى ذكر

معتقدات أقوام النصارى فيما يختص بالمسيح (عليه السلام). **الثانى** : فى مراتب ملوك ورؤساء الفرنجة. **الثالث** : فى مولد المسيح (عليه السلام) ونسب أمه مريم مع داود (عليه السلام) وخبر حادثته، وذكر جلوس الباباوات وهم خلفاء المسيح.

القسم السابع من الكتاب: فى تاريخ الهنود وصور الأقاليم وذكر ممالك الهند وملوكهم من عهد باسديو حتى السلطان علاء الدين، وهم طائفتان: هنود ومسلمون، وعددهم ثلاثة وعشرون، ومدة ملكهم ألف ومائتا عام، وينقسم هذا القسم إلى ثلاثة أبواب. **الأول** : فى حساب الأعوام والقرون وصور الأقاليم وذكر ممالك الهند. ويندرج تحت هذا الباب أربعة فصول. **الأول** : فى معرفة العصور والقرون وكلب وجترجوك وغيرهم. **الثانى** : فى معرفة مساحة الأرض المعمورة وصور الأقاليم. **الثالث** : فى ذكر الأقاليم السبعة. **الرابع:** فى معرفة أرض الهند.

الباب الثانى : فى تاريخ ولادة شامكونى وأحواله، ووضع دين التناسخ من حيث النسخ والمسخ والرسخ والفسخ. ويندرج تحت هذا الباب أربعة فصول. **الأول:** فى ذكر أنبياء الهنود. **الثانى:** في مولد شامكونى. **الثالث:** فى حالات شامكونى ومقالاته. **الرابع:** فى وفاة شامكونى.

الباب الثالث من القسم السابع من الكتاب: فى تاريخ ملوك الهند، وهم طائفتان: هنود ومسلمون، وعددهم ثلاثة وعشرون، ومدة حكمهم ألف ومائتا عام. **الطائفة الأولى:** الهنود، وعددهم عشرة، ومدة ملكهم تسعمائة عام. أولهم أوازى، وآخرهم بهيم بال.

الطائفة الثانية: المسلمون، وهم ثلاثة عشر، ومدة ملكهم ثلاثمائة عام. أولهم محمود بن القاسم بن ميمنة، وآخرهم الملك فيروز ملك المولتان.

القسم الثامن من الكتاب: فى تاريخ الصين من عهد نيكو ملكهم الأول، إلى آخر ملوكهم شودى شووسونام، الذى يسمونه التان خان وحاربه جنكيز خان وأولاده، وهم ست وثلاثون طبقة، وعددهم ثلاثمائة وخمسة، ومدة ملكهم كما يزعم أهل الصين أربعون ألفًا وألفان وثمانمائة وخمسة وسبعون عامًا، وينقسم هذا القسم إلى بابين. **الباب الأول:** فى ذكر بلاد الصين وحساب عصورهم وأزمانهم ومعتقداتهم، ويندرج

تحت هذا الباب مقـدمة وفصلان. **المقدمة والفصل الأول:** فى تـاريـخ الصـين. **الفصل الثانى:** فى ذكر ولايات الصين.

الباب الثانى: فى ذكر ملوك الصين، وهم ست وثلاثون طبقـة، ويلاحظ أن المؤلف دمج ست طبقات مع الطبقة الثانية والعشرين، حتى وصل إلى الطبقة الثامنة والعشرين، وينتهى ذكر الطبقات بالطبقة السادسة والثلاثين.

القسم التاسع والأخير من أقسام الكتاب: فى تاريخ المغول، ونسب جنكيز خان حتى دويان[٤]، وآلان قوا، وشرح ظهور جنكيز خان، والاستيلاء على بلاد إيران، وشعب أبنائه إلى يومنا هذا وهو الخامس والعشرون من شوال سنة سبع عشرة وسبعمائة.

وهم أربع طوائف من نسل واحد، وعددهم ستة وثلاثون، ومدة ملكهم فى أطراف الدنيا مائة عام وواحد.

الطائفة الأولى: جنكيز خان مع ابنه الثالث أوكتاى قاآن الذى أصبح من بعده ملكًا وأبناؤه. **الطائفة الثانية:** جوجى خان بن جنكيز خان وأبناؤه. **الطائفة الثالثة:** جغتاى بن جنكيز خان والخواتين والأبناء. **الطائفة الرابعة:** تولوى خان بن جنكيز خان وخواتينه وأبناؤه.

ولكن البناكتى يذكر بعض الوقائع المهمة، منها على سبيل المثال لا الحصر: تاريخ الخلفاء والسلاطين والملوك الذين عاصروا منكوخان، قصة قوبيلاى قان وخواتينه وأبنائه، قصة تيمور قان بن جينكيم بن قو بيلاى قاآن، قصة هولاكو خان وخواتينه وأبنائه، خبر توجه هولاكو خان إلى إيران، وبداية تربعه على العرش الإيلخانى، خبر توجه هولاكو إلى بلاد الشام، خبر حرب هولاكو خان مع بركاى، خبر إسناد الولايات إلى الولاة ووفاة هولاكو خان، قصة أباقا خان بن هولاكو خان وخواتينه وأبنائه، خبر حرب جيش أباقا خان مع بوقاى وبركاى خان، خبر قدوم البندقدار إلى بلاد الروم ومضى أباقا خان لهذه الجهة، وفاة أباقا خان، قصة السلطان أحمد تكودار ونسائه وأبنائه، قصة أرغون ونسائه وأبنائه، حكاية عصيان بايدو فى بغداد والخلاف بين الأمراء، قصة غازان خان وخواتينه وأبنائه، خبر ركوب غازان إلى أذربيجان وما وقع من أمور له مع

بايدو، قصة إسلام غازان خان، خبر جلوس السلطان محمود غازان، خبر حال نوروز واستشهاده، خبر مضى غازان خان إلى ديار الشام، قصيدة فى مدح غازان خان، خبر وفاة غازان خان، قصيدة فى رثاء غازان خان، خبر السلطان محمد أولجايتو وخواتينه وأبنائه، خبر السلطان علاء الدنيا والدين أبى سعيد، خبر رحيل سلطان الإسلام أبى سعيد من خراسان إلى العراق ودار الملك السلطانية، خاتمة الكتاب وهى عبارة عن قصيدة من الشعر.

ومن مميزات هذا الكتاب أن مؤلفه عاصر ثلاثة من سلاطين المغول العظام، وكان مقربًا إليهم، وهم غازان خان و أولجايتو و أبو سعيد، كما أحسن المؤلف فى اختيار مصادر كتابه، فكلها من المصادر الأمهات مثل: تاريخ الطبرى، والمغازى للواقدى، وجامع التواريخ لرشيد الدين فضل الله، والكامل فى التاريخ لابن الأثير، وغيرهم كثير مما ورد فى الكتاب. إضافة إلى مُعايَشَتِه لرجال البلاط ومن وفدوا عليه وما وقع بمرأى منه، كذلك إيجاز ذِكره للخبر بشرط ألا يخل هذا الإيجاز بمضمون الخبر.

ومما لا شك فيه أن الكتاب فى التاريخ العام للعالم من ناحية، وتاريخ المغول من ناحية أخرى، وما يحويه يعد بلا شك معلومات لها قيمتها، خاصةً ما تحدث عنه بعد أن رآه رأى العين، ومن رأى ليس كمن سمع.

وأتركك أيها القارئ الكريم كى تتصفح ترجمة هذا الكتاب، الذى يعد فى التاريخ العام للعالم منذ بدء الخليقة حتى ٧١٧هـ، ولم يكتفِ مؤلف الكتاب بالتأريخ للشعوب الإسلامية فقط، لكنه تطرق إلى عرض تاريخ الكثير من الأمم غير الإسلامية مثل: اليهود والنصارى والقياصرة والباباوات والهنود والخطا والإفرنج، إضافة إلى المغول الذين كان يعيش فى عصرهم وبلاطهم، وبذلك يعد الكتاب جامعًا مانعًا.

وأرجو أن أكون قد وفقت فى ترجمتى لهذا الكتاب ذى الفائدة الكبيرة، للمهتمين بالتاريخ العام للعالم بصفة عامة، وللمهتمين كذلك بالتاريخ الإسلامى بصفة خاصة، وأن تعم فائدته الجميع، والله الهادى إلى الصراط المستقيم.

محمود عبد الكريم على

هوامش المقدمة

(١) سورة المائدة : آية ١٣ .

(٢) المؤلف متأثر بالقرآن فى هذا الموضع، وهذا المعنى قريب من قوله تعالى ﴿ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴾ – سورة الإسراء، آية ٤٢ .

(٣) البناكتى : تاريخ البناكتى، صـ٢٤٥ – ٢٤٦ .

(٤) هكذا فى الأصل .

مقدمة المؤلف

الحمد لله حق حمده والصلاة والسلام على خير خلقه محمد وأهله وأصحابه وخلفائه أجمعين، أما بعد:

لما جعل الحق جل وعلا التوفيق رفيقًا لهذا الضعيف، وهو أضعف خلق الله تعالى أبو سليمان داود بن أبى الفضل محمد بن محمد بن داود البناكتى أحسن الله عاقبته، حتى ألف كتابًا فى كل فن من أنواع العلوم. وخطر لى أن أكتب كتابًا فى علم التواريخ والأنساب التى اكتظت بذكرها الكتب الإلهية والصحف السماوية فى جميع الأديان، وأن أجعله مشتملاً على أنساب وتواريخ كل طوائف أهل العالم، وبيان اختلاف تاريخ كل قوم من الأديان المختلفة، وكذلك أنساب مشاهير الأنبياء والأولياء خصوصًا سيد المرسلين وخاتم النبيين محمد المصطفى (عليه أفضل الصلوات وأكمل التحيات) وشعب الأولاد والأئمة المهديين والخلفاء والسلاطين ومشاهير الصحابة والتابعين ومشايخ الطبقات وأصحاب الحديث والقراء وعلماء الدين والملوك والخواقين والأمراء وسائر أقوام بنى آدم، وأن يتضمن طائفة من أقوالهم وأحوالهم وحكاياتهم التى شوهدت فى كل كتاب من الكتب، وسمعت من كل مؤرخ ونسابة، وفحصت فحصا بارعًا خصوصًا من كتاب جامع التواريخ الذى جمع مادته رشيد الدين الوزير (طاب ثراه) من كتب تواريخ أقوام العالم من الهند والصين والمغول والإفرنج وغيرهم بأمر من سلطان الإسلام غازان خان (نور الله مضجعه) وكان علىَّ أن أعرض هذا على وجه الإيجاز، وقد بدأت كتابى مستعينًا بالله تعالى منذ بداية عهد آدم وحتى يومنا هذا؛ أى متصلاً إلى أيام دولة الشاهنشاه الأعظم مالك رقاب الأمم، محرز ممالك العالم، مولى سلاطين

العرب والعجم السلطان علاء الدنيا والدين أبى سعيد بن السلطان محمد الجايتو خان بن أرغون خان بن أباقا خان بن هولاكو خان بن تولولاى خان بن جنكيز خان. وهو الخامس والعشرون من شهر الله المبارك شوال سنة سبع عشرة وسبعمائة من الهجرة، وقسمته إلى تسعة أقسام وسميته "روضة أولى الألباب فى معرفة التواريخ والأنساب".

والعلم عند الله تعالى.

القسم الأول

فى معرفة أنساب وشعب وتواريخ الأنبياء والأوصياء والحكماء بداية من عهد آدم (عليه السلام) إلى آخر أيام إبراهيم الخليل (صلوات الرحمن عليه)، وعددهم عشرون، ومدة أعمارهم أربعة آلاف وثمانمائة وثمانية وثلاثون عامًا[1].

الطبقة الأولى

آدم وحواء وأبناؤهم، حتى نوح (عليه السلام)، وهم عشرة، ومدة أعمارهم ألفان وثلاثمائة وستون سنة، ويقال: ألفان وخمسمائة واثنتان وتسعون سنة.

فى بيان خلق آدم (عليه السلام) :

قال علماء الدين وأئمة التفسير: إن الله تعالى أمر جبريل أن يرفع التراب كله عن وجه الأرض، وأن يضعه بين مكة والطائف، فعجن الله تعالى هذا التراب بماء المطر وفى ذلك يقول : خمرت طينة آدم بيدى أربعين صباحًا، ورسم صورة آدم وجعل رأسه نحو الطائف، وبقى على ذلك أربعين يومًا، قال تعالى : ﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى الإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا ﴾[2]؛ أى لم يدرِ ما اسمه وما يراد به، ولما رأى إبليس والملائكة هذا قالوا: نحن نصنع بهذا الشخص ما يأمر به الله، فقال إبليس: إذا كان أضعف منى أهلكته، ولو كان أقوى منى فلن أطيعه، ولما دخلت روح آدم فى رأسه

عطس وحمد وسمع جواب الرحمة، ولما وصلت إلى صدره أراد أن ينهض فسقط ﴿ وَكَانَ الإنسَانُ عَجُولاً ﴾[٣]، ثم بقى فى مكة سبعة أيام حتى زينوا العرش، وأحضروا له ثيابًا حسنة من الجنة، واصطف الملائكة، واعتلى آدم العرش الذى كان فى ذلك الموضع الموجودة به الكعبة، فجاء الأمر ﴿ اسْجُدُوا ﴾ ، فتمرد إبليس وسجد الملائكة، ثم جاء الأمر أن أدخلوه الجنة فأدخلوه، فمكث خمسمائة عام هناك؛ أى نصف يوم من أيام ذلك العالم، ويقولون: منذ دخوله الجنة ونزوله إلى الأرض كان ألفًا ومائتين وأربعين عامًا. واختلفوا هل خلقت حواء فى الدنيا أم فى الجنة؟، والأصح أنها خلقت فى الدنيا لقوله تعالى : ﴿ اُسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ ﴾[٤]، وكان ذلك بين النوم واليقظة، ولما لُعن إبليس ودخل آدم الجنة، جاء الأمر: ﴿ وَلاَ تَقْرَبَا ﴾. فبحث إبليس عن الطريق ودخل فى فم الأفعى[٥]، قال تعالى: ﴿ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ ﴾[٦]، وأقسم أن كل مَن أكل من هذه الشجرة؛ فسوف يُخلد فى الجنة، فلما أكلا سقطت عنهما حلتهما، فجاء الخطاب : ﴿ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ ﴾[٧]، ثم جاء الأمر أن اخرجا فخرجا، وكان معهما ورقتان من ورق التوت وقد سترت عورتيهما، وعُود كان آدم يستعمله لتخليل أسنانه، وفص الخاتم الذى وصل لسليمان، والجوهرة التى صارت الحجر الأسود، وصار فص الخاتم هو سبب ملك سليمان، وأثر الورق هو العسل والحرير والعنبر، ويقولون: إن آدم وحواء هبطا إلى الدنيا فى أرض الهند وانفصلا، فقدم آدم (عليه السلام) إلى مكة، وطلب حواء فوجدها على جبل عرفات، ولذلك يسمى هذا المكان بعرفات، وبنيا الكعبة، وأحضر لهما جبريل الحَبَّ وعلمهما الزرع والغرس والحصاد والطهو والطحن، ثم زرعا وجنيا وأكلا فى اليوم الرابع، وحملت حواء من آدم خمس عشرة مرة، وفى كل مرة كانت تلد ولدًا وبنتًا، وكان آدم يزوج كل أنثى للذكر من الحمْل الآخر، ثم أراد أن يزوج إقليما توأم قابيل إلى هابيل وتوأم هابيل لنودا إلى قابيل، وكان قابيل يميل إلى توأمه، وبذلك عادى هابيلَ فقتلهُ، وهو الذى أرسى أساس الظلم والعدوان، وحزن آدم على فراقه حتى وهبه الحق تعالى شيث، فوجد العزاء به.

ولما بلغ آدم تسعمائة وثلاثين عامًا توفى ولحق بالرفيق الأعلى، وعاشت حواء بعده عامًا واحدًا وقيل سبعة أعوام، ودفن كلاهما فى أرض الهند، ويقال: فى جبل بوقبيس،

ويقال: فى النجف، ويقال: إنه فى أثناء الطوفان حمل نوح (عليه السلام) رفاتهما معه ودفنه بعد ذلك فى أرض بيت المقدس.

شيث بن آدم (عليه السلام) :

كان ابنًا لآدم، ويقال: إنه كان ابن ابن آدم وأبوه يسمى صلحا، والأصح أنه ابن آدم[٨]، ولما بلغ آدم (عليه السلام) مائة وثلاثين عامًا ولد شيث، وعلى حد قول النصارى، كان آدم يبلغ فى هذا الوقت من العمر مائتين وثلاثين عاماً، أما اليهود فيقولون: مائة وثلاثين، وتتفق الآراء على أنه عاش تسعمائة وثلاثين عامًا، وفى آخر أيامه أوصى بولاية العهد إلى شيث، وبنى شيث الكعبة بالحجر والطين فى ذلك المكان الذى سبق لآدم أن أقام فيه الكعبة، وسلمه البارى تعالى خلعة الرسالة، ونزلت عليه خمسون صحيفة فى مدة أربعين سنة، ودعا الخلق لعبادة الله تعالى مدة مائتين وثمانين عامًا ولما بلغ شيث مائة عام وخمسة، ولد آنوش، وعند النصارى أنه ولد له وهو فى الخامسة والستين بعد المائتين، وعند اليهود أنه كان فى الخامسة والستين بعد المائة[٩]، وبعد ذلك ولد له أولاد كثيرون، وعاش بعد آدم مائة واثنتى عشرة سنة، والإجماع على أنه توفى عندما بلغ تسعمائة عام واثنتى عشرة، ودفنوه بجوار أبيه.

آنوش بن شيث (عليه السلام) :

كان وليًا لعهد أبيه وهو أول من غرس النخيل، ولما بلغ التسعين ولد له قينان، ويرى النصارى أن عمره كان مائة وتسعين، وعند اليهود وهو فى التسعين، وفى أوائل هذه الأعوام بدأ بعض الناس فى الكفر وعبادة الأصنام، وفى أواسطها ظهرت الحرف، وكان له أبناء كثيرون، وعاش تسعمائة وخمسة وعشرين عاماً، ويتفق اليهود والنصارى على أنه عاش تسعمائة وخمسة وستين عاماً.

قينان بن آنوش :

كان وليًّا لعهد أبيه وأصبح خليفته بناء على وصيته، ولما بلغ السبعين ولد له مهلائيل، وكان له أبناء آخرون، ومدة عمره تسعمائة عام وعشرة، وعند اليهود والنصارى أنه عاش ثمانمائة وخمسة وستين عامًا .

مهلائيل بن قينان :

خلف أباه، وفى زمانه كثر بنو آدم، وفرقهم فى أرجاء الأرض، وقدم بنفسه مع أولاد شيث إلى أرض الروم، وبنى مدينة سوس وبابل، ولم تبنَ مدن قبل هذا ، ولما بلغ الخامسة والستين ولد له يرد، وكان عمره بإجماع الآراء ثمانمائة وخمسة وتسعين عامًا .

يرد بن مهلائيل :

خلف أباه، وكان له أبناء كثيرون، ولما بلغ من العمر مائة واثنين وستين عامًا ولد له أخنوخ، وكان عمره بإجماع الآراء تسعمائة واثنين وستين عامًا .

أخنوخ بن يرد :

يقال: إنه هو إدريس (عليه السلام) ولما كانوا قد صنعوا الأصنام فى عهد يرد واشتغلوا بعبادتها، أرسل الحق تعالى الوحى إلى إدريس حتى يدعوهم ليكفوا عن عبادة الأصنام، وكان نبيًا سريانيًا، يسمونه المثلث بالنعمة بسبب أنه النبى الثالث والحكيم الثالث والملك الثالث، وهو الذى استن سنة الجهاد والسبى؛ لأنه حارب القابليين وأسر أبناءهم، وهو الذى استنبط الخياطة والخط وعلم النجوم، ونزلت عليه ثلاثون صحيفة،

وفى زعم اليونانيين أن هرمس كان حكيمه، ويقال: إنه من أبناء هابيل وكان بينه وبين عهد نوح أربعمائة وأربعة وثلاثون عاماً، والأصح ثبوت مقامه فى صعيد مصر الأعلى، وهو الذى بنى الأهرام وأنذر الناس بالطوفان، ولما بلغ الخامسة والستين ولد له متوشلخ، ولم يشهد أحد وفاته، وحمله الله تعالى إلى الجنة عندما كان عمره ثلاثمائة وخمسة وستين عاماً، وفى قول اليهود والنصارى: ثلاثمائة عام.

متوشلخ بن أخنوخ :

كان له أبناء كثيرون، ولما بلغ من العمر مائة وسبعة وثمانين ولد له لامك، ويقال: بعد تسعمائة عام، وكان عمره أطول من الجميع، ومدة عمره تسعمائة وتسعة وستون عاماً، ويقال: ألف وتسعون عاماً، وعند اليهود والنصارى تسعمائة واثنان وستون عاماً.

لمك بن متوشلخ :

كان رجلاً مُوَحِّداً وبواسطته كَفَّ الكثير من الناس عن عبادة الأصنام، ومن جملة أبنائه الصابى، وتنتسب إليه الجماعة التى تعرف بالصابئة(١٠) ولمذهبهم شهرة واسعة. ولما بلغ لامك من العمر مائة واثنتين وثمانين سنة، ولد له نوح. وتوفى لامك قبل أبيه وكان عمره سبعمائة وسبعة وسبعين عاماً، وعند اليهود والنصارى سبعمائة وثلاثة وسبعين عاماً.

نوح بن لمك :

قالوا: إنه من أبناء هابيل، والأصح المثبت هنا أن ابن عباس (رضى الله عنهما) يقول: لما بلغ نوح أربعمائة وثمانين عاماً من العمر نزل عليه الوحى، وكانت دعوته مائة وعشرين عاماً فآمن ثمانون شخصاً، فأرسل الله تعالى الطوفان: فركب نوح مع هؤلاء

الثمانين فى السفينة ونجوا، وعاش نوح بعد الطوفان ثلاثمائة وخمسين عامًا أخرى(١١).

وذكر الواقدى(١٢) فى كتابه: أن بين آدم ونوح عشرة قرون، وكل قرن مائة عام، وذكر أبو الفتح ناصر بن محمد الحصينى فى جامع المعارف أن عمر آدم كان تسعمائة وثلاثين عامًا وبينه وبين الطوفان ألفان ومائتان واثنان وأربعون عامًا ومن الطوفان حتى وفاة نوح ثلاثمائة وخمسون عامًا، ومن نوح إلى إبراهيم ألفان ومائتان وست وأربعون سنة(١٣)، ومن إبراهيم لموسى سبعمائة عام، ومن موسى لداود خمسمائة عام، ومن داود لعيسى ألف ومائة عام، ومن عيسى إلى محمد (عليهما السلام) ستمائة وعشرون عامًا، ومن بدء عهد آدم حتى زمان محمد (ﷺ) على حد قول الحصينى ثمانية آلاف وستمائة وثمانية وثمانون عامًا.

وجاء فى تاريخ اليهود، أن من آدم حتى نوح ألفًا وخمسمائة عام، ومن نوح حتى إبراهيم ثمانمائة وأربعة وتسعين عامًا، ومن إبراهيم حتى موسى خمسمائة عام، ومن موسى حتى سليمان أربعمائة وثمانين عامًا، ومن سليمان حتى الإسكندر خمسمائة وأربعة وعشرين عامًا، ومن الإسكندر إلى يومنا هذا الذى يوافق عام سبعمائة وسبع عشرة من الهجرة ألفًا وستمائة وثمانية وعشرين عامًا، وعلى قول اليهود: يكون من آدم إلى يومنا هذا خمسة آلاف وسبعة وسبعون عامًا.

وذكر أبو الحسن على بن الحسين بن عبد الله المسعودى(١٤) فى كتابه: أن من هبوط آدم حتى عصر مولد المصطفى (ﷺ) ستة آلاف ومائة وخمسة وأربعين عامًا، ومن هبوط آدم حتى الطوفان ألفين ومائتين وستة وخمسين عامًا، ومن الطوفان حتى مولد إبراهيم ألفًا وتسعة وسبعين عامًا، ومن مولد إبراهيم حتى وقت خروج بنى إسرائيل من التيه كان موسى فى الثمانين من عمره، ومن خروج بنى إسرائيل حتى السنة الرابعة من ملك داود (ﷺ) ستمائة وستة وثلاثين عامًا، وهو الذى بنى بيت المقدس(١٥)، ومن بداية بناء بيت المقدس حتى مولد الإسكندر سبعمائة وتسعة عشر عامًا، ومن مولد الإسكندر حتى مولد المسيح (ﷺ) ثلاثمائة وتسعة وستين عامًا،

ومن مولد المسيح حتى زمان ولادة المصطفى (ﷺ) خمسمائة وواحداً وعشرين عاماً، ومن وقت ارتفاع المسيح حتى وفاة المصطفى (ﷺ) خمسمائة وأربعة وتسعين عاماً، ومن مبعث المسيح حتى هجرة رسول الله (ﷺ) خمسمائة وستة وأربعين عاماً، وكانت وفاة المصطفى (صلى الله عليه وسلم) فى سنة تسعمائة وخمسة وثلاثين بالتقويم الإسكندرى، ومن داود حتى محمد رسول الله ألفًا وعامين وستة أشهر وعشرة أيام، ومن موسى حتى محمد (ﷺ) ألفين وثمانية وثمانين عامًا وستة أشهر وعشرة أيام، ومن إبراهيم حتى محمد المصطفى ألفين وسبعمائة وثمانية وعشرين عامًا وستة أشهر وعشرة أيام، ومن نوح حتى محمد (عليهما السلام) ثلاثة آلاف وسبعمائة وإحدى وعشرين عامًا وستة أشهر وعشرة أيام، وبعد هذا القول من رواية المسعودى عن هبوط آدم حتى مبعث محمد (ﷺ) ستة آلاف ومائة عام واثنان وستة أشهر وعشرة أيام.

وجاء فى ديوان النسب أنه كان لنوح أربعة أبناء هم: سام وحام ويافث و يام، ويقال: إن له ولداً آخراً اسمه يوناطل، وكان له أربعة أبناء هم: دمس وأذعار ومعاس وكايل، ومنهم كانت أمم كثيرة؛ منها أهل الصين والماجين، ويام هو من جاء فى شأنه ﴿ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ﴾[١٦]، وهلك فى الطوفان، وكان لحام عشرة أولاد هم: كوش وقوط وكنعان وزنج وزعادة وهند وسند ومصرايم وسقحشا ونوبا، وكان حام أسوداً، وسبب سواد وجهه أنه كان قد ارتكب حماقة مع أبيه فقد رأى عورته بغتة، فلا جرم أن اسود وجهه، ويقال: إن سام و يافث أبعداه فى ذلك الوقت، ومن هنا فإن الأتراك من نسلهما أعزة، والسود فى الجملة أذلة، وبختنصر ونمرود من نسل كوش. بختنصر بن نيوزرادان ابن سناريب بن زنج بن بالغ بن مسلم كوش، والنمرود بن كوش.

وقال أبو محمد عبد الله بن مسلم القتيبى[١٧]: أن النمرود بن ماش بن إرم بن سام، و الأقباط من نسل قبط بن مضر بن قوط بن حام، و تمناع بنت شومال أم عمليق بن لاود بن حام، وإمليفانا بنت عنا وهى زوجة عيص بن إسحاق من نسل الكنعانيين، وهو الذى أظهر البغل فى الدنيا، وكان ليافث ثلاثة وعشرون ابنًا، و جومر كيومرث هو الذى عمر ولاية التركستان، وعمر ماغوغ مدينة همدان ومهمات، وعمر جوان مدينة

باتونيه وهى من بلاد اليونان، وعمر ثوبان الصين، وعمر خراسان ولاية خراسان، وتيراس ولاية فارس، وخوار وسوسل وقارح ويائل وأدنه وداران وعامور وبرحام ومصصه ينسب إليهم بحر الخزر وكيلان وقبرس ومردى وكماسخ وكمادى وطيلسان، وكان لكمادى ابن اسمه كرد وهو والد الأكراد، وتالش من نسل الطلاسنة والأتراك والصقالبة، ومأجوج ويأجوج من نسل جومر وماغوغ، ويقولون: إن نوحًا أعطى حام بلاد السود، وبلاد السمر إلى سام، وبلاد الشقر إلى يافث، وكان عمر نوح تسعمائة وخمسين عامًا.

الطبقة الثانية

من سام بن نوح حتى إبراهيم الخليل (صلوات الرحمن عليه) وهم عشرة أشخاص، ومدة أعمارهم ألف عام وأربعمائة وثمانية وسبعون، وقيل: ألف ومائتان وستة وأربعون عامًا، ويقال: ألف وتسعمائة وستة وتسعون عامًا، وكان لسام بن نوح خمسة أبناء، هم: أرفخشد، إرم، لاود، غيلام، أشود، وعمّر غيلام خورستان، وكان لأشود مدينة نينوا ورحبه و المدائن، كما كانت بلاد الأرمن لإرم، وجاء في ديوان النسب أنه كان لإرم خمسة عشر ابنًا هم: عبيل، طسم، جديس، عمليق، جرهم، بارجاسم، صحار اميمًا، ثمود، عاد، عنبرحول؟[١٨]، عوص[١٩] ومنه عاد الذي ولد له شداد، و موش داد بن عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح (عليه السلام).

وقال أبو على فضل بن الحسين الطبرسي[٢٠] في تفسير مجمع البيان في علوم القرآن: إنهم اختلفوا في إرم، يقال: إنها اسم قبيلة، وقال أبو عبيد: إن عاداً رجلان؛ فعاد الأول إرم، وهو الذي قال فيه الحق تعالى : ﴿ وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَاداً الأُولَىٰ ﴾[٢١] ويقولون: إنه جد عاد وهو عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح وهذا نقلاً عن محمد بن إسحاق، وقيل: هو سام بن نوح نسب عاد إليه وهذا عن الكلبي، ويقال: إنها اسم مدينة وهي الآن دمشق وهذا عن سعيد بن المسيب وعكرمة، ويقول محمد بن كعب: إنها مدينة الإسكندرية، ويقال إنها مدينة بناها شداد بن عاد، ويقول الجبائي: إنها لقب عاد.

حكاية إرم ذات العماد : قال وهب بن منبه: إنه في عهد معاوية، خرج عبد الله بن قلابة من اليمن يطلب جملاً في صحراء عدن فنزل واديًا، فوصل فجأة إلى مدينة ذات أسوار عظيمة داخلها كثير من القصور، ويرتفع على كل قصر علم، ولم ير أحداً، وقال: أدخل المدينة، فدخلها وترجل من على جمله واستل سيفه من غمده، فرأى حصنًا له

بابان عظيمان مرصعان بالياقوت الأبيض والأحمر، فتملكته الحيرة، ولما سار فيها رأى قصوراً متقابلة من الذهب والفضة مرصعة باللآلئ والياقوت، وقد انتثرت على بساطها كرات من المسك والزعفران واللآلئ، وأشجار مثمرة ومياه جارية فى جداول من فضة ولا وجود لأحد قط، فقال: قسماً بالله الذى بعث محمداً بالحق إلى الخلق أن الله عز وجل لم يخلق فى الدنيا مثل هذا، إن هذا من الجنة التى وصفها القرآن، ثم حمل ما استطاع حمله من اللآلئ والمسك والزعفران، وقدم اليمن وأطلع الناس عليها وصار عظيم الثراء.

ولما بلغ هذا الخبر معاوية طلبه، فقدم وقص عليه القصة، فأحضر معاوية كعب الأحبار وقال: يا أبا إسحاق هل فى الدنيا مدينة من ذهب وفضة؟، قال: نعم أنا أخبرك عنها وعمن بناها، شيدها شداد بن عاد، وهى المدينة التى وصفها الله تعالى فى القرآن بقوله: ﴿ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ﴾(٢٢) قال معاوية: أخبرنى عنها، قال: اعلم إنهم عاد الأولى وليسوا عاداً قوم هود، وكلا القومين من أبناء هود أبناء عاد الأولى، وبقى له ولدان هما شداد وشديد، فهلك شديد واستأثر شداد بالملك على جميع الأرض، وتغلب على نفسه التكبر والتجبر بأن يصنع جنة فى الدنيا(٢٣)، فأمر مائة بطل لبناء هذه المدينة مع كل منهم ألف اراعون؟(٢٤) وكتب إلى كل ملك من ملوك زمانه لكى يجمعوا من أجل ذلك كل جوهر فى بلادهم، وقام هؤلاء المهندسون والأساتذة ببناء هذه المدينة، ولما فرغوا من بنائها بعد مدة، أقاموا حولها سوراً عظيماً يضم ألف قصر.

ثم توجه شداد مع الوزراء وأركان الدولة وأعيان حاشيته وجيشه العظيم إليها، ولما اقتربوا منها أرسل الحق سبحانه وتعالى عليهم صيحة من السماء؛ فهلكوا جميعاً بحيث لم يبقَ منهم أحدٌ، وفى زمانك ذهب مسلم أحمر أشقر قصير ذو خال على حاجبه، وآخر على رقبته يطلب شيئاً فى تلك الصحراء، وكان ذلك الشخص جالساً أمام معاوية، وعندما نظر إليه كعب الأحبار قال: ليس سوى هذا الرجل.

وفراعنة مصر من أبناء لاودند الذى كان فرعوناً فى عهد إبراهيم (عليه السلام)، وهو سنان بن علوان بن عبيد بن عولج بن يلمع بن إشليخا بن لاود بن سام،

وفرعون يوسف (عليه السلام) هو ريان بن الوليد بن هروان بن أراشة بن فاران بن عمرو بن يلمع بن إشليخا بن لاود، وفرعون موسى (عليه السلام) هو وليد بن مصعب بن معاوية بن أبى شمر بن هلوان بن ليث بن فاران بن عمرو بن يلمع بن إشليخا بن لاود بن سام. وجاء فى جامع المعارف للحصينى أنه من نسل أدم بن سام وهو وليد بن مصعب بن ريان عزيز مصر الوليد بن ريان بن عاد بن إرم بن سام الذى امتلأ وسط العالم من أبنائه ومدة عمره مائتا عام، وفى قول اليهود: إنه لما بلغ سام مائة عام ولد له أرفخشد وذلك بعد الطوفان بعامين، وكان عمره ستمائة عام، ولأرفخشد بن سام ولدان هما: شالح و قينان، واخترع علم الفلك بعد الطوفان، وصنع له أولاده من بعده تمثالاً لوجهه من الذهب، كانوا يسجدون له، وهو الذى بنى مدينة حران، وكانت مدة عمره أربعمائة وخمسة وستين عامًا، وفى قول اليهود: إنه لما بلغ أرفخشد الخامسة والثلاثين ولد شولح، ومدة عمره أربعمائة وثمانية وثلاثون عامًا، ويسمون شالح بن أرفخشد فى العبرية شولح، ولما بلغ الثلاثين ولد له عابر، ومدة عمره أربعمائة وثمانية وثلاثون، وفى قول اليهود: أربعمائة وثلاثة وثلاثون عامًا.

عابر بن شالح :

هو النبى هود (عليه السلام) واسمه فى العبرية عبور، والعبرى مشتق من عابر، وكانت لغة الناس قبله هى السريانية، وبعد ذلك انقسمت إلى ثلاث لغات أفصحها الأرمينية التى كانت لغة الرها والشام والخارجة وحران، والفلسطينية التى كانت لغة دمشق وجبل لبنان، و الكلدانية التى كانت لغة الجبال وسواد العراق.

وذكر أبو الفتح الحصينى فى جامع المعارف: أن هودًا من أبناء عاد، وهو هود بن عبد الله بن رياح بن خلود بن عاد، وكان عمره أربعمائة وأربعًا وستين سنة، ثم بعث صالح وهو صالح بن عبيد بن عاد إلى قوم ثمود، وكان بين هود وصالح من المدة خمسمائة عام، وكان عمره مائتين وثمانين سنة ودفن بمكة.

وذكر فى تاريخ النصارى والإفرنج أن هوداً بن شالح وعمره ثلاثمائة وأربعون عامًا، وجاء فى تاريخ اليهود أنه عندما بلغ عابر الرابعة والثلاثين ولد فالغ، ومدة عمره أربعمائة وأربعة وستون عامًا.

وجاء فى ديوان النسب، أنه كان لهود بن شالح ولدان هما: قحطان و فالغ، فعمر قحطان بلاد اليمن، وكان له ولد يسمي يعرب، وهو أول شخص تحدث باللغة العربية، ونزل فى اليمن ويسمونه أبا اليمن، وكان ليعرب ابن يسمي يشجب ولد ابنًا يسمى سبأ ونشأ العرب من سبأ لأنه أول شخص سبى من العرب، ولذلك سموه سبأ، وكان له ثلاثة أولاد كهلان و مر و حمير، وكانوا يقولون لحمير عز لحج أيضًا، و حاطب بن سعد رهطه ذو الكلاع و بنو حيوان رهط شعبى و هوزن من أبنائه، وحكم العرب من نسله خمسة وعشرين ملكًا على النحو التالى: أولهم الحارث وهو الحارث بن شداد بن ملطاط بن عمرو بن قيس بن معاوية بن حشم بن عبد شمس بن موايل بن غوث بن قطن بن عريب بن زهير بن أيمن بن هميسع بن حمير، وهذا[1] الحارث تبع للأول ولقبه الرايش، وتفسير رايش بالفارسية العطاء وكان كريمًا، وكان لقمان الحكيم فى زمانه، ويقولون: إنه كان للقمان من العمر ألفان وأربعمائة وخمسون عامًا.

وكان للحارث ابن يسمى أبرهة، وصار من بعده ملكًا، ولقبوه بذى المنار؛ لأنه مضى لحرب المغرب، وشيد المنائر فى الطريق حتى لا يضل فى العودة، وهو الذى مهد الطريق من المغرب إلى اليمن، وكان له ولد يسمى أفريقيس وصار من بعده ملكًا وعمر أفريقيا حتى حدود المغرب، وكان له ولد يسمى العيد وخلفه فى الملك ولقب بذى الأذعار، والذعر فى الفارسية (ترس) أى الخوف، وهو الذى جاء بالنسناس إلى بلاد اليمن، وكان الناس يخشونه ولذلك السبب لقبوه بهذا الاسم، ثم وصل الملك من بعده إلى هدهاد، ومن بعده إلى بلقيس زوجة سليمان النبى (عليه السلام)، وكانت بلقيس بنت هدهاد بن شرحبيل بن أبرهة بن الحارث، ولما أقامت بلقيس ملك اليمن واتصلت بسليمان أصبح الملك لعمها باشر ينعم الذى كان كريمًا، وبعده وصل الملك إلى أبى كرت شمر بن عبيد بن أفريقيس بن أبرهة بن الحارث، وكان يلقب بذى القرنين، وهو الذى أحضر جيش العرب إلى العراق.

وجاء فى كتاب حمير، أنه هو الذى قتل كشتاسب وهو تبع الثانى، وبعده أفضى الملك لابنه أقرن وبعده لابنه ذى الجيشان وبعده لأخيه كرب ومنه إلى ابنه أسعد ومن بعده إلى أخيه حسان ومنه إلى أخيه عمرو، وبعده وصل الملك إلى عبد كلال وهو ابن عمر بن زهران أخو ملطاط الذى كان جد الحارث، ومنه لابنه مرثد ومنه لابنه وليعة ومنه إلى ذى جدن بن حجر بن ربيعة بن مرة بن حارث بن عوف بن زهران جد عبد كلال، ومنه إلى أبرهة الصباح أخو عبد كلال ومنه إلى صهبان بن محرث عم أخ أبرهة، ومنه إلى ابنه الصباح ومنه إلى حان بن عمرو بن أقرن، ومنه إلى تبع الأصغر الذى قدم يثرب وأصبح يهودياً، وأساء إلى سمعته، وأصبح ابن أخته عمر بن عمرو بن حجر ملكًا لعدنان، وامرؤ القيس الشاعر بن حجر بن الحارث بن عمرو بن حجر، ومنه وصل إلى عريب، وكان ملكًا عظيمًا وتهود، واستولت الحبشة على ملكه وأغرق نفسه فى البحر، وبقى ملك اليمن فى يد الحبشة حتى عصر سيف ذى يزن، وانتقل الملك إلى أربعة ملوك كان آخرهم مسروق بن أبرهة الذى نزلت سورة الفيل فى شأن أبيه، وقتل بيد معدى كرب بن سيف يزن، وهو سيف بن ذى يزن بن أسلم بن أسلم بن زيد بن عوث بن سعد بن عوث بن عدى بن مالك بن زيد بن سدو بن زرعة بن صيفى بن قيس بن معاوية بن سبأ الأصغر بن كعب بن ذى الكلال زيد بن سهل بن عمر بن قيس بن معاوية بن حشم بن عبد شمس بن وائل بن عوث بن قطب بن عريب بن زهير بن أيمن بن هميسع بن حمير، ومدة ملكهم ألف وسبعمائة عام.

حكاية : لما رأى سيف أن الحبشة استولت على بلاد اليمن، مضى لخدمة قيصر الروم، وطلب منه العون، ولأن الحبشة لم تكن على دين القيصر فلم يمده بجيش، وأمر بإعطائه عشرين ألف دينار من الذهب، فغضب سيف ونثر هذا الذهب على بابه وعاد، ومضى إلى حضرة أنوشيروان وبكى وتذلل، فقبل أنوشيروان أن يمده بالعون، وتوفى سيف فى قريب من هذا الوقت، وقدم ابنه معدى كرب إلى أنوشيروان الذى أمر بإخراج السجناء من سجنهم وقدم لهم المؤن وأرسلهم معه، وركبوا معه فى السفينة ومضوا إلى ساحل عدن، وكان قائدهم وهرز، وقاتلوا الحبشة بالقرب من عدن وقتل مسروق، واستولوا على اليمن، وأصبح معدى كرب ملكًا.

وخرج للصيد ذات يوم أثناء ملكه، فانتهزت الحبشة الفرصة وقتلوه، وكان انقراض ملك بني حمير على يديه، ومنه انتقل إلى الفرس، وكان أول ملك لهم وهرز الذى كان يلقب بخره داد وهو ابن واريهان بن نرسى بن جاما سف بن فيروز الملك، وبعده ملك نوشجان، وبعده لداودويه قاتل الأسود العنسى الذى ادعى النبوة فى عهد المصطفى (صلى الله عليه وسلم)، وبعده إلى فيروز الديلمى، وبعده انتقل ملك اليمن من الفرس إلى نواب المصطفى (عليه الصلاة والسلام).

وحكم فى العرب واحد وخمسون من بنى كهلان وذلك من ثلاث قبائل هم: بنو غسان وبنو لحم وبنو دوس، وكان من بنى غسان ماء السماء الذى كان أولهم، وآخرهم يسمى جبلة الذى أسلم على يد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، ولأن عمر قد حكم عليه أن يضرب نفسه بسلاحه؛ لأنه كان قد ضرب أعرابيًا ففر إلى الروم خائفًا ليدفع هذا عن نفسه.

نسبه : جبلة بن أيهم بن أبى شمر بن حارث بن حجر بن نعمان بن حارث بن أيهم بن حارث بن جبلة بن حارث بن ثعلبة بن عمرو بن جفنة بن عمرو بن ماء السماء.

وكان ماء السماء ملكًا كريمًا، ولما كان يقع القحط فى أى وقت كان يعطى الناس الكثير من الذهب والطعام، وبذلك لم يكن هناك قحط ولذلك سموه ماء السماء، وكانوا كلهم ملوكًا منه حتى جبلة، وحكم من إخوته وأبناء إخوته من ماء السماء حتى جبلة خمسة وثلاثون ملكًا، وماء السماء بن حارثة المطريق بن امرئ القيس بن مطريق بن ثعلبة بن مازن، وسموا مازن هذا غسان بسبب أنه كان يقيم على حافة ضفة نهر فى اليمن، ولذلك لقبوه بغسان، ويقال لنسله الغسانيون وهو ابن أزد بن غوث بن بنت بن مالك بن زيد بن كهلان، وكانوا يقولون لبنى لحم أولهم امرؤ القيس حتى أبى قابوس النعمان الذى قتله كسرى برويز تحت أقدام الفيلة فى المدائن، وحكم من بعده أربعة عشر ملكًا، وكانوا يلقبون أبا قابوس بن المنذر بن ماء السماء باسم أمه، ولقبوه بذى القرنين، وفى منتصف فترة ملكه عزله أبو يعفر بن علقمة الديلمى بأمر من ملوك العجم وأصبح ملكًا، وبعده كان الملك للحارث وقبله كانت الشهرة لفارس فى زمن أنوشيروان العادل،

وبعده كان الملك للحارث بن عمر بن حجر، وكان هؤلاء الثلاثة من نسل الملوك وظل ملكهم ثلاثين عامًا، ووصل الملك لابن أبي المنذر بناء على أمر ملوك العجم وهو ابن امرئ القيس بن أسود بن المنذر بن النعمان بن امرئ القيس بن صد بن بدو، وحكمت هذه الجماعة مع أربعة أشخاص آخرين من أبنائهم.

نسبه : بدو بن عمرو بن عدى بن نصر بن ربيعة بن عمرو بن الحارث بن سعوف بن مالك بن غنم بن نماره بن لخم، وكان لخم يسمى مالك وهو من قبيلة كبيرة، وهو ابن عدى بن الحارث بن قرة بن أدد بن زيد بن يشجب بن غوث بن زيد بن كهلان، وحاتم الطائى من قبيلته، وهو حاتم بن عبد الله بن سعد بن خسرج بن امرئ القيس بن عدى بن أحرم بن أبى أحرم مروهة بن ربيعة بن جرول بن ثعل بن عمرو بن الغوث بن الطائى واسم الطى جديلة لأنه أول من طوى المنازل، وهو ابن أدد بن يشجب بن غوث بن زيد بن كهلان، وكان له ولد هو عدى بن حاتم الصحابى (رضى الله عنه).

وكان من بنى دوس ملكان: مالك بن فهم أول ملوك الحيرة، وكان له ابن فى العراق العربى يدعى جذيمة الأبرش، وأصبح ملكًا بعد أبيه، وكان عظيمًا متكبرًا لدرجة أنه لم يشرب مع أحد قط، وكان يقول: لاينبغى أن يكون لى نديم سوى الكواكب ولهذا لقبوه بنديم الفرقدين، وقتل على يد زبا التى كانت امرأة يرجع نسبها إلى جذيمة بن مالك بن فهم بن غنم بن دوس، وأبوهريرة الصحابى من نسل دوس.

وذكر الحافظ أبو موسى بن محمد بن أبى بكر بن أبى عيسى المدنى الأصفهانى فى كتاب التتمة: أنهم اختلفوا كثيرًا فى اسم أبى هريرة وأبيه، يقول الواقدى: إن اسمه عبدالله بن عمر، وجاء فى كتاب المدخل الحاكم للأبى عبدالله محمد بن عبدالله بن محمد البيع النيسابورى، أبو هريرة عبدالرحمن ويقال عبد شمس ويقال عمير بن عامر الدوسى، والدوس هو ابن عدنان بن عبدالله بن زهران من الأزد، وأمه أميمة بنت هفتح بن الحرث الدوسية.

والتحق أبوهريرة فى سنة سبع بخدمة المصطفى (صلى الله عليه وسلم)، وقدم خيبر وآمن، وكانت وفاته فى صفين عام تسعة، ويقال: سنة ثمانٍ، ويقال فى سنة سبع

وخمسين، وجاءوا به إلى المدينة ودفنوه، وكان في الثامنة والسبعين من عمره، وروى عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) خمسة آلاف وثلاثمائة وأربعة وسبعين حديثًا.

وبوس بن عدنان بن عبدالله بن زهران بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبدالله بن مالك بن نصر بن أدد بن غوث بن مالك بن زيد بن كهلان، ومدة ملكهم خمسمائة وخمس وسبعون سنة.

فالغ بن غابر : كان له أربعة أبناء هم: أرغو و فينان و شيرى و مدبر، وفى زمانه قسم أبناء نوح الأرض مرة أخرى، وآل وسط المعمورة لأبناء سام وهى فلسطين والشام والحجاز وسامراء ولأبناء حام جنوب أفريقية وهى زرنج ومصر والنوبة والبربر والحبشة والهند والسند، ولأبناء يافث شمال الأندلس والفرنجة وبلاد اليونان وصقلية وبلغاريا والتركستان، ولما كان عمر فالغ ثلاثين عامًا ولد له أرغو، ومدة عمره مائتان وتسعة وثلاثون عامًا.

أرغو بن فالغ : كان له خمسة أبناء: شاروغ ويسمونه بالعبرية سرور، و نعمان وبهران و طاشم و طولان، ويسمون أبناء هؤلاء الإخوة الأربعة الجبابرة، وفى عصر أرغو كان غرود بن كوش بن حام ملكًا فى بابل، وبنى صرحًا عظيمًا، فاقتلعه ريح عاصف من أصله وخربته ومات غرود، وكان له ولد يسمى نينوس، وشيد له مدينة باسمه على حافة نهر الموصل وهى خربة، وكان قد بلغ من العمر ثلاثمائة وتسعة أعوام، ويسمونه فى العبرية رغو، وجاء فى تاريخ اليهود أنه لما بلغ أرغو من العمر اثنتين وثلاثين سنة، ولد له سرور، ومدة عمره مائتان واثنتان وثلاثون سنة[٢٥].

ساروغ بن أرغو: تم سك الدرهم والدينار فى عصره، وفى هذا الزمان تولى فرعون بن سالس وهو من فراعنة مصر الحكم، ومدة عمر ساروغ ثلاثمائة وثلاثون عامًا، ويقول اليهود: لمابلغ سرور سن الثلاثين ولد له ناخور، وكانت مدة عمره مائتين وثلاثين عامًا، وكان لناخرو بن ساروغ ابن يسمى تارخ وهو آذر، ويسمونه فى العبرية تورخ، وكانت مدة عمر ناخور واحدًا ومائتى عام، ويقول اليهود: لما بلغ ناخور تسعة وعشرين عامًا ولد له تارخ، ومدة عمر ناخور مائة وثمانية وثلاثون عامًا.

تارخ بن ناخور : كان له ثلاثة أبناء: إبراهيم و ناخور و هارون، وكان لوط (عليه السلام) بن هارون، وأيوب (عليه السلام) من أبناء عوض بن ناخور. وجاء فى كتاب مجمع البيان فى علوم القرآن لأبى على الطبرسى أن أيوب بن عوض بن رارخ بن روم بن عيصا بن إسحاق بن إبراهيم (عليه السلام)، ومدة عمره مائة وستة وأربعون عامًا، ويقولون: إن ابنة يعقوب (عليه السلام) إليا التى تسمى بالعبرية دينا كانت حرمه، ولافان النبى (عليه السلام) وأخته روفا كان اسم أم يعقوب (عليه السلام)، وابنتاه لينا و رحيل أم يوسف (عليه السلام)، وكلتاهما حرم يعقوب (عليه السلام) بن بثوابل بن ناخور، وفى عهد تارخ ملك فلسطين بنى مورقوس مدينة دمشق، وكانت مدة عمر تارخ مائتين وخمسة أعوام، وتوفى فى مدينة حران. وجاء فى تاريخ اليهود أنه عندما بلغ تارخ السبعين ولد له إبراهيم (عليه السلام)، ومدة عمر تارخ مائتان وخمسة أعوام.

إبراهيم (عليه السلام) بن تارخ كان له ثمانية أبناء: إسماعيل وإسحاق وشوح ويشباق ومذان ومديان وزمران ويفشان، وكانت صفورا زوجة موسى (عليه السلام) بنت شعيب (عليه السلام)[٢٦] بن يربت بن غيفا بن مديان، وكانا ملكى صيدق وأبو مليخ نبيين معاصرين لإبراهيم الخليل (عليه السلام)، وأرسل الله تعالى إبراهيم إلى غرود بن كوش ليدعوه، وأنزلت عليه عشرون صحيفة، يقول وهب بن منبه: كان الملك على الأرض لمؤمنين وكافرين، المؤمنان هما: سليمان وذو القرنين، والكافران: نمرود وبختنصر.

وكان لإبراهيم (عليه السلام) سبعة عشر عامًا حينما طرحه نمرود فى النار، ولما ماتت سارة بنت هارون أم إسحاق، تزوج قطور بنت يقطر، وأنجب منها ستة أبناء آخرين، وكان أول أبناء إبراهيم: إسماعيل وأمه هاجر القبطية جارية سارة التى وهبتها لإبراهيم، وكان إسماعيل يكبر إسحاق بثلاثة عشر عامًا، ويقال: إنه بعد ولادة إسحاق عاش إبراهيم عشرين سنة أخرى، وقالوا: خمسة وسبعين عامًا، ويقولون: إن يعقوب ولد فى حياته، وعاش مائة وسبعة وأربعين عامًا، ولما مضى يوسف إلى مصر كان يبلغ من العمر مائة وثلاثين عامًا، وكان يعقوب وعيص توأمين وماتا فى يوم واحد، ودفنا فى قبر معًا فى بيت المقدس، وعاش يوسف بعد يعقوب أربعة وخمسين عامًا، وجاء فى مجمع

البيان لأبى على الطبرسى أنه عاش بعد أبيه ثلاثة وعشرين عاماً، وهو أول أنبياء بنى إسرائيل، وبعده وصلت النبوة إلى روبيل بن سهودا. وكان عمر يوسف مائة وعشرة أعوام.

وكانت وفاة إبراهيم فى صلاة العصر فى يوم الخميس الثانى من شهر المحرم، وطال مرضه خمسة وعشرين يوماً، وجعل إسحاق خليفة فى الشام وإسماعيل فى الحجاز، وعاش إسماعيل بعده أربعين عاماً، وعمره مائة وسبعة وثلاثون عاماً، وعاش إسحاق اثنتين وخمسين سنة وكان عمره تسعة وثمانين عاماً، ويقال: إن عمر إبراهيم مائتا عام، وجاء فى جامع المعارف أنه عاش مائة وخمسة وسبعين عاماً وهذا يوافق تاريخ اليهود والنصارى.

ومن عهد إبراهيم إلى يومنا هذا أى شهور سنة سبعمائة وسبع عشرة من الهجرة يبلغ ثلاثة آلاف وستمائة وسبعة وثلاثين عاماً ويقال: ثلاثة آلاف وثمانمائة وتسعة عشر عاماً، ويقرر أبو الحسن على بن عبدالله المسعودى أنه ثلاثة آلاف وأربعمائة وسبعة وتسعون، ويقول اليهود: ثلاثة آلاف ومائة وثلاثة وثلاثون عاماً(٢٧).

فصـــل

فى بيان التواريخ وأصنافها التى جعلها المنجمون أساسًا للرصد والزيج وغيرها

أفضلها وأهمها تاريخ الطوفان الذى كان فى أول يوم الجمعة، وهذا يوافق إلى يومنا هذا أى شهور سنة ٧١٧ من الهجرة على قول المسعودى أربعة آلاف وستمائة وتسعة وخمسين عامًا.

والآخر: هو تاريخ بختنصر الأول البابلى الذى حدد من زمن تربعه على العرش، وكان ذلك فى يوم الأربعاء، وحدد تاريخه بطليموس على أصول أوساط حركات الكواكب فى كتابه المجسطى، واستعمل القبط فى بداية أمرهم هذا التاريخ.

والآخر: تاريخ الإسكندر المقدونى المعروف بيلس وقد حسب هذا التاريخ من وقت وفاته وكان ذلك فى يوم الأحد، ووضع ثاون الإسكندرانى أصول أوساط وحركات النجوم فى زيجه المسمى بالقانون بناء على هذا التاريخ، ووضع بطليموس فى المجسطى أصول بعض أرصاده فى أول هذا التاريخ.

وتاريخ آخر هو تاريخ الإسكندر ذى القرنين الرومى، ولما بلغ الإسكندر الشام، أمر أحبار بيت المقدس أن يتركوا التاريخ الذى اتخذوه من زمان موسى (عليه السلام) وأن يجعلوه من تاريخه، فقالوا: لقد تبين لنا من الأخبار الصحيحة أنه بنهاية كل ألف عام من هذا التاريخ يجب علينا أن نتركه، وأن نبدأ بالتأريخ اعتبارًا من الألف التالى، وفى هذا العام نهاية ألف سنة، وهذا العام هو السابع والعشرون من عمر الإسكندر وهو الذى جعلوه مبدأ التاريخ، وكان ذلك يوم الإثنين ويبلغ إلى يومنا هذا ألفًا وستمائة

وخمسين عاماً، وعند اليهود ألفًا وستمائة وثمانية وعشرين عاماً، ووضع سامى (؟)[٢٨] أصول أوساط حركات الكواكب فى زيجه على هذا التاريخ.

والآخر: تاريخ أغسطوس القيصر الذى كان أول القياصرة، وجعلوه اعتبارا من جلوسه على العرش وكان ذلك يوم الأحد، ويبلغ إلى يومنا هذا ألفًا وثلاثمائة وسبعة وثلاثين عاماً.

وتاريخ آخر: هو أنطينس الرومي وهو من ابتداء دولته وكان ذلك يوم الجمعة، وجعل بطليموس مواضع الكواكب الثابتة فى المجسطى فى أول هذا التاريخ.

وتاريخ آخر: هو تاريخ دقطيانوس ملك الروم والقبط فى مصر، وجعلوا هذا التاريخ اعتباراً من بداية دولته وكان ذلك يوم الجمعة، ومن هذا الوقت يستعمله القبط.

وتاريخ آخر: هو تاريخ هجرة الرسول (ﷺ)، وكان ذلك يوم الإثنين الحادى عشر من ربيع الأول، وكان أول هذه السنة يوم الخميس من شهر المحرم كما استخدمه المسلمون، ووضع عبد الرحمن الخازنى[٢٩] أصول حركات الكواكب فى الزيج السنجرى المعتبر على هذا التاريخ.

وتاريخ آخر: هو تاريخ الفرس، وكانت بدايته من عصر جمشيد[٣٠]، وبعده نسبوه إلى كل ملك عظيم، ثم نسب أخيراً إلى يزدجـــرد شهريـار، وكان ذلك يوم السبت، ويبلغ إلى يومنا هذا ستمائة وخمسة وتسعين عاماً.

وفى زعم الفرس أن أيام العالم ثلاثمائة وستون ألفًا، ومن هنا يأخذ أصحاب أحكام النجوم مبدأ التسييرات والانتهاءات والفرودارات[٣١]، ويقولون: حينما اجتمعت الكواكب فى أول نقطة الحمل إلى أول سنة من الطوفان كان قد انتهت مائة وثمانون ألف سنة شمسية، وجاء فى كتاب الثمرة فى شرح كلمة مائة وثلاثة وثمانين: أن الطوفان جاء بعد عام القران بمائتين وست وستين سنة.

وتاريخ آخر: هو تاريخ الخطا وهو مبنى على ثلاثة عصور، كل عصر يتألف من ستين عاماً، ويقيدون هذه العصور بالأعظم والأوسط والأصغر، ويسمون الدور الأعظم بعصر شانك ون، والأوسط بعصر جويك ون، والأصغر بخارن، ومدة كل عصر من

العصور الثلاثة مائة وثمانون عامًا، وكانت بداية عصر شانك ون يوم الثلاثاء الموافق التاسع والعشرين من ربيع الأول سنة اثنتين وستين وسبعمائة، وفى زعمهم أنه قد مضت على بداية عصور العالم حتى أول عصر شانك ون ثمانية آلاف وثمانمائة وثلاثة وستون عامًا، وعلى جويك كان عشرة آلاف، وينقص من ون[٣٢] تسعة آلاف وسبعمائة وأربعون عامًا، وكان العام الواحد والأربعون ابتداء عصر شانك ون، ويقولون: إن عصر العالم ثلاثمائة وستون ألف ون.

وتاريخ آخر: هو تاريخ الهنود، ويبنى على أربعة عصور غير متساوية: الأول كريت يوك، والثانى توتيايوك، والثالث دوابريوك، والرابع كله يوك، ومجموع هذه العصور فى زعم اليهود أنه ثلاثة وأربعون لك وعشرون ألف سنة، ومعنى لك مائة ألف سنة، ويكون قد مضى على العصر الأخير حتى العصر الذى نحن فيه أى شهور سنة ٧١٧ هـ، مدة خمسة آلاف وثلاثمائة وثلاثة وتسعون عامًا.

وتاريخ آخر: وهو التاريخ الملكى، وأوله كان يوم الثلاثاء الموافق الثالث والعشرين من شهر المحرم سنة أربعمائة وسبع عشرة من الهجرة، وهو منسوب إلى السلطان جلال الدين ملك شاه بن ألب أرسلان السلجوقى، وقد وضعوا هذا التقويم بناء على هذا التاريخ.

وتاريخ آخر: هو التاريخ الجديد (الخانى) وبدايته من عهد سلطان الإسلام غازان خان، وكان سبب ذلك أنه قبل هذا الوضع كانت دفاتر قوانين الممالك مرتبطة بالتاريخ الهجرى، ومعينة بالسنوات القمرية، وتتفاوت السنوات القمرية والشمسية فى مدة الثلاثين عامًا سنة واحدة، ولهذا السبب كان يقع خلل عظيم وفساد ظاهر، حيث إن استحقاق الخراج كان مبنيًا على السنوات القمرية، والحصول على الخراج مبنيًا على السنوات الشمسية، وبذلك فإنه فى كل إحدى وثلاثين سنة قمرية التى هى ثلاثون سنة شمسية، كان العمال يهتمون بالحصول على خراج إحدى وثلاثين سنة بزيادة سنة، ويطالبون بذلك، وكان ذلك ظلمًا عظيمًا، فوضع خواجه رشيد الدين الوزير هذا التاريخ بأمر غازان خان، وهو بالسنوات الشمسية الطبيعية، وفى كل عام يوم النوروز، وذلك اليوم كان يوم الثلاثاء فى آخر شهور سنة تسع وتسعين وستمائة هجرية.

هوامش القسم الأول

(١) يبدو من أقسام الكتاب أن مؤلفه يتوخى الدقة حتى فيما لا تمس الحاجة إليه كثيراً، مثال ذلك أنه حين يذكر ملوك عهد من العهود يجمع عدد أعوام عمرهم، ونرى أن هذا لا يهم القارئ فى شيء، وكان يكفى ذكر عمر الواحد منهم فذلك أكثر دقة وتحديداً، ولكن يلزم نفسه بجمع أعمارهم فإنه لمن الدليل أنه يريد أن يذكر الحقائق كاملة. (الباحث).

(٢) سورة الدهر (الإنسان) : آية ١ .

(٣) سورة الإسراء: آية ١١ .

(٤) سورة البقرة: آية ٣٥ .

(٥) ذكر ابن كثير فى تفسيره أن أخبار دخول إبليس الجنة فى فم الأفعى لإغواء آدم (عليه السلام) أخبار إسرائيلية وفيها خلاف. ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، جـ ١، صـ٨١، (بيروت١٩٨٤م).

(٦) سورة الأعراف : آية ٢١ .

(٧) سورة الأعراف : آية ٢٢ .

(٨) يذكر البناكتى فى بعض المواضع أكثر من رواية، إلا إنه يحاول تمييز الصحيح من الخطأ. (الباحث).

(٩) يلاحظ على البناكتى أنه إذا ذكر حقيقة، التفت إلى ما ذكره اليهود والنصارى فيها، فهو يستشهد بأكثر من رأى يعرضه، كما أن ذكره لما يذهب إليه اليهود والنصارى لدليل على أنه على علم بتاريخهما بصفة خاصة، وعلى علم بالأديان بصفة عامة، وهذا يضفى على تاريخه شمولية عظيمة. (الباحث).

(١٠) لقد اختلف فيها، فقال سفيان الثورى: إن الصابئين قوم من المجوس واليهود والنصارى ليس لهم دين، وقال أبو العالية والربيع بن أنس: إنها فرقة من أهل الكتاب يقرأون الزبور، ولهذا قال أبو حنيفة وإسحاق: لا بأس بذبائحهم ومناكحتهم، وقال هشيم: إن الصابئين كالمجوس، وقال عبد الرحمن بن مهدى: إن الصابئين قوم يعبدون الملائكة، وقال أبو جعفر الرازى: بلغنى أن الصابئين قوم يعبدون الملائكة ويقرأون الزبور ويصلون للقبلة.

ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، جـ١، صـ١٠٤، (حلب ١٩٨٠) .

(١١) ذكر القرطبى فى تفسيره عن ابن عباس (رضى الله عنه) أن سيدنا نوح (ﷺ) بعث لأربعين سنة، ولبث فى قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً، وعاش بعد الغرق ستين سنة، وفى رواية أخرى عنه أنه بعث لمائتين وخمسين سنة، ولبث فى قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً، وعاش بعد الغرق مائتين وخمسين سنة.

القرطبى : الجامع لأحكام القرآن، جـ ١٢ ، صـ ٣٣٢ ، (بيروت ١٣٨٦هـ).

(١٢) هو أبو عبد الله محمد بن عمر الواقدى ولد بالمدينة سنة ١٣٠ هـ، اهتم بالعلوم الإسلامية بصفة عامة والتاريخ منها بصفة خاصة، يقول عنه كاتبه وتلميذه ابن سعد: كان عالمًا بالمغازى والسيرة والفتوح، واختلاف الناس فى الحديث والأحكام. توفى فى عام ٢٠٧ هـ.

(١٣) يبدو على البناكتى أنه بذل جهداً كبيراً فى إيراد هذه الأرقام المتلاحقة ، ولكن إذا احتكمنا إلى الذوق العلمى (التاريخى) وجدنا أن كثرة ذكر هذه الأرقام المتوالية يبعث فى النفس الملل، ومع توخيه الدقة فى ذكر هذه الأرقام حين يقول: إن اليهود يقولون فى كتاب تاريخ اليهود، فإنه لا يعين هذه الكتب، وكان الأولى به أن يعرف بهذه الكتب أو يذكر أسماء مؤلفيها. (الباحث).

(١٤) هو على بن الحسين بن على، من ذرية عبد الله بن مسعود، ولذلك قيل له المسعودى، نشأ فى بغداد وقدم مصر، ورحل فى طلب العلم إلى أقصى البلاد، فطاف فارس و كرمان واستقر مدة فى إصطخر، وقصد بعد ذلك الهند والملتان وسرانديب، ومن هناك ركب البحر إلى بلاد الصين، كما طاف بأذربيجان والشام وفلسطين، واستقر أخيراً فى مصر، ونزل فى الفسطاط سنة ٣٤٥هـ، وتوفى فى السنة التالية، واكتسب فى أسفاره العلوم على اختلاف مواضيعها، فجمع من الحقائق التاريخية والجغرافية ما لم يسبقه إليه أحد، وألف الكثير من الكتب المفيدة فى مواضيع شتى، أهمها فى التاريخ، وأشهر مؤلفاته مروج الذهب ومعادن الجوهر وكتاب ذخائر العلوم وما كان فى سالف الدهور والتنبيه والأشراف وكتاب التاريخ فى أخبار الأمم من العرب والعجم و غيرهم كثير.

جورجى زيدان: تاريخ اللغة العربية، جـ٢، صـ٣١٢ ، (القاهرة ١٩٣٩)

ابن النديم: الفهرست، صـ٢١٩ ، بدون تاريخ.

(١٥) لم يبنِ سيدنا داود (عليه السلام) بيت المقدس لكنه جدده.

(١٦) سورة هود: آية ٤٦ .

(١٧) هو أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينورى، ولد سنة ٢١٣ هـ فى أواخر خلافة المأمون من أسرة فارسية كانت تقطن مرو، أحد العلماء الأدباء، كان إمامًا فى اللغة والأدب والأخبار، وقد أخلص نفسه وفكره وعقله لدينه ولغته، تتلمذ على يد طائفة من علماء عصره، ألف مجموعة كبيرة من التصانيف أجمعوا على أنها عظيمة القدر جليلة النفع، قال النووى عنها: له مصنفات كثيرة جداً رأيت فهرسها ونسيت عددها، أظنها تزيد على الستين من أنواع العلوم، وقال أبو العلاء المعرى: خمسة وستون مصنفاً، أهمها كتاب الإمامة والسياسة المعروف بتاريخ الخلفاء و كتاب الوزراء وكتاب صناعة الكتابة وكتاب المعارف وكتاب غريب القرآن وكتاب عيون الأخبار وكتاب جامع اللغة، وتوفى سنة ٢٧٦هـ.

أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينورى / الإمامة والسياسة، تحقيق الأستاذ على شيرى، جـ١ ، صـ٦ ، ٧ ، ٨ ، ٩ ، (بيروت ١٩٩٠).

(١٨) هكذا فى الأصل.

(١٩) ذكر الطبرى عوص أيضًا، ولكن ابن الأثير ذكره عوض.

(٢٠) هو أبو على الفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسى نسبة إلى طبرستان الذى خرج منها من لايحصى كثرة من أهل العلم والأدب والفقه، توفى سنة ٥٤٨ هـ.

(٢١) سورة النجم: آية ٥٠ .

(٢٢) سورة الفجر: آية ٧ .

(٢٣) يبدو من السطور السالفة الذكر أن أسلوب البناكتى من السهل الممتنع، الذى لاأثر فيه للصناعات اللفظية والبديع، ومعناه فى ظاهر لفظه، مما يجعل الاستفادة منه يسيرة. (الباحث).

(٢٤) هكذا فى الأصل.

(٢٥) يلحظ على البناكتى أنه يذكر بعض أسماء الأعـلام التى يؤرخ لهـا باللغـة العبرية فى بعض الأحيان، وهذا دليل على أنه اطلع على كتب استمدت من العبرية، أو نقل من كتب أخذت عن العبرية. (الباحث).

(٢٦) يذكر ابن كثير أن المرأتين اللتين سقى لهما موسى (عليه السلام)، ليستا بنات شعيب النبى (عليه السلام)، لأن شعيب كان قبل زمان موسى (عليه السلام) بمدة طـويلة، لأنه قال لقومه: «وما قوم لـوط منكم ببعيد» وقد كان هلاك قوم لوط فى زمن الخليل (عليه السلام) بنص القرآن، وقد علم أنه كان بين الخليل وموسى (عليه السلام) مـدة طويلة تزيد على الأربعمائة عام. كما ذكره غير واحد، ويقوى هذا الرأى، أنه لو كان إياه لنص على اسمه فى القرآن، وما جاء فى بعض الأحاديث من التصريح بذكره فى قصة موسى لم يصح إسناده. ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ج٣، ص٣٨٥، ٣٨٦ .

(٢٧) يلحظ على البناكتى فى هذا الموضع وغيره تحديد التاريخ، فإذا ذكر تاريخًا عن مـؤرخ مثلاً، روى عن مؤرخ آخر ليتبين ما إذا كان اتفقا أم اختلفا، ونرى أن هذا منه مبالغة فى الدقة ورغبة منه فى تحرى الصحة. (الباحث).

(٢٨) هكذا فى الأصل.

(٢٩) عبد الرحمن الخازنى، أبو الفتح، حكيم فلكى مهندس، كان غلامًا روميًا لعلى الخازن المروزى، فنسب إليه، حصل علوم الهندسة والمعقولات، وصنف ميزان الحكمة والزيج المسمى بالمعتبر السنجرى، نسبة إلى السلطان سنجر، وكان متقشفًا يلبس ثياب الزهاد، بعث إليه السلطان سنجر ألف دينار فأخذ منها عشرة، ورد بقيتها، وقال: يكفينى كل سنة ثلاثة دنانير.

خير الدين الزركلى: الأعلام، جـ٣، صـ٣٠٥، (بيروت ١٩٨٤).

(٣٠) اسم ملك من البيشداديين يرجع نسبه إلى هوشنك، ويحكى أنه حكم سبعمائة عام، وتغلب عليه الضحاك، وفر جمشيد إلى سجستان، وتزوج ابنة كورنك، وتنسب إليه رسالة تشير إلى أن الإنسان أشرف الموجودات، وهو أول من نظم الجيش واخترع السلاح وبنى القلاع.

د/ محمد معين: فرهنك فارسى، ج٥، ص٤٢٣، (تهران ١٣٦٣ هـ.ش).

(٣١) هكذا فى الأصل.

(٣٢) ون معناها عشرة آلاف عام، كما جاء فى الكتاب.

القسم الثانى

فى ذكر ملوك الفرس والمشاهير من الأنبياء والحكماء الذين كانوا فى أيامهم بداية من عهد كيومرث إلى آخر أيام يزدجرد بن شهريار الذى كان آخر ملوك العجم.

وهؤلاء أربع طبقات، وعددهم ثمانية وستون شخصًا، ومدة ملكهم ثلاثة آلاف وستمائة وأربعة وأربعون عامًا وأربعة أشهر وثلاثة أيام.

الطبقة الأولى، البيشداديين: وهم أحد عشر ملكًا، ومدة ملكهم ألفان وأربعمائة وخمسة وثمانون عامًا، وعمر كيومرث بن يافث الذى يلقبونه فى العبرية بكومر وبالعربية جومر التركستان، وكان له ثلاثة أبناء: ترك وريغاث وأشكفار، فعمر ترك بلاد الإفرنج وريغاث جرجان، ويسميه العجم سيامك، كما عمر أشكفار الصقالبة (الروس).

وبإجماع أصحاب التواريخ أن أول من ملك وجاء الدنيا بأصول الحكم كان كيومرث، ويعده المجوس آدم، وذكر الغزالى فى كتاب نصائح الملوك[1] إنه أخو شيث، والأصح ما هو مثبت هنا، ويقولون: إنه هو الذى أرسى أساس المدنية، وبنى إصطخر ودماوند وعاش ألف سنة، وجعل الملك فى حياته لحفيده هوشنج بن سيامك، ومدة ملكه أربعون سنة.

هوشنج بن سيامك : كان ملكًا عالمًا عادلاً، ألف كتابًا فى الحكمة يسمى الحكمة الخالدة[2]، وترجمه الحسن بن سهل الكاتب وزير الخليفة المأمون إلى اللغة العربية وقال: العلم والعمل قرينان كمقارنة الروح للجسد لاينفع أحدهما إلا بالآخر، وقال: الغنى فى القناعة، والسلامة فى العزلة، والحرية فى رفض الشهوة، ويقول العجم:

إنه كان نبيًا وهو أول من استخرج الحديد من الصخر، وصنع السلاح، وسلك طريق الزهد والتجرد، وكان مشغولاً على الدوام بالعبادة، وقتلته الشياطين وهو ساجد، فعرف طهمورث حاله وقتلهم، وأقام مدينة فى موطنهم يقال: إنها بلخ، وكانت مدة هوشنج أربعين سنة.

طهمورث بن هوشنج : كان ولى عهد أبيه وملكًا صاحب رأى وعادلاً، يقولون: إنه نظم المعيشة وأسباب الحياة على الوجه الصحيح، وبنى أربع مدن بشاور فى فارس وكهرارمرد[٣] ومهريز[٤] وسارية فى العراق، وعم القحط فى زمانه، فأمر أهل البر أن يقدموا الإفطار إلى الفقراء، وأن يقنعوا بطعام العشاء، وظهرت سنة الصوم من ذلك الوقت، وكانت مدة حكمه ثلاثين عامًا.

جمشيد بن طهمورث : صار ملكًا بعد ألف سنة شمسية من تاريخ آدم (عليه السلام)، ويقولون: إنه كان أخا طمهورث كما يقال: إنه ابن أخيه، والأصح المثبت هنا، كان ملكًا ذا جمال وكمال، عالم وعادل، واشتغل بتدبير أمور المملكة والأدوات وآلات الحرب واكتشف الصناعات وعمر مدينة اصطخر، وابتنى له قصرًا عظيمًا بها ومازالت أعمدته باقية ويسمونها الأربعين منارة، وجلس على العرش فى هذا العصر عند تحول الشمس إلى نقطة الحمل، وسموا هذا اليوم بيوم النوروز[٥].

ولما بلغت مدة حكمه سبعمائة سنة استكبر وادعى الألوهية فسلط الله تعالى شداد بن عاد أن يرسل إليه ابن أخيه الضحاك بن علوان فقتل جمشيد، وكانت مدة ملكه سبعمائة وستة عشر سنة.

الضحاك بن مرداس الحميرى : لما أفضى الملك إلى شداد وشديد ابنى عاد، أرسلا الضحاك إلى فارس وأصبح ملكًا، فوضع أساس الظلم والطغيان، فأرسل الحق تعالى هودًا (عليه السلام) إلى قوم عاد ليدعوهم، فلم يقبل شداد وقصد هودًا، فأهلكهم الله تعالى بريح العقيم، وأصبح مرثد بن شداد ملكًا واتبع هودًا (عليه السلام) وكان معه فى حضرموت ومات هناك، وعاش هود (عليه السلام) سبعة وعشرين عامًا أخرى، وكانت مدة ملك الضحاك ألف سنة.

أفريدون بن أثفيان : كان من أبناء جمشيد، ويقولون: إنه ابن آبتين من أبناء طمهورث، وكان قد هرب آباؤه من الضحاك واستقروا فى الصحراء، ولما كان الضحاك يظلم الرعية على الدوام خرجت شعلتان من كتفه فى آخر عمره على هيئة ثعبانين، وكان ألمه لايسكن إلا بمخ رأس إنسان، ومن أجل طلائهما قتل خلقًا كثيراً، وظهر حداد فى أصفهان يسمى كاوه فرفع جلدة الحدادين على طرف قطعة خشب، بسبب أن ولدين له كانا قد قتلا، فاجتمع له خلق كثير، وخرجوا إلى الضحاك فهرب منهم، فأجلسوا أفريدون[٦] على عرش الملك وسلموه الضحاك وقتلوه، وقد رصعوا هذه القطعة من الخشب، وسموها العلم الكاوياني.

وأصبح أفريدون ملكًا واستولى على أراضى الأعداء وسيطر على معظم المناطق المعمورة بالعالم، وقسم مملكته بين أبنائه الثلاثة: سلم وتور وإيرج، فكانت بلاد الروم والمغرب لسلم، والتركستان لتور، ووسط المعمورة لإيرج، فاتفق يلم وتور وقتلا إيرج، وبعد ذلك طلب منوجهر دم جده وانتقم له، وتوفى أفريدون، وكانت مدة حكمه خمسمائة عام.

منوجهر بن شحوب بار: ابن بنت إيرج التى تسمى ماه آفريد، وصار ملكًا تنفيذًا لوصيته، وحفر نهر الفرات وأجرى الماء إلى العراق، ونقل أنواع الأشجار والرياحين من الجبال والغابات، وأقام الحدائق والبساتين، وكان أمير جيشه سام بن نريمان، وفى هذا الزمان قصده أفراسياب الذى كان من نسل تور وتصالحا على أن يكون ما وراء نهر جيحون لأفراسياب، وفى زمانه أرسل الله تعالى موسى وهارون إلى الفرعون وليد بن مصعب الذى كان من أولاد لاود بن سام الذى كان قد أرسله شداد لحكم مصر، وكانت مدة حكم منوجهر مائة وعشرين عامًا.

نودر بن منوجهر : وصار ملكًا بعد أبيه، وفى أيامه ظهر الفساد فى الأطراف وابتعدت الأمور عن القواعد والأصول وثارت الفتن، وثار عليه أفراسياب وأسره مع ألف شخص من أعيان البلاد وعظمائها وقتله، وكانت مدة ملكه عامين.

أفراسياب بن يشنك بن تور: جاء فى ديوان النسب أنه ابن تورك بن كيومرث، قدم فارس بعد وفاة منوجهر وأهلك نودر، وشغل نفسه بالقتل والتخريب، وكانت مدة ملكه اثنى عشر عامًا.

زوين طهماسب : كان من أبناء منوجهر، وثار على أفراسياب فهرب منه أفراسياب وتوجه إلى حدوده، وانشغل زال بإصلاح ما خربه أفراسياب، وأجرى إلى العراق نهرين يطلق عليهما الزابين، وكانت مدة ملكه خمسة أعوام.

كرشاسف بن أستاسف : كان ابن أخى زاب وصار خليفة بحكم الوصية، ورستم بن دستان من نسله، وكانت مدة ملكه عشرين عامًا.

الطبقة الثانية

الكيانيون[٧] وهم تسعة ملوك وجاء بعدهم الإسكندر الرومى ومدة ملكهم سبعمائة عام وسبع.

كيقباد: أول الكيانيين وهو من أبناء نودر بن منوجهر، وكان على الدوام على ضفة نهر جيحون وحارب الترك، وكانت أول حرب بين رستم[٨] وأفراسياب[٩] فى أيامه، وكان لقمان الحكيم وشموايل النبى وطالوت الذى كان ملك بنى إسرائيل من معاصريه، ومدة ملكه مائة وعشرون عاماً.

كيكاوس بن كيقباد: كان ولى عهد أبيه، وقصد ملك اليمن ذا الأذعار واصطلحا، وطلب يد بنت ملك اليمن التى تسمى سوداوه، وبعد ذلك أوقع ذو الأذعار الحميرى بحيلة منه كيكاوس مع رجال وعظماء دولته فى الأسر، فمضى رستم من إيران إلى اليمن، فأقدم ذو الأذعار على الصلح وأطلق سراح كيكاوس وجميع الأمراء والحشم، وسير سوداوه مع ألف جارية مع كيكاوس، وكان له ولد يسمى سياوش من امرأة أخرى، ورباه رستم دستان بسبب التهمة التى وجهوها إليه، فتمرد على أبيه ومضى إلى أفراسياب فزوجه ابنته، وقتله بوشاية من كرشيوز أخى أفراسياب، وكانت امرأته حاملاً، وبعده ولدت ولداً سموه كيخسرو، وظل فى التركسان حتى بلغ مبلغ الرجال، فمضى كيو بن كودرز من أصفهان وأحضره مع أمه إلى فارس، ويقال: إن النساء نشرن شعورهن حداداً على سياوش، وكان من الأنبياء والحكماء المعاصرين له داود وسليمان وبدوتون كادنابان ولقمان الحكيم، ومن آثاره أنه أجرى الماء فى بلغ، وشيد سداً فى بابل، وكانت مدة حكمه مائة وعشرين عاماً.

كيخسرو بن سياوش: لما قدم إيران كان كيكاوس شيخًا، فأعطاه الملك وحارب أفراسياب وهزمه فهرب أفراسياب وقدم أذربيجان وأسر وقتل، وبعد ذلك جعل كيخسرو ولاية العهد إلى لهراسب واعتزل واختفى، ويقال: إن سليمان (عليه السلام) اتجه إليه، ولكنه هرب ومضى إلى بلخ ومات هناك، ويقال: إنه عاصر سليمان وإخياء شيلونى من الأنبياء وفيثاغورث ولقمان الحكيم من الحكماء[١٠]، وكانت مدة ملكه ستين عامًا.

لهراسب: كان ابن حفيد أخى كيكاوس، ولما أصبح ملكًا ضبط أمور المملكة ووضع النظم، وعين أصحابه فى الديوان، وكان له ولدان: كشتاسف وزرير وقد تحليا بالجمال والحسن والزينة، لكنه أخطأ فى تفضيله لأبناء كيكاوس على أبنائه، ووكل إليهم الولايات والأعمال العظيمة، ولم يعلم أن الاستعانة بالغرباء مع وجود الأبناء وذوى القربى يتجافى عن الحزم، وبعد ذلك استاء كشتاسف من أبيه وتمرد عليه، ومضى إلى بلاد الروم وطلب يد بنت القيصر، وكان لهراسب فى بلخ ولما علم بخبر ابنه أسند إليه ولاية العهد وفى آخر عمره جعله خليفة له، ومن معاصريه ملوك دانيال وأرمينيا وعزير (عليهم السلام) وبختنصر.

وجاء فى جامع المعارف للحصينى أن بختنصر[١١] أسر عزير ودانيال، فرأى بختنصر رؤيا وفسرها دانيال ولهذا السبب وجد العزة، وتوفى دانيال فى ناحية سوس من خوزستان، وفى خلافة أمير المؤمنين عمر (رضى الله عنه) وجد أبو موسى الأشعرى قبره فأخرجه وكفنه وصلى عليه ودفنه فى نفس الموضع، وسيأتى نسبه إلى داود (عليه السلام) فى تاريخ النصارى فى القسم السادس، وعزير بن سرايا ويقال ابن سرحنا؟[١٢] من أبناء فنحاص بن العازر بن هارون (عليه السلام)، وجاء فى تاريخ بنى إسرائيل أن عزير كان فى زمن أرتخشاسا بن كتدوش بن أردشيربابك، وأنه حكم بنى إسرائيل مع بنيين آخرين هما: حكاى وزخرتا أربعين سنة، ومن ولادة داود حتى آخر أيام عزير أربعمائة وخمسة وتسعون عامًا، ومدة ملك لهراسب مائة وعشرون سنة.

كشتاسب بن لهراسب: كان ملكًا سديد الرأى صائب القول، ولكن وقع فى أيام دولته خطأ، وكان ظهور زردشت[١٣] الحكيم فى عهده، وكان رجلاً من أهل فلسطين،

ولحق بخدمة أحد تلاميذ أرميا النبى وتعلم منه علومًا غير معروفة، ويقال: إنه كان من أذربيجان وعرف علوم أحكام النجوم، وقال: إنه سيظهر شخص مثل موسى يتجلى له الخالق بسبب نور النار وهذا هو سبب دعوته، فكانت له الدعوة أملاً أن يكون هو هذا الشخص، واشتغل بالرياضة والمجاهدة والخلوة والعزلة، فظهر له النور بسبب تلك الخلوة والرياضة، وبسبب عدم وجود المرشد أصبح هذا النور فتحًا لباب الشيطان، وظهر له فى صورة نار ومن بينها كان يخاطبه، وجمع هذه المخاطبات، وسماها كتاب الزند، وعد نفسه نبيًا، وصد الناس عن الدين الصابئى، ودعا إلى الدين المجوسى وأصبح كشتاسف مجوسيًا، وقتل شخصًا فى مدينة "فسا" فجأة، وكان عمر زردشت سبعة وسبعين عامًا وإلى يومنا هذا ألفًا وتسعمائة وخمسين عامًا، واعتقل كشتاسف قاتله وقتله ونصب جاماسب مكانه، وقدم إصطخر وشيد بيوت النار، وكان أبوه لهراسب فى بلخ.

ومضى ملك التركستان أرجاسف إلى بلخ، وقتل لهراسب وأسر بنات كشتاسف، فأرسل كشتاسف ابنه إسفنديار[١٤] ليهلك أرجاسف فقتله واسترد إخوته، وبعد ذلك أرسله لمحاربة رستم فى زاولستان، ووقعت بينهما حرب ضروس وقتله رستم بحيلة، وجعل كشتاسف ولاية العهد لابنه بهمن، ويقال: إن أبا كرب شمر تبع الثانى كان الملك الثامن من ملوك بنى حمير وقتله.

حكاية - قال كشتاسف: كل من يغتر بالاسم يعجز عن الخبر، وكل من يخون الخبز يبقى مسكينًا فى روحه، وكان سبب هذا الكلام، أنه كان له وزير مستقيم يسمى روشن، وكان قد انخدع فى اسمه ويثق فيه ثقة عظيمة، وعزل الوزير الذى كان قبله بناء على كلامه، ولم يكن يعرف شيئًا عن شأنه، ولم يعلم أى بذرة خبيثة كان يزرع، فثار عليه ملك الهند فجأة، فمسته الحاجة إلى المال ليجهز الجيش ولم يكن فى الخزانة شىء قط، فاستشار الوزير فقال: المال على الرعية وإذا ما أمرت أرسل الجباة ليحصلوا المال، ولم يرَ الملك مصلحة فى هذا، فعلم أن ذلك لا يأتى منه أى خير ويتسبب فى فساد المملكة، فخرج إلى الصحراء وهو فى هذه الحيرة ليدفع عن نفسه هذا الحزن، فوصل فجأة إلى بيت راعٍ فنظر فرأى كلبًا مصلوبًا، فسأله ما هذا؟ فقال الراعى: إن

هذا الكلب كان موضع ثقتي وسلمته القطيع، وبعد مدة نقص هذا القطيع، ولما تفحصت الأمر وجدت أن الكلب خانني وعشق ذئبة فأطلق القطيع حتى تأتى وتفترس من هذه الخراف الواحد تلو الآخر، فعلمت أن نقص القطيع من هذا الكلب فصلبته، فانتبه كشتاسف وقال: إن الرعية مثل القطيع وعلى أن أتعرف على أحوالها، فعاد وطلب من الرعية دفاتر الأحوال فوجدها جميعًا باسم راست روشن، فعرف أن الفساد منه فصلبه وضرب هذا المثل وجعله تذكرة.

لاأغتر باسمك الحسن أيها السيد	فإن اسمك الجميل شبكة الرجال
من يبسط شبكة الاسم الحسن من أجل الخبز	أعلم يقينًا أنه بهيمة تسمى مرجان

وبعد ذلك طلب الوزير السابق وتشاور معه فى إخماد الثورة، وكان الوزير رجلاً عاقلاً وقال: ماذا يقصد الملك؟، فقال الملك: لابد لى من خمسمائة دينار من الذهب لأجهز الجيش، فقال الوزير: كم خراج المملكة؟ قال: ألف تومان، قال الوزير: إذا أعطيتنى الممالك ثلاث سنوات ففى كل سنة خمسمائة تومان يدفعها عبدكم، وبعد عشرة أيام أودع فى الخزانة خمسمائة تومان، وللملك الممالك فى الثلاث سنوات أعطيه فى كل عام ألف تومان، فأعطاهم للوزير بشرط أن يقدم له المال مرتين فى السنة، ولا يذهب إلى الممالك أى محصل.

فعاد الوزير إلى بيته، وحصل هذا المبلغ من خواصه ونوابه وأودعه فى الخزانة، وفى تلك الحال بشروا بهدوء الثورة، فسر الملك وبارك مقدم الوزير، فجمع الوزير الملوك والرؤساء وخلع عليهم جميعًا وراعاهم وقال: تناصفوا خراج الممالك والشكر لله الذى أرجعنا إلى هذه الدولة وقد منحت الرعية نصف الخراج على أنها صدقة من الملك، ولا يمضِ أى محصل إلى الممالك حتى لا تلتزم الرعية بالإنفاق، وفى نهاية العام يرسل الرعايا الخراج إلى الرؤساء ويرسلها الرؤساء بعد ذلك إلى الملوك ويرسلها الملوك إلى الحضرة، وفى هذا العام وكل عام جديد لا يؤدى الخراج وهو معافٍ ومسلم.

فعاد الناس جميعًا إلى بلادهم مسرورين، وشغلوا العام كله بالعمارة والزراعة والدعاء بثبات الملك، كما زرعوا المناطق القديمة، وفي نهاية العام قدموا ألف تومان ذهبي مع التحف والهدايا إلى الوزير فأودع الوزير المال المقرر في الخزانة وقال: فليعلم الرفاق أنني اتفقت مع الملك على أن تكون الممالك لي لمدة ثلاثة أعوام وبقي عام فيجب أن يؤدوا الخراج إلى العمال الجدد وأن يثبتوا هذا في الدفاتر فبلغ خراج الممالك ألفي تومان، وقدموا في العام الثالث هذه الأموال على هذا المنوال مع التحف والهدايا الكثيرة إلى الوزير، فأودع الوزير ألف تومان من الذهب في الخزينة، وقال للملك: إن الرعية تخففت من الأعباء وهي في راحة وغنى والممالك معمورة والخزينة عامرة وأصبح خراج الممالك أضعاف ما كان من قبل ووصلني ألف تومان توفيراً، وأمر الملك صحيح فإما أن يفوضني أو يفوض غيري، ويجب على الوزير العاقل أن تعيش الرعية بفضله في رغد وأن يزيد المال، وأن يتحلى بحسن الفعل والشهرة.

حكاية: بعد ذلك أغار ملك الهند بجيش جرار وأفيلة كثيرة على هذه الديار، وكانت جيوش الملك بعيدة عنه، ولم يستطع أن يقاوم العدو بهذا العدد الحاضر من جيوشه، وقد استشار قادة جيشه وأمراء دولته في دفع التمرد، فرأى البعض المصلحة في المقاومة، ورأى الآخرون السلامة في الهزيمة، ولم يكن في كلا الرأيين المصلحة للممالك والبلاد والعباد، فالتفت الوزير بوجهه للملك وقال: فكرت وأستطيع أن أقول في الخلاء، فأذن له الملك بالخلوة، فقال الوزير: إذا استصوب الملك رأيي فإني بكل راحة أهلك الجيش والعدو، فقال الملك: كيف يكون هذا؟. قال: الرأي الصواب في اللحظة التي أغادر فيها حضرتك ويأتي الأمراء فيقول الملك: إن الوزير هو الذي تسبب في هذه الفتنة ومقدم جيش العدو، وأن تأمر باعتقالي في الحال وأن تغيروا على ما أملك، وأن تحضروا نسائي وأبنائي وحشمي وخدمي إلى الملك، وأن تأمر بأن يطوفوا بي حول المدينة وفي أسواقها وأنا عاري الرأس والحبل في عنقي، وأن ينادي منادٍ ويقول: هذا جزاء العبد الذي خان سيده، وكان يعيش منافقًا ويقصد المملكة، وأن يحملوني إلى وسط الميدان، ويسملوا كلتا عيني ويحملوني على محفة ويثبتوني على ناقة ويجروني أمام المغيرين، وأن ينيخوا الجمل في مفترق طرقهم في تلك الصحراء، ويتركوني

ويعودوا، وأن تشقوا من المكان الذى أنا فيه إلى وسط الصحراء طريقًا فى عشرة أيام طوله عشرة أميال، بحيث يكون من الميل ميل آخر، ويكتبوا على الأخير أن كل من وصل إلى هنا مات ولم ينجُ بروحه واحد من مائة ألف، فأسوقهم إلى الصحراء وأهلكهم جميعًا بشرط أن يحسن الملك إلى من تبقى منهم.

فأمر الملك فسملوا عينى الوزير وتركوه على رأس طريق الجيش، وشيدوا هذه الأميال، ولما وصلت الجيوش الثائرة، وجدوا الوزير على تلك الحال، فتعجبوا وحملوه إلى حضرة الملك، وكانوا قد سمعوا هذا الخبر من جاسوسهم، فبحث الملك الأمر، فقال الوزير: بعد هذه الخدمات الجليلة التى قدمتها طوال عمرى اتهمنى الملك بما قال العدو عنى كذبًا وقالوا: إن لى مراسلات معكم وهذا سبب تلك الفتنة، وابتلانى بمثل تلك العقوبة، وشوى نسائى وأبنائى على النار، ورمانى على رأس هذا الطريق، وطلبت من الحق جل وعلا أن أصل إلى تلك الحضرة حيا حتى أنصف نفسى منهم، ولما وصلت إلى هذه السعادة، آمل أن يكون الأمر هكذا وسوف يكون، وقد صنعت حيلة لقيت منها تعبًا فقد صنعت وشققت طريقًا فى تلك الصحراء، وأردت أن أعطيهم ملكك، ولما لم يرد الحق تعالى ووقع التقدير على خلاف التدبير، فاعلم أن كشتاسف سيأتى بجيش جرار، وبمجرد أن يصلوا إلى هنا، فنصل من تلك الطريق إلى دار ملكه، قال: كيف يمكنْ أن يكون هذا؟، قال: يأمر الملك حارسًا بأن يقف على ربوة ويراقب تلك الصحراء، وإذا ما أراد فإن مفترق الطرق هذا عندما ينظرون فيه يرون هذا الميل، ففرحوا وقالوا: تحقق الأمل وليأمر الملك بتجهيز الماء والطعام للجيش مدة عشرة أيام، ففعلوا هذا واتجهوا إلى الصحراء، ولما وصلوا إلى هذا الميل رأوا ميلاً آخر فظنوه طريقًا، وما كانوا على علم بمكر الوزير، فساقوا الجيش إلى الصحراء، وكابدوا مشقة شديدة حتى وصلوا إلى الميل الأخير، ورأوا مكتوبًا عليه مات كل من وصل إلى هذا المكان ولم ينج واحد من مائة ألف، فحاروا وسألوا الوزير ما هذا؟، قال: العبيد العقلاء دانوا بعبوديتهم لمولاهم، وقدمت نفسى فداء للملك والمملكة، واعلموا الآن أن أقرب طريق تخرجون به من الصحراء هو الطريق الذى جئتم منه. ومما يروى أن ملك الهند نَجَا مع سبعين شخصًا من المقربين إليه من هذه الصحراء، وهلك الباقون جميعًا، ويجب على الوزير أن يخاف الله،

محبًا للملك وحاميًا للدنيا مهتمًا بأمر الرعية حتى يكتب سمعة طيبة على صحائف الأوراق والدواوين، ويترك ذكرى له.

ومن آثاره بيضاء شيراز، وكان من المعاصرين له من مشاهير الحكماء سقراط العامل تلميذ فيثاغورث وطيماوس وجاماسب، وكانت مدة ملك كشتاسف مائة وعشرين سنة، ويقال: مائة وستون.

بهمن بن إسفنديار: عندما صار ملكًا، استن سيرة حسنة ورسومًا جيدة، وعمر العالم وأيد دين زردشت، واستولى على أرجاء الدنيا، وقصد سجستان وخرب زابلستان، وصلب فرامرز انتقامًا لأبيه، ومن آثاره فى فارس سد بهمن فى كوار ومدينة بساوجرم وبوشنكان، وكان من معاصريه ديمقراطيس الحكيم وبقراط الطبيب، ومدة ملكه خمسون عامًا، ويقال: مائة وأربعة عشر.

شعر

ولو أن أيام عمر بهمن كانت ربيعًا   لكنه مات في النهاية من جود الفلك المظلم

ولو أن الدنيا أضاءت عينها به   ففي العاقبة أظلمت عينه بالفناء

هماى بنت بهمن: لما توفى بهمن كانت له بنت صائبة الرأى تسمى هماى، فجعل ولاية العهد لها، وكان بهمن قد طلب يدها، وحملت من أبيها، ووضعت حملها بعد تسعة أشهر، وولدت ولدًا كان فى جماله مثيرًا لغيرة ولدان الجنة، فخشيت هماى أن يضيع الأمر من يدها إذا أظهرت هذا الولد، فقالت: إن ذلك الحمل الذى كان فى وقت بهمن كان حيضًا ولم يكن ولدًا، فأمرت بأن يصنعوا صندوقًا ووضعوه فيه ومعه أكياس من الذهب والجواهر والياقوت الثمين، وطرحوه فى البحر، واتفق أن أخذ غسال هذا الصندوق وحمله إلى البيت ولم يكن يعيش له ولد فى تلك الأيام، فتولى وزوجه تربيته وسمياه داراب. ولما كبر، قال للغسال ذات يوم: يساورنى الشك أنك لست أبى ولى أب

أكبر منك من أجل أنى أرى فى نفسى همة، ولكنى لست مناسبًا لمنصبك، قال الغسال: أى ضرر فى هذا فإن الجوهر ينتج من الحجر والحرير ابن الفيلج ويأتى الشهد وهو غذاء الروح من الزنبور الخسيس الحقير، وأى عجب إذا كان عظيم مثلك أن يولد من فقير مثلى، فقال داراب: هذا كلام حسن ولكن قل الصدق، ولما عرف حقيقة الحال أحضروا له الجواهر والذهب فأنفقها على تهيئة أمره، ولحق بخدمة أحد قادة الجيش، حتى ذلك اليوم الذى طلبت فيه هماى استعراض الجيش، وكانت تجلس على قصر عالٍ، ويمر الجيش من أمامها فوج بعد فوج، فقدم داراب وأراد أن يمر فجدد الله تعالى الحب وأشعل نار الشفقة فى قلب هماى، فأمرت باستدعائه، وسألته عن أصله ونسبه، فأقر صادقًا بحقيقة حاله، وأظهر ذلك الياقوت فعرفته هماى فنهضت واحتضنته وقالت: إنى أمك وأنت ابنى بهمن، وقصت الحال على أعيان وأركان الدولة، ووضعت التاج على رأس داراب وسلمته الملك، وكانت مدة حكم هماى ثلاثين سنة.

داراب بن بهمن: كان ملكًا عاقلاً وأطاعه وانقاد له معظم الملوك، وكان قيصر الروم فى ذلك الوقت فيلاقوس، فجهز داراب الجيش وفتح بلاد الروم وأسر فيلاقوس، وطلب يد ابنته، وأطلق سراح القيصر شرط أن يعطيه كل عام ألف بيضة ذهبية تزن كل واحدة أربعين مثقالاً، وكان لداراب وزير يسمى رشتين غاية فى العقل والكفاءة، وشيد مدينة دار أبجرد فى فارس، وكان أفلاطون يعيش فى عصره، وهو أفلاطون بن أرسطن بن أرسطو بن أتينه(١٥)، وهو آخر المتقدمين من الحكماء السبعة الذين هم أساطين الحكمة من المالطية وهم ساميا وأتينه وفاتس الملطى وأنكساغورس وأكسمايس وإيثادقيس وفيثاغورث وسقراط، وكان من معاصريه من الأنبياء جرجيس (عليه السلام)، وكانت مدة ملكه ستين عامًا، ويقال: اثنتا عشرة سنة.

داراى بن داراب: وبناء على الوصية قام مقامه، لكنه كان ظالمًا وسن سننًا سيئة، وأغضب العظماء، وتنفر الخلق منه وقتل الوزير، وأثار رشتين الإسكندر فى مقدونية حتى دخل معه فى حرب، وقتل داراى فيها، وآل الملك للروم من الكيانيين، وكانت مدة ملكه أربع عشرة سنة.

الإسكندر بن فيلاقوس: وهو ذو القرنين، واختلفوا فيه، وجاء في ديوان النسب أنه هرمس بن الرومي بن لنطى بن يونان بن تارخ بن يافث بن نوح، وعمره ألف وستمائة عام، ولهذا السبب سموه ذا القرنين، لأن القرن في هذا الزمان كان ألف عام، ويقال: إن أباه كان بازر بن ألبان ملك الإسكندرية، وأمه ابنة أفليسون بن فوقا، وكان بين بازر وأفليسون خصومة دائمة وتصالحا، وتأكيداً لهذا الصلح خطب بازر ابنة أفليسون وحملها معه، وكاد لها خدامه ونحوا البنت عن النظر في الملك، فطلبت البنت إذنا لتمضي إلى بلدها، وكانت حاملاً فولدت في الطريق، وكان ولدها ذا القرنين، فلفته في خرقة وطرحته في الطريق مع ذهب وجواهر كثيرة ومضت، ففصل الله تعالى عنزة عن القطيع حتى يأتي وأرضعته، وكانت هذه العنزة لعجوز، فتعقبت تلك العنزة فوجدت ذا القرنين وأحضرته إلى المنزل وسمته الإسكندر وربته، ولما كبر وأوكل إليه تدبير الملك حتى يحصل الفضل، جعله الفاضل كاتبه، وذات يوم غضب الملك على الكاتب وطلبه ليحاسبه، فخاف الإسكندر وركب فرسًا مع شخص آخر وفر من المدينة، ولما أدركه النوم في الطريق، سلب مرافقه فرسه وسلاحه، فمضى ماشيًا إلى المدينة التي كانت فيها أمه فرأته أمه من النافذة، وشهد حبها على هذا ودعته إليها وسألته فعرفته، وقصت القصة للأب فأسند إليه أبوه الملك.

ولما توفي أفليسون، قاد الإسكندر الجيش ودخل المدينة مع الأم، واستولى عليها، وكان وزيره أرسطاطاليس بن نيقوماخس الطبيب، وكان له من العمر ثمانية وستون عامًا وقائد جيشه الخضر؟[١٦].

وجاء في جوامع الحكايات ولوامع الروايات[١٧] عندما طلب داراب يد بنت قيصر الروم فيلاقوس، وعندما اختلى بها في الليلة الأولى تصاعد من فمها رائحة كريهة فلم يستطب هذا، فأعادها إلى أبيها، فاشتد هذا على فيلاقوس وأعلن هذا الزفاف وعالج فم البنت بدواء يقال له إسكندروس، ولم يمر وقت طويل حتى ولدت البنت ولداً سموه الإسكندر، فرأوا طالعه وحكموا أن هذا الولد سيستولي على الدنيا بأسرها، ولما كبر الإسكندر وأصبح الوحيد في العلم والحكمة والرجولة ونادرة الزمان، فلما رأى فيلاقوس أن الإسكندر قد دخل، علم أن وقت ذهابه قد حل.

شعر

مـــا دمت أكلت من مـــائدة الدنيـــا فـــانهض حـــتـى يجلس الآخـــرون

فـأجلس فـيـلاقـوس الإسكندر على العرش، فكتب داراى بن داراب رسـالة إلى الإسكندر، وعزاه فـى وفـاة والده، وطلب خـراج الروم الذى كـان يبلغ ألف بيضـة من الذهب، فرد الإسكندر برسالة فحواها: أن الدجاجة التى كانت تبيض قد ماتت، وينبغى لك أن تبـعـد عنهـا كـذلك، ولمـا وصل الجـواب داراى اضطرب، وأرسل كـرة وصـولجـانًا وكـيـسًـا من السـمـسـم إلى الإسكندر، أى أنت طفل ولك الآن وقت اللعب، ولو تمردت فسـأتيك بجيش بعدد ذلك السمسم وأسقطك، فتفاءل الإسكندر بهذا جيدًا، وقال: الكرة هى الأرض، والصولجان عبارة عن أنه يجب عليه أن يسلم لى كى أعمر الأرض، وهذا السـمـسـم إشـارة إلى أن تحـريك الجـيش ليس سـهـلاً علىَّ، وعلى ذلك رد الإسكندر الرسول، وأرسل معه صرة من حب الرشاد ودجاجة فى قفص، يعنى جيش فى الصرة والكثـرة مثل حب الرشـاد والدجـاجـة إشارة إلى أنه يسـهـل عليـهـا التـقـاط السـمـسـم الموجـود بالكيس، وضـرب جـيشك على أسـهل من هـذا، ولما بلغ داراى الجـواب جـهـز الجيش وتحاربا وقتل فى هذه المعركة.

ويقال: إنه كان ابن فيلقـوس اليونـانى وهو حفـيد عيصل بن إسـحاق (عليه السلام)، وعاش ستًّا وثلاثين سنة، وحكم ثلاث عشرة سنة، واستولى على الربع المسكون بتمامه، ومن آثاره مـدينة مـرو وهراة وأصـفـهـان وسـد يأجـوج ومـأجـوج، ويقـال: إنه توفـى عند رجوعه فى مدينة زور ويقال: فى بابل، ولم يقبل ابنه الملك واشتغل بالعلم والعبادة، ومن الحكماء الذين عـاصروه الشيخ اليونانى وديوجانس الكلبى، وجعلوا بطليموس قائمًا مقامه، وكانت مدة حكمه أربع عشرة سنة.

الطبقة الثالثة

الأشكانيون[١٨] وعددهم ستة عشر

ومدة ملكهم ثلاثمائة وأربعون سنة، ويقال: ثلاثمائة واثنتان وستون سنة

ولما استولى ذو القرنين على إيران جمع الأمراء وأرسل رسولاً إلى أرسطاطاليس وقال: إن هذه الجماعة عظيمة جداً وأخشى قليلاً من تفرقهم، فقال له أرسطاطاليس: ولِّ كلا منهم على ناحية حتى يكون كل منهم مشغولاً بالآخر على الدوام، وهكذا فعل الإسكندر، وأعطى ملوك الطوائف فارس والعراق حتى جزيرة أنطيخس الرومية، وبقيت معهم أربعمائة عام.

وكان هناك خلاف فى مدة ملوك الطوائف، فقال بعضهم: إنها خمسمائة وثلاث سنوات، ولم يستطع ملك فى هذه المدة أن يقهر هؤلاء الملوك حتى ذلك الوقت الذى أفضى فيه الملك إلى أردشير بابك فقهرهم جميعاً وأطاعوه.

أشك بن داراب بن داراب: ذكر محمد بن جرير الطبرى أنه بقى للإسكندر ولدٌ يسمى أشك، وكان له الملك من شاطئ دجلة حتى الرى، ولو أن ملوك الطوائف لم يكونوا موالين له إلا إنهم كانوا يحترمونه، وسلكوا معه طريق الود، وكان أشك طفلاً فى الوقت الذى قتل فيه الإسكندر أخاه الأصغر داراى، وقد توارى حتى توفى الإسكندر، واستولى أنطيخس على هذه الولاية، فثار أشك وطلب الجيوش من ملوك الطوائف فساعدوه بسبب عدوانه لأنطيخس واحترامهم لأسرته المالكة، وأرسلوا الجيوش حتى خرج عليه وأهلكه، واستولى على ملك الرى، واتفق مع ملوك الطوائف الأخرى، وخلص بلاد إيران من الروم، وكانت مدته ثلاث سنوات.

شابور بن أشك: بعث عيسى (عليه السلام) فى عصره، وكان معاصرًا لأغسطس القيصر فى بلاد الفرنجة، وكان زكريا ويحيى وجرجيس فى ذلك العهد، وزكريا بن أرن كان من أبناء سليمان (عليه السلام)، ولما بلغ الأربعين جاءته الرسالة، ولما بلغ الثمانين ولد له يحيى من أشماع أخت مريم بنت حنه بنت فاقون، وكانت مدة عمره ثمانية وتسعين عامًا، وكان يحيى (عليه السلام) يكبر عيسى (عليه السلام) بثلاثة أشهر، ويقال: بأربعين يومًا، وولد عيسى (عليه السلام) فى يوم عاشوراء بعد الإسكندر بمائتين واثنتين وثمانين عامًا، ويقولون: بثلاثمائة وإحدى وثلاثين عامًا، ورفع لما بلغ اثنتين وأربعين سنة وستة أشهر، وكانت مدة نبوته ثلاثين عامًا.

وعن أبى هريرة (رضى الله عنه)، قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): إنه خليفتى على أمتى يعنى عيسى، فإنه نازل، فإذا رأيتموه فاعرفوه، فإنه رجل مربوع الخلق إلى الحمرة والبياض سبط الرأس كأن رأسه يقطر وإن لم يصبه بلل[١٩] بين عصرين يدق الصليب ويقتل الخنزير ويقبض المال ويقاتل الناس على الإسلام حتى يهلك الله فى زمانه الممالك كلها ويهلك الله فى زمانه مسيح الضلالة الدجال، ويقع فى الأرض الأمن حتى ترتع الأسود مع الإبل والنمور مع البقر والذئاب مع الغنم، ويلعب الصبيان بالحيات، فيلبث فى الأرض أربعين سنة، ثم يتوفى ويصلى المسلمون عليه ويدفنونه[٢٠].
ومن الأطباء الذين عاصروه جالينوس الذى كان فى زمن فاخس الأول الذى بدأ فى تأليف اختراع الترياق، وعاش تسعين عامًا، وولد بعده بثمانين عامًا أبو إقليدس الذى عاش ستين عامًا، وولد بعده بسبعة وأربعين عامًا أفلاغورس الذى عاش ثمانية وسبعين عامًا. وولد إنوفلس بعده بمائة وعشر سنين، وبعد عشرين سنة ولد ثوماغورس الطبيب وعاش سبعين عامًا، وبعد ذلك ولد مارينوس[٢١]، وعاش تسعين عامًا، وبعد مائة وعشر سنين ولد أندرو فاخس الثانى، وعاش تسعين عامًا، ومرت ألف ومائتان وأربعون عامًا، وبعد ذلك بمائة وثلاثة وخمسين عامًا ولد جالينوس، وأصبح عالمًا فى التاسعة عشر من عمره، وبعد أربعة عشر عامًا رحل من روما إلى فارس، واكتمل تركيب الترياق بفضله، وتوفى فى الحفر(؟)[٢٢] ودفن هناك، ومضى على وفاته ألف وأربعمائة واثنتان وأربعون عامًا، وكان مدة ملك شابور إحدى وعشرين سنة.

بهرام بن شابور: كان ولى عهد أبيه، وحكم أحد عشر عامًا.

بلاش بن بهرام: خلف أباه بناء على الوصية، وكانت مدة ملكه خمس عشرة سنة.

هرمز بن بلاش: حكم عشر سنوات، وكان من يسمى إيقور وهو من أبناء أشك عاش بعد شابور خمسين عامًا، وقتل يحيى بن زكريا فى أيامه، ولما انتهى أجله المحتوم أعطى خاتم الملك لابنه كودرز وأصبح ملكًا، وأغار بجيش على بنى إسرائيل، وألحق بهم من الهزيمة أفدح مما صنعه بختنصر، وحاد كودرز هذا عن طريق العدل، ورفع راية الظلم، وعذب الناس كثيرًا، ووافته المنية وهو فى مصاده ذات يوم، وكانت مدة ملكه سبعة وخمسين عامًا.

إيران بن بلاش: كان ابن أخى كودرز، وأصبح ملكًا بعده، وكان عاقلاً عالمًا، وكانت الخزائن قد خلت فى أيام كودرز بسبب تهوره ورعونته، وحبطت الأعمال، وكان يدبر كل الأمور بالرأى والحكمة، وعمر المملكة بالعدل والإحسان، وجمع الرعايا باللطف والمروءة، وأزال العادات السيئة، ووضع الرسوم الحسنة، وكانت مدة حكمه ثمانية وأربعين عامًا.

كودرز بن إيران: كان ولى عهد أبيه، وقام مقامه، ومضى إلى الشام بسبب مقتل يحيى (عليه السلام) وقمع اليهود وشردهم، وبقى ذلك الذل عليهم، وانقطعت النبوة عن بنى إسرائيل، وفى هذه الفترة من الزمن كان ملك بنى إسرائيل قائمًا على يد متنيا الذى كان من أبناء سليمان (عليه السلام) وقتله بختنصر، وكانت مدة ملكه ثلاثين سنة.

نرسى بن كودرز: يقول البعض: إنه ابن إيران، وصار ملكًا وأحيا السنن الحسنة وقضى على العادات السيئة، وكان له أربع نساء من بنات الملوك، ودست له إحدى نسائه السم وهلك.

شعر

يقـــولون إن المرأة خلقت من الجـــانب الأيســـر

فلا تبحث عن الجانب الأيمن من الجانب الأيسر(٢٣)

وكانت مدة ملكه ثلاثين عامًا.

هرمـز بن بلاش: وخلفه ونظر فى أطراف مملكتـه، وأراح الخـلائق فـى ظل عـدله، وكان مـحبًا للصيد، وفى النهاية أمسى صيدًا لمخلب شاهين الأجل، وكانت مدة ملكه سبع سنوات.

واستولى فيروز بن هرمز على زمام الأمور وحكم ثلاثين عامًا، وخلفه خسرو بن فيروز الذى أحب أصحاب الفن وخصهم برعايته، ورفع صدأ الظلم عن مرآة الزمان، وفى نهاية الأمر انتقل من العرش إلى النعش، وكنت مدة ملكه أربعين عامًا.

بلاش بن فيروز: صار ملكًا بعد أخيه، وكانت مدة ملكه خمس سنوات.

أردوان بن بلاش: أصبح ملكًا بعده، وانبسط ملكه أكثر من الجميع، وقهر طائفة من الطوائف، فمال معظمهم إلى طاعته، وفى آخر الأمر وصل ملك الأشكانيين إلى النهاية، وطوى منشور دولتهم، وسقطت راية سعادته على الأرض، وقتله أردشيربابك، وكانت مدة ملكه إحدى وثلاثين سنة.

شعر

انتظار دورة الفلك واختلاف الليل والنهار	ينبئ بانتهاء ملك كل ملك
فتارة يعلو عرش الملك من الأشكانيين	وتارة أخرى يتزين العرش والقلنسوة بالساسانيين(٢٤)

الطبقة الرابعة

الساسانيون[٢٥] وهم ثمانية وعشرون ملكًا، وكانت مدة ملكهم خمسمائة وإحدى وثلاثين سنة وأربعة أشهر وثلاثة أيام[٢٦]

أردشيربابك: كان حفيد ساسان بن بهمن، وله عهود ووصايا، وقعد القواعد للعدل وسياسة الملك وهى غاية فى الجودة، وجاء فى شرح مقامات برهان الدين المطرزى حينما جعل بهمن ولاية العهد لابنته هماى، وجعل زمام تدبير الملك فى يدها كان لها ولد يسمى ساسان، ولما رأى أن أباه ظلمه وحرمه من الملك هرب خوفًا على حياته واشتغل بالسياحة، وكان لساسان هذا ولد يسمى أيضًا ساسان، وبعد وفاة أبيه مضى إلى فارس، واندمج فى فرسان بابك، وكان بابك من عمال آردوان وله قوة وشدة بأس، ولما بدت أمارات العظمة فى جبينه اختصه بابك بالرعاية. وذات ليلة رأى بابك أن شمسًا وقمرًا يطلعان من جبين ساسان، ولما استيقظ استدعاه وقص عليه رؤياه، ورغب فى مصاهرته فزوجه ابنته، وحملت ابنته من ساسان، ولم يبق طويلاً، وولد لابنته ولد فسماه بابك ونسبوه إليه، وسموه أردشير بابك.

ولما كبر أردشير، وبدت عليه آثار الرشد، حكوا لآردوان عن مخايل رشده ونجابته، فطلبه من بابك، فأرسله بابك إلى آردوان ورباه آردوان مع أولاده، وعلمه أصول الشجاعة والفروسية، وذات يوم مضى أردشير مع أبناء آردوان للصيد، ومضى آردوان أمامهم وهو متخف ليعرف حالهم، ولما رأى أن أردشير متفوق على أبنائه فى كل فضيلة، دب دبيب الغيرة منه فى نفسه، وقال: إن أباك عامل لا أكثر، لذلك لا توافقك رسوم الملك وأصوله وقد أمرت أن تكون آخر قائد لى حتى تقوم بهذا العمل، فتقلد أردشير هذا العمل خوفًا على حياته، وذات يوم كان جالسًا فى البلاط فمرت عليه جارية من سرارى

آردوان فوقع نظرها عليه وفتنت به، فاستجاب أردشير لدعوتها متلطفًا، وكلما كانت الفرصة مواتية كانت تقع متعة الوصال، وكانت تخبره بخفايا أسرار آردوان حتى وصل خبر وفاة بابك، فحزن أردشير وطلب من آردوان أن يرسله إلى ولايته وأن يلزمه هذا العمل، ولكن آردوان لم يستجب، ووكل هذا العمل إلى ابنه الأكبر، وأرسله إلى تلك الناحية، فيئس أردشير حتى جاءت الجارية، وقالت: لقد رأى آردوان البارحة رؤيا وأحضر المنجمين اليوم للتأكد من كلامى وسألهم فقالوا: إنه وقت انتقال الملك لك، وسوف يسلبون هذه الدولة وستصل إلى شخص آخر. وستولى عنك فى هذا الأسبوع. ولما سمع أردشير هذا الكلام جعل يفكر، وعادت الجارية، وهيأ أردشير أسباب الرحيل، ولما عادت الجارية، قال أردشير: أريد أن أذهب وإذا أردت مصاحبتى فذاك يسعدنى، فوافقته الجارية، وركبا جياداً سراعا كالريح ومضيا، ولما بلغ الخبر آردوان ندم على غفلته، ولكن الندم لم يجد نفعًا.

ولما وصل أردشير إلى إصطخر فارس، دخل المدينة، وقبض على جماعة من المقربين لأبيه وبايعوه، وأدخلوا قومًا كثيرًا فى طاعته، وأبدوا استعداداً عظيمًا، وثاروا عليه فجأة وقتلوا ابن آردوان، حارب أردشير آردوان وقتله، وقهر ملوك الطوائف الآخرين، ويقال: إنه واحد من جملة الملوك الذين ملكوا الدنيا بأسرها.

حكاية: لما قتل أردشير آردوان طلب يد ابنته وكان لآردوان أربعة أبناء قتل منهما اثنين وهرب اثنان، ومضيا إلى الهند، وأرسلا من هناك السم إلى أختهما لتدسه إلى أردشير، وعاد أردشير من الصيد ذات يوم، فقدمت له هذه البنت قدحًا من الشراب، ولما أخذه أردشير سقط من يده، فتغيرت البنت، فساور أردشير الشك فأمر بإعطاء هذا الشراب إلى الطيور، فهلكت، فتيقن أردشير من مقصدها، فطلب من الوزير أن يقتلها فى الخفاء، ولما قصد الوزير قتلها قالت له: إنى حاملة من أردشير، فأخبره الوزير ولكن لم يلتفت أردشير لهذا وأمر بالقتل، فخاف الوزير من عاقبة هذا، وأخفى البنت، وخصى نفسه فى نفس ذلك اليوم، ووضعها فى حق وختمها، ومضى لأردشير، وسلمه هذا الحق أمانة، فولدت البنت بعد عدة أشهر ولداً، فسماه الوزير شابور.

ولما بلغ أردشير إحدى وخمسين سنة، جلس ذات يوم يتفكر، فسأله الوزير لم التفكير؟، فقال: إن العمر بلغ النهاية وليس لى ولد ليكون وليًا للعهد بعدى، فوجد الوزير الفرصة فقبل الأرض وقال: ليأمر الملك الخازن ليحضر أمانتى فأمر الملك بذلك، فسأله أردشير ما هذا؟ قال: أنا مستحٍ فقد فكرت فى هذا اليوم الذى لم يلتفت فيه الملك على ابنه ومن أجل دفع هذه التهمة عنى، فقد احتفظت بالأم والابن، وفى ذلك الوقت كان ابن الملك شابور فى الثامنة من عمره، فسر أردشير من هذا الكلام، وأمره أن أعرض هذا الولد مع الأطفال الآخرين حتى أراه، فإن محبة الأب هى التى تدلنى عليه، فصفوا عدة أطفال وجعلوا شابور بينهم وعرضوهم على أردشير، فعرفه فى الحال، وتحركت فيه شفقة الأبوة، فرعى جانب الوزير، وأرسل الأم والولد إلى الحرم.

ومن آثاره كورة أردشير فى فارس، أصل تلك الكورة فيروز أباد وقد وقعت فى وسطها أخزه؟[٢٧] وكانت تسمى قديمًا "جور"، ولها سور محكم ولما وصل الإسكندر لذلك المكان عجز عن الاستيلاء عليه، وكذلك النهر الذى كان يجرى من فوق ذلك الجبل الذى كان يصب فى آخره تلك وجعلها بحرًا، ولما وصل أردشير إلى هناك أمر بإزالة الجبل وأخلى الماء من آخره هذه، وشيد مدينة بقيت بعض عمائرها إلى الآن، وبنى يزدبين شيراز وكرمان والأهواز فى خوزستان والجزيرة فى الموصل والخطة فى البحرين، وحفر نهر مسرقان، وكانت مدة ملكه أربعة عشر عامًا، ويقال: إنها كانت أربعين سنة وشهرين.

شابور بن أردشير: وخلفه بناء على وصيته، وكان ملكًا عادلاً جوادًا، نظم الأعمال طبقًا لسابق عهدها، ولم يغير العمال الذين كان قد اختارهم أردشير، وربى غصن المحبة الذى كان قد غرسه أبوه فى أرض القلوب بماء المحبة، ثم نطقت كل الألسنة بالثناء عليه، وتعلقت كل القلوب بمحبته. ولما أخبروه بأن قسطنطين قيصر الروم تجاوز حدوده، وسلك طريق العداء، قصده شابور واستولى على مدينة نصبين وعلى خزائن القيصر التى كانت فيها، ووقع الرعب فى قلب القيصر من قوته، وأسرع معتذرًا يطلب الصفح وأرسل الرسل وقبل الخراج، فعاد شابور منتصرًا مظفرًا، ومن آثاره بلاد شابور من جبل كيلويه فى أعمال فارس وجندى شابور فى خوزستان وشادشابور فى سجستان، وكانت مدة ملكه ثلاثين سنة وشهرين.

هرمز بن شابور: يقول محمد بن جرير الطبرى: كانوا يقولون له القطيع لأنه كانت له يد واحدة، وسبب ذلك أن أباه أرسله أميرًا على خراسان وتولى ذلك العمل وجمع الحشم ووضع الخزائن، ثم استدعى شابور هرمز، فعلم هرمز أن الذامين وجدوا الفرصة وأن الرسل رموا سهم القتل إلى الهدف، وفى الحال قطع يده، وكانت عادة ملوك العجم أنهم لا يعطون الملك للنقص ولا يقبلون أعمالهم.

وبعد ذلك أرسل هرمز تلك اليد إلى أبيه، وقال: قال جماعة عنى مادام أمل الاستبداد والاستقلال فى رأسى، فإنى قطعت يدى وأرسلتها إليك لتعلم أنى لا أطلب الملك والرئاسة، فاحترق قلب شابور عليه وأدركته الرقة عليه، وكتب إليه رسالة يقول فيها: بما أن هذا النقصان سبب رضائى فإن ثمرة الكمال لك، وجعل ولاية العهد له، وسن رسوم العدل، وهو الذى عمر رامهرمز فى خوزستان، وكانت مدة ملكه ثلاثين عامًا.

بهرام بن هرمز: خلف أباه بناء على وصيته، وظهر فى عهده مانى الزنديق، وذكر المقدسى[٢٨] فى تاريخه أن مانى واضع الزندقة، ودعا الخلق إلى دينه، وما زال هذا المذهب الباطل بين الناس إلى اليوم، وكان رسامًا ومهندسًا ماهرًا، وخدع الناس بالغش وأوجد فيهم مذهبًا سيئًا، وكان مجمل كلامه أن الروح فى جسم الإنسان خصوصًا، وهو فى ذلك العالم وهنا قفص، وإذا فتح هذا القفص فإنها تطير إلى مقصدها، وينبغى أن يبذل الإنسان جهده حتى يجعل نفسه بحيث يخلص روحه الصافية فى أقرب وقت ممكن من كدورة النفس الجانية، وخدع الناس بهذه الخدعة وقال: الموت أفضل من الحياة، والحياة لا أصل لها، وغير ذلك من هذه الضلالات، وأوصلوا خبره إلى بهرام فأصدر أمرًا بإحضاره ولما وقف أمام عرشه، قال بهرام: قل كلمتك، فقرر مانى هذه الفصول، قال بهرام ماذا تقول؟ حياتك أفضل أم موتك قال: الروح لى موت، قال: أصنع معك مثل ما قلت، فأمر به فشنقوه، وانطفأت مادة شره، وكانت مدة حكم بهرام ثلاثة أعوام وثلاثة أشهر وثلاثة أيام.

بهرام بن بهرام: وكانوا يسمونه صلف بسبب أن تصلفه وتكلفه كان أثر من جميع الملوك، وكان تجبره إلى أبعد مدى ويعاقب عقابًا كبيرًا على ذنب ضئيل، وكان يتجاوز عتبة العتاب على الجرم الصغير ويصل إلى عقبة العقاب، وضاق الخلق من حكمه ونفروا من طبعه وعقابه، ومضوا إلى الموابذة والعلماء وطلبوا منهم المعاونة، فقال مويذ: إني أصلح أمرى هذا إذا أطعتموني، فقالوا جميعًا: نحن رهن إشارتك، قال: الصواب هو ألا يمضى إليه أحد ممن يعملون من الغد في الصباح وألا يقوم أحد بعمل، فمثلاً لو أراد الحصان فمن يضع له الركاب لا يذهب إليه، وإذا أراد الخبز فإن الطباخ يتغيب، وصنع الجماعة ذلك، وضجر من ذلك ضجرًا عظيمًا وغلب عليه الجوع والخوف، وقدم عليه موبذ من الموابذة في ذلك الوقت، وقال: أوقن بأنك لا تقدر على الملك وحدك ويحسن أن يكون ملكك مع أصدقائك، وملك بهؤلاء القوم، وبسبب هذا زال عن بهرام سوء خلقه، وسلك طريق العدالة، وكانت مدة ملكه عشرين سنة.

بهرام بن بهرام بن بهرام: كانوا يسمونه ملك الملوك، وذكر محمد بن جرير الطبرى في غرر السير أن مدة عمره كانت قصيرة كعمر الزهر، وكانت مدة مملكته أربعة أشهر، وأقام العدل في هذه الأيام وأسعد الرعية بإحسانه الشامل، ولما توفى لم يكن له ولد، فأفضى الملك إلى أخيه.

نرسى بن بهرام: كان ملكًا كريمًا رحيمًا واستراح الخلق في عهده، وكانت مدة حكمه تسعة أعوام.

هرمز بن نرسى: كان عظيمًا شجاعًا جبارًا، ولما أصبح ملكًا خشيه الناس وفزعوا، وذات يوم سأل حكيمًا ماذا ينبغي لي؟، فقال الحكيم: يجب أن يكون حكمك على الرعية مثل حكمك على نفسك حتى تكون جديرًا بالملك وتستطيع أن تحفظه، ولما سمع هرمز هذا الكلام قبله، وسلك طريق العدالة في الحياة، وجعل شعاره الحلم ولما توفى لم يكن له ولد وكانت امرأته حاملاً، فعلقوا التاج على رأسها، وكانوا يحكمون حتى ولد شابور، وكانت مدة ملك هرمز تسعة أعوام، ويقال: سبعة أعوام وتسعة أشهر.

شابور بن هرمز: كان طفلاً وأجلسوه على العرش وعمره أربعون يومًا في مدينة طيسفون التي يسميها العرب طيسوان، وكان له وزير يسمى شهروى كان يدبر ملكه، وبعد خمسة أعوام كان جالساً ذات ليلة معه، فسمع صوت طبل فجأة، فسأل ما هذا؟ فقال الوزير: على دجلة جسر والناس متفرقون من كلا الطرفين، ويقرعون هذا الطبل حتى يرجع الناس بسرعة إلى مقرهم، لأن المرور على الجسر في الليل مع كثرة الناس فيه مخاطرة عليهم، فأمر شابور بإقامة جسر آخر من أجل رفاهية الناس، وكان هذا أول حكم حكمه، ولما بلغ الثامنة قدم إصطخر وهى حاضرة أجداده، واشتغل بالعدل والقسطاس.

حكاية: جاء من الغساسنة من يسمى طاهر بجيش، وأغار على مدينة طيسفون، واختطف بنتًا من أقارب شابور وتزوجها، وولدت هذه المرأة من طاهر بنتًا سماها ملكه، ولما بلغ شابور السادسة والعشرين قاد الجيش ومضى لمحاربة الغساسنة، فهرب طاهر منه واحتمى في قلعة فحاصرها شابور شهراً، وفي أثناء هذا انضمت إليه ملكه، وجاءت بشابور إلى القلعة، فقبض على طاهر، وخلع أيادى أتباعه من أكتافهم، ولهذا السبب لقبه العرب بشابور ذى الأكتاف، ثم عاد إلى فارس، وفي نهاية الأمر ارتكب كثيراً من الأخطاء، وتخفى في زى تاجر ومضى إلى الروم، واقتدى بإسفنديار الذى مضى إلى قلعة روبين وبذلك أخطأ.

شعر

الخطأ خطأ ولو أتى منه الصواب   فلا تخطئ فللخطأ خطر عظيم

وعرفوه هناك، فأمر قسطنطين القيصر بأن يخاط عليه بكيس من الجلد ورموه في بيت، ومضى القيصر إلى إيران، ونهب مملكة شابور، ثم عاد إلى بلاد الروم، وفي تلك الأثناء أخرجت فتاة من الحراس شابور من الجلد فخرج ومضى إلى إيران وجمع حوله الجيش ومضى إلى بلاد الروم، وأسر القيصر وقتل أتباعه وشيعته، وقطع أذنى القيصر وجعل في أنفه زمامًا، وانتقم أضعاف ما فعله القيصر في إيران، وعاد إلى فارس،

ومات القيصر فى الحبس. ومن آثاره مدينة المدائن وفيروز شابور وعكا وطيسوان على حدود بغداد وشادروان تستر ونيسابور وخراسان، ولما بلغ عمره سبعين عامًا ونيفًا كان له ولدان شابور وبهرام، وكان كلاهما طفلاً، فجعل أخاه وليًا للعهد بشرط أنه عندما يبلغ شابور مبلغ الرجال يكون الملك له، وكانت مدة ملكه خمسة وسبعين عامًا.

أردشير بن هرمز: خلف أخاه بناء على الوصية، واستمال الجيش والرعية، ولما توطد له الملك، انصرف إلى القضاء على رجال أخيه، واجتهد على أن يمحو آثار شابور، وقتل عدة أشخاص، فخاف الآخرون واجتمعوا وأعطوا الملك لشابور، وكانت مدة ملكه عشرة أعوام.

شابور بن شابور: لما أصبح ملكًا دبر الأمور، وأبعد الفساد عن المملكة، ونظم أمور الدولة وأدخل عمه فى طاعته، وفى آخر الأمر أبدى سوء النية وباء فى الظلم، ولم يعطه الله تعالى عمرًا، وعندما كان نائمًا ذات ليلة فى مصاده هبت ريح عاتية، ووقع على رأسه روافد سقف إيوانه وتوفى، وكانت مدة مملكته خمسة أعوام وأربعة أشهر.

بهرام بن شابور: خلف أخاه وسلك مسلكًا حسنًا وأنجز أعمالاً عظيمة وبنى مدينة كرمان، وبعد ذلك ترك سيرة العدل وبدأ فى الظلم، ولكن لم تتحمل الرعية هذا، ومات فى ثورة، وأسندوا الملك لابنه، وكانت مدة ملكه اثنتى عشرة سنة.

يزدجرد بن بهرام: كان ملكًا ظالمًا أسوأ من أبيه، ومن سوء سيرته أنه لم يكن يسمع لأحد شفاعة، ولم يُصغِ إلى تظلم أى مظلوم، وولد له ولد بعد ثمانية أعوام أسماه بهرام، واستودعه عند النعمان بن المنذر ملك العرب الذى كان فى بلاد الحيرة بالقرب من الكوفة وشب بهرام هناك، وكان ليزدجرد فرس رفسه على ضفة تنع أخضر فى طوس وقتله، وكانت مدة ملكه إحدى وعشرين سنة.

بهرام بن يزدجرد: كانوا يسمونه بهرام كور وسبب ذلك أنه مضى ذات يوم مع النعمان للصيد، فرأى أسدًا يفترس حمارًا وحشيًا فرمى بهرام سهمًا خرج من ظهر الأسد وبطن الحمار ودخل فى الأرض الصلبة، ولما رأى النعمان جرح هذا السهم أثنى على يده وذراعه، وقال: لو أنى لم أرَ ما صدقت بالسماع.

وبعد يزدجرد فإن عظماء الفرس بسبب مكابدتهم الشدائد الكثيرة من أبيه جعلوا من يسمى كسرى الذى كان من نسل أردشير ملكًا عليهم. وقدم بهرام مع النعمان بن المنذر، فاستقبله عظماء الفرس، وقالوا : رأينا من أبيك ظلمًا شديدًا ولا نرضى مطلقًا أن يكون من نسله شخص ملكًا علينا، فاستمالهم بهرام وقال : معلوم لى أنى لا أسلك إلا طريق العدل وأنتم اخترتم شخصًا وجعلتموه ملكًا وأنا أبطل سعيكم، ضعوا غدًا تاج الملك بين أسدين مفترسين جائعين، ومن يحمل التاج ويضعه على رأسه يكون له الملك، ففعلوا هذا وكان بهرام وكسرى حاضرين، ولما رأى كسرى الأسدين الجائعين قال : الروح لى أفضل من الملك، فتقدم بهرام وقال : كل من على رأسه تاج ينبغى له أن يكون مغامرًا، وهجم على الأسدين وقتلهما جميعًا، ووضع التاج على رأسه، وأصبح ملكًا وزان الدنيا بالعدل والإنصاف، وقدم للنعمان خدمات جليلة وعاد، وبعد ذلك عاد إلى سروره وبهجته وبالغ فى هذا كثيرًا، وغفل عن أمر الرعية، وآثر المتعة الشخصية على سياسة الملك، واختار النظر فى الأمور العارضة حتى وصل الخبر إلى خاقان الترك فاغتنم الفرصة، وقصد هذه الديار بجيش جرار، وكان بهرام غافلاً عن هذا، ووضع رأسه على وسادة السكر وولى ظهره للحرب، وأبلغه لسان الزمان هذه الرسالة.

شعر

أيها الملك أى شىء سوف يظهر من هذه الخمر الكثيرة

وأى شىء سوف يظهر من هذا السكر الذى لا حد له

الملك ثمل والدنيا خربة والعدو فى الأمام والخلف

فانتبه أى شىء سوف يظهر من هذا

ولما عبر خاقان الصين والجيش نهر ترمز، بلغ الخبر بهرام، ولم يكن جيشه حاضرًا وعتاده غير صالح، فاستاء بهرام من هذا، وقال: ليست ثقتنا على الجيش وإنما على الله تعالى، ولم يلتفت إلى هذا الخصم، وقال: سأذهب إلى بيت نار آذربيجان ومن

هناك إلى جرج وعندما أعود أرى ما صنعه الخاقان، وأناب عنه أخاه نرسى، ومضى مع ثلاثة آلاف رجل بطل، فظن الناس أن بهرام هرب، وأنه سيمضى إلى الروم وسوف يلجأ إلى القيصر، فأرسل عظماء الفرس الرسل بالأموال الكثيرة إلى الخاقان الذى قبل المال. فرضى الخاقان بالصلح وبقى آمنًا مطمئنًا حتى يمضوا ويعودوا. فقدم بهرام آذربيجان ومضى إلى كرجستان واجتاز صحراء القبجاق ومضى إلى جرجان عن طريق خوارزم، ودهم الخاقان كالليث القوى وبيته وقطع رأسه بيده، وغنم تاجه وعرشه وخزائنه، وأعاد المال الذى أخذه من إيران إلى السادة، وأعمل السيف فى معظم جيشه، وقدم فارس، وبعد ذلك مضى إلى الحبشة واليمن، وأرسل أخاه نرسى إلى الروم، وعاد كلاهما منتصرًا.

وكان ذات يوم يتعقب حمارًا وحشيًا فى الصيد، فصادفته أرض سبخة، وساخ فى الطين مع حصانه واختفى، وكانت مدة ملكه ثلاثة وستين عامًا.

شعر

ذلك القصر الذى كان يشرب فيه بهرام الكأس	ولدت فيه الظبية وارتاح فيه الثعلب
وفى ذلك المكان الذى صاد فيه بهرام حمار الوحش	هل يطول الوقت الذى يطوى فيه القبر بهرام

يزدجرد بن بهرام: لم يكن له مثيل فى العالم كله فى الكمال والجمال واللطافة، وكان وحيدًا فى حسن العمل والقول، ودبر شئون المملكة، واشتهر بالعدل والإنصاف، وكان له ولدان هرمز وفيروز، وكانت مدة ملكه ثمانية عشر عامًا.

هرمز بن يزدجرد: كان ولى عهد أبيه وابنه الأصغر، وأرسل الأب الأخ الأكبر إلى سجستان وأسند إليه تلك الولاية، فثار عليه بمعونة ملك الهياطلة وقتل أخاه وأصبح ملكًا.

فيروز بن يزدجرد: كان ملكًا عادلاً كريمًا ووقع فى أيامه قحط استمر سبع سنوات، وفى ذلك الوقت رفع الخراج عن الرعية، وفعل ذلك رغبة منه فى ألا يبيت أحد

فى مملكته من فقير وغني وهو جائع، ولما ظهر أثر عدله فى الدنيا بأسرها بدل الله تعالى هذا الضيق بالسعة والنعمة، وهطلت أمطار الرحمة ورخصت الأسعار، وقالوا: سلطان عادل خير من مطر وابل.

شعر

ما دام الملك عادلاً فلا تشك   وعدل السلطان أفضل من السنة الخصبة

حكاية: فى ذلك الوقت الذى انتصر فيه فيروز على هرمز بمعاونة خشنوار ملك الهياطلة وأصبح ملكًا، كان خشنوار هذا قد وضع أساس الظلم والتعدى على الرعية، وسلك مسلك قوم لوط، فاشتكى الخلق من هذا الوضع، وطلبوا الإنصاف من حضرة فيروز، فأرسل فيروز إليه رسولاً، وقال: لك حق على ولكن حق الله أعظم من حقك وهؤلاء الخلق يتظلمون منك، ولو لم تكف عن هذا الفعل المذموم فالعهد بينى وبينك مستحكم وإذا لم تقدم على هذا، فسوف أحضر وأدمر بلادك، ولم يلتفت خشنوار إلى كلامه، فقاد فيروز الجيش وقصده، ولما علم بالخبر استشار قادة الجيش، وقال: أعلم أن لا طاقة ولا مقاومة لى بجيش فيروز، فقال قائد من قواده: إذا قبل الملك زوجتى وأبنائى أن يكونوا له بعدى حتى أطمئن عليهم تمامًا فأنا أكفيك شر فيروز وجيشه، فتكفل خشنوار فى حضور المعارف بهم، وأعطاهم مالاً كثيرًا، فقطع هذا الأمير يده، واستقبلهم وجلس فى طريق فيروز، وعرض نفسه عليه، فعرفه فيروز وقال: ما الحالة؟ قال: كنت ألوم خشنوار مدة وأنصحه أنك لا تقدر على مقاومة فيروز والمصلحة فى أن تجتهد فى مصالحتهم، فاتهمنى وقطع يدى، وطرحت نفسى فى هذا الطريق حتى تطلع شمس إقبالك وتنتقم منه، وتستغرق المدة من المكان الذى تأتون منه إلى المكان الذى هو فيه عشرين يومًا، وأنا أدلكم على طريق تصلون منه إليه فى خمسة أيام وتنقضون عليه فجأة.

فانخدع فيروز بكلامه ولم يعلم أن العدو ولو أكثر من الملاطفة لن يكون صديقًا قط، وأمر الجيش ليدبروا الماء والعلف لخمسة أيام وحمل قطيعه إلى الصحراء،

فلو جلست على وهم الريح فلن تجد لها ساحلاً، ولم يكن حتى للجاسوس فكرة وضع قدم النخيل للتجول على ساحتها. ولما انقضت خمسة أيام فلم تبق لخيولهم طاقة ولا ماء، فودع هذا القطيع الحياة، وقال: لقد تحقق غرضى وصار الأمر على ما أريد، فبقى فيروز عشرين يومًا بلياليها فى تلك الصحراء، وهلك جيشه كله، وتخلص فيروز مع جماعة قليلة من هذه الورطة، وانثنى عن استيلائه عن ملك خشنوار، وأرسل شخصًا لحكم الضرورة واستغفر عن كل ما حدث وطلب العذر، فقال خشنوار: أصطلح معك وأرسلك إلى دار الملك بشرط أن نعين حدًا كى لا تتجاوزه، ثم أرسل إليه العلف والعلوفة والخلع، وأمر أن يشيدوا منارة من الجص والحجر، وأقسم فيروز بأنه لن يتجاوز هذه المنارة ولن يتعدَّ وله ما وراء هذا الحد، ثم أرسل فيروز إلى ولايته، وبعد ثلاث سنوات تحركت فى نفس فيروز الرغبة فى الانتقام، وأراد أن ينتقم منه على هذه المعاملة، فجهز الجيش وقصد ولايته، فقال الموابذة والعظماء: إن نقض العهد لا يليق بالملوك، قال: لا أحنث فى يمينى، وساق الجيش ولما وصل إلى هذه المنارة أمر أن تستأصل بحيلة وحملوها أمام الجيش وقال: لقد أقسمت أنى لن أتجاوز هذه المنارة، ولما وصل الخبر إلى خشنوار علم أنه لا يستطيع أن يقاومه، فأمر أن يحفروا خندقًا فى الطريق وأن يغطوا رأسه، ولما تقابل الجمعان لحقت الهزيمة بخشنوار وتعقبوه، وسقطوا جميعًا فى هذا الخندق وماتوا.

شعر

الظالم الذى أكل الشواء من قلب الفقير	وإذا نظرت فقد أكله من جانبه
الدنيا عسل وكل من أكل منها كثيرًا	فإن دمه يكثر ويصاب بالحمى ويلدغ

إن هذه الحكاية عبرت لملوك الدنيا على تربية العبيد الذين حسنت سيرتهم واعتقادهم فى الخوف والرجاء والشدة والرخاء ليجعلوها ترسًا يدفعون به سيف الخطوب، وأن يكونوا أوفياء فى حياتهم ومماتهم، وكانت مدة ملك فيروز ثمانية وعشرين سنة.

بلاش بن فيروز: لما أصبح ملكًا جعل أمور المملكة فى يد سوخر وزير أبيه، ودبر أمور الملك على أساس علمه وسداد رأيه، وبذلك صار العالم معمورًا والقلوب مسرورة، وبنى مدينة فى سواد العراق سماها بلاش آباد، وفى تلك المدة هرب أخوه قباد، واتصل بخاقان الترك، وبينما هو فى الطريق فقد نزل فى قصر الدهقان فى مدينة إسفرايين، ومع أن الدهقان لم يعرفه، فقد أدى واجب الضيافة، وكانت له بنت ذات جمال فزوجه إياها، وحملت منه فى هذه الفترة، ومضى قباد إلى الخاقان، فولدت البنت ابنًا بعد تسعة أشهر كان فى جماله مثل العسل، ولذلك السبب سموه "نوش روان"، وبقى قباد أربعة أعوام فى تركستان، وبعد ذلك أرسل معه الخاقان جيشًا حتى يستخلص الملك لنفسه، ولما وصل قباد لهذه القرية ورأى هذا الطفل، ونال حظ السرور من مشاهدته، وفى اليوم نفسه قدم رسول من بلاد إيران ونعى إليه أخاه، وبشره بأن أهل العجم يريدونه ليجعلوا له التاج والعرش، فتفاءل قباد بهذا الولد وحمله معه إلى المدائن، واستولى على الملك واتفق مع سوخر، وكانت مدة ملك بلاش أربعة أعوام وشهرًا.

قباد بن فيروز: لما أصبح ملكًا كرس جهده للعدل والقسطاس، وعمر العالم، ولما مرت خمسة أعوام على توليه الملك كان سوخر قد دبر أمور الملك وتولى زمام الأمور، ويقوم بإدارة الأعمال دون مشورة قباد، فضاق منه واشتكاه لعظيم من أركان الدولة اسمه شابور، وقال: لست إلا رمزًا، وباقى الأعمال كلها لسوخر، فقال شابور: يجب ألا يفكر الملك فى ذلك، وسأقوم بعمله من الغد، وفى اليوم التالى قدم سوخر إلى القصر، فالتفت إليه شابور، وقال: لماذا لا تعرف حدك ونسيت نفسك وتتدخل فى الأعمال بغير أمر الملك؟، فحل الحزام عن وسطه ووضعه فى عنقه، ونجا قباد منه، وأسلم الأمر لشابور، وجعل الحقوق القديمة على أثر الغضب كأن لم تكن، حتى يعلم العقلاء أن خدمة الملوك فتنة الأخطار، وملازمة بساط السلاطين أمر صعب، وعلى من يطلب السلامة أن يتحاشى خدمة الملوك حتى يصان من بلاء عقابهم.

شعر

كـان فی خـدمـة الملوك أخطار عظيـمـة لا يمكن للإنسان من أجل المنفعة أن يشرب دم نفسه
ومـهـما أثمر فـضلك فـی الدنيـا لا تـأمـن مـن خـطـرات جـنـونـه[٢٩]

ولما توطد الملك لقباد وقوى غيَّر من سيرته، وحاد عن جادة العدل، فرفع شأن الأشرار وقهر الأخيار، فبلغت روح الخَلق التراقی[٣٠] وبلغ السكين العظم، فاتفق الجميع بعضهم مع بعض وخلعوه، وكان له أخ يسمى جاماسب فأجلسوه على العرش، إلا إنه لم يكن له نصيب من شعاع السعادة والنور الإلهى، وكان فی تدبير مملكته بعيد الرأى عن الصواب، فأعطى قباد لبزرجمهر الذى كان ابن سوخر لينتقم لأبيه، ولم يعلم أنه أعقل من أن يقدم على مثل هذا، فرعى بزرجمهر جانب قباد، فغضب جاماسب منه وحقد عليه، فقال بزرجمهر لقباد: إن الخبر فی أن نتفق مع ملك الهياطلة ونطلب منه المدد، فاتصلوا به وجاء رسوله معززًا مكرمًا وقدم خدماته، وأرسل معه جيشًا عظيمًا، ولما ساق قباد الجيش، عرف أعيان وأركان المملكة أن لا طاقة لهم بحملته، فسجنوا جاماسب وقدموا معتذرين، فقابل قباد معذرتهم بالمغفرة، وأصبح ملكًا وأسند الوزارة إلى بزرجمهر وظهر مزدك فی عهده.

حكاية: أظهر مزدك الإباحية وسمى هذا مذهب العدل وتبعه قباد واعتنق مذهبه، وألغى العبادة بين الناس وسمح لهم أن يتصرفوا فی النساء وأموال بعضهم البعض، ولم يقبل أنوشيروان مذهبه، واستدعى العلماء والموابذة وتكلم معهم واتهم مزدك، ثم انصرف قباد عن مذهبه وسلمه لأنوشيروان، وكان أنوشيروان يعزه، وأمر أن يجمعوا أتباعه بحيلة وأقاموا جبالاً فی حديقة، وجعلوهم عليها منكسين بدلاً من الأشجار، وبعد ذلك أمر مزدك أن يمضى للحديقة للتنزه، ولما رأى تعجب فقبضوا عليه وصلبوه فوقها.

وفی عهده ثار شمر ذو الجناحين وكان من ملوك اليمن، وعجز قباد عن مقاومته واصطلحا، وأرسل إليه الهدايا وعاونه حتى مضى إلى ما وراء النهر، واستولى على هذه الولاية، ومن آثاره كازرون فی فارس، وحلوان فی العراق، وحانوت فی ديار الموصل،

ومضى فى آخر عمره إلى الروم وعاد ظافراً، ولما بلغ الثمانين جعل الملك لابنه، وكانت مدة حكمه أربعين سنة.

أنوشيروان العادل كسرى بن قباد: كان ملكًا عالمًا عادلاً، استراح الخلق فى عصره وترفهوا كما قالوا فى الأمثال.

شعر

انظر جزاء حسن العمل فإن الزمان حتى الآن يخرب قصر كسرى

ولما جلس على عرش الملك، غسل صحن العالم بماء العدل من لوث الظلم والبدعة، وحسن حظ العرش به، وأصبح التاج به مرتفع الهامة وتمكن به خاتم الملك، وبعد أن رأى العالمون خريف الأحزان شاهدوا اعتدال ربيع العدل، وفى تلك الفترة التى عم فيها العدل، ورفع راية الإحسان، ترك سمعة طيبة، كما قال المصطفى (صلوات الله وسلامه عليه): "ولدت فى زمن الملك العادل أنوشروان"[٣١].

حكاية: فى عهده باع رجلٌ حديقة، فوجد المشترى فى الحديقة كنزًا، فقال للبائع: إن هذا الكنز لك، فقال البائع: لو كان لى لظهر، لقد بعت لك الحديقة وما فيها فكل هذا لك، وأخبروا أنوشيروان بهذه القصة فأمر أن يزوج أحدهما ابنه من بنت الآخر ويقتسموا المال. ويقال: إنه كان يراقب الرعية إلى أبعد حد، ولما مضى ذات يوم إلى الصيد مسته الحاجة للملح، وكانت قرية قريبة، فأرسلوا فارسًا ليحضر ملحًا، وأمر أنوشيروان أن يشتريه بذهب، قالوا: ما قيمة هذا؟ قال: أخشى من بعدى أن يكون عادة ويكون سببًا لمشقة الرعية.

وبناء على القرار السابق كان بزرجمهر وزيره، وبعد مدة مضى كسرى إلى الروم وأسر القيصر ثم أطلق سراحه بشرط أن يأتى كل عام إلى القصر، ومضى من هناك إلى ما وراء النهر واصطلح مع الخاقان بشرط أن تكون فرغانة لأنوشيروان وزوجه ابنته، ومضى لمحاربة الهياطلة وقهرهم، ومضى إلى الهند والصين وقد التزم بأداء الخراج وعاد، وجاء من دربند أن القبجاق أغاروا، فمضى إليهم وقمعهم، وأمر بتعمير

دربند، وفى بداية عهده ظهر خالد بن سنان العبسى نبيًا فى العرب، ويقال: إنه كان أول نبى ظهر من نسل إسماعيل (عليه السلام)، ويقولون: إن الملك الذى جاءه بالوحى كان مالك خازن جهنم، وقالوا فى حقه:

شعر

وخالدنا العبسى لا ينكرونه　　نبى الإله كان بان راتدارا

ويقال: إن ابنته مضت لخدمة المصطفى (عليه السلام) وكانت عجوزًا، فأجلسها المصطفى (عليه السلام) على ردائه المبارك وقال: مرحبًا بابنة نبى ضيعة أهله، وسمعت سورة الإخلاص، فقالت: كان أبى يقرأها[٣٢]. وولد نبينا محمد المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم) فى آخر عهده، وفى ذلك الوقت انطفأت بيوت النار وجفت بحيرة ساوة وسقطت اثنتا عشرة شرفة من إيوان كسرى، وانهدم دير جواث فى الهند، وكنيسة المسيحيين فى بلاد الأرمن، وبنى كسرى مدينة تسمى رومية بجوار المدائن على هيئة أنطاكية، ولما بلغ الرابعة والثمانين أسند ولاية الملك إلى هرمز، وأوصى أن لا تظهر مقبرته وتوفى، وكانت مدة ملكه أربعًا وأربعين سنة، وكان نقش خاتمه (لا يكون العمران حيث يجور السلطان).

هرمز بن أنوشيروان: بناء على الوصية خلف أباه، وهو ابن ابنة الخاقان، وكان ملكًا قاهرًا سائسًا، شغل نفسه بالعدل، وتفوق فى ميدان العدل على كسرى، وبالغ كثيرًا فى رعاية الضعفاء وقهر المعتدين بحيث إنه عاقب ثلاثة عشر ألفًا من عظماء العجم، ولم يكن له نصيب من العلم والعفو ويعاقب على الذنب الصغير، ولذلك السبب نفرت منه قلوب الملوك والأبطال وقصده من أطراف البلاد كل من القيصر من الروم وعباس الأحول وعمر الأرزاق من العرب، ومن الترك سابه خاقان الصين، وقد دفع شر هؤلاء عنه بالمال والصلح، وأرسل بهرام جوبين إلى خراسان، ومضى لمحاربة الخاقان حتى قتله، وبعد ذلك تمرد بهرام، وسلط قادة الجيش على برويز، فبلغ هذا الخبر هرمز، فهرب برويز ومضى إلى آذربيجان، فأرسل هرمز جيشًا لمحاربة بهرام، فانهزم جيش هرمز وأسره أكابر الفرس وسملوه عينيه، وكانت مدة ملكه أحد عشر عامًا.

خسرو برويز هرمز: لما بلغه خبر أبيه قدم المدائن وأصبح ملكًا، والتمس العذر من أبيه، وشاء أبوه أن ينتقم منه، فثار بهرام، فهرب برويز منه ومضى إلى الروم، وطلب يد ابنة القيصر، وقدم العراق وحاربه بهرام، فهرب منه بهرام ومضى إلى التركستان، وهناك قتلته زوجة الخاقان بالسم، ويقولون: إن ملوك شروان وأصفهبد وكيلان من نسل بهرام جوبين.

وبلغ برويز الغاية فى الملك لأنه تفوق على ملوك الدنيا جميعًا، وظهر فى عهده ما لم يره ملك آخر، أولها إيوان كسرى الذى يقول أكثر الناس: إنه هو الذى أتمه واستمتع به، وكان له تاج مصنوع من ذهب يزن ستين منًّا، مزين بجواهر لم يرَ ملك مثلها قط، وله عرش جميل من العاج والساج المرصع بالجواهر تبرز منه صور جميلة للأفلاك والبروج وشكل الأرض وفيه صور جميع الأقاليم، كما توجد صورة جميلة مثل شيرين التى كانت مشهورة بجمالها فى الدنيا، وكانت أسطورة الزمان، ولما وصل إلى حد الكمال اتجه إلى الزوال.

شعر

إذا تم أمر دنا نقصه ... توقع زوالاً إذا قيل تم

وفى آخر أيامه كتب المصطفى (صلى الله عليه وسلم) رسالة إليه دعاه فيها للإسلام، ولما نظر برويز فى الرسالة ورأى اسم محمد فوق اسمه، غضب ومزق الرسالة، فبلغ الخبر المصطفى (ﷺ) فقال: " مزق الله ملكه كما مزق كتابى"[٣٢]، واستجاب الله دعاءه، وأرسل برويز أمرًا إلى باذان بن ساسان الذى كان ملك اليمن قائلاً: قل للرجل الذى ادعى النبوة فى تهامة أن يعود إلى دينه وإلا أرسله إلىَّ، فأرسل باذان فيروز الديلمى، ولما وصل إلى الحضرة عرض الرسالة، فقال الرسول (صلى الله عليه وسلم): لقد قتلوا برويز البارحة، فتحققوا من الأمر فجاء صحيحًا، فأسلموا جميعًا، وكان سبب قتله أنه كان يحقر العظماء فنفروا منه جميعًا. وفضلوا عليه ابنه شيرويه الذى اعتبروه قاتل أبيه، وكانت مدة ملكه ستة وثلاثين عامًا.

شيرويه بن برويز: كانت أمه مريم ابنة قيصر الروم، ويقولون: حينما رأى برويز علامات السخط وخلاف الجيش وعقوق شيرويه خاف منه على الدوام، فركّب قدراً من السم القاتل، ووضعه فى وعاء وكتم هذا السر، وكتب عليه دواء مجرب مقوٍ للباءة، ووضعه فى الخزانة، ولما انتهى أمره وصار شيرويه ملكًا، ولما فرغ من شئون الملك انصرف إلى اللهو والمتعة، وكان قد سمع بشهرة شيرين وجمالها، فأرسل شخصًا لها وقال: اقبلينى زوجًا، فقالت شيرين أقبل هذا ولكن على شرطين أولهما: المال الذى أخذته منى مُر برده إلى، والثانى: أن تسمح لى بزيارة برويز، فقال شيرويه: هذا سهل، فأمر بأن يردوا إليها كل ما أخذوه، فأخذت شيرين كل هذا المال وتصدقت به، وبعد ذلك مضت إلى قبر برويز، واحتضنت التراب وفاضت روحها، فأمر شيرويه بدفنها فى نفس المكان.

ويقولون: اتفق لشيرويه ذات يوم أن شهد وعاء هذا السم وقرأ ما عليه، وكان مولعًا بالنساء، فكشف غطاءه ووضع قدراً منه فى فمه، فأسلم الروح فى الحال، وهذا دليل على أن كل من وضع كأسًا على كف آخر لابد أن يذوقه، وكل من جعل أفعى فى عنق صديقه لابد أن يلاقى المثل، ويقولون: إن شيرويه قتل سبعة عشر رجلاً مع أبيه، وبعد ذلك ظهر مرض الطاعون عليه وعلى معظم عظماء الفرس وماتوا به، وكانت مدة مملكته سبعة أشهر.

أردشير بن شيرويه: كان عمره سبعة أعوام وأجلسوه على العرش فى مدينة طيسفون، وأرسل كراز من بلاد الروم رسالة إلى فيروز يقول فيها: اقتل أردشير حتى يصبح الملك بينى وبينك فعمل حيلة له بالسم، وأصبح كراز ملكًا، وكلفت بوران دخت بنت برويز جماعة فقتلوه فجأة، وكانت مدة مملكة أردشير عامًا ونصف.

بوران دخت بنت برويز: بايعها عظماء الفرس وجعلوها ملكة عليهم، وطلبوا أن يأتى منها ما أتى من هماى بنت بهمن.

شعر

ليس كل سيف بذى جوهر ولا كل لفظ يمطر الجوهر

ولما بلغ المصطفى (ﷺ) أن أهل العجم ملكوا عليهم امرأة، قال هذا اللفظ المبارك: «لن يفلح قوم أسندوا أمرهم إلى امرأة»[٣٤]، وكان الأمر كذلك، وأسرت بوران دخت فيروز خسرو، وربطته خلف الحصان، وقتلته فى وسط الميدان قتلة مهينة، وظهر جيش الإسلام فى عصرها وتوفيت، وكانت مدة ملكها ستة أشهر.

آزرمى دخت برويز: وكان الملك من بعدها لأختها، ومهما كان لها من مقومات الكفاية والشهامة، ولكن الدولة ليست لها الجدارة فما الجدوى.

شعر

إذ لم يكن لى من العلم سوى الغم وإن لم يكن الحظ مواتيًا فما جدوى العلم

وقتلوها بالسم، وكانت مدة ملكها أربعة أشهر.

فرخ زاد: يقول محمد بن جرير الطبرى: إن سبب موت آزرمى دخت لما أصبحت ملكة، كان هناك رجل يسمى فرخ زاد من أبناء برويز فجعلته وزيرًا، وكان له ولد يسمى رستم - كان أمير خراسان - ، فعشق فرخ زاد آزرمى دخت، وعرض نفسه عليها بالتصريح والتحريض، وأظهر لها ألم القلب فقالت آزرمى دخت: لا يليق بالملكة أن تتزوج فى العلن، ولكن إذا كنت تتوق إلى وصالنا، فينبغى أن تأتى تحت جنح الظلام لتنال بغيتك، ويقولون عن الليل: إنه يفتح الطريق للعشاق، فظن فرخ أنه حقق مقصده، ولما جذب الليل الداجى اللحاف الأسود على صدره، قدم فرخ زاد إلى باب الحرم، فأُخبرت آزرمى فأمرت باقتلاع رأسه، وتركوه فى نفس المكان، ولما طلع النهار رآه الناس فعرفوا أنه أراد الملكة وقتل بهذا السبب ودفنوه، ولما علم ابنه الخبر جهز الجيش وقدم المدائن، وأمر بإسقاط آزرمى دخت عن العرش، وبعد الفضيحة اقتصوا منها لأبيه.

يزدجرد بن شهريار: كان من أبناء أنوشيروان واختفى خوفًا من شيرويه، فطلبوه وجعلوه ملكًا، وكانوا يسمونه شهريار ولكن ملك العجم كان قد صار ضعيفًا وأشاح الحظ بوجهه عنه، ولما مضت ثمانية أعوام من مملكته، أرسل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب،

سعد بن أبى وقاص، فاستولى على القادسية، فأرسل يزدجرد رستم بن فرخ زاد لقتاله، فتوجه رستم وقُتل وانهزم الجيش، وقوى جيش الإسلام، وكان ليزدجرد قائد يسمى ماهوى سورى، تمرد عليه وانضم لجيش الترك، وقامت الحرب بينهما، وهرب يزدجرد، ولجأ إلى طحان، فأخبر الطحان ماهوى وأرسله وقتلوا يزدجرد، ووصل مُلك الفرس إلى نهايته، وانقرضت دولة بنى ساسان، وارتفعت راية الدين الحنيف، وصار المُلك فى يد جيش الإسلام.

شعر

لا ثبات للدنيا لأن الدنيا ... امرأة مشعوذة جميلة فلا تعلق بها أملاً

تأخذ الملك من كسرى بالرمح أحيانًا ... وأحيانا أخرى تدمر القيصر وملك الهند

أصبح ملك ودولة برويز خرافة فى العالم ... ولم يبق أثر لذلك الملك والجاه والجبروت

يمسك الطبل ويقول فى أذن العادلين ... نداء فاعتبروا يا أولى الأبصار

وكانت مدة ملك يزدجرد ثمانية أعوام، ومن عهده إلى يومنا هذا، وهى شهور سنة سبع عشرة وسبعمائة هجرية. ستمائة وستة وثمانون عامًا.

هوامش القسم الثانى

(١) هذا الكتاب من الآثار الفارسية التى ألفها الإمام الغزالى فى حدود سنة ٥٠٣ هـ، وقدمها إلى السلطان سنجر السلجوقى وهو كتاب فى الحكمة، ويشتمل هذا الكتاب على مقدمة وسبعة أبواب وخاتمة، وهو فى سير الملوك والوزراء وعلماء الحكمة، وترجم هذا الكتاب مراراً إلى العربية والتركية زهراخانلرى: فرهنك أدبيات فارسى، صـ ٥٠٦ .

(٢) كتاب يشتمل على الحكم والآداب والأخلاق، كتبه حكماء إيران قبل الإسلام، وينسبونه أحياناً إلى هوشنك أو إلى حكماء عصره، وطبع فى مصر باسم الحكمة الخالدة، وترجم إلى الفارسية من العربية مرة أخرى فى سنة ١٢٩٦ هـ. ق.

د/معين: فرهنك معين، جـ ٥، صـ ٣٩٣ .

(٣) هكذا فى الأصل.

(٤) هكذا فى الأصل.

(٥) عيد قومى وطنى عند الإيرانيين منذ قديم الزمان، وبه تبدأ السنة الإيرانية ويوافق الحادى والعشرين من مارس من كل عام ميلادى، وتعطل فيه جميع المصالح والمدارس والجامعات مدة تقارب الأسبوعين. وهو اليوم الأول من شهر "فروردين" التى تبدأ به السنة الإيرانية.

(٦) بطل تشترك فيه أساطير إيران والهند، وهو اسم أحد الملوك البشداديين، واشتهر بعدله وينسب إلى طهمورث، ويقال إنه نوح (عليه السلام)، ويقال أيضاً: إنه ذو القرنين.

(٧) دولة حكمت فى إيران بعد الأسرة البيشدادية، أسسها الملك كورش، الذى أرسى أساس الحضارة فى العالم، ورفع الظلم عن العالمين، وعرف عند القدماء بالمخلص، لأنه أراد أن يخلص الناس من كل ما حاق بهم من مكاره وشدائد، وينسب إليه أنه أول من كتب أول وثيقة مفصلة تتضمن حقوق الإنسان، كان لين الجانب، ولما هزم عدوه آتياك لم يقتله. وفى عام ٥٤٦ ق.م. سقطت فى يده عاصمة الميديين كما وقعت فى حوزته ممتلكات اليونان فى أسيا الصغرى، وغير مجرى نهر الفرات، حتى تم له فتح بابل، ونهى جنده عن القتل والسلب، كما كان متسامحاً إلى أبعد غاية، وكانت وفاته عام ٥٢٨ ق.م. ودفن فى مدينة پازرگاد فى جنوب إيران.

(٨) أوسع الأبطال الأسطوريين شهرة عند الفرس، وسيرته تكتنفها الأساطير والخوارق، فك أسير الملك كيكاوس الذى وقع فى أسر الجن وعميت عيناه، فقتل رستم ملك الجن وأخرج كبده من صدره ومسح بها عين كيكاوس فارتد بصيرا، ويذكر كثيراً فى شعر القصص الفارسى على أنه بطل إيران المظفر المنقطع النظير.

(٩) يسمى فى القصص الإيرانية ملك التورانيين الذى دخل فى حرب مع إيران لمدة طويلة من الزمن، وأسر وقتل فى عهد كيخسرو.

(١٠) يميل البناكتى إلى الاستطراد المفيد، فهو يميل إلى جمع الملوك والحكماء والأنبياء فى وقت واحد إذا تعاصروا، وهذا يدل على أنه يربط الأحداث والأشخاص والأزمنة، وهذا دليل على سعة اطلاعه.

(١١) بختنصر ملك الكلدانين ٦٦١ : ٦٠٤ق.م.، أغار بحملاته على مصر، وفتح أورشليم وأحرقها، والكلدانيون هم سكان بلاد الكلدان، وهم اليوم مسيحو الطائفة الكلدانية، انفصلوا عن الكنيسة السريانية فى مناطقها الشرقية فى عهد الفرس، وبعد ذلك انقسمت إلى عدة أقسام. لويس معلوف: المنجد، بيروت ١٩٢٧م ص ٦٦.

(١٢) هكذا فى الأصل.

(١٣) نبى الفرس القديم الذى دعا قومه إلى مذهبه القائم على وجود إلهين، إله للخير ويسمى "أهورا مزدا"، والآخر للشر ويسمى "أهريمن"، ولد فى مدينة بلغ بأذربيجان، ويقال: إن الملك بهم ظهر له وأوحى إليه أن يدعو قومه، ووجد سبيله إلى الملك كشتاسب فهداه إلى دينه، وأقره ديناً للدولة وقتل فى عام ٣٠٠ ق.م.

(١٤) إسفنديار يعنى قدرة الحق واللطف الإلهى، وهو ابن كشتاسف أو كشتاسب، ويسمى رويين تن يعنى صاحب الجسم النحاسى.

ابن خلف التبريزى: برهان قاطع، (تهران ١٣٣٦ ه. ش)، ص ٩١ .

(١٥) يحرص البناكتى على توضيح ما يكتبه، مثال ذلك أنه إذا ذكر علم من الأعلام عرضاً، استطرد وعرف به، ويبدو من هذا أنه قد خرج عن المقام الذى يؤرخ له، ونرى أن هذا رغبة منه فى التوضيح والشرح.

(١٦) هكذا فى الأصل.

(١٧) ذكر البناكتى اسم هذا الكتاب جامع الحكايات وبدائع الروايات، والصحيح كما هو فى المتن، مؤلفه محمد عوض صاحب المؤلفات القيمة ومن مشاهير الكتاب الفرس فى القرن السابع الهجرى، ولد فى بخارى، وحفظ القرآن الكريم وأحاديث الرسول (ﷺ)، وكان مطلعاً على السيرة والعلوم الدينية الأخرى، وسجل هذا كله فى كتابه المذكور. وتوفى فى دهلى سنة ٦٤٠ هـ تقريباً.

(١٨) دولة من دول إيران القديمة قبل الإسلام حكمت ما بين عامى ٢٥٠ قبل الميلاد وحتى ٢٢٦ بعد الميلاد، وتسمى هذه الدولة باسم مؤسسها (أشك) وبذلك سميت باسمه، وكان آخر ملوكها أردوان الخامس. وسقطت على يد الدولة الساسانية.

(١٩) هكذا فى الأصل.

(٢٠) الحديث رواه أبو داود عن أبى هريرة (رضى الله عنه) أنه قال: ليس بينى وبينه (يعنى عيسى بن مريم عليه السلام) نبى، وإنه نازل فإذا رأيتموه فاعرفوه، رجل مربوع الخلق إلى الحمرة والبياض بين محصرتين، كأن رأسه يقطر وإن لم يصبه بلل، فيقاتل الناس على الإسلام، فيدق الصليب ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويهلك الله فى زمانه الملل كلها إلا الإسلام، ويهلك المسيح الدجال فيمكث فى الأرض أربعين سنة، ثم يتوفى فيصلى عليه المسلمون.

أبو الطيب محمد شمس أبادى: عون المعبود فى شرح سنن أبى داود، ج١١، ص٤٥٣ (المدينة المنورة بدون).

كذلك رواه البخارى، بلفظ آخر.

البخارى: صحيح البخارى، ج٢، ص٧٣، دار إحياء الكتب العربية.

ويلاحظ أن الرواية التى ذكرها البناكتى، تختلف عن نص الحديث المذكور فى سنن أبى داود، وربما ذكرها البناكتى بالمعنى.

(٢١) مارينوس الحكيم له كتاب فى الجغرافيا باسم صورة الأرض.ابن الأثير – الكامل، ج١، ص٣٢٥ .

(٢٢) هكذا فى الأصل.

(٢٣) يستشهد البناكتى فى بعض الأحيان ببيت من الشعر ولا ينسبه إلى أحد، وإنما يتذكره بمناسبة المقام الذى يتحدث فيه.

(٢٤) أحسن البناكتى بذكر هذين البيتين، وهما بيتان معناهما فى ظاهر لفظهما، لأنه ختم بهما الكلام عن الدولة الإشكانية مع أنه لم ينسبهما إلى أحد.

(٢٥) حكم الساسانيون إيران من عام ٢٢٦م حتى ٦٥٢م، كانت تدين بالدين الزردشتى، وهى التى أسقطت الدولة الإشكانية، وانقرضت على يد الفتح العربى الإسلامى. و (ساسان) الجد الأول التى تنسب إليه الدولة، ومن أهم ملوكها (أردشير بابكان) و (يزدكرد الثالث).

(٢٦) يلاحظ على البناكتى أنه عندما يؤرخ للدول، يدقق فى تحديد مدة الدولة، فلا يكتفى بالأعوام بل بالشهور والأيام، ونرى أن هذا غاية الدقة فى التحديد.

(٢٧) هكذا فى الأصل.

(٢٨) هو شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد المقدسى، من علماء الجغرافيا المعروفين فى القرن الرابع الهجرى، عاصر السامانيين وطاف بالكثير من الممالك الإسلامية وكل المدن الإيرانية، وسجل كل ما رآه فى كتابه المعروف بأحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم.

زهراى خانلرى: فرهنك أدبيات فارس، صـ٤٧٥ .

(٢٩) البناكتى فى هذا الموضع يجعل نفسه حكيمًا مرشدًا، وذلك عندما يذكر خبرًا يمكن أن يستخلص منه عبرة وعظة، فقد ذكر هاتين البيتين من الشعر رغبة فيه فى استخلاص عبرة من أحداث التاريخ والعمل مع الملوك، وبذلك يكون البناكتى فهم المغزى من دراسة التاريخ، لأنه ليس مجرد سرد للأحداث، وإنما هو التعرف على سبب هذه الأحداث، كما أن الاستشهاد بالشعر تأييد لما يريد المؤرخ أن يستخلصه من سرده للأحداث، وبذلك يصبغ كلامه بالطابع الأدبى.

(٣٠) المؤلف متأثر بالآية رقم ٢٦، ٢٧ من سورة القيامة "كلا إذا بلغت التراقى وقيل من راق".

(٣١) هذا الحديث موضوع ولا أصل له.

العجلونى: كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، جـ٢، صـ٤٧٣ . مكتبة التراث الإسلامى (حلب بدون تاريخ).

(٣٢) هذه الرواية لا أصل لها فى كتب الأحاديث، ويبدو أنها موضوعة بدليل أن سورة الأخلاص بنصها لم تنزل إلا على المصطفى (ﷺ).

(٣٣) الحديث صحيح رواه البخارى، انظر صحيح البخارى بحاشية السندى، جـ٣، صـ٩٠، دار إحياء الكتب العربية.

(٣٤) الحديث صحيح رواه البخارى، صحيح البخارى بحاشية السندى، جـ٣، صـ٩١ .

القسم الثالث

فى بيان النسب المطهر لسيد المرسلين وخاتم النبيين محمد المصطفى (عليه أفضل الصلوات وأكمل التحيات)، حتى إبراهيم الخليل (صلوات الرحمن عليه) وشرح حال وشعب الخلفاء الراشدين والأئمة المهديين، حتى المستعصم الذى كان آخر خلفاء بنى العباس.

وهم ثلاث طبقات، وعددهم سبعة وخمسون شخصًا، ومدة ملكهم ثلاثمائة وستة وخمسون عامًا.

الطبقة الأولى: محمد المصطفى (صلى الله عليه وأهله وسلم) والخلفاء الراشدون حتى الحسين بن على (رضى الله عنهم)، وهم سبعة أشخاص، وكانت مدة خلافتهم واحدًا وأربعين عامًا وشهرين وخمسة أيام.

محمد المصطفى (عليه أفضل الصلوات وأكمل التحيات): اسمه أحمد وكنيته أبو القاسم، وله اثنا عشر لقبًا: المصطفى، الرسول، النبى، المزمل، المدثر، الشاهد، البشير، النذير، الماحى، العاقب، الحاشر، خاتم النبيين.

نسبه عليه السلام: محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن نضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان بن أد بن أد بن اليسع بن الهميسع بن سلامان بن نبت بن حمل بن قيدار بن إسماعيل بن إبراهيم (عليهم السلام).

يروون أنه حينما وصل المصطفى (صلى الله عليه وأهله) نسبه إلى عدنان، قال: كذب النسابون من بعد عدنان، وذلك بسبب الخلاف الذى وقع بين النسابين من عدنان إلى إسماعيل، يقول البعض: ينبغى أن يكون أربعين جداً، ويقول البعض: أقل، ويقول بعض آخر: ذلك المقدار المثبت هنا هو أصحها. جميع العرب متشعبون من قحطان وعدنان، وقد ذكر شطر من شعب قحطان فى الطبقة الثانية من القسم الأول.

أما عدنان فكان له عشرة أبناء معد، عك، ذنب، نعمان، الضحاك، المذهب، عون، أبى بنت، أزد القليب، عدى، وقال النسابون المصريون: إن قبيلة الأوس والخزرج قبيلتان من نعمان، وأن مدينة عدن التى فى اليمن أقامها عدى، وكان لمعد ابن يسمى نزاراً، وكان لنزار هذا أربعة أبناء هم: مضر، ربيعة، إياد، أنمار، وكان لأنمار ولدان: خثعم، بجيلة. وكان لهذين الأخوين قبيلتان وأبناؤهم فى اليمن وكان لإياد لقب شمطا، وهرب أبناؤه من شابور ذى الأكتاف، واستوطنوا بلاد الروم، وكان قس بن ساعدة الإيادى خطيب العرب[1]، ومن الشعراء أبو داود ولقيط، ومن الأسخياء كعب بن أمامة وهو من أبناء إياد، وظهر لربيعة قبائل كثيرة من أبنائهما: سيف الدولة بن على؛ ممدوح المتنبى وحاكم حلب وديار بكر، وأخوه ناصر الدولة حسن حاكم بغداد والموصل والجزيرة، ومعن بن زائدة الذى كان من أسخياء العرب، والإمام أحمد بن حنبل من أبناء ربيعة[2].

حكاية: كان معن بن زائدة يبسط مائدة كرمه للقريب والبعيد، قالوا: فى عهد دولته استرد واحد منه الفلك الدوار، وأجاز الزمان أن يسترد منه ما أعطاه، فقدم أملاً فى أن ينتجع تراب طريقه، وكان يقول خفية لكل شخص غم قلبه كما كان يحكى فقره وخصاصته، ولكنه لم يجد من يداوى فقره، ففكر فى وجوب أن يمضى إلى معن بن زائدة لأن صيت كرمه قد امتد فى الأرض، وترنم العالمون بمدح جوده كأنهم حسان، وجعل الأحرار عبيداً بجوده، وأطلق من قيدهم الزمان بوثاق المحنة، وقدم إلى قيصر معن على أنه رجل سيئ الحظ وأظلمت أيام إقباله، ولو كان مضى إلى البحر سائلاً لوجده جافاً، ولو مضى إلى صحراء الدنيا ملتمساً الشمس ما طلعت، ولازم قصر معن مدة من الزمن، وكان لساحة قصره سعة، إلا إنها ضاقت به، وأبعده النقيب والرقيب

عن باب القصر، ولم يستطع أن يعرض بضاعة حاجته التى قدم بها متأملًا من كنعان على كرمه مثل يوسف حتى كتب ذات يوم بيتًا من الشعر على رقعة ممزقة، وطرحها فى جدول من الماء فى قصر معن، والبيت هو:

أيا جود معن ناج معنًا بحاجتى ... فمالى إلى معن سواك شفيع

واتفق لمعن أنه كان يتوضأ على هذا الجدول، فوقعت عينه عليه فأخذها، واطلع على ما كان مكتوبًا فيها، وقال: مرحبًا بمن توسل إلينا بجودنا، وأمر بأن يدخلوه، وأشار إلى الخازن فقدم للسائل بدرة من الدراهم والدنانير، واستماحه المعاذير، وقال: عرفت أن ألم الانتظار يؤثر فى القلب.

شعر

ألما على معن فقولا بقبره ... سقاك الغوارى مربعًا ثم مربعًا

فيا قبر معن أنت أول حفرة ... من الأرض حطت للسماحة مضجعًا

هؤلاء السادة الذين كانت لهم السمعة الحسنة ... مضوا ولم يبق لهم ذكر إلا هذا الذكر

نسبه: معن بن زائدة بن مطر بن شريك بن عمرو بن قيس بن شراحيل بن مرة بن همام بن مرة بن ذهل بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن على بن بكر بن وائل بن ساقط بن هنب بن أقصى بن دعمى بن جديكة بن أسد بن ربيعة بن نزار، وكان معن بن زائدة ملك اليمن، ومن هنا مضى إلى بغداد، وأصبح له ملك سجستان فترة من الزمن، ومن نسله كمال الدين عبد الرازق بن أحمد بن القوطى.

نسب الإمام أحمد بن حنبل: أحمد بن حنبل بن هلال بن إدريس بن أسد بن إدريس بن عبد الله بن حيان بن عبد الله بن أنس بن عوف بن قاسط بن مارن بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة بن وابل بن قاسط بن نقيب من بنى ربيعة.

وكان لمضر ولدان: إلياس وعيلان، ويقولون: ظهر كثير من القبائل من ذريته منهم أنس بن مالك الكمبى الصحابى، وشمر قاتل أمير المؤمنين الحسين (رضى الله عنه) والحجاج بن يوسف ومختار بن أبى عبيد الذى انتقم للحسين من شمر من نسل عيلان، وكان لإلياس ثلاثة أبناء: عمرو وعامر وعمير، وكان اسم أمهم ليلى، وفزعت جمالهم ذات يوم من أرنب، فجرى ليلى وعمرو وعامر خلفها، فقال إلياس لليلى: مالك تخندفين؟ يعنى ماذا أصابك حتى تجرى؟، فسمته خندف، وأمسك عامر بالأرنب وأرجع عمرو الجمال وقال لعامر: أنا أدركت الإبل طبخ صيدك، فسموا عمراً مدركه وعامر طابخه، وبما أن عمير لم يعمل عملاً جلس منفعلاً فى ركن البيت فلقبوه بقمعه، وظهر من نسل عامر كثير من القبائل، وكان حاجب بن زرارة مشهوراً بالوفاء، وتوجه إلى أنوشيروان، وضمن العرب حيث إنه طالما كان الحاجب حيًا فلن يفسد العرب، فطلب منه كسرى ضمانًا فأعطاه قوسه كضمان طوال حياته، فلم يظهر من العرب ثورة.

طالما كان حيًا، ولما توفى، قدم ابنه المسمى عطارد واسترد القوس، وبعد ذلك بدأ العرب فى الاضطرابات، وأرسل النعمان بن مقرن وكان من أمراء عمر بن الخطاب إلى نهاوند، وفتح العراق العجمى، وهو من أبناء عامر.

نسب الحاجب: ابن زارة بن عدس بن زيد بن عبد الله بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم بن مرة بن أد بن عامر.

نسب النعمان: ابن مقرن بن عابد بن منجا بن هجير بن نصر بن حبشة بن كعب بن عبد ثور بن هديه بن لاطم بن عثمان بن عمر بن أد بن عامر. وكان لمدركه ولدان: خزيمة وهذيل، وكانت طائفة عبد الله بن مسعود الصحابى (رضى الله عنه) من نسل الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل. وكان لخزيمة ثلاثة أبناء: كنانة وأسد وهون وطائفة ديش وعضل يسمون القارة، وكانوا رماة مهرة، وهم من نسل بيثع بن هون، وشيد سيف الدولة صدقة بن منصور الحلة، وكانت زينب بنت جحش زوج المصطفى (صلى الله عليه وسلم)، وطائفة مؤيد الدين أبو طالب العلقمى الذى كان آخر وزراء بنى العباس من نسل أسد.

نسب سيف الدولة: صدقة بن منصور بن دبيس بن على بن مزيد بن ريان بن خالد بن حى بن حزنحى بن عمرو بن خالد بن مالك بن عوف بن مالك بن ناشرة بن نصر بن سراة بن سعد بن مالك بن ثعلبة بن داودان بن أسد.

نسب زينب بنت جحش: ابن رئاب بن قيس بن يعمر بن صبرة بن مرة بن كثير بن غن بن داودان بن أسد.

وكان لكنانة خمسة أبناء نصر وعبد مناة وعمرو وملكان ومالك. وكان ربيعة بن مكرم بطل العرب من نسل مالك وطائفة أبى ذر الغفارى الصحابى (رضى الله عنه) ورهط حكم بن عمرو الغفارى الذى كان واليًا على خراسان ونصر بن سيار ملك خراسان الذى انقرضت دولة بنى أمية فى عصره من نسل عبد مناة.

نسبه: نصر بن سيار بن رافع بن حزى بن ربيعة بن عامر بن هلال بن عون بن خندع بن ليث بن بكر بن عبد مناة، وكان لنصر ولدان: مخلد ومالك. وكان لمالك ولد يسمى فهر، وكان لفهر أربعة أبناء: غالب ومحارب وعمر والحارث، وأبو عبيدة الجراح وهو من العشرة المبشرين بالجنة الذين جاءتهم البشارة على قمة جبل حراء من نسل الحارث، ونسبه أبو عبيدة بن عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال بن أوهيب بن ضبة بن الحارث، وكان عبد الرحمن بن الضحاك والى المدينة، وادعى أبوه الخلافة، وقتل فى الشام على يد مروان بن الحكم، ومن ذلك اليوم أفضت الخلافة إلى المروانيين، وهم من نسل محارب.

نسبه: عبد الرحمن بن الضحاك بن قيس بن خالد الأكبر بن وهب بن ثعلبة بن وابل بن عمرو بن شيبان بن محارب.

وكان لغالب ولدان: تيم الأدرم ولؤى، وكان هلال بن حنظل الشاعر الذى هجا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قتل فى يوم فتح مكة على يد أمير المؤمنين على (كرم الله وجهه) وهو من نسل تيم الأدرم، وكان للؤى ثمانية أبناء: كعب وأسامة وعامر وخزيمة وسعد والحارث وعوف وجشم، ويسمون أبناء سعد بنى بنانة وثابت النعمانى المتحدث من نسلهم، وكانت سودة زوج المصطفى (صلى الله عليه وسلم) وعمرو بن عبد ود بطل العرب الذى قتل على يد أمير المؤمنين على (رضى الله عنه) من نسل عامر.

نسبه: عمرو بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حنبل بن عامر، وسودة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حنبل بن عامر، وعباد بن منصور الذى كان قاضى قضاة البصرة من نسلهم، وهم من أبناء أسامة. وكان لكعب ثلاثة أبناء: مرة وعدى وهصيص، وكان عثمان بن مظعون وعمرو بن العاص، وأخوه هشام وخينس وعبد الله الذين كانوا من الصحابة من نسل هصيص.

نسب عثمان: ابن مظعون بن حبيب بن وهب بن حذاقة بن جمح بن عمرو بن هصيص.

وكان لعمرو ولدان صحابيان: محمد وعبد الله وخينس وعبد الله أبناء حذيفة بن سعد بن سهم بن عمرو بن هصيص، وأمير المؤمنين عمر (رضى الله عنه) وسعيد بن زيد، وهما من العشرة المبشرين بالجنة من نسل عدى.

نسب عمر بن الخطاب: ابن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قرط.

نسب سعيد بن زيد: ابن عمر بن نفيل بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قرط بن زراح بن عدى.

وكان لُمرّة تسعة أبناء: كلاب وتيم ويقظة وخالد بن الوليد وعكرمة وسلمة والحارث وهشام وأبو سلمة والأرقم، وكانوا من الصحابة، وكانت أم سلمة زوج المصطفى (عليه السلام) من نسل يقظة، وأنسابهم: خالد بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن محرومة بن يقظة، وعكرمة بن أبى جهل بن هشام بن المغيرة بن عبد الله.

وكان سلمة والحارث ابنى هشام بن المغيرة، وهشام بن أبى ربيعة بن المغيرة بن عبد الله، وأبو سلمة بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله، والأرقم بن أبى الأرقم بن أسد بن عبد الله بن عمر بن محرومة بن يقظة، وأم سلمة بنت أبى أمية بن المغيرة بن عبد الله.

وكان أبو بكر الصديق وطلحة من العشرة المبشرين بالجنة من نسل تيم.

نسبهما: أبو بكر بن عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم، وكان لكلاب ولدان: قصي وزهرة. عبد الرحمن بن عوف، وطلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم، وسعد بن مالك، وهما من العشرة المبشرين بالجنة وآمنة والدة المصطفى (عليه السلام) من نسل زهرة.

أنسابهم: عبد الرحمن بن عوف بن عبد الحارث بن زهرة، وسعد بن مالك بن وهب بن عبد مناف بن زهرة، وآمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة.

وكان لقصى أربعة أبناء: عبد مناف وعبد قصى وعبد العزى وعبد الدار، وهم أبناء شيبة الذى يسمونه صاحب المفتاح حيث كان مفتاح الكعبة المشرفة بحوزتهم.

نسبه: شيبة بن عثمان بن طلحة بن عبد الله بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار، وخديجة زوج المصطفى (صلى الله عليه وسلم) والزبير بن العوام وحاطب بن أبى بلتعة من نسل عبد العزى.

أنسابهم: خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى، والزبير بن العوام بن خويلد، وحكيم بن حزام بن خويلد، وحاطب بن أبى بلتعة بن أسد بن عبد العزى، وطليب بن عميرة بن وهب بن أبى كثير بن عبد قيس.

وكان لعبد مناف أربعة أبناء: هاشم وعبد شمس ومطلب ونوفل، وعبيد الصحابى ابن الحارث بن مطلب والإمام الشافعى (رضى الله عنه) من نسل مطلب.

نسبه: محمد بن إدريس بن عباس بن عثمان بن شافع بن سايب بن عبيدة بن عبد يزيد بن هاشم بن مطلب.

وبنو أمية وعبد الله بن سمرة الذى فتح سجستان، وعبد الله بن عامر صاحب خراسان، وحذيفة الصحابى من نسل عبد شمس.

أنسابهم: عبد الله بن سمرة بن حبيب بن عبد شمس، وعبد الله بن عامر بن كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس، وحذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس.

وخالد وعمرو الصحابيان ابنا سعيد بن العاص بن أمية الأكبر بن عبد شمس، وعتاب بن أسيد بن العيص بن أمية الأكبر بن عبد شمس.

وكان لهاشم ستة أبناء: عبد المطلب ومطلب ونضلة وأبو صيفى وأسد وأبو أسد، وفاطمة أم أمير المؤمنين على (رضى الله عنه) بنت أسد.

حكاية: جاء فى تفسير التراجم أن كعب الأحبار يقول: شاء الله سبحانه وتعالى أن يبين صفة محمد المصطفى (صلى الله عليه وسلم وأهله) وأن يظهر عظمة أصله فأمر جبريل (عليه السلام) أن يأخذ قبضة من التراب الأبيض من نور الأرض، ومن ذلك المكان الذى فيه قبر النبى، وعجنه بماء الجنة وأداره فى كل العالم، حتى عرف الملائكة فضل محمد (صلى الله عليه وسلم) وعرفوه بعد آدم، وأودعه فى خلقة آدم بعد ذلك، ولما خلق روح آدم، رأى فى جبهته شيئًا أبيضًا مثل النملة الصغيرة، فقال: ما هذا؟ فقال الحق تعالى: هذا النور الأبيض أبناؤك وأنه يشرق فى جبهة آدم مثل الشمس، وانتقل منه إلى حواء ومنها إلى شيث.

ولما بلغ شيث مبلغ الرجال، أمر الحق تعالى آدم ليأخذ العهد على شيث، وأرسل جبريل مع سبعين ألف ملك بحرير أبيض وقلم من الجنة ليكتبوا عهداً بنور من أنوار الجنة، ووضعوه فى تابوت من حبة لؤلؤ وجعلوا له ركنين من الزمرد وربطوه بسلسلة من ذهب، واستودعوه عند شيث، وانتقل النور منه مع هذا التابوت حتى وصل إبراهيم (عليه السلام).

ولما حان أجل إبراهيم جمع أبناءه وطلب التابوت، وهذا ما يأمر به الله تعالى فى قوله: «إن آية ملكه أن يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون»[٢] وفتحه وقال: انظروا فرأوا فى هذا التابوت بيوتًا بعدد الأنبياء، ورأوا جميع الأنبياء من صلب إسحاق إلى أن وصلوا لمحمد (صلى الله عليه وسلم) لأنه كان من صلب إسماعيل، ثم قال إبراهيم: بخ بخ يا إسماعيل يا بشراك آخذ منك العهد والميثاق للمحافظة على هذا التابوت، وكان إسماعيل على هذا العهد إلى ذلك الوقت الذى طلب فيه يد بنت الحارث، وولد قيدار وانتقل النور إليه، وأوصاه إسماعيل بالحفاظ على هذا

التابوت وسلمه إليه، وظن قيدار أن الطاهرات هن بنات إسحاق، فاختار منهن ثمانى نساء، وبقى معهن مائتى عام، ولم يلدن له قط حتى سمع ذات يوم نداء يقول: يا قيدار لماذا لا تقدم قربانًا ولا تسأل الله حاجة؟، فقدم سبعمائة من الغنم قربانًا وكان يتصاعد من كل قربان نار بلا دخان، وكان يحمل هذا القربان إلى السماء، حتى جاء نداء بأن دعاءه قد استجيب، نم فى ذلك المكان وكل ما يطلب منك فافعل. فقالوا له فى المنام: ابحث عن امرأة تسمى غاضرة، فبحث قيدار وكانت ابنة ملك جرهم من أبناء زهير بن عامر من قحطان، وتزوجها وانتقل هذا النور إلى غاضرة حتى ذلك اليوم الذى أراد فيه أن يفتح التابوت، فسمع صوتًا من السماء يقول: لا تفعل يا قيدار فأنت وصى ولست نبيًا ولا يفتح هذا إلا نبى، وسلم هذا التابوت إلى يعقوب إسرائيل الله[٤].

فقال قيدار لغاضرة: انجبى ولدًا وسمه حملاً، فأخذ التابوت وحمله إلى كنعان، ولما اقترب سمع صوتًا من التابوت بحيث وصل إلى يعقوب (عليه السلام)، فقال لأبنائه: قيدار آت فاستقبلوه، ولما وصل قيدار بشره يعقوب لقد جاءك البارحة ولد، قال: وكيف علمت؟، قال: رأيت أبواب السماء مفتوحة ورأيت نورًا مشرقًا بين السماء والأرض، ورأيت الملائكة تتنزل من السماء فعلمت أن هذا من أجل نور محمد (صلى الله عليه وسلم).

ثم استودع قيدار يعقوب التابوت، وعاد إلى المنزل وكانت غاضرة قد ولدت ولدًا، وسمته حملاً، وكان النور يتألق فى جبهته، ولما كبر، أخذ أبوه بيده حتى أوصله إلى مكة، وبين له موضع الكعبة، ولما بلغ جبل ثبير جاءه ملك الموت، وقبض روحه فجلس حمل وكان يبكى، ووكل الحق سبحانه وتعالى جماعة من أبناء إسحاق ليدفنوه على جبل ثبير، ويسمونه جبل الثور وفيه الغار الذى مضى إليه المصطفى (عليه السلام) وأبو بكر عند الهجرة.

وانتقل النور من حمل إلى أبنائه حتى وصل عبد المطلب، وكان لعبد المطلب أربعة عشر ولدًا وبنتان، وتزوج عبد المطلب هالة بنت الحارث، وولد منها أبو لهب، وبعد ذلك تزوج أم جميدة بنت عبادة، وولد له منها حمزة، والعباس والعوام وأمية وعبد الكعبة وقثم والحارث والزبير وغيداق ومقوم وضرار هؤلاء من أمهات أخر، وولد من فاطمة بنت عمه

أبو طالب أميمة وبرة وعبد الله، وكان عبد الله أصغرهم، ولم يبق فى الشام من أحد لم يعلم أنه ولد من أمه، وسبب ذلك كانت له جبة بيضاء من الصوف من يحيى بن زكريا (عليه السلام) ممتلئة بدمه، ووجدوا هذا فى كتبهم، وكلما رأوا هذه الجبة، والدم ينفطر منها علموا أن أبا نبى آخر الزمان ولد من أمه.

ولما علم ذلك أحبار الشام كانوا يعدون الأيام والشهور، ولما كبر عبد الله قدم جماعة من أحبار الشام مكة ليقتلوه بحيلة، إلا إن الله تعالى صرف كيدهم عنه، وكان هذا النور يتألق من جبهته، وزوج عبد المطلب عبد الله والد المصطفى (عليه السلام) آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب، وانتقل هذا النور إلى آمنة بأمر الله تعالى فى ليلة الجمعة يوم عرفة، واستقر فيها.

وولد محمد المصطفى (صلوات الرحمن عليه) يوم الجمعة وقت طلوع الشمس فى السابع من شهر ربيع الأول فى طالع الميزان على حد قول أبى معشر البلخى، وعند التبانى فى يوم الاثنين العشرين من شهر نيسان سنة ثمانمائة واثنتين بالتوقيت الإسكندرى، ويوم الجور من شهر دى سنة إحدى وأربعين بالتوقيت الأنوشيروانى، بعد سنة الفيل بشهرين بطالع الجدى، وجعلوا الزيج هكذا، وعند أبى الحسن على المسعودى بعد عام الفيل بخمسين يومًا، وكان ذلك فى يوم الإثنين السابع عشر من شهر المحرم سنة ثمانمائة واثنتين إسكندرى، وقد مضت على أنوشيروان أربعون عامًا.

وجاء فى تفسير تاج التراجم أن آمنة قالت: كنت نائمة ذات ليلة من الليالى، فقدم شخص ورفصنى، وقال: انهضى فقد حملت بخيرة خلق الدنيا، وعندما تلدينه سميه محمدًا وأخفى أمره، فقالت آمنة: لم أخبر أحدًا قط من قريش وكنت وحدى وكان عبد المطلب يطوف، وسمعت صوتًا ففزعت فزعًا شديد، وكان ذلك ليلة الإثنين، فرأيت أن طائرًا جاء وقد مسح جناحه على قلبى، فانصرف عنى هذا الخوف، ونظرت فرأيت شرابًا أبيضًا فأخذته وشربت، فرأيت نورًا صعد منى إلى السماء فرأيت نساءً طول كل واحدة منهن شجرة نخل، فأحطن بى واشتد علىَّ الأمر، ورأيت ديباجًا ممتدًا بين السماء والأرض، وسمعت شخصًا كان يقول لى: احفظى هذا من أعين الناس،

ثم رأيت أناسًا وقد وقفوا فى الهواء وفى أيديهم كئوس فضية، وكان الدم يتساقط منى كاللؤلؤ، وهو أجمل رائحة من المسك، وكنت أقول ليت عبد المطلب كان قد أتى، ثم قالت: رأيت طيوراً كثيرة هبطت من الجو حتى امتلأ البيت؛ مناقيرها من الزمرد وأجنحتها من الياقوت، وانفتحت عينى فى تلك الساعة، ورأيت الدنيا كلها، فرأيت علمًا وقد ثبت فى المشرق والمغرب وعلمًا على سطح الكعبة، وأخذنى الألم، فظننت أننى قد مت، ولم أكن أرى أحداً. فولدت محمداً (ﷺ)، ورأيته وقد سجد ووضع جبهته على الأرض، وأشار بإصبع من يده اليمنى نحو السماء. ثم رأيت غمامة بيضاء تظهر فجأة وتلتف حولى، وأخذته من عينى، وسمعت مناديًا يقول: اجعلى محمداً يطوف حول المشرق والمغرب والبحار ليعرفوه بصفته واسمه، وليعلموا لماذا سمى بالماحى، فلم يبق مشرك حيًا فى زمانه، ثم فتحت هذه الغمامة فرأيته ملفوفًا فى صوف أبيض وعليه حرير أبيض، وفى يده ثلاثة مفاتيح من اللؤلؤ، وكان شخص يقول: إن محمداً أخذ مفتاح النصر ومفتاح الرياح ومفتاح النبوة، ثم رأيت ثلاثة رجال والشمس تشرق من وجوههم، فجاء أحدهم وفى يده إبريق من فضة تتصاعد منه رائحة المسك، والآخر له طست من الزمرد الأخضر المربع، وفى كل زاوية منه لؤلؤة كبيرة، والثالث معه حرير ملفوف ففتحه وأخرج منه خاتمًا ينبهر الناظر منه، ثم غسلوا محمداً بهذا الماء سبع مرات، وختموا ما بين كتفيه بهذا الخاتم، ولفوه فى هذا الحرير، وبعد ذلك ضمه رجل منهم مدة إلى صدره، وقال فى أذنيه كلامًا كثيراً، وقبله بين عينيه ودفعه إلىَّ، قال ابن عباس: هذا الرجل كان رضوان الجنة، وقالت آمنة: مضوا ولم أرهم من بعد.

عاش المصطفى (صلى الله عليه وسلم) ثلاثة وستين عامًا، كان مع أبيه عامان وأربعة عشر يومًا[٥] ومع أمه ثمانية أعوام، وبعد ذلك عاش مع عبد المطلب مدة ثم مع أبى طالب، ولما بلغ خمسة وعشرين عامًا، تزوج خديجة وأنجب منها سبعة أبناء: ثلاثة أولاد وأربعة بنات، الأولاد هم: قاسم وعبد الله وطاهر، والبنات: زينب وأم كلثوم ورقية وفاطمة، يقول أهل الشيعة: إن أم كلثوم ورقية كانا من الزوج الأول لخديجة ورباهما المصطفى (صلى الله عليه وسلم)، وكان له ولد آخر يسمى إبراهيم من مارية القبطية التى يقال: إن هرقل قيصر الروم أو المقوقس ملك الإسكندرية أرسلها إليه مع عبد وحمار يسمى يعفور لخدمة المصطفى (ﷺ).

توفى الأبناء وهم فى زمن الطفولة، وزوج فاطمة إلى أمير المؤمنين على (كرم الله وجهه) بعد غزوة بدر فى الأول من شهر صفر، وزفت إليه فى السادس من شهر ذى الحجة، وزوج رقية وأم كلثوم لعثمان بن عوف، وزينب إلى أبى العاص بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس.

ولما بلغ محمد (صلى الله عليه وسلم) الأربعين من عمره، فى يوم الجمعة السابع والعشرين من شهر رجب بعد بناء الكعبة بخمسة أعوام بالتمام، نزل عليه الوحى، وأول سورة من القرآن جاء جبريل بها كانت سورة (اقرأ) على جبل حراء وآخر آية ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾(٦) وخوطب بالرسالة فى يوم الإثنين، وكانت بعثته فى العام العشرين بعد ملك خسرو برويز، وكان أول شخص تبعه وآمن به عمرو بن عنبة بن عامر السلمى، وكانت خديجة بعد ذلك، وبعد ذلك على وهو فى العاشرة، وبعد ذلك زيد بن حارثة غلام خديجة الذى وهبته لسيده وأعتقه سيده، وبعد ذلك أبو بكر الصديق، وبعده عثمان بن عفان، والزبير بن العوام، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبى وقاص، وطلحة بن عبيد الله، وهؤلاء الخمسة آمنوا بالنبى مرة واحدة، وبعدهم أبو عبيدة بن الجراح، وبعده أبو سلمة بن عبد الأسد، وبعده الأرقم بن الأرقم، وبعده عثمان بن مظعون، وبعده أبو عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب، وبعده سعيد بن زيد بن عمر بن نوفل، وبعده أخت عمر بن الخطاب فاطمة، وبعدها أسماء بنت أبى بكر، وبعدها عائشة الصديقة، وبعدها خباب بن الأرت، وبعده عمير بن أبى وقاص، وبعده عبد الله بن مسعود، وبعده مسعود بن العارى، وبعده سليط بن عمر، وبعده ربيعة بن المغيرة، وبعده أسماء بنت سلامة، وبعدها خنيس بن حذافة، وبعده عامر بن ربيعة، وبعده عبد الله بن جحش، وبعده جعفر بن أبى طالب، وبعده زوجته أسماء بنت عميس، وبعدها الحاطب بن الحارث، وبعده زوجته فاطمة بنت المخلد، وبعدها خطاب بن الحارث، وبعده فكيمة بنت اليسار، وبعدها معمر بن الحارث، وبعده سايب بن عثمان بن مظعون، وبعده مطلب بن أزهر، وبعده رملة بنت أبى عوف، وبعدها سحام بن نعيم بن عبد الله، وبعده عمر بن الخطاب، وبعده عامر بن فهيرة، وبعده خالد بن سعيد

وبعده آمنة بنت خلف، وبعدها حاطب بن عمرو، وبعده أبو حذيفة، وبعده عتبة بن ربيعة، وبعده واقد بن عبد الله، وبعده خالد وعامر وعاقل وإياس أبناء نكير بن عبد اليد، وبعدهم عمار بن ياسر، وبعده صهيب الرومى.

وهؤلاء جاء الواحد منهم بعد الآخر، وبعد ذلك كان يؤمن كل اثنين أو ثلاثة معًا إلى أن ظهر الإسلام فى مكة، ومضى على تلك الدعوة ثلاثة أعوام، فأنزل الحق تعالى هذه الآية: ﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴾(٧).

ولما نزلت هذه الآية دعا الرسول (صلى الله عليه وسلم وأهله) الخلق فى العلن، وكان يجلس مع أصحابه علانية.

كان سعد بن أبى وقاص يصلى ذات يوم مع جماعة من أصحابه، فقدم عليهم جماعة من قريش، وبدأوا فى الشجار ودخلوا فى الحرب، فوجد سعد بن أبى وقاص عظم جمل فأخذها وضرب بها على رأس الكافر، وكسر رأسه وسال الدم منه وانهزموا، وكان هو أول من جرح عدوًا فى الإسلام وأسال دمهم، وبعد ذلك كان النبى (صلى الله عليه وسلم) واقفًا ذات يوم على جبل الصفا، فمر عليه أبو جهل وسبه كثيرًا فتحمل النبى، فشاهدت امرأة هذا من بعيد، وقدم حمزة فجأة من الصيد ومعه السلاح، فقصت المرأة عليه هذا الخبر، فاشتد غضب حمزة ومضى فى إثر أبى جهل، فوجده فى وسط جمع من قريش، فضرب رأسه بقوس وكسر رأسه وسال دمه وقال: أأنت الذى سببت ابن عمى؟، انهض لتفعل ما تستطيع، لقد تركت دين قريش ودخلت فى دين محمد، وكان هناك جماعة من بنى مخزوم من أقارب أبى جهل أرادوا أن يحاربوا حمزة، فمنعهم أبو جهل، وجاء معتذرًا وقال: الذنب ذنبى، وقدم حمزة على الرسول وآمن وقوى الإسلام، وضاق صدر قريش على أنه لا يوجد من كان أشجع منه، وكانوا يخشونه جميعًا.

وبعد البعثة بسنتين فى ليلة الأحد السابع والعشرين من رجب مضى الرسول للمعراج من بيت أم هانئ، يقول عبد الله بن عباس: كان ليلة الثامن من رمضان، ويقول البعض: كان ليلة الإثنين من شهر ربيع الأول، وتوفيت خديجة بعد ذلك بخمسة أعوام

فى يوم الجمعة الثامن من شهر رمضان وكان عمرها خمسة وستين عاماً، وعاشت مع النبى (صلى الله عليه وسلم) أربعة وعشرين عامًا، ومات أبو طالب قبل خديجة بثلاثة أيام، وأقام الرسول (ﷺ) ستة أعوام أخرى فى مكة فى خوف ومشقة.

بيعة الأنصار: كان قوم يأتون إلى مكة فى موسم الحج من المدينة كل عام، وكان النبى جريًا على عادته يتوجه إلى القبائل العربية ويدعوهم، وكان يأتى إليهم فى جمرة العقبة وقال لهم: أى أناس أنتم؟، قالوا: نحن من الخزرج وقادمون من المدينة، فدعاهم الرسول (ﷺ) وقرأ عليهم القرآن، وكانوا قد سمعوا من أخبار اليهود أن ظهور نبى آخر الزمان قريب، وقرأوا صفته فى التوراة، فآمن ستة منهم: أسعد بن زرارة وعوف بن حارثة بن رفاعة وأخوه معاذ ورافع بن مالك وثعلبة بن عامر بن ربيعة وعتبة بن عامر، ولما عادوا إلى المدينة حكوا لقومهم أخبار النبى (ﷺ) مع قومه، ورغبوهم فى الإسلام، وقدم فى العام التالى اثنا عشر شخصًا إلى حضرة الرسول (صلى الله عليه وسلم)، حيث وصل الستة السابقون ومعهم وكر بن قيس بن خلدة وعبادة بن الصامت ويزيد بن ثعلبة وعباس بن نضلة وأبو الهشم بن الشيخان وعودة بن ساعدة فى جمرة العقبة إلى حضرة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وآمنوا به وبايعوه، وكانت تلك أول بيعة فى الإسلام، ولم يكن فى هذه البيعة شرط الحرب لأن آية القتال لم تكن قد نزلت بعد وكانت شروط هذه البيعة ستة أشياء: أولها ألا يشركوا بالله أحداً، وألا يسرقوا وألا يحللوا الزنا، وألا يئدوا الأبناء كما كانت عادة العرب، وألا يكذبوا، وأن يطيعوا الرسول (صلى الله عليه وسلم) وألا يخالفوه، ويضمن لهم النبى (صلى الله عليه وسلم) جنة الخلد فى يوم القيامة ماداموا يوفون بهذه الشروط، وبين لهم أن كل من يخالف هذه الشروط إذا ما وصل إلى سمعه أن هذا حد الشرع، فإنه يطبق عليه هذا الحد، ومن لم يصل لسمعه هذا وخفى عنه أن يعلم حكم الله تعالى، إذا شاء غفر وإذا شاء عاقب، وراوى هذا الخبر عبادة بن الصامت.

ولما بايعوه هذه البيعة وفرغوا من الحج، أمرهم الرسول (ﷺ) أن يمضوا إلى المدينة وأرسل معهم مصعب بن عمير ليعلمهم القرآن وأحكام الشريعة، ولهذا السبب يسمون مصعب مقرئ المدينة، وبعد هذا مضى كل من أسعد بن زرارة ومصعب

إلى قبيلة بنى أشهل وكـان رؤسـاؤها سعد بن معاذ وأسيد بن حضـير ودعواهما، وفى اليوم نفسه آمنت القبيلة كلها من رجل وامرأة.

يقول محمد بن إسحاق: لما حل موسم الحج، وأراد مصعب أن يعود إلى مكة، كان ثلاثة وسبعون رجلاً قد أسلموا، وكان قد قصد النبى (صلى الله عليه وسلم) مع مصعب عظماء ورؤساء أقوامهم ومضوا وبايعوه ليأتوا بالنبى إلى المدينة، ولما وصلوا مكة، قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لمصعب: بعد أن يفرغوا من مناسك الحج، وفى الليلة الثانية من أيام التشريق أحضروهم فى جمرة العقبة من أجل البيعة، إذ إن أهل مكة لا يعرفون أن مصعب لم يفعل هذا، فمضى النبى (ﷺ) مع عمـه العباس إلى هناك، ولم يكن العباس قد دخل الإسلام بعد، ولكنه كان غاية فى الشفقة والرحمة على النبى (ﷺ)، واعتمد عليه بعد أبو طالب، وكان يعمل الأعمال بمشورته، وفى البداية نصحهم العباس كثيراً فى شأن النبى (ﷺ)، وبعد ذلك خطبهم الرسول (ﷺ) ووعظهم، فدخلوا جميعاً مرة واحدة وبايعوه، فقال النبى (ﷺ) اختاروا من بينكم اثنى عشر نقيباً فاختاروا تسعة نقباء من الخزرج وثلاثة من الأوس وهؤلاء التسعة هم أسعد بن زرارة وأسد بن الربيع وعبد الله بن رواحة ورافع بن مالك بن عجلان والبراء بن معرور وعبد الله بن حزام وعبادة بن الصامت والمنذر بن عمرو، والثلاثة هم أسيد بن حصير وسعد بن خيثمة ورفاعة بن عبد المنذر، ثم قال لهم النبى (ﷺ): من يكفلنى على هذه البيعة كما كفل الحـواريون عيسى (ﷺ)؟، فقالوا: نعم يا رسول الله، فقال لهم: وأنا كفيلكم أيضاً.

هجرة المكيين من الصحابة :

كان أول من هاجر من مكة إلى المدينة أبو سلمة بن عبد الأسد، وهو كذلك أول من هاجر إلى الحبشة وعاد، وكانت امرأته أم سلمة من بنى المغيرة، فأسر بنو أسد امرأته وابنه، ومضى إلى المدينة وحده، وكانت امرأته دائمة البكاء إلى أن أطلقوها بعد عام ومضت إلى المدينة، ولما توفى أبو سلمة تزوجها الرسول (ﷺ)، وهاجر عامر بن

ربيعة بعد أبى سلمة وبعده عبد الله بن جحش وأهله، وبعد ذلك كان الصحابة يمضون قوماً بعد قوم بعضهم مع زوجته وأبنائه وبعضهم وحده.

يقول محمد بن إسحاق: اتفق عمر بن الخطاب وعباس بن ربيعة وهشام بن العاص على الهجرة، فعرفت قريش الخبر، فأسروا هشامًا، ومضى عمر وعباس، وعذبوا هشامًا حتى ارتد وقدم أبو جهل والحارث المدينة وحملوا عباسًا إلى مكة بحيلة، وكانوا يعذبونه كذلك حتى ارتد، ونجيا بعد أن تخلصا منهم وقدما المدينة وعادا إلى الإسلام، وبعد ذلك هاجر صهيب وجميع الصحابة، وبقى أبو بكر وعلى مع رسول الله (ﷺ)، وبعد ذلك هاجر النبى (ﷺ) مع أبى بكر وترك عليًا يؤمن الخصوم ويتم الأعمال ويأتى بعد ذلك.

هجرة الرسول (صلى الله عليه وأهله وسلم) :

هاجر النبى (صلى الله عليه وسلم) يوم الاثنين الحادى عشر من شهر ربيع الأول من مكة إلى المدينة، ونزل فى قباء ثلاثة أيام، ولحق أمير المؤمنين على بالنبى (ﷺ) لخدمته وقدم رؤساء المدينة وحملوا الرسول (ﷺ) إليها، ومكث بها عشرة أعوام، وظهر الإسلام فيها وقوى، وبعد الهجرة بعام ونصف حولت القبلة فى صلاة الصبح يوم السبت الخامس عشر من شعبان من المسجد الأقصى إلى المسجد الحرام[٨].

وتزوج النبى (ﷺ) اثنتى عشرة امرأة من المدينة خمس من قريش أم سلمة بنت هند بن أبى أيمنة بن أبى حذيفة بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب وكانت زوجة لأبى سلمة بن عبد الله بن الأسد وولد له منها بنتان وولد هم سلمة، عمر وزينب، ولما مات أبو سلمة تزوجها الرسول (ﷺ).

وذكر والدى تاج الدين أبو الفضل محمد البناكتى فى كتاب الميسور فى شرح المصابيح أن أم سلمة روت عن النبى (ﷺ) ثلاثمائة وسبعة وثمانين حديثًا، كما ذكرها الأندلسى فى كتاب، وماتت هند بنت أمية بن عبد شمس بن عبد مناف فى سنة إحدى وخمسين، وماتت سودة بنت زمعة بن قيس، وعائشة بنت أبى بكر سنة ثمانية وخمسين، وماتت حفصة بنت عمر سنة سبع وعشرين، وماتت أم حبيبة رملة بنت أبى سفيان سنة تسع وخمسين، ومن بنى قيس زينب بنت خزيمة وقد توفيت قبل المصطفى (ﷺ)، وميمونة بنت الحارث وكان لها من العمر ثلاثة وستون عامًا، وتوفيت سنة ثمانية وثلاثين وروت ستة وسبعين حديثًا عن الرسول (ﷺ)، ومن بنى أسد زينب بنت جحش وتوفيت سنة عشرين ومن بنى كندة أمامة بنت النعمان[9]، وجويرية بنت الحارث اشتراها وحررها وتزوجها وتوفيت سنة ستٍ وخمسين، ومن بنى إسرائيل صفية بنت حيى بن أخطب وكانت من أسرى خيبر التى جاء بها أمير المؤمنين على (كرم الله وجهه) وتوفيت سنة ست وثلاثين، وأم شريك وهى التى وهبت نفسها للنبى (صلى الله عليه وسلم)[10]، وقد نظم والدى أنا الضعيف أسماء زوجات النبى (ﷺ) اللائى تزوجهنَّ:

شعر

كان للنبى تسع زوجات كن جميعًا طاهرات	كن عائشة وحفصة وأم سلمة
ميمونة وجويرية وصفية وزينب	وأم حبيبة وسودة العظيمة

ونزلت آية السيف فى المدينة، وشارك النبى (ﷺ) بنفسه فى سبع وعشرين غزوة.

غزوات النبى (صلى الله عليه وآله) :

كانت أول غزوة "ودّان"، وبعدها غزوة "قريش"، وبعدها "بدر الأولى"، وكان أول من استشهد فى الإسلام عمير بن الحمام الأنصارى فى يوم بدر، وفى ذلك الوقت حولت القبلة إلى الكعبة، وبعد ذلك فى السابع عشر من شهر رمضان سنة اثنتين من الهجرة حدثت غزوة "بدر"، واستشهد فيها أربعة عشر من أصحاب النبى (ﷺ) ويقال: إنهم ستة عشر، ستة من المهاجرين، وعشرة من الأنصار. من المهاجرين: عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب، ومابل بن عتبة، ومميجع مولى عمر بن الخطاب، ونو الشمالين، وعمير بن أبى وقاص أخو سعد، وعاقل بن البكير، وصفوان بن بيضاء، ومن الأنصار سبعة إخوة هم: أبناء عفراء بنت عبيد بن معاذ، ومعود وعوف أبناء الحارث بن رفاعة، وإلياس وخالد وعاقل وعامر أبناء بكر، واستشهد كل هؤلاء السبعة وهم: أولاد عفراء بنت عبيد، وأبو حذيفة بن عتبة، ومصعب أخو هند بنت عتبة، وعمها معمر بن الحارث، وكان عبد الله بن مسعود قد قاتل أبا جهل فى غزوة "بدر"، وقتل عمر بن الخطاب خاله العاص بن هشام بن المغيرة، وقتل على بن أبى طالب العاص بن سعد والوليد بن عتبة، كما قتل حمزة، عتبة بن ربيعة.

وتوفى أبو السايب عثمان بن المظعون الجمحى البدرى فى سنة اثنتين، وكانت غزوة أحد فى شوال سنة ثلاث، واستشهد فيها أربعة أشخاص من المهاجرين هم: حمزة بن عبد المطلب، وعبد الله بن جحش، ومصعب بن عمير، وشماس بن عثمان بن شهل، وفى السنة الرابعة كانت غزوة "الخندق" و"بنى المصطلق"، وفى شعبان سنة خمس كانت غزوة "بنى لحيان"، وفى سنة ست "حنين"، وفى رمضان سنة ثمانٍ كان "فتح مكة"، وفى شوال سنة ثمانٍ كانت "حنين الثانية"، وولد له ابنه إبراهيم فى هذا العام، وتوفيت ابنته أم كلثوم، وفى سنة ثمانٍ كان موت النجاشى ملك الحبشة، وبعد "حنين" مضى إلى الطائف وحاصرها، إلا أن فتحها لم يتيسر فعاد، ومضى فى رجب سنة تسع إلى الروم حتى تبوك، وهناك بنى مسجداً، وفى تلك الحرب تيسر فتح دومة الجندل، وقبلوا أداء الجزية، وكانت تلك آخر غزواته.

أسماء موالي الرسول (ﷺ) : زيد بن حارثة، وأم أيمن امرأته، وأسامة بن زيد بن حارثة، وأبو رافع غلام العباس بن عبد المطلب ووهبه للمصطفى (ﷺ)، ولما أسلم العباس وبشر المصطفى أعتقه، وأعطاه جاريته سلمى وولدت له عبد الله بن أبى رافع الذى كان كاتباً لأمير المؤمنين على بن أبى طالب، وسفينة، ويسار، ومدعم، وأبو رويقع وبنيه، وفضالة الذين نزلوا فى الشام.

أسماء خيل النبى (ﷺ) ومراكبه : كان الجواد الذى يركبه المصطفى (ﷺ) فى غزوة أحد يسمى السكب والمرتجز واللزاز واللحيف، والبغلة التى تسمى دلدل ووهبها للمرتضى، وحمار يسمى يعفور وعفير، وجمل يسمى قصوا وجدعاء وعضباء.

أسماء سلاح النبى (ﷺ) ولباسه : كان اسم علم المصطفى (ﷺ)، العقاب من الصوف الأسود، وكانت له أعلام أخرى بيضاء، واسم سيفه الذى كان يحمله ويحارب به ذو الفقار، وسيوف أخرى تسمى مخذم ورسوب وقضيب، واسم رمحه مثوى، وكان له رمح آخر يسمى غنزة، واسم قوسه الكتوم، واسم جبته كن، واسم سهمه المتصلة، واسم ترسه الزلوق، واسم خوزته ذو السبوع، واسم درعه ذات الفضول، وكان له قدح يسمى الريان وآخر يسمى مصنب.

وجاء فى كتاب "معارف الفصول" لأبى عبد الله بن مسلم القتيبى، أنه (صلى الله عليه وسلم) ولد يوم الاثنين، وبعث يوم الاثنين، ودخل المدينة يوم الاثنين، وقبض يوم الاثنين لليلتين خلتا من شهر ربيع الأول، وقيل: من صفر سنة إحدى عشرة ودفن يوم الأربعاء فى حجرة عائشة وفيها قبض، ودخل عباس بن عبد المطلب القبر، وعلى بن أبى طالب، والفضل بن عباس، والقثم بن العباس، وعبد الله بن عوف (رضى الله عنهم).

وعن زيد بن أحزم قال: حدثنا عثمان بن فرقد، قال: سمعت عن جعفر بن محمد الصادق عن أبيه قال: الذى لحد النبى (صلى الله عليه وسلم وأهله) أبو طلحة، والذى ألقى القطيفة تحته شقران.

أبو بكر الصديق :

من الخلفاء الراشدين، واسمه عبد الله بن أبى قحافة عثمان بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة. وأمه، أم الخير سلمى بنت صخر بن عامل بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة، وكان له ثلاثة أبناء: محمد، وعبد الله، وعبد الرحمن، وكانت أم محمد بن أبى بكر أسماء بنت عميس الخثعمية، وكانت له ابنتان: أسماء، ويقال لها: ذات النطاقين، وقتل الحجاج بن يوسف ابنها عبد الله بن الزبير سنة ثلاث وسبعين وتوفاها الله بعدها بأسبوع واحد، وكان لها من العمر مائة عام، قال البناكتى فى كتابه: روت عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ثمانية وخمسين حديثًا، وعائشة الصديقة زوج النبى (صلى الله عليه وسلم)، وأبوه أبو قحافة عاش تسعة وتسعين عامًا، وتوفى فى خلافة عمر بن الخطاب سنة سبع عشرة.

اجتمع الأنصار فى دار السقيفة بعد الرسول (ﷺ)، واتفقوا مع سعد بن عبادة أن يجعلوه خليفة، لكنه لم يقبل، وكان أبو بكر وعمر من الحاضرين، وفى آخر الأمر بايعوا أبا بكر بالخلافة، وفى عهده ارتدت اثنتا عشرة قبيلة من العرب، فصد أبو بكر اثنتين منها، وقال: والله لو منعونى عقالاً مما كان يؤدونه لرسول الله لقاتلتهم بالسيف، وصد عمر (رضى الله عنه) عشرة منهم، وفتح أبو بكر الشام.

وادعى مسيلمة الكذاب النبوة وكتب رسالة إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قائلاً: من مسيلمة (رسول الله) إلى محمد (رسول الله) أما بعد، فإنه أوحى الله إلى أن الأرض بينى وبينك، فأجاب المصطفى (ﷺ) برسالة قال فيها: من محمد (رسول الله) إلى مسيلمة الكذاب، ولهذا السبب سموه الكذاب، وكان فى عهده امرأة ملكة واسعة الثراء تسمى سجاح قد ادعت النبوة ومضت إلى مسيلمة، وقالت: ما أوحى الله إليك؟ فقال مسيلمة: إن الله خلق النساء أفواجًا، وجعل الرجال لهن أزواجًا، فولجوا فيهن نبسًا إيلاجًا، ثم نخرجها إذا شئن إخراجًا، فينتجن لنا سجالاً نتاجًا. فقالت: أشهد أنك نبى. فقال لها: ألك أن أتزوجك وينضاف ملكى إلى ملكك؟، قالت: نعم، فتزوجها وأقامت عنده ثلاثًا، ثم انصرفت إلى قومها، وفى ذلك يقول عطارد[11]:

أمست نبيتنا أنثى تعيش بها   وأصبحت أنبياء الناس ذكرانا

وأرسل أبو بكر الصديق (رضى الله عنه) بعد وفاة الرسول (ﷺ) وأهله جيشًا وأسر مسيلمة وقتله[١٢] وجعل عمر ولى عهده[١٣] وكان فى الثالثة والستين، وتوفى ليلة الثلاثاء الثانى والعشرين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة وغسلته امرأته أسماء بنت عميس بناء على وصيته، وكان نقش خاتمه (نعم القادر الله) وروى عن رسول الله (ﷺ) مائة واثنين وأربعين حديثًا، وكانت مدة خلافته سنتين وثلاثة أشهر واثنين وعشرين يومًا.

عمر بن الخطاب :

كان الخليفة الثانى، وهو أبو حفص عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدى بن كعب الجد الثامن للمصطفى (ﷺ)، وأمه حاتمة، ويقال: حنتمة بنت هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم.

ذكر ابن كتيبة فى كتابه: فى اليوم الذى أسلم فيه عمر (رضى الله عنه) كان فى مكة تسعة وثلاثون رجلاً وامرأة مسلمين، فأصبح عددهم أربعين بعمر، وكان له أربعة أبناء: عبد الله، وعاصم، وعبيد الله، وزيد، وابنة تسمى حفصة كانت زوجة للنبى (ﷺ)، وخلفه بناء على الوصية، وتربع على عرش الخلافة وبسط العدل والإنصاف، وفتح جميع بلاد الشام ومعظم بلاد الروم وقمع الأكاسرة، وفى آخر أيام دولته تيسر فتح همدان والرى على يد المغيرة بن شعبة، وسماه عدى بن حاتم الطائى أمير المؤمنين، وكانوا يسمون من قبله أبا بكر خليفة رسول الله، وفى عهده توفى عبد الرحمن أبو عبد الرحمن الحارث بن هشام المخزومى فى الشام سنة ثمانى عشرة، وتوفى بلال بن رباح المؤذن فى سنة تسع عشرة، ويقولون: فى سنة عشرين وروى عن رسول الله (ﷺ) أربعة وأربعين حديثًا، وفى أيام خلافته توفى فى المدينة سنة عشرين أبو سفيان بن حرب بن عبد المطلب الذى كان أخا النبى (ﷺ) من الرضاعة،

وهو الذى كانت ترضعه حليمة، وأسلم فى فتح مكة وكان يحبه المصطفى (ﷺ) وقال فى شأنه: أرجو أن يكون خلفًا من حمزة، الذى لقب بسيد فتيان أهل الجنة، وفى سنة عشرين توفى فى المدينة، ودفنوه فى البقيع.

وفى العام الثانى من خلافة عمر توفى فى نفس الساعة، أبو ثابت سعد بن عبادة بن وليم من بنى ساعدة الخزرجى الحورانى، وأخضر جلده، وروى واحدًا وعشرين حديثًا، ويقال: إنهم سمعوا صوتًا من بئر كان يقول: قد قتلنا سيد الخزرج أسعد بن عبادة، ورميناه بسهمين فلم يخطئا فؤاده، وتوفى أبو عبد الرحمن معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس بن عابد بن عدى الخزرجى عام ثمانية عشر الذى كانت أمه بنت هند بنت سهل من جهينة عن عُمْر يبلغ الثامنة والثلاثين، وروى مائة وسبعة وخمسين حديثًا عن رسول الله (ﷺ)، وتوفى خالد بن الوليد بن المغيرة الذى كانت أمه لبانة الصغرى بنت الحارث الهلالية أخت ميمونة زوج المصطفى (صلى الله عليه وآله)، وأخته الأخرى لبانة الكبرى أم الفضل بن العباس بن عبد المطلب فى حمص سنة إحدى وعشرين، وتوفى أبو المنذر بن أبى كعب الأنصارى فى سنة اثنتين وعشرين، وقال عمر (رضى الله عنه): اليوم مات سيد المرسلين[١٤]، ويقال: إنه توفى فى سنة ثلاثين فى خلافة عثمان (رضى الله عنه)، وروى عن الرسول (صلى الله عليه وسلم) مائة وأربعة وستين حديثًا، وكان عبد الله سلمان الفارسى (رضى الله عنه) من رامهرمز، ويقولون عنه: إنه من أصفهان.

حكاية: يروى محمد بن إسحاق عن عبد الله بن عباس (رضى الله عنه) قال: سمعت من كلام سلمان أنه قال: كنت من قرية من ولاية أصفهان كانوا يسمونها (جى)، وكان أبى دهقان هذه القرية وكان مجوسيًا، وكنت أتولى أمر النار، وأسجد لها وكان لأبى مزرعة وكنت أميل لهذا المكان عندما رأيت جمعًا من الناس يقرأون الإنجيل، وكان بعضهم يدعو ويتضرع فأعجبنى هذا منهم، فسألتهم دينكم دين من؟، قالوا: دين عيسى (ﷺ). فسألت أين يوجد أهل هذا الدين بكثرة؟، قالوا فى الشام، فهربت من أبى ومضيت إلى الشام، ومن هناك إلى نصيبين عند قسيس، وتعلمت منه الإنجيل، وأرسلنى إلى عمورية فى بلاد الروم عند رجل ليس له نظير فى علوم المسيحية، وحصلت العلوم

عنده ولما أدركته الوفاة، قلت: بماذا توصيني؟، قال: يا بني، قرب الزمان الذى يقرع فيه طبل محمد ويرفع علم النبوة فامضِ إليه حتى تجد تمام النجاة، وعنده خاتم النبوة وسيكون من العرب.

فمضيت في قافلة إلى بلاد العرب، فغدر هؤلاء القوم بي، وباعوني لرجل يهودي من بني قريظة، فحملني إلى المدينة، ولما قدم المصطفى (ﷺ) المدينة أخذت قليلاً من التمر ذات يوم ومضيت إلى المصطفى (ﷺ)، ووضعته أمامه وقلت إنه صدقة، فوضع النبي (ﷺ) يده عليه وقال لأصحابه: باسم الله كلوا، وكنت سمعت أن نبي آخر الزمان لا يأكل الصدقة ويقبل الهدية ولم يأكل، وحملت في اليوم التالي قدراً من التمر، وقلت: هذه هدية فقبلها وأكل وأعطى أصحابه، وسمعت أن خاتم النبوة على كتفه المباركة، فوقفت خلف ظهره (ﷺ)، فقال بفراسته: ماذا تريد؟، وأراني خاتم النبوة، ولما رأيته خررت على قدمه المباركة وأمنت وأرضاني، وقال: اشترِ نفسك من هذا اليهودي لكنه لم يبع، وفي النهاية ابتاعني بأربعين أوقية من الذهب وثلاثمائة جذر نخلة أزرعه له وأرعاها، فقال النبي (ﷺ): عاونوا أخاكم سلمان، ووزعوا الثلاثمائة جذر نخلة، وزرع بيده المباركة.

فتعهدت عامًا، وبعد ذلك أعطاني النبي (ﷺ) قليلاً من الذهب وقال: امضِ وأعطه لليهودي، فمضيت وأعطيتها إياه، ولما وزنها كانت أربعين أوقية فأخذها وخلصني وأسرعت لخدمة المصطفى (ﷺ)، ووجدته في غزوة "الخندق"، وحضرت جميع غزوات النبي (عليه السلام).

وكان سلمان[١٥] شيخًا عجوزًا في خلافة عمر، ويقال: إنه توفي في خلافة عثمان في المدائن، وحج في سنة ثلاث وعشرين في عهد عمر (رضي الله عنه) وقدم المدينة، وكان له من العمر في ذلك الوقت ستون سنة. وطعنه أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة في فجر يوم الأربعاء الثامن والعشرين من ذي الحجة بالسكين، ولما رأى عمر أن الأمر خرج من يده فغسل يده من روحه، وترك منصب الخلافة بين ستة أشخاص: عثمان، وعلي، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وطلحة، والزبير. وتوفي في غرة المحرم يوم السبت سنة أربع وعشرين، وكانت مدة خلافته عشرة أعوام وثمانية أشهر، وروى عن رسول الله (ﷺ) خمسمائة وسبعة وثلاثين حديثًا. والله أعلم.

عثمان بن عفان :

كان الخليفة الثالث وهو ابن عفان بن أبى العاص بن الأمية الأكبر بن عبد شمس بن عبد مناف جد رسول الله (ﷺ)، ولقب بذى النورين؛ لأنه تزوج بنتين لرسول الله (ﷺ)، وأمه بنت كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس، وكانت كنيته "أبو عبد الله"، اتفق مشاهير الصحابة على خلافته، ووضعوا يد المبايعة فى وسط متابعته، وفوضوا إليه رئاسة الأمة، ولما أصبح خليفة أسند الوزارة إلى مروان بن الحكم، وكان ابن عمه، وعين معاوية بن أبى سفيان بعد أخيه يزيد بن أبى سفيان على الشام، وأرسل الجيوش إلى أطراف الدنيا حتى فتح فى عهد خلافته على يد المسلمين، طبرستان وجبال الديالمة، وأكثر بلاد خراسان وسجستان وكرمان وأذربيجان ومصر، وحدود المغرب، وأكثر بلاد الروم.

وكان له أربعة أبناء: عبد الله وسعيد وعمر وإبان، وكان سعيد قائداً عظيماً، ومضى إلى بلاد ما وراء النهر فى عهد معاوية، واستولى على سمرقند، وهو أول عربى من المسلمين عبر نهر جيحون، وتوفى فى خلافته عبد الله سلمان الفارسى (رضى الله عنه) الذى كان من رامهرمز وعاش طويلاً، ويقال: فى خلافة عمر أو فى بداية خلافة عثمان فى المدائن، وتوفى فى المدينة أبو عبد الرحمن عبد الله بن مسعود بن عاقل بن حبيب بن سمح بن ثار بن محروم بن صاهلة بن كاهل بن الحرث بن تميم بن سعد بن هذيل بن مدركة بن إلياس بن مضر الهزلى حليف بنى زهرة أخو عتبة بن مسعود الكوفى. وأمه أم عبد بنت عبد ود بن سوار بن فرثم بن صاهلة بن كاهل الهزلية، شهد عبد الله بدراً والحديبية وهاجر الهجرتين وصلى القبلتين ودفن فى البقيع، وكان له من العمر ستة وسبعون سنة، وروى عن النبى (ﷺ) ثمانمائة وثمانية وأربعين حديثاً، وفى السنة نفسها توفى أبو ذر الغفارى وجندب بن جنادة بن سفيان بن عتبة بن الرفيعة الحرام بن عفار بن مليك بن ضمرة بن بكر بن عبد مناف بن كنانة بن خزيمة الغفارى، وأمه رملة بنت الرفيعة الغفارية، وروى أبو ذر عن النبى (ﷺ) مائتين وواحداً وثمانين حديثاً.

وفى السنة نفسها توفى فى دمشق أبو الدرداء عويمر بن عامر، ويقال: عويمر بن زيد بن قيس بن عائشة بن أمية بن مالك بن عامر بن عدى بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج الأنصارى، وروى عن الرسول (ﷺ) مائة وتسعة وسبعين حديثًا، وفى سنة ثلاث وثلاثين توفى فى الجرف مقداد بن الأسود بن يقظان، ويقال: مقداد بن عمرو بن ثعلبة الذى كان من اليمن، وهو الأسود بن عبد يغوث بن عبد مناف بن زهرة وكان مخالفًا لأبيه، وقد رباه ولذلك نسب إليه وكان فارس المصطفى (ﷺ) يوم بدر وكنيته "أبا معبد"، وزوجته صباغة بنت زيد بن عبد المطلب بنت عم المصطفى (ﷺ) وحملوه على رقابهم وجاءوا به إلى المدينة ودفنوه، وكان له من العمر سبعون سنة.

وفى نفس السنة توفى أبو عبد الله حذيفة بن اليمانى الذى كان ابن حنبل بن جابر العيسى، ولقب حنبل باليمانى، وتوفى فى المدائن، ويقال: فى الكوفة بعد مقتل عثمان بأربعين يومًا. وتوفى العباس بن عبد المطلب عم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فى المدينة، وله من العمر تسعة وثمانون عامًا، فى عام أربعة وثلاثين، وروى خمسة وثلاثين[١٦] حديثًا عن الرسول (صلى الله عليه وسلم)، وفى نفس السنة توفى أبو طلحة زيد بن سهل بن الأسود بن حزام الأنصارى فى المدينة. وله من العمر سبعون عامًا وكان من رماة جيش المصطفى، وقتل عشرين كافرًا فى غزوة حنين، وكان يقول أثناء المعركة :

شعر

أنا أبو طلحة زيد وكل يوم فى سلاحى كيد

وقال النبى (صلى الله عليه وسلم): "لَصوت أبى طلحة فى الجيش خير من ألف رجل"، وتوفى فى المدينة وكانت زوجته ابنة ملحان أم سليم أم أنس بن مالك.

وفى نفس السنة توفى فى الشام أبو الوليد عبادة بن الصامت بن قيس بن أحزم بن فهر بن ثعلبة بن غيم بن سالم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج السالمى الأنصارى، أخو أوس بن الصامت، وأمه قرة العين بنت عبادة بن نضلة بن سالك بن العجلان الخزرجية، وكان عبادة من النقباء الإثنى عشر، وشارك فى جميع الغزوات، وهو أول شخص ختن فى الإسلام، وتوفى فى الرملة بالشام، وكان يبلغ من العمر اثنين وسبعين عامًا، وروى مائة وواحداً وثمانين حديثًا عن الرسول (صلى الله عليه وسلم).

وفى نهاية الأمر قدم طائفة من عظماء مصر واشتكوا من عاملهم، فتعهد لهم عثمان أن يعزله وأن لن يجعله واليًا عليهم أبدًا، فسر المصريون لذلك وعادوا، وفى وسط الطريق رأوا راكبًا على جمل وكان يمضى مسرعًا من المدينة إلى مصر، فتفحصوا حقيقة حاله، فوجدوا معه رسالة على لسان عثمان مع خاتمه إلى عامل مصر فحواها. حينما تصلك هذه الطائفة وقِّع على عقابهم، وكتب هذه الرسالة مروان بن الحكم.

ولما رأى المصريون ذلك عادوا إلى المدينة فى الحال وقدموا على عثمان، وقالوا: أغدرت بنا ونكثت عهدنا ودمك مباح، فأقسم عثمان ألا خبر له عن هذا، ولم يكتبوا أن الفتنة قد ثارت، ولم يعاون أهل المدينة عثمان بسبب كراهيتهم لمروان حتى يوم الجمعة الثامن عشر من ذى الحجة سنة خمس وثلاثين، وكان عثمان قد وضع المصحف أمامه، واشتغل بتلاوة القرآن، فدخل كنانة بن تجيبى وجرحه، وكان قد بلغ آية ﴿ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ ﴾[١٧]، وبقى أثر هذا الدم على المصحف حتى الآن فى البصرة، وقتلوه، وكانت مدة خلافته عشر سنوات وأحد عشر شهراً وثمانية عشر يومًا، ويبلغ عمره اثنتين وثمانين سنة، وكان توقيعه (آمنت بالله مخلصاً)، ويقال: آمنت بالذى خلق فسوى.

أمير المؤمنين على بن أبى طالب :

كان الخليفة الرابع، وهو على بن أبى طالب بن عبد المطلب جد المصطفى (صلى الله عليه وسلم)، وكانت كنيته "أبا الحسن". وله خمسة ألقاب: أمير المؤمنين والمرتضى والولى والوصى والوزير، ولد يوم الجمعة فى الثالث عشر من رجب سنة ثلاثين من عام الفيل فى حرم الكعبة، ولم يولد من قبله، ولا من بعده أحد فى الكعبة قط، وعاش ثلاثًا وستين سنة، وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف، وكان له عشرون ولدًا وخمس عشرة بنتًا، الأبناء هم: الحسن والحسين ومحسن ومحمد بن الحنفية وعباس وأبو بكر وعمر ومحمد الأوسط ومحمد الأصغر وعثمان الأكبر وعمر الأصغر وجعفر الأكبر وصالح وعبد الله وعبيد الله وعثمان الأصغر وعباس الأصغر وجعفر وعون ويحيى. وكانت فاطمة الزهراء أم الحسن والحسين ومحسن وزينب الصغرى وزينب الكبرى، وأم أبى القاسم محمد كانت خولة بنت جعفر بن قيس الحنفية، وكان عمر ورقية توأمين وأمهم أم حبيبة بنت ربيعة، واستشهد العباس وجعفر وعثمان وعبد الله مع الحسين، وكانت أمهم ليلى بنت مسعود الدرامية، وكانت أم رملة أم السعيد بنت عروة بن سعيد الثقفية، وكانت نفيسة ورقية الصغرى وأم الكرام وحمامة وإمامة وأم سلمة وميمونة وخديجة وفاطمة مع أبناء آخرين من أمهات آخر.

فى ذلك اليوم الذى استشهد فيه عثمان بايع أكثر الصحابة عليًا (كرم الله وجهه)، ولما تربع على عرش الخلافة، دبر مصالح البلاد والعباد على أحسن وجه، فأسند ولاية البصرة إلى عبد الله بن عباس، وأرسل عبيد الله بن عباس أميرًا على اليمن، وعين بن العباس أميرًا على مكة، وفى ذلك الوقت عزل معاوية عن الشام، وأرسل إليه رسالة فى هذا الأمر، فأجاب معاوية قائلاً: من أعطاك هذه الخلافة حتى تعزلنى؟، ومن ذلك قامت الفتنة، وتمردت عائشة وطلحة والزبير واتهموه بقتل عثمان، ومضوا إلى البصرة، وبعد مرور عام على خلافته وكان عام ستة وثلاثين من الهجرة قامت حرب الجمل، وكان ذلك يوم الخميس العاشر من جمادى الآخرة، وقتل من أصحاب الجمل ومن أهل البصرة وغيرهما ثلاثة عشر ألف رجل ومن أصحاب على خمسة الآف، وقتل الزبير وطلحة فى هذه الحرب، وأحضر عائشة إلى المدينة، وقتل أبو عبد الله بن الزبير بن العوام وأمه

صفية بنت عبد المطلب عمة رسول الله (ﷺ)، وكان الزبير في هذا اليوم يبلغ من العمر أربعة وستين عامًا على يد ابن جرموز في وادي التباع في البصرة ودفنوه هناك، وكان طلحة بن صفية الحضرمي، واختلف في عمره، يقول الواقدي: كان عمره أربعة وستين عامًا، ويقال: اثنين وستين عامًا، ويقول أبو اليقظان: ستين عامًا، وروى ثمانية وثلاثين حديثًا عن رسول الله (ﷺ)[١٨]، وفي نفس السنة توفي أبو قتادة بن الحرث بن ربعي بن رافع الأنصاري السلمي، وكان يبلغ من العمر سبعين سنة.

وكانت حرب صفين في العام السابع والثلاثين بين علي ومعاوية، ووقعت بينهما المعارك أربعين مرة، وقتل في مدة مائة يوم وعشرة سبعون ألف رجل من أهل الشام وخمسة وأربعون ألفًا من العراق، ويقال: خمسة وعشرون ألفًا، واستشهد خمسة وعشرون من الصحابة الذين كانوا مع علي.

أبو اليقظان عمار بن ياسر - معروف بابن سمية - وكان عمره ستة وسبعين سنة ويقال: ثلاثًا وتسعين سنة، وهو عمار بن ياسر بن مالك بن كنانة، وقيل عمار بن ياسر بن عامر بن مليك بن عبس، وكان عبس من مذحج اليمن ورهط العنسي الكذاب، وروى عن الرسول (ﷺ) اثنين وستين حديثًا، وتوفي في نفس السنة الخباب بن الأرت، وكان في الثالثة والسبعين من عمره، والتقى الحكمان وهما: عمرو بن العاص وأبو موسى الأشعري بأرض البلقا من حدود دمشق سنة ثمانٍ وثلاثين. وفي نفس السنة توفي في المدينة صهيب بن سنان بن مالك من أبناء نمر بن قاسط، وأمه سلمى من مازن بن تميم، وكان أبوه عامل كسرى أغار عليهم الروم في أرض الموصل، وكان صهيب طفلاً وحملوه أسيرًا، ولما كبر في الروم باعوه، فاشتراه عبد الله بن جدعان وحمله إلى مكة، وكان له من العمر سبعون سنة ودفنوه في البقيع، وفي النهاية قدم عليٌّ للكوفة، ومعاوية الشام وادعى الخلافة.

وكان كاتب أمير المؤمنين سعد بن مروان الهمداني، وكان حاجبه قنبر غلامه، ونقش خاتمه (الملك لله الواحد القهار)، ويقال: نعم القادر الله، واستشهد بعد ذلك في ليلة الجمعة السابع عشر من رمضان سنة أربعين على يد ابن ملجم المرادي، وكانت مدة خلافته أربعة أعوام وتسعة أشهر.

أمير المؤمنين الحسن (رضى الله عنه) :

كان الخليفة الخامس، ولد فى المدينة فى ليلة النصف من رمضان سنة ثلاث من الهجرة، وعاش سبعة وأربعين عامًا، ويقال: خمسة وخمسين، وكان له ستة عشر ابنًا: تسعة أبناء وسبع بنات، والأبناء هم: حسن المثنى وزيد وعمرو وقاسم وعبد الله وعبد الرحمن وحسين الأثرم وطلحة وأبو بكر، وكانت أم حسن المثنى حولة بنت منظور الفزارية وأم زيد والحسن والحسين أم البشير بنت مسعود بن عقبة بن عمرو بن ثعلبة الخزرجية، وكانت أم عمرو وقاسم وعبد الله وعبد الرحمن أم ولد وكانت والدة الحسين وطلحة وفاطمة أم إسحاق بنت طلحة بن عبد الله التميمى، وكان أبو بكر وأم عبد الله وفاطمة الصغرى وأم سلمة ورقية من أمهات أخريات.

وكان لحسن المثنى خمسة أبناء: عبد الله المحض وإبراهيم العمد وحسن المثلث وداود وجعفر، ونقباء البصرة وهم: آل أبى يزيد من نسل جعفر ورضى الدين نقيب النقباء ابن طاوس من نسل داود، ويوجد أبناء حسن المثلث فى مصر والنوبة.

وملوك اليمن من أبناء إبراهيم؛ لأن الخطبة والسكة كانت بأسمائهم مدة مائة وثلاثين عامًا؛ وكان آخرهم المعتضد عبد الله بن المستنصر محمد بن المختار القاسم بن الناصر لدين الله بن الهادى يحيى، وكان صاحب صعدة، وكانت له الخطبة والإمامة فى مكة مدة سبعة أعوام، وهو ابن الحافظ أبى عبد الله حسين بن القاسم الموشى بن الحسن التج، ويدعى من أبنائهم الإمامة، الإمام الناصر وباسمه الخطبة والسكة.

فى حال بلاد اليمن: كان أول سلطان توطد ملكه فى اليمن الملك منصور كرد من أراد بغداد الذى كان قد أرسله الخليفة المستعصم برسالة إلى اليمن، وكان ملك اليمن فى ذلك الوقت أسد الإسلام، ومات فى ذلك الوقت مصادفة ووصل الخبر بأن المغول خربوا بغداد وقتل الخليفة، فوصلت سلطنة اليمن إلى منصور وكان شجاعًا كريمًا إلى أبعد حد، وفوض شئون ملكه أثناء حياته لابنه المظفر، وحكم المظفر ثلاثين عامًا كما أنه فوض أمور ملكه فى حياته لابنه أشرف وكان ملكًا لعام ونصف، وبعد ذلك أفضى الملك إلى أخيه الملك المؤيد، وهو فى ذلك العهد سلطان اليمن، وكان له ولدان: المظفر ومحمد

وأخوين: مسعود ومنصور، وكان بنو معية وهم نقباء الحلة من أبناء حسن التج، وهو ابن إسماعيل الديباج بن إبراهيم العمد والأئمة الزيدية هم: أباء أبى عبد الله محمد بن عبد الله بن الجواد، وحمزة بن النقى، وسليمان بن المنتجب بن حمزة العالم على بن النفس الزكية حمزة بن الإمام الراضى حسين بن الفاضل عبد الرحمن بن يحيى بن عبد الله بن الحافظ أبو عبد الله حسين.

وكان نقباء شيراز وأصفهان ودمشق والعراق العربى من نسل محمد أخى حسين هذا، وحسين بن أبى القاسم الموشى بن الحسن التج. وكان لعبد الله المحض ستة أبناء: موسى الحون وسليمان ومحمد وإبراهيم ويحيى وإدريس بن إدريس، وكان خليفة المغرب فى عهد هارون الرشيد، وأبناؤه ملوك المغرب وجابلقا والأندلس، وكان ملك جابلقا فى إدريس بن المعتكى يحيى بن الناصر لدين الله وأمير قرطبة على بن خمود بن ميمون بن أحمد بن عبد الله بن عمر بن إدريس بن إدريس، وكان ملك البصرة التى كانت فى المغرب الغيور برهون، وكانت عظمته وثراؤه أنهم كانوا يغطون سرج جنيبته بألف دينار، وهو ابن إبراهيم بن محمد بن قاسم بن إدريس.

وكان يحيى صاحب الديلم ونسله بالقرب من المدينة فى المغرب، وإبراهيم بن قبيل إمام من أئمة الزيدية ونسله فى العراق وخراسان وغزنين وما وراء النهر، وكان لمحمد لقب النفس الزكية، وهو إمام من أئمة الزيدية ونسله فى العراق وخراسان، وكان لسليمان ابن يسمى محمد وكان له ولد يسمى إبراهيم، وكان ملك السلف من ولاية البربر ونسله هناك.

وكان لموسى الحون ولدان: عبد الله الثانى وإبراهيم، ولإبراهيم ابن يسمى الأمير يوسف، وأمراء اليمامة فى نواحى العراق والبصرة أبناؤه، وكان لعبد الله ولد يسمى موسى الثانى، وكان له ولدان: إدريس ومحمد، وكان محمد بن عبد الله بن إدريس ملك جهاز؟[19] وذريته تقيم هناك، ولمحمد ولدان: حسين، وعبد الله كان أميراً معتبراً فى البقيع، وأبناؤه أمراء مكة والبقيع والحجاز، وكان القاسم أمير الحرمين ونسله فى الحجاز وهو ابن عمدة الدين هاشم بن نبيه بن أبى هاشم، وكان قاسم أمير مكة شجاعًا مقدامًا لدرجة أن سيفه كان يزن ثمانية منات[20] وكان يقتلع رؤوس الناس

بيده، وكان القاسم بن أبى الفضل محمد بن أبى الفضل جعفر بن أبى هاشم محمد بن عبد الله بن أبى هاشم بن محمد بن حسين، وعضد الدين بن عبد الله وعز الدين بن زيد كانا أميرا مكة فى ذلك الوقت، وهما من نسل عبد الله وهم: أبناء أبو أيمن محمد بن أبى سعد حسن بن على بن قتادة بن إدريس بن مطاعن بن عبد الكريم بن عيسى بن حسين بن سليمان بن على بن عبد الله بن محمد بن موسى الثانى.

وكان لزيد بن الحسن بن على بن أبى طالب ولد يسمى حسينًا، وكان له ولدان: قاسم وإسماعيل، ولقاسم ولدانّ: محمد البطحانى وأبناؤه فى مكة والمدينة وأصفهان والعراق العربى، وكان علاء الدولة صاحب همدان من نسلّهُ، والثانى عبد الرحمن الشجرى وأبناؤه فى أستراباد ويسمونه الشجرى ، وبنو فضائل فى مشهد على من نسله، وكان لإسماعيل ولد يسمى محمداً، وكانوا يسمونه أعين، وله ولدان: أحمد وزيد، ولزيد ولدان: حسن ومحمد. وكان محمد أمير طبرستان وكانوا يلقبونه بالداعى إلى الله، وكان له ولد يسمى زيداً وكان أميراً عظيماً فى بخارى، وكان له ابن يسمى الرضا أبو عبد الله محمد وأبناؤه فى بلاد ما وراء النهر، وتوفى أبو موسى عبد الله بن قيس بن سلم حصار الأشعرى فى الكوفة سنة اثنتين وأربعين، ويقال: سنة ثلاث وأربعين وجاء فى المعجم الكبير للطبرانى سنة خمسين، وكان فى الثالثة والستين من عمره، وروى عن الرسول (ﷺ) ثلاثمائة وستين حديثًا.

ذكر السلامى فى تاريخ ولاة خراسان إنه فى السنة الخمسين من الهجرة الثانى والعشرين من صفر، ويقال: ربيع الأول، أن جعدة بنت أشعث بن قيس الكندرى، وكانت من أهل حرم الحسن بن على قبلت من معاوية ألف دينار لتدس السم للحسن؛ فاستشهد ودفنوه بجوار أمه فاطمة، وكانت مدة خلافته ستة أشهر وثلاثة أيام.

وتوفى فى سنة إحدى وخمسين أبى الأعوار سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، وله من العمر سبعون ونيفًا، وروى عن الرسول (ﷺ) ثمانية وسبعين حديثًا، وفى سنة خمس وخمسين توفى أبو اليسر كعب بن عمرو الأنصارى الخزرجى فى المدينة، وهو آخر من مات من أهل بدر.

أمير المؤمنين الحسين بن على (رضى الله عنهما) :

كانت كنيته "أبا عبد الله"، ولد يوم الثلاثاء، ويقال: الخميس الرابع من شعبان سنة أربع من الهجرة فى المدينة، وعاش ستة وخمسين عامًا وخمسة أشهر وخمسة أيام، وكان له ستة أبناء: أربعة ذكور وابنتان. الأبناء هم: على الأكبر وعلى الأصغر وجعفر وعبد الله، والبنتان هما: سكينة وفاطمة، وكانت أم فاطمة أم إسحاق بنت طلحة بن عبد الله التيمى، وأم عبد الله وسكينة رباب بنت امرئ القيس بن عدى، وكانت أم جعفر قضاعة وأم على الأصغر ليلى بنت أبى مرة بن عروة مسعود الثقفى، وكانت أم على الأكبر شهربانو بنت كسرى بن يزدجرد، واستشهد عبد الله وعلى الأصغر مع أبيهم فى صحراء كربلاء يوم السبت، ويقال: الإثنين، وفى يوم عاشوراء العاشر من المحرم سنة إحدى وستين قتل شمر بن ذى الجوشن بأمر من عمر بن سعد بن أبى وقاص الذى كان أمير جيش والى العراق عبيد الله بن زياد الحسين فى وقت الزوال، وفى تلك الحال أمسك أمير المؤمنين الحسين (رضى الله عنه) السيف فى يده، وكان يتلو هذه الأبيات :

شعر

أنا ابن على الخير من آل هاشم ... كفانى بهذا مفخراً حين أفخر

وجدى رسول الله أكرم من مشى ... ونحن سراج الله فى الحق يزهر

وفاطمة أمى سلالة أحمد ... وعمى يدعى ذو الجناحين جعفر

وفينا كتاب الله أنزل صادقا ... وفينا الهدى والوحى والخير يذكر

ونحن ولاة الحوض نسقى ولاتنا ... بكأس رسول الله ما ليس تذكر

وشيعتنا فى الناس أكرم شيعة ... ومبغضنا يوم القيامة يخسر

الإمام زين العابدين على الأكبر (رضى الله عنه) :

هو أبو محمد، ويقولون: إن كنيته "أبو الحسن"، ولد فى المدينة يوم الخميس، ويقال: الجمعة فى منتصف شهر جمادى الآخرة سنة ثمان وثلاثين، وعاش ستة وخمسين عامًا وستة أشهر وثلاثة أيام، وتوفى يوم السبت السابع عشر من المحرم سنة خمس وتسعين، ودفنوه فى البقيع، وكان له خمسة عشر ولدًا: تسعة أبناء وست بنات.

الأبناء هم: أبو جعفر محمد الباقر وأبو الحسن زيد وعمر الأشرف وعبد الرحمن وسليمان وعبد الله الباهر وعلى وحسن الأصغر وحسين، وأبو الحسن وعمر الأشرف من أم واحدة، وناصر الأكبر الأطروش الذى كان ملك الديلم. وكان ممن بايعوه بالخلافة الحسن بن على بن حسين بن على بن عمر الأشرف، ومحية وسيدة وأم حبيب وحيدة وخديجة الصغرى من أمهات أخر، وكان لأبى الحسن بن الإمام زيد الشهيد ثلاثة أبناء وتنسب إليه الطائفة الزيدية وهم: حسين ومحمد وعيسى، يقول أبو الفضل شرف الدين محمد نسابة هذا العهد: إنه ابن حسين بن عبد المجيد بن محمد بن عبد المجيد بن عبد الله بن النقيب الطاهر أسامة بن أحمد بن على بن محمد بن عمر بن يحيى بن حسين بن أحمد بن عمر بن يحيى بن حسين بن الإمام زيد الشهيد، وكان لعبد الله لقب الباهر ونسله فى قم والرى وشيراز، ولعلى أبناء فى آبه والعراقين والشام وهم معروفين بالأفاطسة، وأمراء المدينة من نسل حسين الأصغر، وكان منصور فى ذلك الوقت أمير المدينة وهو ابن حماد بن شيخه بن قاسم بن مهنا بن حسين بن مهنا بن داود بن قاسم بن عبد الله بن طاهر بن يحيى بن حسن بن جعفر الحجة بن عبد الله الأعرج بن حسن بن زيد العابدين[٢١].

الإمام أبو جعفر بن محمد الباقر (رضى الله عنه) :

أمه أم عبد الله بنت الحسن بن على بن أبى طالب (كرم الله وجهه) ورضى عنهم، ولد فى المدينة يوم الثلاثاء، ويقال: الجمعة فى غرة رجب، ويقال: فى الثالث من صفر سنة سبع وخمسين وعاش سبعة وستين عامًا وأحد عشر شهرًا وتوفى فى عهد هشام

بن عبد الملك في ذى الحجة عام مائة وأربعة عشر، وكان له سبعة أبناء: خمسة أولاد وبنتان، والأبناء هم: أبو عبد الله جعفر وعبد الله وإبراهيم وعبيد الله ورجا، والبنتان: زينب وأم سلمة، وكان على وزينب وأم سلمة من أم واحدة، وأم إبراهيم وعبيد الله ورجا أم حكيم بنت أسيد بن المغيرة الثقفى، وكانت أم جعفر وعبد الله بنت القاسم بن محمد بن أبى بكر.

الإمام أبو عبد الله جعفر الصادق (رضى الله عنه) :

ولد فى المدينة يوم الجمعة وقت طلوع الصبح، ويقال: يوم الاثنين السابع عشر من ربيع الأول سنة ثلاث وثمانين وعاش خمسة وستين عامًا وسبعة أشهر. وفى زمانه سنة اثنتين وثلاثين بعد المائة ظهر أبو مسلم الخراسانى، وأفضت الخلافة إلى العباسيين وتوفى فى المدينة فى عهد أبى جعفر المنصور الخليفة الثانى من خلفاء بنى العباس فى يوم الإثنين منتصف شهر رجب، ويقال: فى شوال سنة ثمانٍ وأربعين ومائة، وكان له عشرة أبناء؛ سبعة أولاد وثلاث بنات، الأبناء: موسى وإسماعيل وإسحاق ومحمد وعباس وعلى وعبد الله، والبنات: أم فروة وأسماء وفاطمة، وكانت أم موسى وإسحاق ومحمد أم ولد حميدة البربرية، وأم إسماعيل وعبد الله وأم فروة فاطمة بنت الحسين بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب، وكان عباس وعلى وأسماء وفاطمة من أمهات أخر.

ذكر الخواجه رشيد الدين الوزير فى جامع التواريخ أن خلفاء الفاطميين أربعة عشر، وحكموا فى مصر، وهم من نسل إسماعيل وكان آخرهم العاضد بالله أبو محمد عبد الله بن الأمير أبو الحجاج يوسف بن الحافظ لدين الله أبو الميمون عبد المجيد بن أبى القاسم محمد بن المستنصر بالله معد أبو تميم بن الظاهر لإعزاز دين الله أبو الحسن على بن الحاكم بأمر الله أبو على منصور بن العزيز بالله أبو منصور نزار بن المعز لدين الله معد أبو تميم، وهو أول من تولى الخلافة فى مصر وعمر القاهرة، وكان ابن المنصور بالله أبو طاهر إسماعيل بن القائم بأمر الله أبو القاسم محمد بن المهدى عبد الله أول الخلفاء الفاطميين فى المغرب، وهو ابن محمد بن الحبيب بن جعفر بن محمد بن إسماعيل.

وذكر الإمام فخر الدين الرازى[٢٢] فى شرح أحوال مذاهب أهل العالم، أن رجلاً قدم من الأهواز يسمى عبد الله بن ميمون القداح لخدمة الإمام جعفر الصادق، وكان فى معظم الأحيان ملحقًا بخدمة ابنه إسماعيل، ولما توفى إسماعيل كان له ولد يسمى محمداً، وكان ملحقًا بخدمته ومضى بصحبته إلى مصر، ومات محمد بن إسماعيل، ولم يكن له ولد إلا جارية حاملاً، وكان لعبد الله بن ميمون جارية حبلى أيضًا، فقتل جارية محمد بن إسماعيل وجعل جاريته بدلاً منها، ولما ولدت هذه الجارية ولداً قال الناس: ولد لمحمد بن إسماعيل ولد ولما كبر علمه الزندقة، وقال للناس: إن الإمامة وصلته من أبيه فمن الواحب عليكم أن تطيعوه، وانضم إلى جانبه جماعة من أعداء الدين من بقية ملوك العجم من المجوس الذين كانت فى قلوبهم عداوة المسلمين، وجاءوا بهذا الخداع وأضلوا به جماعة من الناس، واستولى جماعة من نسلهم على مصر والإسكندرية والمغرب، ونشروا الدعاة لهم فى أنحاء الدنيا، وكان أول ملك منهم المهدى، وبعده القائم، وكان الأمر على هذا حتى أفضى الأمر إلى المستنصر، فمضى إليه الحسن الصباح وأصبح داعية له، وذكر الخواجه نصير الدين الطوسى فى تاريخ الملاحدة، أن إسماعيل توفى قبل جعفر الصادق بخمسة أعوام فى سنة مائة وخمس وأربعين فى قرية عريص على بعد أربعة فراسخ من المدينة وحملوه إلى المدينة ودفنوه فى البقيع.

القرامطة :

كان ظهور القرامطة فى أيام المعتمد خليفة بغداد فى سنة مائتين وثمان وسبعين، وكان أولهم حمدان القرمطى الذى خرج فى سواد الكوفة، وعجز الخلفاء عن صدهم واستولوا على البحرين، ومضوا إلى مكة وقتلوا ونهبوا، وكانوا يملأون بئر زمزم بالقتلى وشطروا الحجر الأسود شطرين، وكان فى حوزتهم مدة خمس وعشرين سنة، وطلبه ملوك الإسلام منهم بمائة ألف دينار لكنهم لم يبيعوه، وبعد خمسة وعشرين عاماً حملوه إلى الكوفة، وطرحوه فى مسجدها، وكتبوا رسالة بهذا قائلين: إننا حطمنا هذا الحجر بأمر وأعدناه بأمر، وحمل أهل الإسلام الحجر إلى مكة ووضعوه فى مكانه.

وفى أثناء فتنة القرامطة، قدم شخص من دعاة الإسماعيلية من أبناء عبد الله بن ميمون القداح الأهوازى إلى ولاية الكوفة، وكان معه ولد، وقال: أنا داعية الإمام وظهوره قرب، وأرسل إلى اليمن من يسمى أبا القاسم حوشب للدعوة، وأرسل الدعاة إلى أطراف البلاد، وعظم شأنه وكان أبو عبد الله الصوفى، ويسمى المحتسب من قبيلة كنانة أرسله أبو القاسم إلى المغرب، ونشر هناك الدعوة، ولما أكتمل أمره واستولى على بعض من بلاد المغرب والقيروان، مضى ذلك الشخص الذى كان من أبناء عبد الله بن ميمون إلى تلك الجهة، وقال: أنا الإمام ومن أبناء إسماعيل بن جعفر وسمى نفسه عبد الله، وابنه القائم بأمر الله محمد، وتولى الإمامة وبايعه المغاربة، وبنى مدينة المهدية فى أرض القيروان فى سنة مائتين وثمانٍ وخمسين، وكان يريد أن يُحقر إيوان الشريعة، فتشكك فى أمره أبو عبد الله الصوفى؛ فقتله المهدى مع أخيه المسمى يوسف.

وكان ظهور المهدى فى سجلماسه من بلاد المغرب واستولى عليها سنة مائتين وست وتسعين، وقهر واستأصل ملوك المغرب بنى الغلب الذين كانوا من قبل الخلفاء العباسيين، واستولوا على بلاد المغرب جميعها، ورووا خبرًا عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وهو: "على رأس الثلاثمائة تطلع الشمس من مغربها"، وقالوا: تأويل هذا الخبر ظهور المهدى، وقالوا: بين المهدى ومحمد بن إسماعيل ثلاثة أئمة مستورين وألقابهم الرضى والوفى والتقى والمهدى بن التقى، وقال مسلمو ولاية المغرب: إن المهدى من أبناء عبد الله بن سلام البصرى، وهو من دعاة هذه الطائفة، وقال أهل بغداد والعراق: من أولاد عبد الله بن ميمون القداح، وكذَّبوا بأجمعهم انتسابه إلى إسماعيل بن جعفر، وفى أيام القادر بالله فى بغداد كتبوا وثيقة، صدق عليها العظماء والسادة والقضاة وعلماء الخطوط، وأثبتوا أن مذهب أولاد المهدى مقدوح، وأنهم كاذبون فى انتسابهم إلى جعفر الصادق (رضى الله عنه)، تأتى نفس الوثيقة عند ذكر الحاكم الذى كان الخامس من أولاد المهدى.

وحكم المهدى مدة ست وعشرين سنة، وتوفى سنة ثلاثمائة واثنتين وعشرين، وخلفه ابنه، وفى عهده ظهر رجل من أهل المغرب يسمى أبا زيد، وكان مسلمًا ورعًا وتحارب مع ابنه القائم وهزم جيشه، وحصره فى المهدية وسماه أتباع القائم الدجال

بسبب أنهم قالوا فى الملاحم: إن الدجال سيثورعلى المهدى، وفى أثناء هذا الصراع والنزاع توفى القائم فى شوال سنة ثلاثمائة وأربع وثلاثين، وخلفه ابنه المنصور إسماعيل بن القائم، وكان رجلاً صاحب رأى وشجاعة، تحارب مع أبى اليزيد، وهزمه وتعقبه وأسره وقتله.

وتوفى المنصور بعد ذلك فى سنة ثلاثمائة وإحدى وأربعين وخلفه ابنه المعز أبو تميم معد، كان رجلاً صاحب رأى، وشجاعًا سعيد الحظ، زاد ملك آبائه وقصد مصر وكان حاكمها فى ذلك الوقت كافور. أرسل المعز غلامه أبا الحسن بن جوهر إلى مصر فى سنة ثلاثمائة وثمانٍ وخمسين؛ ليدعو للمعز، فاستجاب له كافور وجعل الخطبة باسم المعز، وفى نفس العام توفى كافور، وأصبح جوهر الحاكم، وأسس مدينة القاهرة، وانتهى منها فى سنة ثلاثمائة واثنتين وستين، ووصل المعز إلى مصر بجيوش لا حصر لها وأموال وأمتعة فاخرة فى رمضان سنة ثلاثمائة واثنتين وستين، وجعل القاهرة دارًا للملك واستولى على أرض الحجاز، وبسط العدل والإنصاف فى تلك البلاد، وتوفى فى ربيع الآخر سنة ثلاثمائة وخمس وستين، وخلفه ابنه العزيز أبو منصور نزار وتوفى فى سنة ثلاثمائة وسبع وتسعين، وخلفه ابنه الحاكم وانغمس فى الفسق والفجور، واستاء الخلق من أفعاله وأخلاقه السيئة، واتهموا أخته ست الملك بابن وقاص الذى كان أمير الأمراء، واتفقوا مع جماعة على قتله، وقتلوه فجأة، وبايعوا أخاه عليًا، وسموه الظاهر بالله وجعلوه خليفته، وكان قتل الحاكم فى شوال سنة أربعمائة وإحدى عشرة، وتوفى الظاهر فى سنة أربعمائة وسبع وعشرين.

ذكر الميثاق الذى كتبوه فى بطلان نسبهم فى عهد الحاكم :

فى سنة ثلاثمائة وتسع وتسعين قدم معتمد الدولة صاحب الموصل أبو منيع المقلد العقيلى من قبل القادر بالله الخليفة العباسى لمبايعة الحاكم، وجعل الخطبة باسمه، فعلم بهاء الدولة بن عضد الدولة الخبر، فأرسل رسولاً من فارس إلى معتمد الدولة وهدده، فندم معتمد الدولة على فعلته، وجعل الخطبة مرة أخرى باسم القادر بالله،

وأرسلوا هذه الوثيقة من بغداد: "هذا ما شهد به الشهود أن معد بن إسماعيل المستولى على مصر هو معد بن إسماعيل بن عبد الرحمن بن سعيد، وأنهم منتسبون إلى ديصان بن سعد الذى ينتسب إليه الديصانية، وأن سعيد المذكور صار إلى المغرب ويسمى بعبد الله ويلقب بالمهدى، وأن هذا الناجم بمصر وهو منصور الملقب بالحاكم، حكم الله عليه بالبوار والدمار، ابن نزار بن معد بن إسماعيل بن عبد الرحمن بن سعيد، وأن من تقدمه من سلفه الأرجاس الأمحاسن؟[٢٣] أدعياء خوارج لا نسب لهم فى ولد على بن أبى طالب، ولا يتعلقون به، وأن من ادعوا الانتساب إليه باطل وزور، ولم يتوقف من أهل البيوتات الطالبين من إطلاق القول فى هؤلاء أنهم خوارج أدعياء، وأن هذا الإنكار لطالبهم كان شائعًا بالحرمين، وفى أول الأمر فى الغرب ينتشر انتشارًا عظيمًا، وأن هذا الناجم بمصر هو وسلفه كفار فساق وزنادقة ملحدون معطلون وللإسلام جاحدون ولمذهب الثنوية المجوسية معتقدون، عطلوا الحدود وأباحوا الفروج وأحلوا الخمور وسفكوا الدماء وسبوا الأنبياء وادعوا الربوبية، وكتب فى ربيع الأول سنة اثنتين وأربعمائة، وشهد بذلك من العلويين الشرفاء: الشريفان المرتضى والرضا الموسويان، وجماعة منهم، وشهد من الفقهاء المعتبرين الشيخ أبو حامد الإسفراييني، وأبو الحسن القدورى، وقاضى القضاة أبو محمد بن الأماى، وأبو عبد الله البيضاوى". وقرأوا هذا المحضر فى بغداد، ومدن أخرى على المنابر.

ولما أدركت الوفاة الظاهر كان ابنه أبو تميم معد فى السابعة من عمره فجعلوه يخلفه ولقبوه بالمستنصر، وكان معروفًا بالجنون والخبل ودامت خلافته ستين عامًا، وكان له ولدان: أولهما يسمى أبا منصور نزار وجعله ولى عهده ولقبه بالمصطفى لدين الله وبعد ذلك خلعه وجعل ابنه الآخر أبو القاسم وليًا للعهد ولقبه المستعلى بالله، وانقسم الأئمة والأعيان طائفتين بعد المنتصر: وقال بعضهم بإمارة نزار آخذين بالنص الأول ومنهم إسماعيلية الشام والعراق وقومس ويعرفون بالنزارية، وقال الجماعة الأخرى بإمامة المستعلى وهم إسماعيليو مصر وتلك الديار ويسمون المستعليين.

الحسن الصباح: دعا لدعوته فى أيام المستنصر فى ولاية الديلم، ولهذا السبب أطلق على طائفة النزارية أنهم ملاحدة؛ لأنهم انصرفوا عن الشرع المحمدى[٢٤]

وأباحوا ما حرم الله أخذًا بدعوة الحسن الصباح، قال تعالى: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾(٢٥).

أما طائفة المستعليين فلم ينصرفوا عن ظاهر الشرع، وتابعوا سير أجدادهم، وتابع الأجناد وأهالى مصر المستعلى وجعلوه خليفة، وهرب نزار مع ولديه من المستعلى ومضى إلى الإسكندرية، فأرسل المستعلى جيشًا حتى اعتقله مع ولديه، وجاء بهم إلى مصر، وتوفوا فى الحبس بالقاهرة، وتقول طائفة النزارية: بقى لهم واحد كان له اسم الإمامة على مذهبهم فى الإسكندرية، ولم يغلبه أحد، والآن انتساب وانتماء إسماعيلية الموت إليه.

وتوفى المستعلى فى سنة أربع عشرة وخمسمائة، وخلفه ابنه أبو على منصور، وقد قتلته جماعة من النزارية فى ذى القعدة سنة أربع وعشرين وخمسمائة ولم يكن له ولد، وكان قد جعل ولاية العهد لابن عمه أبى الميمون عبد المجيد بن محمد فخلفه ولقبوه بالحافظ لدين الله، ودامت خلافته عشرين عامًا.

وبعده خلفه أبو منصور إسماعيل، وكان لقبه الظاهر لدين الله، وقتله عباس بن تميم الذى كان وزيره، وجعل الخلافة لابنه أبى القاسم عيسى، وكان فى الخامسة من عمره، وتلقب بالفائز بالله، وتوفى بعد ستة أعوام، وخلفه ابن عمه أبو محمد عبد الله بن يوسف، وكان لقبه العاضد بالله، حتى ذلك الوقت الذى استولى فيه آل أيوب شيركوه وصلاح الدين على مصر وبلاده، وفى أول جمعة من المحرم سنة خمسمائة وست وستين قرأوا الخطبة باسم المستنجد خليفة بغداد، وتوفى العاضد يوم عاشوراء وقطعوا نسله. والله أعلم.

وكان فى دمشق أقوام يعرفون ببنى الطيارة وبنى الشيبة من نسل محمد الديباج وبايعوه بالخلافة فى مكة واليمن، ولقبوه بأمير المؤمنين المأمون، ويقيم نسله فى مصر والشام والمغرب والعراق وجرجان، وكان على العريض رجلاً فقيهًا زاهدًا، وتقيم ذريته فى العراق وخراسان وما وراء النهر.

الإمام أبو إبراهيم موسى الكاظم (رضى الله عنه) :

ولد يوم الأحد ويقـولون: يوم الثـلاثاء الثامن من صفر سنة ثمانٍ وعشرين ومائة فى أبواء، وهو موضع بين مكة والمدينة، وعاش إحدى وخمسين سنة وخمسة شهور وسبعة عشر يومًا، وتوفى فى عهد هارون الرشيد فى يوم الجمعة الخامس والعشرين من رجب سنة مائة وثلاثٍ وثمانين فى بغداد، وكان له سبعة وثلاثون ولدًا: ثمانية عشر من الذكور وتسع عشرة من الإناث. الأبناء هم: على وإبراهيم وعباس وقاسم وإسماعيل وجعفر وهارون وحسن وأحمد ومحمد وحمزة عبد الله وإسحاق وعبيد الله وزيد وحسن الأصغر وفضل وسليمان، والبنات: فاطمة الصغرى ورقية وحكيمة ورقية الصغرى وأم ابنها كلثوم وأم جعفر ولبابة وزينب وخديجة وعلية وآمنة وحسنة وبريهة وعائشة وأم سلمة وميمونة وأم كلثوم، وكما يقال لإبراهيم الجزار بسبب أنه أراق كثيرًا من الدماء وكانوا يسمون زيدًا زيد النار؛ لأنه حينما كان له ملك البصرة أحرق بيوت العباسيين، وذريته فى قيروان المغرب وشيراز ويقيم جميع إخوته وأبنائه فى مصر والمدينة والموصل وبغداد والعراق العجمى وشيراز والأهواز ودمغان وخراسان.

الإمام أبو الحسن على الرضا (رضى الله عنه) :

كانت أمه تسمى الخيزران المريسه؟(٢٦) ، ولد يوم الجمعة، ويقال: يوم الخميس الحادى عشر من ذى القعدة سنة مائة وثمانٍ وأربعين، وكان له ولد يسمى محمد الجواد، دعاه الخليفة المأمون إلى الخلافة فأبى، فأمر المأمون بأن يجعلوا السكة والخطبة باسمه، وبعث للمأمون قائلاً : لما الإصرار على هذا؟(٢٧) طبق ما جاء فى كتاب الجامعة والجفر الذى كتبه جدى؛ فالخلافة لا تصل إلى، ولم يقبل، وتوفى فى عهد المأمون فى سنة مائتين وثلاثٍ، وكانت مدة عمره خمسة وخمسين عامًا، قال: ادفنونى فى بيتى، واحفروا عدة أذرع حتى يطلع الماء والسمك، ففعلوا وهذا الموضوع فى طوس.

الإمام أبو جعفر محمد الجواد (رضى الله عنه) :

كانت أمه تسمى ولد؟[٢٨]، ويقال: إنها أم سكينة المرسية، ولد ليلة الجمعة التاسع عشر من رمضان سنة مائة وخمس وتسعين، وكانت مدة عمره خمسة وعشرين عامًا وثلاثة أشهر، توفى فى بغداد فى خلافة المستعصم فى شهر ذى الحجة سنة مائتين وعشرين، وكان له ولدان: أبو الحسن على وموسى، ويقال لأبناء موسى: الرضوية ويقيمون فى قم.

الإمام الهادى أبو الحسن على (رضى الله عنه) :

كان يتلقب بالنقى والعسكرى وأمه سمانه، ولد يوم الثلاثاء الثانى من رجب، ويقال: فى منتصف ذى الحجة سنة مائتين واثنتى عشرة، وعاش واحدًا وأربعين عامًا وسبعة أشهر، وتوفى فى عصر المعتز يوم الإثنين الثالث من رجب سنة مائتين وأربع وخمسين، وكان له خمسة أبناء هم: حسن والعسكرى وحسين ومحمد وجعفر الذى كان له لقب الكرين، ويسميه أهل الشيعة الكذاب بسبب أنه ادعى الإمامة، ويسمونه الكرين؛ لأنه كان له مائة وعشرون ابنًا، وتعيش ذريته فى مصر والمدينة ودمشق والعراق.

الإمام أبو محمد حسن العسكرى (رضى الله عنه) :

كانت أمه أم ولد[٢٩]، وله اسم عسفان، ولد فى المدينة يوم الجمعة الثامن من ربيع الأول، ويقال: فى ربيع الآخر سنة مائتين واثنتين وثلاثين، وعاش ثمانية وعشرين عامًا، وتوفى يوم الجمعة الثامن من ربيع الأول سنة مائتين وستين فى سُر مَن رَأى، ودفنوه بجانب أبيه فى منزله، وكان له ولد.

الإمام أبو القاسم محمد المهدى (صاحب الزمان) :

كانت أمه أم ولد، واسمها نرجس بنت يشوعا بن القيصر ملك الروم، ولد فى سر من رأى قبل طلوع الفجر ليلة النصف من شعبان سنة مائتين وخمس وخمسين، وأخفوه عن الأعداء أربعة وسبعين عامًا، واختفى بعد ذلك، وفى اعتقاد الشيعة الإثنى عشرية أنه مازال حيًا إلى اليوم، وأنه سوف يظهر، ومما يروى عن الرسول (صلى الله عليه وسلم) أنه قال: لو لم يبق من الدهر إلا يوم لبعث الله رجلاً من أهل بيتى يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جورًا(٣٠).

محمد بن حنفية (رضى الله عنه) :

كان له ثلاثة أبناء: أبو هاشم وعلى وجعفر الذى كان له ولد يسمي عبد الله، وكان لعلى ابن يسمى عونًا، وأبو هاشم هو الذى بشر العباسيين بالخلافة، وأخذوا منه كتاب الوصايا لأمير المؤمنين على (كرم الله وجهه)، وولد أبو القاسم محمد بن حنفية بعد الهجرة بستة عشر عامًا فى المدينة، وعاش خمسة وستين عامًا، وتوفى فى المدينة فى عهد عبد الملك بن مروان، وصلى عليه أبان بن عثمان بإذن من ابنه أبى هاشم، وتقيم ذريته فى شيراز، ومنهم الأمير عبد الله الشيرازى الذى توفى فى شيراز سنة أربعمائة وتسعين.

وكان لعمر ابن أمير المؤمنين على (كرم الله وجهه) ابن يسمى محمداً، وكان له أربعة أبناء: عبيد الله صاحب مشهد وتقيم ذريته فى بغداد، وجعفر الأغله وتقيم ذريته فى العراق العجمي، وعمر وتقيم ذريته فى العراق العربى، وعبد الله وكان له ثلاثة أبناء: يحيى وأحمد ومحمد، ويجاور أبناء يحيى مقبرة أمير المؤمنين الحسين ويعرفون ببنى الصرفة، وتقيم ذرية أحمد فى العراق العربى والشام، وكان لمحمد ولدان: القاسم ويلقب بملك الجليل، وكان ملك طالقان، وكان له ولد يسمى محمداً خلف أباه. وجعفر، وكان له لقب المؤيد من السماء، وكان ملك المولتان فى بلاد السند، وله خمسون ولداً وذريته تعيش

في السند والهند والعراقين والشام وديار بكر وفارس وكرمان، ومن أبنائه: عبد المجيد بن جعفر مـلك بجه في الهـنـد، وأخوه عبد الجبار الذى كان ملك الجليـل ملك بست في ولاية سجستان.

أبو الفضل عباس: ابن أمير المؤمنين على (عليه السلام)، وسموه السقاء بسبب أنه عندما كان أمير المؤمنين الحسين يحـارب في صحراء كربـلاء منعوا عنه الماء، فمضى أبو الفضل وحمل قربة من الماء؛ فالتف حوله الأعداء بسيوفهم فضم تلك القربة إلى صدره وأمسك السيف بيده الأخرى، حتى أوصل الماء إلى أمير المؤمنين الحسين، وكان له ولد يسمى عبد الله، وآخر يسمى حسنًا، وكان لحسن خمسة أبناء: عبيد الله وعباس وحمزة وإبراهيم وفضل، كان عبد الله أمير الحرمين وقاضي مكة وهو أول شخص من أبناء أبي طالب حكم مكة والمدينة في زمان بني العباس، وعبد الله وأبناؤه يقيمون في مكة والمدينة واليمن والكوفة ومشهد كاظم ومشهد الحسين، ويقيم أبناء حمزة في طبرستـان ومرو وهـراة، وكـان لإبراهيم ولد يسمى عليًا الأعرج وأبنـاؤه في مصر، وللفضل كذلك أبناء يقيمون في مصر.

الطبقة الثانية

أمراء بنى أمية وهم أربعة عشر
ومدة إمارتهم إحدى وتسعون سنة وشهر
واثنتان وعشرون يومًا

معاوية بن أبى سفيان: أول خلفاء بنى أمية وهو ابن صخر بن حرب بن أمية الأكبر بن عبد شمس بن عبد مناف، وكنيته "أبو عبد الرحمن"، وأمه هند بنت عتبة بن عبد شمس.

جلس على عرش الخلافة فى الشام فى ربيع الأول سنة أربعين، وكان مجال قلمه وسيفه من بداية مزارع نهر النيل حتى سواحل جيحون، ثم أرسل الولاة إلى أطراف العراق وخراسان، وتوفى أبو موسى الأشعرى وهو عبد الله بن قيس بن سليم بن حصار الأشعرى اليمانى، وأمه طيبة بنت وهب العلية فى قرية بالقرب من الكوفة سنة اثنتين وأربعين، ويقال: اثنتين وخمسين، وعاش أكثر من ستين عامًا، وروى ثلاثمائة وستين حديثًا عن الرسول (ﷺ)، وتوفى رفاعة بن رافع الزرقى الأنصارى، وكان يسمى ابن غفرا فى سنة إحدى وأربعين، وروى أربعة وعشرين حديثًا عن الرسول (ﷺ)، وتوفى زيد بن ثابت وكان له من العمر ست وخمسون سنة، سنة اثنتين وأربعين وروى اثنين وتسعين حديثًا عن الرسول (ﷺ).

وتوفى فى نفس السنة أبو مسعود عتبة بن عمرو بن ثعلبة بن البدوى ساكن الكوفة، وأبو وهب صفوان بن أمية بن خلف الجمحى، وابن هنيد وابل بن حجر الكندى الحضرمى، وكان ملك حضرموت، وروى سبعة عشر حديثًا عن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم).

وتوفى فى مصر فى سنة ثلاث وأربعين، وكان له من العمر ثلاثة وتسعون عامًا.
وتوفى عمرو بن العاص بن وابل بن هشام بن سعيد بن سهم بن عمرو بن مصيص بن كعب بن لؤى القرشى السهمى، وكنيته "أبو عبد الله"، وأمه النابغة بنت خرنملة، وكان هشام بن العاص أخاه من أبيه، وله شقيقان من أمه هما: عمرو بن أثاثة العدوى، وعقبة بن نافع بن عبد قيس الفهرى، ودام حكمه فى مصر عشرة أعوام وأربعة أشهر، وروى تسعة وثلاثين حديثًا عن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم). وتوفى فى نفس السنة محمد بن مسلمة بن خالد البدرى الأنصارى فى المدينة، وكان له من العمر سبعة وسبعون سنة، وتوفى أبو يوسف عبد الله بن سلام الخزرجى فى سنة أربع وأربعين وروى خمسة وعشرين حديثًا عن النبى (صلى الله عليه وسلم)، وتوفى أبو سعيد زيد بن ثابت بن الضحاك الأنصارى، وتوفى أبو عبيد الله المغيرة بن شعبة بن أبى عامر بن مسعود بن معتب بن مالك بن عمرو بن سعد بن عوف بن قيس بن منبه، وكان حاكمًا للبصرة والكوفة فى سنة خمسين، وكان فى السبعين من عمره وروى عن النبى (صلى الله عليه وسلم) مائة وستة وثلاثين حديثًا.

وفى سنة إحدى وخمسين توفى أبو أيوب الأنصارى، وهو خالد بن زيد بن كليب بن ثعلبة بن عوف بن غنم بن مالك بن النجار البدوى، وكان قد مضى فى غزوة الرافدة إلى القسطنطينية مع يزيد بن معاوية، وتوفى فى نفس العام أبو عمرو جرير بن عبد الله بن جابر البجلى، وتوفى أبو نجيد عمران بن حصين بن عبيد بن خلف بن سهم بن سالم بن عاصرة بن سلول بن حبشة بن سلول بن كعب بن عمرو الخزاعى الكلبى فى البصرة سنة اثنتين وخمسين، وكان من فضلاء الصحابة. وتوفى أبو محمد كعب بن عجرة الأنصارى، وكان فى السابعة والسبعين من عمره وروى أربعة أحاديث عن النبى (ﷺ)، وتوفى فى سنة ثلاث وخمسين أبو عبد الله كعب بن مالك بن أبى كعب الأنصارى السلمى، وله من العمر سبعة وسبعون عامًا، وتوفى أبو محمد فضالة بن عبيد الله بن نافذ بن قيس بن صهيب بن أحرم بن كلفة بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن أوس الأنصارى فى دمشق سنة ثلاث وخمسين، ويقال: تسع وخمسين، وروى خمسين حديثًا عن النبى (صلى الله عليه وسلم)، وتوفى أبو عبد الرحمن بن مستو بن محرم بن نوفل

فى سنة أربع وخمسين وكان عمره مائة وخمسة عشر عامًا، وفى السنة نفسها توفى أبو خالد حكيم بن حزام، وكان عمره مائة وعشرين عامًا، وفى سنة خمس وخمسين أسند معاوية لسعيد ابن أمير المؤمنين عثمان إمارة خراسان، وقاد الأمير سعيد الجيش إلى ما وراء النهر وسغد وسمرقند وفتحت على يديه.

وفى السنة نفسها توفى أبو إسحاق بن سعد بن أبى وقاص مالك بن أهيب بن عبد مناف زهرة بن كلاب بن مرة، وكان سنه يزيد عن السبعين، وأمه جفنة بنت سفيان بن أمية بن عبد شمس، وهو أول من أراق فى الإسلام دمَ كافرٍ، وقال للرسول: فداك أبى وأمى، ولم يقل ذلك لأحد من قبله. وفى سنة سبع وخمسين توفى أبو هريرة بن عبد الله بن عمرو، ويقال: عمير بن عامر الدوسى فى المدينة، وكان فى الثامنة والسبعين من عمره وروى خمسة آلاف وثلاثمائة وأربعة وسبعين حديثًا عن المصطفى (ﷺ)، وتوفى فى نفس السنة أبو محمد بن مطعم ورافع بن خديج فى يوم واحد.

قال محمد بن عطية: ذكر أحد الناس ذات يوم فى مجلس معاوية أمير المؤمنين عليًا (كرم الله وجهه)، فقال معاوية: كان علىٌّ والله كالليث إذا عدا، وكالبدر إذا بدا، وكالقطر إذا غدا، فقال الحضور: أيهما أفضل أنت أم على؟، قال: خطوة من ابن أبى طالب خير من آل سفيان، فقالوا: الحق معك أم مع على؟، قال: مع على، قالوا: لماذا حاربته؟ قال: الملك عقيم، وكل من يطلبه لا رحم بينه وبين أحد، وكان مولده فى مكة وعاش اثنتين وثمانين سنة، وكاتبه عبيد بن أوس، وحاجبه صفوان، وغلامه ابن أيوب، وخاتمه (لكل عمل ثواب فأحسن ما استطعت)، وهو أول من أجرى عادة إعطاء شخص واحد ألف ألف درهم، وكان يهب فى كل عام ألف ألف درهم لأمير المؤمنين الحسن، وكذلك للحسين وعبد الله بن عباس، ولما توفى معاوية وخلفه يزيد، مضى إليه عبد الله بن عباس، وقال: كان أبوك يعطينى فى السنة ألف ألف درهم وألتمس منك أن تصنع هذا، فقال يزيد: لقد أجريته ووهبت ألف ألف درهم آخر، فقال عبد الله: إن غرضى من الالتماس ليس طلب أكثر من هذا، قال: وهبت ألف ألف أخرى، وأعطاه فى نفس اليوم ثلاث مرات فى كل مرة ألف ألف درهم، وتوفى معاوية فى دمشق يوم الخميس الثانى والعشرين من رجب سنة تسع وخمسين، وكان فى الثانية والثمانين من عمره، ومدة خلافته تسعة عشر عامًا وثمانية أشهر ونصف.

وتوفى فى سنة ستين أبو عبد الرحمن بلال بن الحرث المزنى، وكان فى الحادية والثمانين من عمره، وأبو سعيد بن سمرة بن جندب وروى عن النبى (صلى الله عليه وسلم) مائة وثلاثة وعشرين حديثًا، وتوفى أبو حامد عتبة بن العامر الجهنى والى مصر، وروى خمسة وخمسين حديثًا عن النبى (صلى الله عليه وسلم)، وتوفى أبو زياد عبد الله بن مغفل المزنى فى سنة سبعٍ وخمسين، ويقال: إحدى وستين.

أبو حامد يزيد بن معاوية: أمه قيسون بنت بخدك بن آسف الكلبى، كان ولى عهد أبيه وخلفه، وفى عهده أصبح عبد الله بن الزبير خليفة فى الحجاز، وبايعه كل العراقيين بعد يزيد حتى عهد الملك بن مروان، وقتل أبو دجانة السماك بن خرشة الأنصارى فى همدان سنة ستين، وكف بصر أبو سيد مالك بن ربيعة الساعدى ومات، وكانت مدة عمره ثمانية وسبعين سنة، وتوفى أبو عبد الله بريدة بن الحصيب الأسلمى فى مرو سنة اثنتين وستين، وتوفى عبد الله بن عمر بن الخطاب فى مكة سنة ثلاثٍ وستين.

يقول نافع: لم يمت عبد الله بن عمر قبل أن يعتق ألف عبد، وتصدق فى مجلس بثلاثين ألف درهم، وكان آخر الصحابة الذين توفوا فى مكة، وروى ألفين وستمائة وثلاثين حديثًا عن النبى (صلى الله عليه وسلم).

وكان كاتب يزيد كاتب أبيه حاجب بن صفوان، عاش ثلاثة وثلاثين عامًا، ويقولون: ثمانية وثلاثين وسبعة أشهر وخمسة أيام، وتوفى فى حوراين من أرض دمشق فى السابع من صفر سنة أربع وستين، وكانت مدة إمارته ثلاث سنوات وستة أشهر واثنين وعشرين يومًا، وتوفى فى عصره جابر بن عتبك الأنصارى، وكان فى الحادية والسبعين من عمره.

أبو ليلى معاوية بن يزيد: أمه هاشم خلدة بنت ربيعة وكاتبه زياد بن مسلم، وحاجبه غياث ونقش خاتمه (إنما الدنيا غرور)، وهو رجل عابد زاهد راسخ الاعتقاد يخاف الله، ولما أصبح خليفة ومضى على خلافته أربعون يومًا، خطب فى يوم الجمعة وقال أثناء الخطبة: أيها القوم، إذا كان فى خلافتنا خير فقد صنعه آل أبى سفيان، ولو كان فيها شر، فأنا أكره هذا ولا أصر على الذنب، وقد عزلت نفسى وخرجت من هذا العمل،

ولو كنت على حق فى هذا - وأعرف أنى لم أكن فقد سئمت هذا العمل، وعليكم أن تختاروا من ترونه جديراً بهذا، قال هذا ونزل من على المنبر، ومضى إلى بيته واشتغل بالعبادة، ويقولون: إنه لم يعش بعد هذا الحادث أكثر من أربعين يومًا، وفى الساعة التى خلع فيها نفسه، وقف مروان بن الحكم فى وسط الجامع، وسل سيفه، وأنشد هذا البيت:

إنى أرى فتنة يغلى مراجلها والملك بعد أبى ليلى لمن غلبا

ومات أبو ليلى وهو فى الثالثة والعشرين، ودفنوه فى دمشق وصلى عليه الوليد بن عتبة بن أبى سفيان، ورشقوه بسهم وهو فى التكبيرة الثانية وقتلوه.

مروان بن الحكم بن أبى العاص بن أمية الأكبر: كانت أمه أيمنة بنت علقمة بن صفوان وكان حاجبه غلامه مزاحم، ونقش خاتمه (يؤمن بالله)، وبايعوه فى جمادى الأولى سنة أربعٍ وستين وعاش ثلاثة وستين عامًا، وحفظ الشام من عبد الله بن الزبير، وقتل أبا سعيد الضحاك بن قيس بن خالد بن وهب بن ثعلبة بن وائلة بن عمرو بن شيبان بن محارب بن فهر، وكان قد تزوج زوجة يزيد، ودست له زوجته السم، وقتلته فى صفر سنة خمس وستين، وكان له أربعة أبناء: عبد الله ومحمد وبشر وعبد العزيز، وكانت مدة إمارته تسعة أشهر.

وتوفى أبو عبد الرحمن بن عمرو بن العاص بن وابل بن هشام بن سعيد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب القرشى التهمى فى مصر، وكان فى الثانية والسبعين من عمره، وتوفى أبو المنذر سليمان بن صرد الخزاعى فى نفس السنة، وروى خمسة وعشرين حديثًا عن النبى (ﷺ)، وتوفى أبو عمرو زيد بن الأرقم الأنصارى فى سنة خمس وستين، ويقال: ثمانٍ وستين وروى سبعين حديثًا عن النبى (ﷺ).

وتوفى عبد الله بن عباس بن عبد المطلب فى سنة ثمانٍ وستين فى الطائف وكان فى السبعين من عمره، وروى ألفًا وستمائة وستين حديثًا عن رسول الله (ﷺ).

أبو الوليد عبد الملك بن مروان: كانوا يسمونه أبا الذباب؛ لأنه كان سيء رائحة الفم لدرجة أن الذباب كان إذا اقترب من فمه سقط، وكانوا يلقبونه رشح الحجر لشدة شحه، وخلف أباه بناء على وصيته، وأمه عائشة بنت المغيرة بن أبى العباس، وكاتبه حفص بن دويب، وحاجبه غلامه، ونقش خاتمه (آمنت بالله مخلصًا)، وكان له خمسة أبناء: الوليد وسليمان ويزيد وهشام ومسلمة.

ولما تربع على عرش الخلافة كان مصعب بن الزبير أمير العراق فثار عليه، وحاربه عبد الملك وقتله فى يوم الثلاثاء الثالث عشر من جمادى الأولى سنة اثنتين وتسعين، وتوفى أبو عمارة، وقيل: أبو الطفيل البراء بن عازب بن الحارث بن عدى بن جشم بن خدعة بن حارثة بن الحارث بن عمرو بن مالك بن أوس الأنصارى الحارثى فى عهد مصعب بن الزبير سنة إحدى وسبعين. وفتح الرى فى سنة أربعٍ وعشرين، وروى عن النبى (صلى الله عليه وسلم) ثلاثمائة وخمسة أحاديث، وتوفى وائل بن الأسقع بن عبد العزيز الليثى المقدسى، وهو من أهل الصفة فى البصرة سنة ثلاثٍ وسبعين ويقال: خمس وسبعين، وكان فى الثامنة والتسعين من عمره، ويقال: مائة وخمسين عامًا، وتوفى أبو خالد ويقال: أبو عبد الله جابر بن سمرة بن جنادة بن حجير بن رباب بن حبيب ثوابة بن عامر فى الكوفة سنة أربعٍ وسبعين، وأمه خالدة بنت أبى وقاص أخت سعد بن أبى وقاص.

وتوفى أبو سعيد سعد بن مالك بن سنان بن عبيد بن ثعلبة بن عبيد بن خضرة، واسم خضرة أبحر بن عوف بن مالك بن الحارث بن الخزرج الخضرى اليمنى فى نفس السنة، وهو أخو أم قتادة بن النعمان الذى كان من رماة الصحابة، وروى ألفًا ومائة وسبعين حديثًا عن المصطفى (ﷺ).

وتوفى أبو نجيح العرباض بن سارية السلمى، وهو من أهل الصفة، وكان يسكن فى الشام فى سنة خمسٍ وسبعين، وتوفى سلمة بن الأكوع السلمى، وهو فى الثمانين من عمره فى سنة أربعٍ وسبعين، وروى سبعة وثمانين حديثًا عن النبى (ﷺ). وكان له ثلاثة أبناء: عبد الرحمن وسعيد وبشير، وكانت كنيته "عبد الرحمن أبا محمد"، وتوفى فى المدينة سنة مائة واثنتا عشرة.

وتوفى أبو عبد الله رافع بن خديج، وكان فى الثمانين من عمره، وروى ثمانية وسبعين حديثًا عن النبى (ﷺ)، وأرسل عبد الملك الحجاج بن يوسف؛ لمحاربة عبد الله بن الزبير، وقتله وصلبه يوم الثلاثاء الرابع عشر من جمادى الأولى سنة ثلاثٍ وتسعين، وبعد ذلك أرسل الحجاج إلى العراق، وأخاه محمد إلى فارس، وهو الذى عمر مدينة شيراز فى سنة أربعٍ وسبعين، وأرسل ابنه مسلمة إلى الروم حتى فتح القسطنطينية، وأرسل موسى بن نصير إلى بلاد المغرب حتى استولى على بلاد الأندلس وأقام هناك، وتوفى أبو العباس فى عهده بالطائف، وكان فى السبعين من عمره، يقول الواقدى: كان فى الثانية والسبعين وكف بصره وصلى عليه محمد بن حنفية، وتوفى الحارث الأعور صاحب علىٍّ (ﷺ) فى سنة ستٍ وسبعين، وقتل عمر بن سعيد بن العاص سنة سبعين.

يقول أبو مسلم النجفى: رأيت ذات يوم فى الكوفة فى قصر يسمى دار الإمارة رأس الحسين بن علىٍّ فى طست أمام عبد الله بن زياد، وبعد ذلك رأيت رأس عبيد الله بن زياد فى طست فى نفس الموضع أمام المختار، وبعد ذلك رأيت رأس المختار فى ذلك الموضع أمام مصعب، وبعد ذلك رأيت رأس مصعب فى نفس الموضع أمام عبد الملك، فحكيت له، فخاف عبد الملك، وأمر بتخريب هذا القصر.

وتوفى النخعى فى زمانه سنة ثمانٍ وسبعين فى المدينة، وذهب بصره فى آخر أيامه، وعمره يزيد على السبعين، وكان مولد عبد الله بن جعفر الطيار فى الحبشة سنة ثمانين، وتوفى فى الثانية والسبعين، وتوفى محمد بن حنفية سنة إحدى وثمانين فى المدينة، وتوفى عبد الملك فى سنة ستٍ وثمانين، وصلى عليه أبان بن عثمان بإذن القرشى بن أبى هاشم، وكان فى الخامسة والستين من عمره، وكانت مدة إمارته إحدى وعشرين سنة، وفى نفس السنة توفى أبو أمامة الصدى بن عجلان الباهلى، وكان له من العمر إحدى وتسعون سنة، وروى مائتين وخمسين حديثًا عن النبى (ﷺ).

وتوفى أبو عبد الله جابر بن عبد الله بن عمرو بن حزام بن كعب، ويقولون: حزام بن ثعلبة بن حزام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة الأنصارى العقبى فى المدينة سنة

ثمانٍ وسبعين، وأمه سنية بنت عقبة بن عدى بن سنان بن مالى بن زيد بن حام بن كعب بن غنم، وكان عمره أربعًا وتسعين عامًا، وكان من صحابة جابر بن عبد الله بن رباب وجابر بن عبد الله بن عمر، الذى روى ألفًا وخمسمائة وأربعين حديثًا عن النبى (صلى الله عليه وسلم).

الوليد بن عبد الملك: بايعوه فى السادس من شهر شوال سنة ستٍ وثمانين، وأمه مارية بنت أبى العباس، وكاتبه القعقاع بن خليل وحاجبه غلامه صور، وخاتمه (إنك ميت وإنهم ميتون)[٣١]، وكان ظالمًا وفتحوا فى أيامه معظم بلاد ما وراء النهر، وهو الذى بنى جامع دمشق، وتوفى أبو صالح مقدام بن معدى كرب وكان له من العمر واحد وتسعون عامًا فى سنة سبعٍ وثمانين، وتوفى أبو صفوان عبد الله بن بسر المازنى، وكان فى الرابعة والتسعين فى سنة ثمانٍ وثمانين، وتوفى أنس بن مالك بن النصر بن صمصم بن زيد بن حرام بن جندب بن عامر بن غنم بن عدى بن النجار وهو زيد اللات، وفى المعارف تيم اللات، ابن ثعلبة بن مارن بن عبد الله بن الأزد بن عوف بن بيت بن مالك بن زيد بن كهلان الأنصارى، خادم رسول الله (صلى الله عليه وسلم وأهله) فى البصرة، وكان يبلغ من العمر مائة وسبعين عامًا، وروى ألفين ومائتين وثمانين حديثًا عن النبى (عليه السلام)، وقتل الحجاج بن يوسف سعيد بن جبير فى سنة أربعٍ وتسعين.

قال المسعودى: ذكر عون عن أبى راشد العبدى، قال: لما ظفر الحجاج بسعيد بن جبير، ووصل إليه فقال له: ما اسمك؟، قال: سعيد بن جبير، قال: شقى بن كسير، قال: أبى كان أعلم باسمى منك. قال: قد شقيت ويشقى أبوك. قال له: الغيب يعلمه غيرك، قال: لابد لك بالدنيا نارًا تلظى، قال: لو علمت أن ذلك بيدك ما اتخذت إلهًا غيرك. قال: ما قولك فى الخلفاء؟، فقال: لست عليهم بوكيل، قال: فاختر أى قتلة أقتلك؟، قال: فاختر يا شقى لنفسك، فوالله ما قتلتنى اليوم قتلة إلا قتلتك فى الآخرة بمثلها. فأمر به فأخرج ليقتل، فلما ولى ضحك. فأمر الحجاج برده، وسأله عن ضحكه. فقال : عجبت من جرأتك على الله، وحلم الله عنك. فأمر بذبحه، فلما كب لوجهه قال: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، وأن الحجاج غير مؤمن بالله،

ثم قال: اللهم لا تسلطه على قتل أحد بعدى بذبح، وأجيز رأسه، فلم يعش الحجاج بعده إلا خمسة عشر يومًا، حتى وقعت فى جوفه الأكلة، فمات من ذلك فى سنة خمسٍ وتسعين وهو ابن أربعٍ وخمسين سنة بواسط، وكان يأمر على الناس عشرين سنة وأحصى من قتل سوى من قتل فى عساكره وحروبه فوجد مائة ألف وعشرون ألفًا ومات فى حبسه خمسون ألف رجل وثلاثون ألف امرأة، منهم ست عشرة ألف مجردة، وقد كان محبس الرجال والنساء فى موضع واحد ولم يكن بحبسه سقف(٣٢).

وتوفى أبو يزيد السايب بن يزيد الكندى فى سنة اثنتين وثمانين، ويقال: إحدى وتسعين، وكان فى الثامنة والثمانين من عمره، وتوفى أبو يزيد مولى عمر بن الحارث المخزومى فى سنة خمسٍ وثمانين، وروى ثمانية عشر حديثًا، وتوفى أبو إبراهيم عبد الله أبى أوفى الأسلمى، وروى خمسة وتسعين حديثًا عن النبى (ﷺ) وأبو العباس سهل بن سعد بن مالك الخزرجي الأنصارى، وكان فى السادسة والتسعين من عمره فى المدينة، وروى مائة وثمانية وثمانين حديثًا، وتوفى زين العابدين فى المدينة فى سنة خمسٍ وتسعين، وكان عمره ستة وأربعين عامًا، وكانت مدة إمارة الوليد تسعة أعوام وتسعة أشهر.

أبو أيوب سليمان بن عبد الملك: تربع على عرش الخلافة بعد أخيه، ولما كان الوليد ظالمًا، قل فى عهده هطول المطر، وقحط الناس قحطًا عظيمًا، ولما أفضت الخلافة إلى سليمان، واشتغل بالعدل والإنصاف، أرسل الحق تعالى فى عصره المطر، وتمت نعمة السعادة فى العالم، ولذلك لقبوه بمفتاح الجنة، وأمه وليدة بنت العباس، وكاتبه الليث بن أبى رقية، وحاجبه غلامه عبيدة، وخاتمه (آمنت بالله حسبى الله ونعم الوكيل)، توفى فى يوم الجمعة العاشر، ويقال: الثامن من شهر صفر سنة تسعٍ وتسعين فى مرج دابق من توابع دمشق، وكان عمره تسعة وثلاثين عامًا، وكانت مدة إمارته عامين وثمانية أشهر وخمسة أيام، ويقال: سنتين وتسعة أشهر وثمانية عشر يومًا.

عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم: أمه أم عاصم من أبناء عمر بن الخطاب، وكاتبه سليمان بن نعيم، وحاجبه غلامه مزاحم، وخاتمه (يؤمن بالله)، ولم يكن خليفة مثله

بعد الخلفاء الراشدين مشهوراً بالعلم والعدل والزهد والتقوى، وكان محبًا لعلىٍّ وآل بيت النبى، ومنع لعنة أمير المؤمنين، وأمر أن تكون الخطبة بدلاً من اللعن بهذه الآية : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِى الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾(٣٣)، وكان له ابن يسمى عبد الله أمير أذربيجان.

ولما أفضت الخلافة إلى عمر عزل العمال السابقين الذين اشتهروا بالظلم، وأسند ولاية الكوفة إلى عامر الشعبى، وأحال أمور الشعب إليه، وجاء خبر من الروم مفاده أن ثمة قحطًا عظيمًا بها، فأرسل خمسة آلاف جمل محملين بالغلال من الشام إلى الروم، وقال لسليمة: وزع هذا على الفقراء وارجع، وفى عهده جاء الخبر أن عشرين ألف فارس خرجوا من صحراء القبجاق فى آذربيجان، ويفسدون فى الأرض، فأمر حاتم الربيعى أن يخرج بأربعة آلاف رجل ويمضى ليحاربهم، فقال: كيف يحارب أربعة آلاف عشرين ألفًا؟، قال: يا حاتم إن الجزار لا يهتم بعدد الغنم مادام الملك عادلاً، فجيشه أينما ذهب كان مظفراً غالبًا، ولما مضى حاتم، وحارب هؤلاء الترك انهزموا، ووقع كثير منهم فى الأسر، وآمنت كل البلاد بعدله، وتوفى بدير سمعان من توابع حمص فى يوم الجمعة الخامس والعشرين من رجب سنة إحدى ومائة، وكان عمره تسعة وثلاثين عامًا، ويقال: إنه كان فى الأربعين ومدة خلافته سنتان وخمسة أشهر وخمسة أيام.

أبو خالد يزيد بن عبد الملك: أمه عاتكة بنت يزيد بن معاوية، ولد بالمدينة، وكاتبه أسامة بن زيد، وحاجبه غلامه سعد، ونقش خاتمه (لا تأخذك فى الله لومة لائم).

وحكى المسعودى: أن يزيد بن عبد الملك حين ولى عمر بن هبيرة إلى الحسن بن أبى الحسن البصرى، وعامر بن شرحبيل الشعبى، ومحمد بن سيرين، وذلك فى سنة ثلاث ومائة، فقال لهم: إن يزيد بن عبد الملك خليفة الله استخلفه على عباده، وأخذ ميثاقهم بطاعته، وأخذ عهدنا بالسمع والطاعة، وقد ولانى ما ترون فيكتب إلى بأمر من أمره، فأنفذه وأقلده ما يقلد من ذلك فما ترون؟، فقال ابن سيرين والشعبى قولاً فيه تقية، فقال عمر: ما تقول يا حسن؟، فقال الحسن: يا ابن هبيرة؛ خف الله فى يزيد ولا تخف يزيد فى الله. إن الله يمنعك من يزيد، وإن يزيد لا يمنعك من الله، وأوشك أن يبعث إليك ملكًا

فيزيلك عن سريرك ويخرجك من سعة قصرك إلى ضيق قبرك، ثم لا ينجيك إلا عملك، يا ابن هبيرة، إنى أحذرك أن تعصى الله، فإنما جعل الله هذا السلطان ناصراً لدين الله وعباده فلا تتركن دين الله وعباده بسلطان الله فإنه لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق، وحكى فى الخبر، أن ابن هبيرة أجازهم وأضعف إجازة الحسن.

وتوفى أبو محمد بن يسار غلام ميمونة زوج المصطفى (ﷺ) وكان فى الرابعة والثمانين، وجابر بن يزيد وهو مولى الأسد من أهل البصرة ويكنى أبا الشعثاء وزيد بن الأصم وهو من أهل الرقة وابن أخت ميمونة زوج النبى (ﷺ) ويحيى بن وثاب الأسدى، وأبى بردة عامر بن أبى موسى عبد الله بن قيس الأشعرى الكوفى فى سنة مائة وثلاثٍ، وتوفى وهب بن منبه وأبو عبد الرحمن بن كاوس بن كيسان مولى الجبيرى فى سنة مائة وأربعٍ، ويقال: إن طاوس توفى فى مكة سنة مائة وستٍ وصلى عليه هشام بن الوليد، وفى عهده بدأ عبد الله محمد بن على بن عبد الله بن العباس فى دعوته، وكان نصر بن سيار واليًا على خراسان، وأمر أبا مسلم الخراسانى وكان من نسل ملوك الفرس ليدعو له فى خراسان، وتوفى عبد الله بن جبير مولى العباس بن عبد المطلب فى سنة مائة وخمسٍ.

وتوفى يزيد بن عبد الملك يوم الخميس، الخامس والعشرين من شعبان سنة مائة وخمسٍ، فى أربله من أرض البلقا توابع دمشق، وعاش ثمانية وثلاثين عامًا، ويقال: إنه حكم أربعة أعوام وشهراً.

الوليد بن هشام بن عبد الملك: أمه عائشة بنت هشام بن إسماعيل المخزومى، ولد فى المدينة، وكان كاتبه عالمًا خادم سعيد بن عبد الملك، وحاجبه عاد بن مسعود ونقش خاتمه (الحكم بن الحكم)، ولما أصبح خليفة أمر أن توزع العطايا فى جميع البلاد من عشرة دنانير إلى عشرين بحيث تنفق جميع الأموال التى فى الخزانة، وعين أكثر من ألفٍ من الأئمة والصلحاء والمستحقين فى ديوان المشاهرة، وظهر فى عهده غيلان القدرى، ودعا كل شخص إلى المذهب القدرى، وأمر هشام بأن يجمعوا علماء الشام واستدعوا غيلان وأجلسه أمامه، وقال: ماذا تقول؟، إن الله تعالى راضٍ بأن يكون الخلق

عصاة ويقول الكافر إنه شريك؟، قال: لا ، قال: إذا لم يرد أن يعصى هؤلاء الخلق بدون رضائه، وأن يكفر الكافرون بدون رضائه، وهؤلاء منعهم من ذلك، فإن رضاءهم يغلب من رضاء الله تعالى، وكل من هو كذلك لا يليق بالألوهية، فبقى غيلان صامتًا وقال هشام: أجب يا غيلان، فقال: يا أمير المؤمنين أمهلنى عشرة أيام حتى أجيبك، فقال هشام: لا أمهلنى الله يومًا واحدًا إذا أمنتك يومًا حتى تضع مثل ذلك المذهب هذا، وتدعو الناس للبدعة، فأمر فمثلوا به وشقوا بطنه.

وفى أيامه توفى فى سنة سبعٍ ومائة أبو أيوب سليمان بن سيار خادم ميمونة زوج المصطفى (صلى الله عليه وسلم)، أخو عطاء بن يسار فى المدينة: وكان فى الثالثة والسبعين من عمره، ويقال: إنه توفى فى سنة مائة، وتوفى قاسم بن محمد بن أبى بكر الصديق فى سنة ثمانٍ ومائة، وتوفى شيخ المشايخ أبو سعيد حسن بن أبى الحسن يسار البصرى فى سنة عشر ومائة، وكان فى التاسعة والثمانين من عمره، ويقولون: كان فى المائة والواحد من العمر.

وقد حكى، إنه عندما ولد جاءوا به أمام عمر بن الخطاب، فقال: سموه حسنًا. وقد ربته أم سلمة زوج المصطفى (صلى الله عليه وآله)، ويقال: إنه شرب فى طفولته من كوز المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم)، فسأل الرسول (ﷺ) من شرب من هذا الكوز؟، قالوا: حسن، فقال: إن علمى يسرى عليه، فوجد مائة وثلاثين صحابيًا منهم سبعين بدريًا، وكان مواليًا لأمير المؤمنين على بن أبى طالب (كرم الله وجهه)، ويقال: إلى الحسن بن على (رضى الله عنهما).

قال عظيم: كنا نخرج للحج جماعة مع الحسن، فظمئنا فى البادية ووصلنا إلى بئر، ولم يكن لها دلو فبقينا، قال الحسن: عندما أصلى اشربوا، ولما صلى ارتفع الماء إلى وجه البئر فشربنا وتطهرنا، وملأ رجل فقير المطهرة، وفى الحال هبط الماء إلى قاع البئر، قال: لم تكن لهم ثقة بالله، ولذلك غاض ماء البئر، ثم مضينا من هذا المكان، فوجد الحسن تمرًا فى الطريق فقسمه بيننا، وكان لهذا التمر نوى من ذهب، فحملناه إلى المدينة، واشترينا به طعامًا وتصدقنا.

وتوفى محمد بن سيرين بعد الحسن بمائة يوم، وكان له من العمر إحدى وثمانين سنة، وكان له أربعة إخوة: معبد ويحيى وخالد وأنس بن سيرين بن مولى أنس بن مالك (رضى الله عنه)، والخمسة قد رووا الحديث والسنن ونقلت عنهم.

وتوفى على بن عبد الله بن عباس، وكنيته "أبو محمد"، ويقال له: السجاد، لأنه كان يصلى فى كل يوم وليلة ألف ركعة فى سراة من أرض الشام، وكان له من العمر ثمانون سنة، قال الواقدى: ولد ليلة قتل على بن أبى طالب، وتوفى سنة ثمانى عشرة ومائة، فولد على بن عبد الله محمد بن على، وأمه العالية بنت عبيد الله بن العباس، وكان من أجمل الناس وأعظمهم قدراً، وكان بينه وبين ابنه أربع عشرة سنة، ومات سنة اثنتين وعشرين ومائة، وتوفى أبو عمران عبد الله بن عامر اليحصبى الشامى فى سنة ثمانى عشرة ومائة، وفيها ولد المهدى، ويقال: مات سنة خمسٍ وعشرين ومائة بالسراة، وهو ابن الستين، وأرسل هشام يوسف بن عمر الثقفى، ليحارب زيد بن على بن الحسين بن على؛ فهرب أصحاب زيد وتركوه مع جماعة قليلة وحارب كثيراً، وكان ينشد هذه الأبيات أثناء المعركة :

وذل الحياة وعز الممات ... وكلاً أراه طعاماً وبيلاً

وإن كان لابد من واحد ... فسيرى إلى الموت سيراً جميلاً

ولما حل الليل، عاد زيد، وكانوا قد رشقوا جبهته المباركة بسهم، فطلبوا الحجام، ولما أخرج السهم توفى فى الحال، وأخفوه وسط جدول ماء، وأخرجه يوسف بعد أن دله الحجام عليه، وأرسل رأسه إلى هشام، فأمر هشام يوسف أن يصلب جسده العارى، وكان شعراء بنى أمية يقولون :

صلبنا لكم زيداً على جذع نخلة ... ولم أرَ مهدياً على الجذع يصلب

وأحرقوه وأذروه فى الرياح.

قال المسعودى: حكى الهيثم بن عدى عن عمر بن هانى الطيانى، قال: خرجت مع عبد الله بن عليك؛ لنبش قبور بنى أمية فى أيام أبى العباس السفاح، فانتهينا إلى قبر

هشام، فاستخرجناه صحيحًا، ما فقدنا منه إلا خرقة أنفه، فضربه عبد الله بن على ثمانين سوطًا ثم أحرقه، واستخرجنا سليمان من مرج دابق، فلم نجد منه شيئًا إلا صلبه وأضلاعه ورأسه، فأحرقناه، وفعلنا ذلك بغيرهما من بنى أمية.

وفى سنة ثلاثٍ وعشرين ومائة مات أبو بكر محمد بن مسلم بن عبد الله بن عبد الله بن شهاب الزهرى، وذكر الواقدى أنه مات سنة أربعٍ وعشرين ومائة.

وتوفى هشام، وهو فى الثالثة والخمسين، يوم الأربعاء السابع من ربيع الآخر سنة خمسٍ وعشرين ومائة، وكانت مدة إمارته تسعة عشر عامًا وسبعة أشهر وأحد عشر يومًا.

أبو العباس الوليد بن يزيد بن عبد الملك: أمه أم الحجاج بنت محمد بن يوسف الثقفى، ولد فى طبرية، وكاتبه سعد بن عبد الملك، وحاجبه عيسى بن نعيم، ونقش خاتمه (يا وليد احذر الموت)، وفى أيامه ثار عليه يحيى بن زيد بن على بن الحسين بن على (كرم الله وجهه)، ومضى نصر بن سيار بن سام بن أحوز المازنى؛ لمحاربته وقتل يحيى، وأرسل رأسه إلى الوليد، وصلب جثته فى جوزان من بلاد خراسان، وبقى هكذا إلى عهد أبى مسلم الذى انتقم من نصر بن سيار، وأنزل يحيى من على الأعواد وصلى عليه ودفنه، وأقاموا مأتمًا له فى جميع بلاد خراسان لمدة سبعة أيام وناحوا عليه، وكانت هذه الواقعة فى أواخر سنة ستٍ وعشرين، وخلع محمد بن خالد القشيرى الوليد وبايع يزيدًا، وكان له من العمر سبعة وثلاثون عامًا، وقتلوه فى جمادى الآخرة سنة ستٍ وعشرين ومائة، ولم يصلوا عليه؛ لأنه كان مصابًا بالطاعون، وكانت مدة إمارته سنة وشهرين.

أبو الوليد بن زيد بن الوليد: كانت أمه جارية واسمها ماه آفريد بنت فيروز بن كسرى بن يزدجرد، واسم أمها ريحانة بنت أردشير بن شيرويه، وأسرت ماه آفريد فى حرب مع جيش الإسلام، وأرسلها قتيبة بن مسلم عند الحجاج، فأرسلها الحجاج بن يوسف هدية إلى الوليد، وولدت له يزيد فى مكة، ولذلك يسمونه الناقص لسببين: أولهما أنه كان أعرج، والثانى أنه ملك خمسة أشهر، وكان كاتبه سليمان، ونقش خاتمه (يثق بالحق)، وتوفى فى أول ذى الحجة سنة ستٍ وعشرين ومائة.

أبو إسحاق إبراهيم بن اليزيد - أمه ماه آفريد نفسها، وهو الذى كان يقول :

أنا ابن كســـــرى وأبى مـــــروان   وقـــيـــصـــر جـــدى وجـــدى خـــاقـــان

كان ولى عهد أخيه، وولى الخلافة بعده، وتوفى أبو سعيد عبد الله بن كثير الدارى العطار القارئ فى مكة فى أيامه سنة ستٍ وعشرين ومائة، وفى نفس السنة ثار عليه مروان بن محمد بن مروان وقتل إبراهيم وصلبه، وقتل عبد العزيز بن الحجاج، ويزيد بن خالد القشيرى، واستولى على ملكهما، وكانت مدة عمر إبراهيم ثمانية وثلاثين عامًا، ويقولون: أربعين عامًا، ومدة إمارته ثلاثة أشهر وسبعة أيام.

أبو عبد الله مروان بن محمد بن مروان بن الحكم: أمه أم ولد، ويقال: إنها كانت تسمى طروبة، بايعوه فى يوم الإثنين الرابع عشر من صفر سنة سبعٍ وعشرين ومائة فى مدينة حران من ديار مصر، وفى ذلك الوقت كانت توجد جمـــاعة يدعون الخلق إلى أنفسهم منهم الضحاك بن قيس، وعمر بن سعد بن العاص. وعبد الرحمن بن محمد بن الأشعث، ويزيد بن المهلب بن أبى صفرة، وكانت مدتهم قليلة. وفى أيامه توفى يحيى بن أبى كثير مولى على بن أبى طالب (كرم الله وجهه)، ويسمونه الأوزاعى، وكانوا يروون عنه فى سنة تسعٍ وعشرين ومائة، وظهـــر أبو مسلم الخـــراسانى ولبس ثـوبًا أسود فى العيد، وخطب باسم إبراهيم بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس، ويسمونه إبراهيم الإمام.

ولما ظهرت دعوة بنى العباس فى خراسان، قصد إبراهيم الكوفة قادمًا من مكة، ومضى معه جماعة من قريش إلى الكوفة فعلم مروان، وأرسل شخصًا يتعقبهم، وجاء بالسفاح إليه؛ لأنه كان قد سمع حديثًا وهو أن المصطفى (صلى الله عليه وسلم) قـــد قال: إنه بعد مائة عام وبضعة أعوام من هجرتى ستصل الخلافة إلى أبناء العباس، وستبقى إلى يوم القيامة فى أسرتهم ويسمى السفاح.

وأدركهم الرسول على بعد ثلاث منازل من الكوفة، وقال: من منكم يسمى بالسفاح؟، فقال إبراهيم: أنا، وجعل إبراهيم السفاح وليًا للعهد، وأرسله إلى الكوفة، ولما وصل

إبراهيم عند مروان لم يرَ مروان فى إبراهيم العلامة، والأمارة التى كانوا قد ذكروها له عن السفـاح، فغضب وعاقب ذلك الرسول، ولما اتجه إليه جيش السفاح قتل مروان إبراهيم، وكان كاتبه عبد الحميد، وحاجبه غلامه سقلان، ونقش خاتمه (انصر الله ينصرك)، وقتل فى النهاية فى شهر ذى القعدة سنة اثنتين وثلاثين ومائة. ودفنوه فى مصر، وكانت ولادته فى نجران، ومدة ولايته خمسة أعوام وتسعة أشهر، وتوفى فى أيامه بالبصرة مالك بن دينار سنة إحدى وثلاثين ومائة، وكانوا يسمونه مروان الحمار، لأن العرب كانوا يسمون كل مائة سنة الحمار، ولأن ملك بنى أمية وصل فى عهده إلى مائة سنة، سموه الحمار. والله أعلم بالصواب.

الطبقة الثالثة

خلفاء بني العباس، وهم سبع وثلاثون ومدة خلافتهم خمسمائة وثلاثة وعشرون عامًا وأحد عشر شهرًا ويوم واحد

أبو العباس السفاح: وهو عبد الله بن محمد الكامل بن على بن عبد الله بن العباس، أول خلفاء بني العباس، وهو العشرون نسبة إلى النبى (ﷺ)، وسموه السفاح؛ لأنه أسال كثيرًا من دماء بنى أمية، حتى انتقلت الخلافة منهم إليه، قال أصحاب التواريخ: كان أمير المؤمنين على (كرم الله وجهه) يصلى ذات يوم فلم ير عبد الله بن العباس، فسأل، فقالوا: لقد ولد له اليوم ولد، فمضى أمير المؤمنين لتهنئته وسأله بماذا سميته؟، قال: أى اسم تأمر به، فجاءوا به إلى أمير المؤمنين؛ فقبل وجهه وقال: خذ إليك أبا الخلفاء، وأسماه عليًا وكناه أبا الحسن.

يقول الواقدى: كان بنو أمية لا يجيزون تزويج أبناء العباس من بنات الحارث، وقد روى خبرًا جاء فيه أنه بعد مائة عام من الهجرة تنتقل الخلافة إلى بنى العباس ويكون أولهم الحارث، ولما أفضت الخلافة إلى عمر بن عبد العزيز، جاء محمد الكامل وطلب منه الإذن بأن يتزوج ابنة خاله من بنى الحارث، فأذن عمر وتزوج ريطة بنت عبد المدان بن الديان بن قطن بن زياد بن الحارث بن كعب، فولدت أبا العباس السفاح، وبدأ محمد الكامل فى الدعوة فى العام المائة من الهجرة، وأرسى أساس هذه الدولة وتشكلت بأبى العباس السفاح.

حكاية: لما قتل إبراهيم بن محمد الكامل مروان، ووصل خبره إلى الكوفة، فإن أبا سلمة بن خلال الذى كان داعية دولته كان قد بايعه تأثراً بوفاته، ولما وصل السفاح وأقرباؤه الآخرون إلى الكوفة، أخفاهم أبو سلمة، وأراد أن يجعل الخلافة فى أبناء على بن الحسين بن على (كرم الله وجهه)؛ لأنهم هم أول من دعا فى البداية، فكتب أبو سلمة ثلاث رسائل، أولها إلى جعفر الصادق، والثانية إلى عبد الله بن الحسين، والثالثة إلى عمر بن على بن الحسين، وسلمهم إلى أحد خواصه، وقال: احمل هذه الرسائل، وامضِ أولاً إلى جعفر، فإذا قبل فمزق الرسالتين الأخرتين، وإذا لم يقبل امضِ إلى عبد الله، وكذلك امضِ لعمر وجئنى بالجواب سريعًا.

فمضى الرسول إلى المدينة، ورأى جعفراً ذات ليلة فأعطاه الرسالة، ولما قرأها صمت طويلاً، فقال الرسول: أجب، فطرح جعفر الرسالة فى النار وأحرقها.

فمضى الرسول إلى عبد الله بن الحسين، وسلمه الرسالة فقبلها وأراد أن يكتب الجواب، فمنعه جعفر من هذا، وقال: إن أبا سلمة خادع ماكر وسوف يقتل بسرعة، ولعله يخدعك من أجل أنه هيأ لهم أن هذا الأمر يصل إلى بنى العباس، وتكون الخلافة فى أسرتهم، فعاد الرسول بلا جواب من عندهم، وقبل وصوله أخرج حميد بن قحطبة أبا العباس من قصر أبى سلمة، وأسند إليه الخلافة.

حكاية: لما أفضت الخلافة إلى العباس، أسند الوزارة إلى حميد بن قحطبة، وقدم إلى عمه أبى عبد الله بن على ستون ألف رجل، وأرسله لمحاربة مروان فى الشام فمضى وحاربه وهزمه، ويقولون: كان يجرى على لسان مروان فى تلك الحال هذا الكلام: إذا انتهت المدة لم تنفع العدة، وقتل مروان على يد عبد الله بن على، وانتهت دولة آل مروان.

حكاية: يقولون: حينما جعل أبو العباس مفتاح الخلافة فى يده، كان سبب التريث والتمهل الذى أبداه أبو سلمة الخلال فيما يتعلق بشأنهم، فخشى أن يُظهر أحداً من السادات الحسينيين ويصبح سبب الفتنة، فأراد أن يدفعه واستشار حميداً وأخاه، فقال حميد: لا ينبغى أن نقوم بهذا العمل بغير مشورة أبى مسلم، فأرسل أخاه إلى

خراسان، ولما وصل مرو استقبله أبو مسلم، وترجل عند البوابة، ومهما ألح عليه أبو جعفر؛ فلم يركب، ومشى حتى وصل إلى المنزل، وخدمه لحدٍ لا يمكن وصفه، فأوصل منصور رسالة الخليفة فيما يختص بأبى سلمة، فقال أبو مسلم: نحن عبيد والأمر لأمير المسلمين، فعاد أبو منصور وجريف المروزى بالهدايا وكثير من التحف لخدمته لما فعله أبو سلمة فى تلك المدة التى مضى فيها المنصور إلى خراسان حتى ذلك الوقت الذى رجع فيه، وكان قد مر عامان وثلاثة أشهر، وكان أبو سلمة يأتى كل ليلة إلى الخليفة، ويلازمه إلى منتصف الليل، ولما عاد منصور من خراسان، كان أبو سلمة جالسًا ذات ليلة عند السفاح، ولما عاد قتلوه فى الطريق، ولم يعلم أحد من الذى قتله، وفى اليوم التالى خلع السفاح على المروزى وأنعم عليه وأعاده.

والمغزى لهذه الحكاية أن كل من كان مشرفًا بالملوك لا ينبغى أن يلوث ضميره قط بلوث الخيانة؛ لأنهم يغسلون لوث مرآته بماء السيف، ولا تمنع حقوق خدمتهم من الأخذ بالعقاب، ومغزى آخر أن الرجل العاقل إذا تشرف بخدمة الملك فلا ينبغى أن يثق على قربه ومكانته، ولا ينبغى أن يأمن لحظة سخط الملك[٣٤].

شعر

إذا رأيت نيـــــوب الليث بارزة فــلا تظنن أن الليث يبتسم[٣٥]

وكانت ولادة السفاح فى مدينة هراة فى عهد هشام بن عبد الملك، وكانت بيعته فى يوم الجمعة الثالث عشر من ربيع الأول سنة مائة واثنتين وثلاثين، وعاش تسعة وعشرين عامًا، ويقولون: ثلاثة وثلاثين، وتوفى يوم الأحد الثانى عشر من ذى الحجة سنة مائة وستٍ وثلاثين، وكانت مدة خلافته أربعة أعوام وثمانية أشهر.

المنصور أبو جعفر عبد الله بن محمد: الخليفة العباسى الثانى، وهو الحادى والعشرين بالنسبة إلى النبى (ﷺ)، وأمه أم ولد سلامة البربرية، ذهب المنصور فى آخر أيام أخيه للحج، ولما عاد بلغه خبر وفاة أخيه، وكان قد جعل ولى عهده عيسى بن موسى بن محمد الكامل، فخلع عيسى، فأرسل إلى عبد الله بن على قائلاً له: بايعنى،

فقال عبد الله: لقد جعلنى السفاح ولى عهده وقد طهرت الدنيا من بنى مروان، واستوليت على مدينة دمشق؛ فبايعنى، ولما سمع الجواب على هذا النمط، أرسل أبا مسلم لمحاربته، فمضى أبو مسلم إلى الشام وحاربه، ووقع عبد الله فى الأسر، ولما بلغ الخبر الخليفة أرسل كاتبه عتبة بن حمزة؛ ليثبت الغنائم، ويطلب السيف الخاص بعباس بن عبد المطلب الذى كان أعطاه السفاح لعبد الله، ولما وصل وسلم الرسالة، غضب أبو مسلم من هذا الكلام، وقال: من يبذل روحه يحمل كل ما وجد ولأمير المؤمنين أم يقهر الخصم، وأن تكون له الولاية كلها، وأرسل عبد الله بن على مع الأسرى إلى الكوفة واتجه مع جيشه إلى خراسان، ومع أن الخليفة قد سر بذلك النصر، لكنه خاف من ذهاب أبى مسلم، وأرسل عتبة بن حمزة فى الحال فى أثره، وكتب ميثاقًا وأقسم قائلاً: إنى لا أخالفك فى شئ فارجع فخراسان لك، وأمنحك الشام، ولما وصل عتبة إليه وبلغ الرسالة، رجع أبو مسلم.

حكاية: حكى المسعودى فى تاريخه أنه فى شعبان سنة ست وثلاثين ومائة كان أبو مسلم قد جلس ذات يوم فى مجلس المنصور، فضربه عثمان بن نهيك وشبيب بن أواج بالسيف وقتلاه ولفاه فى بساط وغطاه، ودخل عيسى بن موسى ابن أخى الخليفة وقال: أين أبو مسلم؟، فقال الخليفة: كان هنا الآن، قال: عرفت حقًا أن عقله ورأيه وفكره مع إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسين بن على (كرم الله وجهه)، فقال الخليفة مجيبًا: والله لا أعلم عدوًا على وجه الأرض أكثر عداوة من ذلك الذى لفوه فى هذا البساط، ولما رأى عيسى قال: " إنا لله وإنا إليه راجعون ". فدخل من بعده جعفر بن حنظلة، فقال الخليفة: ماذا تقول فى شأن أبى مسلم؟، فقال جعفر: إذا كنت تنوى أن تقتلع شعرةً من رأسه فما أكثر الدماء التى تسيل، فقال الخليفة: انظر فى ذلك البساط. ولما نظر رأى أبا مسلم قتيلاً، قال: يا أمير المؤمنين، اليوم هو أول يوم من خلافتك، وقال :

زعمت أن الدين لا ينقضى ... وكلاً أراه طعامًا وبيلاً

اشرب بكأس كنت تسقى بها ... فسيرى إلى الموت سيراً جميلاً

وثار محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسين بن على (كرم الله وجهه) فى المدينة سنة مائة وخمس وأربعين، فأرسل منصور بن عيسى بن موسى من الكوفة مع أربعة آلاف فارس وألفين من المشاة فى أثر حميد بن قحطبة وجيشه فحاربوه، وقتلوا محمداً وكان فى الخامسة والأربعين، ولما بلغ هذا الخبر أخاه إبراهيم، صعد المنبر فى البصرة، وأنشد هذه الأبيات :

أبا المنازل يا خير الفوارس من يفجع بمثلك فى الدنيا لقد فجعا
الله يعلم أنى لو خشيتهم وأوحش القلب من تلقائهم فزعا
لم يقتلوه ولم يسلم أخاً لهم حتى نموت جميعًا أو نعيش معًا

وبعد ذلك تفرق أبناء محمد وإخوته فى البلاد وادعوا الإمامة، فمضى على بن محمد إلى مصر وقتل هناك، ومضى ابنه عبد الله إلى خراسان وانهزم فيها ثم مضى إلى السند وقتل هناك، ومات ابنه الحسن فى اليمن فى حبسه، ومضى أخوه موسى الحزن إلى الجزيرة، وأخوه الآخر يحيى إلى الرى وطبرستان، ومضى إدريس بن عبد الله إلى المغرب، وبعده خلفه ابنه إدريس بن إدريس بن عبد الله المحض، وبنى مدينة فى المغرب تسمى المهدية، وخرج إبراهيم بن عبد الله المحض مع عيسى بن زيد بن على بن الحسين بن على (كرم الله وجهه) مع جماعة كثيرة من المعتزلة وغيرهم من البصرة، فأرسل الخليفة عيسى بن موسى وسعيد بن سلمة بجيش من الكوفة وتحاربوا، وقتل خمسمائة رجل من الشعية الزيدية مع إبراهيم، وقال دعبل بن على الخزاعى فى رثائهم[٣٦] :

منازل آيات خلت من علاوة ومنزل وحى دارس العرصات
قبور بكوفان وأخرى بطيبة وأخرى بفخ مالها صلوات

وتوفى أبو عثمان عمرو بن عبيد بن باب، مولى بن تميم شيخ المعتزلة فى سنة أربع وأربعين ومائة، وبنى المنصور مدينة بغداد فى سنة خمس وأربعين ومائة، وتوفى هشام بن عروة بن الزبير، وكان له من العمر خمسة وثمانون عامًا فى المدينة سنة مائة وست وأربعين.

حكاية: قال المنصور ذات ليلة للوزير: ادعُ لنا جعفر الصادق فى خلوة؛ لأنى أريد أن أهلكه، فقال الوزير: إنه مستقر فى الكوفة وعكف على العبادة، وإن طلب إيذائه ليس مباركًا، فلم يستمع الخليفة، وأمر بإحضار الصادق، وقال لغلمانه: عندما يدخل الصادق وأرفع القلنسوة اقتلوه، ولما دخل الصادق من الباب وقف الخليفة واستقبله بتواضع، وقال: أى حاجة لك؟، قال الصادق: ألا تستدعنى وأن تتركنى أعمل الطاعات لله، فرده الخليفة معززًا بعد ذلك وارتعش جسده على فجأة وخر مغشيًا عليه، ولما عاد إليه وعيه، قالوا: ماذا جرى؟، قال: حينما قدم الصادق رأيت تنينًا وضعت شفة تحت الصُّفة والشفة الأخرى فوقها، وقال: إذا ما آذيته أبتلعك مع هذه الصفة ولم أعلم من خوفى ماذا أصنع؟؛ فسألته المعذرة ورددته وغبت عن وعيى.

فاختلى جعفر الصادق مدة، فمضى إليه سفيان الثورى، وقال: إن الناس محرومون من مواعظ كلماتك، فلم اعتزلت؟، قال: بعد هذه العزلة أفضل، فسد الزمان وتغير الإخوان، وأنشد هذه الأبيات :

ذهب الوفـــاء ذهاب أمس الذاهب والناس بين مـــخـــائل ومـــآرب

يغـــشـــون بينهم المحـــبـــة والوفـــا وقلوبهم مـــحـــشـــوة بعـــقـــارب

وتوفى أبو حنيفة بن النعمان بن ثابت الكوفى مولى تيم الان بن بكر بن وائل تلميذ الإمام جعفر الصادق، وأستاذ داود الطابى فى رجب سنة مائة وخمسين، وهو ساجد فى الصلاة، وكان فى الثمانين من عمره.

حكاية: عقد المنصور مجمعًا واستدعى علماء بغداد، وأمرهم بأن يكتبوا باسم كل عبد ضياعًا، بعضها يدر دخلاً وبعضها تمتلك وبعضها بالوقف، وبعد ذلك حمل عبد هذا الأمر إلى الشعبى أستاذ أبى حنيفة، وقال: يأمر أمير المؤمنين أن تكتب الشهادة، فكتب الشعبى وكتب جميع الفقهاء، فحملها إلى أبى حنيفة الذى قال: أين ينبغى رؤية الخليفة؟ هل يأتى الخليفة هنا أم أذهب إليه حتى تكون الشهادة صحيحة؟، فقال الغلام: لا تقل هراء واشهد، فلم يكتب أبو حنيفة، فقال الغلام: كتب العلماء، ثم قال أبو حنيفة: (لها ما كسبت)، فأوصلوا هذا الكلام إلى سمع الخليفة، فأمر بإحضار الشعبى؛ فسأله

الخليفة هل تجب الرؤيا فى الشهادة؟، فقال الشعبى: نعم، فقال الخليفة: أين رأيتنى حتى كتبت الشهادة؟، فقال الشعبى: لم أستطع أن أطلب مشاهدتك، وعرفت أنها جاءت بأمرك، فقال الخليفة: هذا الكلام بعيد عن الحق، وهذا الشاب أولى بالقضاء منك، وبعد ذلك اختار الخليفة أربعة أشخاص من فحول العلماء هم: أبو حنيفة، وسفيان الثورى، وشريك بن عبد الله، ومشعر بن حرام، وطلب منهم أن يمضوا فى الطريق الذى يسلكونه، فقال أبو حنيفة: أرى فيك فراسة، قالوا : قل، قال: أتخلص من هذا القضاء بكل كيفية، ويهرب سفيان، ويجعل مشعر نفسه مجنونًا ويصبح شريك قاضيًا، فهرب سفيان فى الطرق، وقال: اخفونى؛ لأنهم يريدون قطع رأسى، وبتأويل هذا الخبر الذى قال فيه الرسول (ﷺ): من جعل قاضيًا فقد ذبح بغير سكين[٣٧]، فأخفوه وأحضروا هؤلاء الثلاثة عند الخليفة، فقال لأبى حنيفة: ينبغى أن يكون القضاء لك، قال: أيها الأمير أنا لست رجلاً من العرب بل من مواليهم، فإن سادات العرب لن يرضوا بحكمى، فقال جعفر البرمكى: لا يتعلق هذا الأمر بنسبك، والعلم ينبغى للقضاء، فقال أبو حنيفة: لست جديرًا بهذا العمل إذا قلت حقًا فلن أليق به، وإذا قلت الكذب فلا ينبغى أن يكون الكاذب قاضيًا للمسلمين. يا خليفة الله، لا تجز للكاذب أن يكون خليفة لك، وأن تكون ثقتك وثقة المسلمين فيه، قال هذا وتخلص، وتقدم مشعر وأمسك بيد الخليفة، وقال: كيف حالك؟، وحال الأبناء والنساء؟، فقال الخليفة: أخرجوا هذا المجنون وأسندوا القضاء لشريك، فقاطعه أبو حنيفة ولم يتحدث معه قط.

وفى سنة خمسين ومائة توفى أبو الوليد عبد الملك بن عبد العزيز بن خديج المكى مولى خالد بن أسد، وكان في السبعين من عمره، وأبو عبد الله بن إسحاق بن يسار مولى قيس بن مخرمة بن بنى عبد المطلب، وفى سنة أربع وخمسين ومائة توفى أبو عمرو البصرى القارئ، وهو أبو عمرو بن العلاء بن عمار بن عبد الله بن الحسين بن جهم بن الخزاع بن مالك بن عمرو بن تميم، وكان اسمه ريان، ويقال: يحيى، وكان فى السادسة والثمانين من العمر فى الكوفة، وفى سنة ست وخمسين ومائة توفى أبو عمارة حمزة بن حبيب بن إسماعيل الزيات الكوفى القارئ فى حلوان، وفى سنة تسع وخمسين ومائة توفى أبو عمرو عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعى وهو من أهل الشام.

وتوفى أبو جعفر المنصور يوم السبت السابع من ذى الحجة سنة ثمانٍ وخمسين ومائة بالقرب من مكة، وكان له من العمر ثلاثة وستون عامًا، وكانت مدة خلافته إحدى وعشرين سنة وأحد عشر شهرًا وأربعة أيام.

أبو عبد الله محمد بن عبد الله: ابن محمد بن على بن العباس، كان ثالث خلفاء بنى العباس، وهو الثانى والعشرون بالنسبة للنبى (صلى الله عليه وسلم)، وأمه أم موسى بنت منصور بن عبد الله بن سهمبن رى بن أبى سرح، وكان من أبناء ملوك حمير، وكان المنصور يحج البيت فى آخر العمر، فمرض فى الطريق وتوفى عند بئر ميمون، وكان المهدى معه فى مكة فبايعوه فى يوم وفاة المنصور، وكان له ثلاثة أبناء: موسى، وهارون، وإبراهيم. فأسند الوزارة إلى معاوية بن عبد الله الأشعرى، الذى كان جد محمد بن عبد الوهاب الأشعرى، وتوفى فى عهده زفر بن الهذيل الفقيه صاحب أبى حنيفة فى سنة ثمانٍ وخمسين ومائة، وفى تسعٍ وخمسين ومائة توفى أبو الحرث محمد بن عبد الرحمن بن المغيرة فى الكوفة، وفى سنة مائة وستين توفى أبو بسطام شعبة بن الحجاج مولى لبنى أشقرة من الأزد، وعبد الرحمن بن عبد الله المسعودى، وتوفى أبو عبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق الثورى فى البصرة سنة إحدى وستين ومائة.

حكاية: لما مرض سفيان، أرسل الخليفة طبيبًا ليعالجه وكان مسيحيًا حاذقًا، ولما رأى الطبيب تفسرته، قال: إن هذا الرجل أصبحت كبده دماء من خشية الله تعالى وهى تخرج من مثانته قطعة قطعة، فإذا كان إنسان هكذا فى دينه؛ فإن هذا الدين ليس باطلاً، وأسلم فى الحال، فقال الخليفة: ظننت أنى أرسلت طبيبًا إلى وسادة مريض فأرسلت مريضًا إلى طبيب.

وتوفى حماد بن سلمة سنة مائة وستين، ومما يروى لما مات المنصور، كان فى الخزانة ستمائة ألف ألف درهم وأربعة عشر ألف ألف دينار من الذهب، فتصدق المهدى بها ونوى الحج وزيارة الرسول (ﷺ)، وبذل فى الطريق مالاً كثيرًا على نحو لا عهد للتاريخ بمثله.

حكاية: قالوا: ظهر المقنع فى عهده، وكان رجلاً أعور على علم تام بالشعوذة والطلاسم وعلى مذهب التناسخ، واسمه الحكيم، وكان على الدوام وراء الحجاب، وادعى أن الروح الكبرى للعالم تخرج من جسده، وإنها تبقى فى الجو إلى أن أتيت للعالم فدخلت فى جسده، وأنا نبى مثل محمد، فأمر الخليفة معاذ بن مسلم، الذى كان والياً على خراسان أن يقبض عليه، فهرب المقنع من خراسان، ومضى إلى كش، وهناك عمل طلسماً لقمر طلع، وبهذا أشار الحكيم السوزنى(٣٨) لهذا المعنى، فقال :

شعر

إن العشق وقع لغبى من الحماقة (الجهل)	حتى تطلع الشمس والقمر من بئر كش
يدعى الألوهية وليس لأحد من الخلق	أن يستطيع أن يناله من الجوع والعطش

وكان الناس ينخدعون بهذا الطلسم، وفى آخر الأمر، قبض عليه معاذ بن مسلم وقتله، ومازال فى بلاد ما وراء النهر من يتبعونه، ويسمونهم أصحاب الثياب البيض، وهم يخفون دينهم ومذهبهم.

وكان عمر المهدى ثلاثة وأربعين عاماً، وتوفى فى قرية زرين من توابع سبندان فى ليلة الخميس الثالث والعشرين من المحرم سنة مائة وتسع وستين، وكانت مدة خلافته عشرة أعوام وشهراً، وستة عشر يوماً، ويقال: إن فى مأتمه كانت الجوارى يلبسن ثياباً من الصوف وطوال حياتهن لم يطرحنه.

شعر

فى نهاية بأى أرض ستروك	حينما جعلوا تراب الدنيا على رؤوسهم

الهادى أبو محمد موسى: كان الخليفة الرابع من خلفاء بنى العباس، وهو الثالث والعشرون بعد النبى (ﷺ)، وأمه الخيزران بنت عطا، ووزيره ربيع، وقد مات فى نفس العام، فأسند الوزارة إلى عمر بن ربيع، وفى عهده خرج الحسن بن على

بن الحسين بن على (كرم الله وجهه) فى المدينة، فأرسل الهادى موسى بن عيسى؛ ليعتقله ويقتله وأرسل رأسه إلى بغداد، وأسر مع الحسن بن على بن الحسين كلاً من سليمان بن عبد الله بن الحسن، وعبد الله بن إسحاق بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن، وحسن بن محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن وقتلوا، وكان الهادى فى جرجان وقدم بغداد بعد موت أبيه وتربع على سرير الخلافة، وكانت أيامه عند الناس مثل أيام العيد، وكانوا فى رخاء ويحبونه، ومحبًا للعلماء أيضًا، وقدم العلماء فى زمانه من الأطراف إلى بغداد، وتوفى فى المدينة أبو رويم، ويقال: أبو الحسن، وأبو عبد الله، وأبو عبد الرحمن نافع بن عبد الرحمن بن أبى نعيم مولى جعنة بن شعوب الليثى حليف جمرة بن عبد المطلب المعزلى القارئ، الذى كان أصله من أصفهان فى سنة تسعٍ وستين ومائة.

وكان للهادى من العمر خمسة وعشرون عامًا، وتوفى يوم الجمعة السابع عشر من ربيع الأول سنة سبعين ومائة فى عيسى باد، وكانت مدة خلافته سنة وشهرًا وخمسة وعشرين يومًا.

يقولون: إن المهدى جعل الهادى وليًا للعهد، وبعده هارون الرشيد، وروى حسن بن سهل عن أبى غانم، قال: كنت مختصًا بخدمة الهادى، وكنت أخشاه على الدوام؛ لأنه كان سفاكًا سريع الغضب، وطلبنى ذات يوم، وقال: أنا غاضب من يحيى بن خالد البرمكى، لأنه لم يترك هارون الرشيد يخلع نفسه من الخلافة بسبب ابنى، فيجب عليك الآن أن تمضى إليه وتأتينى برأسه؛ لأننى سوف أقتل هارون فى نفس هذه الليلة، فقلت: يا أمير المؤمنين إذا تأملت أمر هارون لا توقع هذه النية، فلاشك أنه أقرب للصواب؛ لأنه ابن أمى وأبى، ولما أسديت هذه النصيحة، غضب، وقال: ما شأنك بهذا الهراء؟ فإذا نفذت الأمر فبها، وإلا طرحت رأسك، وطلب الماء فى الحال، ولما شرب، قفزت قطرة من الماء فى حلقه، وجعل يسعل حتى مات، وخلصهم الله تعالى من ظلمه. قال هرثمة: مضيت فى الحال إلى يحيى بن خالد، وأطلعته على مجريات الأمور ومضيت إلى هارون وبايعته.

الرشيد أبو جعفر هارون المهدى: كان الخليفة الخامس لبنى العباس، والرابع والعشرين بالنسبة للنبى (ﷺ)، كان عظيمًا فاضلاً متواضعًا، بايعه يحيى

بن خالد البرمكى مع أهل بغداد فى الليلة التى مات فيها الهادى، وكان يحيى من أبناء ملوك ساسان، فأسند إليه الوزارة، وولد المأمون فى تلك الليلة، ويسمون هذه الليلة ليلة الهاشمية، وقالوا فى هذا اليوم أشعاراً منها قول الموصلى(٣٩) :

ألم تر أن الشمس كانت سقيمة ... فلما ولى هارون أشرق نورها
بيمن أمين الله هارون ذى الندى ... فهارون واليها ويحيى وزيرها

وولد محمد الأمين بعد ستة شهور من خلافة هارون، ومنح هارون خراسان إلى جعفر بن محمد بن الأشعث بن قيس، وتوفيت فى سنة خمسٍ وسبعين ومائة الخيزران أم الرشيد، ومحمد بن سليمان والى البصرة.

وتوفى فى سنة خمسٍ وثمانين ومائة، أبو الحارث الليث بن سعد المصرى، وكان فى الثانية والثمانين من عمره، وتوفى أبو عبد الله شريك بن عبد الله بن سنان النجفى القاضى فى الكوفة، وكان فى الثانية والثمانين من العمر أيضًا، وتوفى حماد بن زيد. وفى سنة إحدى وثمانين ومائة، توفى عبد الله بن المبارك المروزى القبة، وكان فى الثالثة والستين من عمره، وتوفى أبو يوسف القاضى يعقوب بن إبراهيم فى سنة اثنتين وثمانين ومائة، وكان فى التاسعة والستين من عمره، وتوفى أبو على فضيل بن عياض بن مسعود اليربوعى التميمى الخراسانى فى سنة سبعٍ وثمانين ومائة.

حكاية: قال هارون الرشيد ذات ليلة للفضل البرمكى: احملنى إلى رجل نأنس به هذه الليلة، فقد سَئِم قلبى من هذا العمل؛ فحمله الفضل إلى باب سفيان بن عيينة وصاح، فقال سفيان: من؟، فقال الفضل: أمير المؤمنين، فقال سفيان: لماذا لم تخبرنى حتى أقوم بالخدمة؟، فقال هارون: ليس هذا الرجل الذى أريده، فقال سفيان: إن الرجل الذى تطلبه هو فضيل بن عياض، فمضى الفضل وهارون إلى باب قصر الفضيل، وكان يقرأ القرآن، ووصل إلى هذه الآية : ﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾(٤٠) فقال هارون: إذا كنا نطلب النصيحة فهذا هو الصحيح، ثم طرق الباب، فقال الفضيل:

من الطارق؟، قالوا: أمير المؤمنين، قال: أى شأن له عندى، وأى عمل لى معه؟، فقال الفضل: إن طاعة أولى الأمر واجبة، قال : لا تضايقنى، فقال الفضل: أندخل تحت أمرك أم تحت الحكم (الدين)؟، فقال الفضيل: لا أمر إذا ما عملتم بالحكم فأنتم تعلمون، فدخلوا، فأطفأ الفضيل المصباح حتى لا يرى وجههما، فرفع هارون يده فوقعت فجأة على يد الفضيل، فقال الفضيل: ما أشد نعومة هذه اليد إذا ما نجت من نار جهنم!، قال هذا ووقف يصلى، فانخرط هارون فى البكاء، وقال: قل شيئًا، ولما انتهى الفضيل من الصلاة قال: كان جدك عم المصطفى (ﷺ)، فطلب منه أن يجعله أميرًا على قوم، قال المصطفى (ﷺ): عليك بنفسك؛ أى إن النفس فى طاعة الله أفضل من يطيعك الناس ألف عام، إن الإمارة يوم القيامة الندامة، قال هارون: زدنى، قال: لما جعلوا عمر بن عبد العزيز خليفة، نادى سالم بن عبد الله، ورجاء بن حيوة، ومحمداً بن كعب، وقال: لقد ابتليت بهذا العمل، فما تدبير أمرى؟، فقال واحد: إذا أردت أن تنجو من نار جهنم غدًا فاعتبر شيوخ المسلمين كأبيك، وشبابهم كإخوتك، والأطفال مثل أبنائك، وعايشهم مثل معايشتهم لآبائهم وأخواتهم وأبنائهم، فقال هارون: زدنى، فقال الفضيل: إن ديار الإسلام مثل دارك، وأهل البيت عيالك؛ فزر الأب وكن كريمًا مع الإخوة وأحسن معاملة الأبناء، ثم قال: أخشى على وجهك الكريم أن يحترق بنار جهنم.

شعر

كم من وجه صبيح فى النار فضيح   وكم من أمير هناك أسير

فاخش الله، وانتبه إلى ما سوف تجيبه؛ لأنه سوف يسألك يوم القيامة عن المسلمين واحدًا واحدًا، وسيطلب إنصاف كل واحد، وإذا ما نامت امرأة عجوز بلا طعام ذات ليلة، فإنها ستتعلق بك غدًا وستعاديك؛ فخر هارون عن وعيه من البكاء، فقال الفضل: كفى فقد قتلت أمير المؤمنين، فقال الفضيل: اسكت يا هامان فقد قتلته أنت وقومك ولم أقتله[٤١]، فازداد هارون فى البكاء، فقال هارون للفضل: لقد سماك هامان؛ لأنه يعرف أنى فرعون، ثم قال هارون: أليس عليك أى دين؟، فقال الفضيل: على دين الله،

وهو الطاعة، فإذا كان يؤاخذنى بها فالويل لى، فقال هارون: أقول عليك دين للخلق، قال: الحمد لله إن لى منه نعمًا كثيرة، ولست أشكو منه حتى أقولها للناس، فقدم هارون إلى الفضيل بدرة من ذهب، وقال: هذا حلال لأنها جاءتنى من ميراث أمى، فقال الفضيل: نصائحى تلك لم تنفعك، كما إنك بدأت الظلم هنا، إنى أدعوك إلى الفوز والفلاح، وأقول لك: إن ما لديك رده إلى الله، فإنك تعطى إلىَّ ما لا يجب أن تعطيه، قال هذا ونهض من أمام هارون ومضى، فخرج هارون، وقال: إن الرجل فضيل حقًّا.

وتوفى أبو إسحاق إبراهيم بن أدهم بن منصور البلخى فى مكة، الذى كان مصاحبًا لسفيان الثورى، والفضيل بن عياض فى الشام سنة ست وثمانين ومائة.

حكاية: طوف إبراهيم بن أدهم أربعة عشر عامًا فى البادية، وكان يصلى فى الطريق حتى وصل مكة، فاستقبله شيوخ الحرم، فطرح إبراهيم نفسه أمام القافلة حتى لا يعرفه أحد، فوصل إليه خدام الحرم قبل الشيوخ، وسألوا هل اقترب إبراهيم بن أدهم؟؛ لأن شيوخ الحرم قدموا لاستقباله، قال: ماذا يريدون من هذا الزنديق؟؛ فصفعه الخدم على قفاه قائلين له: أنت الزنديق، فقال إبراهيم: أقول هذا كذلك، ولما انفضوا عنه، قال إبراهيم لنفسه: يا أيتها النفس! لقد رأيت جزاءك، فطلبوا منه المعذرة فى الوقت الذى عرفوه فيه، وسكن مكة، وكان يعيش من كسب يده، فتارة يبيع الحطب، وتارة أخرى يعمل بستانيًا. قيل: إنه شعر ذات ليلة فى الشتاء ببرد شديد فى غار، وكان فيه حتى السحر، وكان يخشى عليه من الموت، فخطر فى باله أن يلبس فروًا، فأدفأ الفرو ظهره فى الحال، ودخل فى النوم، ولما استيقظ رأى تنينًا كان الفرو يدفئه، فقال: يا إلهى لقد أرسلته إلى لطفًا منك، ولا طاقة لى أن أراه مقهورًا، فوضع رأسه على الأرض فى الحال ومضى.

وتوفى أبو عيسى سليم بن عيسى الحنفى الكوفى القارئ فى الكوفة، وأبو الحسن على حمزة الكسائى القارئ، وأبو عبد الله محمد بن الحسن الشيبانى القاضى فى الرى سنة تسع وثمانين ومائة.

حكاية: من النعم والألطاف التى سبغها الله تعالى على هارون الرشيد، فواحدة منها أن كان له وزير آية فى الكرم واللطف والخلق والحلم هو وأبناؤه، وكان ليحيى بن خالد البرمكى أربعة أبناء: فضل، وجعفر، ومحمد، وموسى. فكان الفضل وجعفر وزيران ومحمد وموسى أميران، وكانت لهم الولايات، ولم يكن لأى وزير فى التاريخ مثل هذا الثراء الذى كان للبرامكة، وكان سبب غضب الرشيد على البرامكة، أنه كان يحب جعفر بن يحيى حبًا إلى أبعد غاية، حتى إنه لم يكن يطيق صبرًا على فراقه لحظة، وكان لهارون أخت تسمى العباسة، وكانت مشغوفة به، ولم تكن أن تتخلف عن هارون بأى حال، وكان إذا جلس هارون فى الحرم بمجلس طرب لم تتخلف عن خدمته فى أى حال، وكان جعفر يطلبها فى الخلوة، وكان يتحاشى الدخول بسببها، حتى قال هارون ذات يوم: أعلم سبب امتناع جعفر عن مجلسنا والسبب العباسة والوحشة فى مجلسى بسببها، ولكننى أزوجك إياها بشرط أن لا يكون بينكما سوى الكلام، وعلى ألا يكون بينكما مزاح، ولا أى اجتماع قط، وأقصد هذا السبب ما دمت أنت محرمًا لها فيمكنك أن تدخل فى مجلس الحرم بلا تكلف ولا تحرج. وانعقد بينهما عقد الزواج بعد ذلك، وجلس جعفر فى مجلس أمير المؤمنين بلا كلفة، وكان يتحدث مع العباسة ولكنه استاء من شىء، وهو أن الخاتم لم يكن فى إصبع من أصابعه، ومهما كان يصنع الواحد منهم فى سمع الآخر حلو الكلام من وعاء الحلوى، إلا إنهم لم يستطيعوا أن يضعوا رطب الطرب فى قدح الفرح، وكان جعفر وسيمًا، وقد وضعت العباسة حرقة عشقه فى المقلاة والطاس، حتى سكر من خمر الهوى، وأرسلت إليه رسالة تقول فيها : تعال لأجنى من شجرة وصالك ثمرة الروح، فأنا من شدة العشق مثل التفاحة التى تتألف من شقين، ولما وصلت هذه الرسالة إلى جعفرأرسل جوابًا يقول فيه :

شعر

من ذا الذى لا يريد أن تكون روحه	ومعشوقته الظاهرة والخفية
لقد شئت أن أجعل قلبى شطرين	وأخشى أن تكون وسطه

ولو أن المانع الديني والشرعي قد ارتفع من بيننا، وأن عقد النكاح رفع من أمامنا حجاب الامتناع.

شعر

أرى مـــاءً وبي عطش شـــديد ولكن لا ســـبـيل إلى الورود[٤٢]

إذا كان القلب فداء تقبيل قدم ذلك الثمل بي فإنه في يدي، لقد نهضت عن سرير الملك وبحثوا عن فرصة في قصر الخلافة وطلبوا خلوة، وحققوا المراد من بعضهما.

شعر

ذلك الجوهر الإنساني الذي هو أفضل من الياقوت حـمله من صندوق ياقـوت المحـبـة
لقد سكب سن قلمه الدم مثل السيف ولكن سـهم الطرب تجـاوز الهـدف
بدون الأخذ والعطاء جعل من العشرين ثلاثين وضـرب واحـداً في السـتين وكـتب
شق الصـدف وأخـذ بالعـقـيق وبعـد ذلك فـضل النار على الماء
أخذ الورد والياقوت من خميلة الثمار وزرع الزارع الياسمين له على تلك الخميلة

ولما وصل الأمر من المشاهدة إلى الملاعبة، وكانا ينعمان مع بعضهما بالوصال في الخفاء، حتى شب للعباسة ولدان من جعفر، فأرسلت الولدين إلى مكة حتى يتربيا، وكانت تخفي هذا الأمر عن أمير المؤمنين حتى تنتهي فترة دولته، وحدث أن جرى كلام بين العباسة وإحدى جواري هارون، فبلغت تلك الجارية الخليفة بهذا الأمر وكررت الحديث عن ذكر الولدين؛ فتألم أمير المؤمنين من ذلك الأمر[٤٣].

وجاء في كتاب خلق الإنسان، أنه حينما ثار يحيى بن عبد الله المحض في طبرستان، مضى الفضل بن يحيى لمحاربته، ورغب إلى الفضل أن يطلب له الأمان من أمير المؤمنين،

فكتب إليه هارون كتاب الأمان بخط يده واستودعه عند جعفر، فقال لجعفر ذات ليلة: امضِ إليه وأنجز عمله، فأرسل جعفر يحيى إلى خراسان؛ ليخفيه عند على بن عيسى بن ماهان، وكان بين جعفر وعلى حقد دفين، فأخبر هارون بهذا الأمر فى الحال، فصمم الخليفة على إسقاط آل برمك، وسافر للحج فى سنة ثمانٍ وثمانين ومائة، وأخذ معه يحيى وجعفر والفضل والجارية التى أفضت إليه بخبر العباسة، ولما وصل إلى مقصده وأدى مناسك الحج، استدعى ابنى العباسة، وجاء فى تاريخ الطبرى، أنه قتلهما، ويقول المقدسى: إنه طرحهما فى بئر، ولما عاد فى ليلة السبت أو شهر صفر سنة تسعٍ وثمانين ومائة، أرسل مسروراً الخادم؛ ليقتلع رأس جعفر، فقضى على هذا المعدن للكرم وتلك الدنيا للمروءة، وكان له من العمر خمسة وخمسون عاماً.

شعر

عليك سلام الله وقفاً فإننى　　　رأيت الكريم الحر ليس له عمر

وفى نفس الوقت الذى قتلوا فيه يحيى قتلوا معه ثلاثة أبناء آخرين، وكتبوا أمراً من السلطان، وأرسلوه إلى أطراف البلاد جاء فيه بقتل كل أولاد البرامكة فى كل مكان، وصادر كل ضياعهم وأموالهم واستولى عليها، وأرسل هارون جثة جعفر إلى بغداد ليصلبوه وعلقوا رأسه على رأس جسر، ولم يبق على وجه الأرض أحد من بنى برمك إلا محمد بن خالد البرمكى وكان رجلاً زاهداً ولم يخض فى أمر الملك، وأسقط أسرة البرامكة التى نزلت فيهم آية الكرم، وكان من أول خلافة هارون إلى انقراض دولة البرامكة تسعة عشر عاماً واثنى عشر يوماً، وقال الشعراء الكثير من المراثى فيهم، ومنها قصيدتان طويلتان لعلى بن معاد(٤٤).

شعر

يا أيها المغتر بالدهر　　　والدهر ذو صروف وذو غدر

إن كنت ذا جهل بتصريفه　　　فانظر إلى المصلوب بالجسر

فبينما جعفر في ملكه عشية الجمعة في القمر
إذا عثر الدهر به عثرة ياويلتا في عثرة الدهر
فغودر البائس في ليلة السبت قبيلاً مطلع الفجر
وجيء بالشيخ وأولاده يحيي معًبا في الغل والأسر
كأنما كانوا على موعد كموعد الناس إلى الحشر
فأصبحوا للناس أحدوثة سبحان ذى السلطان والأمر

وممن قال فيهم سلم الخاسر(٤٥) حيث يقول :

خوت أنجم الجدوى وشلت يد الندى وغاضت بحار الجود بعد البرامك
هوت أنجم كانت لأبناء برمك بها يعرف الهادى طويل المسالك

شعر

أيها الطفل إذا كان الدهرمن ثدى الحرص والطمع فإنه في يوم أو يومين سعادة وإقبال البرامكة
لا تغتر بكمالك في مهد العمر فاذكر زمان كرماء البرامكة(٤٦)

وفي عهد هارون توفي الإمام موسى بن جعفر الصادق (رضى الله عنه) في بغداد سنة ست وثمانين ومائة، وكان في الرابعة والخمسين من عمره، وتوفي أبو عمرو حفص بن سليمان بن المغيرة الأسدى البزار الكوفي القارئ في سنة تسعين ومائة، وبعد ذلك مضى هارون على خراسان، وأبقى محمداً الأمين في بغداد وصحب معه المأمون، وأسند لمحمد من حد المغرب إلى سفح جبل حلوان، وإلى المأمون من سفح حلوان حتى حد المشرق، وقال لهرثمة أن يعتقل على بن عيسى؛ فأرسله إلى بغداد ومضى إلى طوس بنفسه، ونزل في قصر حميد بن عبد المجيد، وتوفي يوم السبت الرابع من جمادى الآخرة سنة مائة وثلاث وتسعين، وكان عمره أربعًا وأربعين سنة وأربعة أشهر، وصلى عليه صالح بن بشر، وكان حاجبه في هذا الوقت الفضل بن ربيع، وكاتبه إسماعيل بن صبيح،

وكان له ثلاثة عشر ولداً، وأربع بنات، وزوجتان، وكانت مدة خلافته ثلاثة وعشرين عاماً وشهرين وسبعة عشر يوماً (رحمه الله).

الأمين أبو عبد الله محمد بن هارون: كان الخليفة السادس لبنى العباس والخامس والعشرين بعد النبى (ﷺ)، وكان كريم الطرفين، وأمه زبيدة بنت عم هارون الرشيد جعفر بن المنصور، وبنَت زبيدة مدينة تبريز وقزوين، وتخربت تبريز بعد ذلك فى سنة مائة وإحدى وثمانين، ثم أمر أمير المؤمنين المتوكل بتعميرها، وفى سنة مائتين وتسع وأربعين خربها الزلزال مرة أخرى، فعمرها الأمير وهودان بن روادى الذى كان والياً على العراق وأذربيجان، وتنبأ أبو طاهر الشيرازى المنجم بعد ذلك أنها ستتخرب حسب دلائل النجوم فى وقت صلاة العشاء، فأمر الأمير وهودان منادياً ينادى، وخرج الناس وكانوا ينظرون للمدينة وخربها الزلزال فى سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة، وبعد ذلك أمر الأمير وهودان أبا طاهر المنجم ليختار وقتاً سعيداً لتعمير تبريز حتى لا تتخرب بالزلزال، فاختار أبو طاهر فى تلك السنة فى طالع برج العقرب، إلا إنه لم يتعهد بوقوع السيل، ووضع صورة طالع الزيج على هذا النحو.

ولما مات الخليفة، حمل الفضل بن الربيع بناء على أمر محمد الأمين جميع أموال هارون الرشيد إلى بغداد، ولما عرف المأمون استودعها فى مجلس الأمين، وأسند محمد الأمين الوزارة إلى الفضل بن ربيع، وأمر المأمون بالوزارة للفضل بن سهل، الذى كان من كفاءة الدنيا وأعيان الزمان، وبسط المأمون بساط العدل والإنصاف، وأعفى الرعية من خراج عام، ورفع عن وجهه البرقع الذى كان الخلفاء يضعونه على وجوههم، وكان يذهب للمسجد كل يوم ويحادث العلماء والفضلاء، وكان يقيم بنفسه أمور الشرع ومصالح الملك، واشتغل محمد الأمين باللهو والطرب فى بغداد وترك أمور الرعية للفضل بن ربيع، الذى رغبه فى هذا وأوحى إليه أن يخلع إخوته، وبدأ بداية باستدعاء القاسم والمؤتمن من بلاد الموصل والجزيرة، حيث كانت لهما وطلب منهما أن يخلعا نفسيهما، ولما امتنع المأمون أمر بأن يمنعوا اسمه من الخطبة والسكة، وأرسل محمد الأمين إلى مكة؛ ليمزقوا تلك الصفحات التى كان الرشيد قد كتبها وعلقها على باب الكعبة،

وهناك أمر بعض الناس أن يبايعوا ابنه موسى، وسموه الناطق بالحق، وكان هذا بناء على غواية الفضل بن ربيع، ولما وصل إلى هناك كان الأمر قد وصل سرعان ما رأى نقض العهد.

ومغزى هذه الحكاية أنَّ أضر شيء على الملك وزير ليس له دين؛ لأنه يضر بمصالح الملك من أجل غرض يحققه، وتحجب حجب حقده وغيرته شمس رأى الملك، وقالوا :

الوزير الطيب هو الذى يحترس من الوزر وهو دليل الحظ والإقبال للملك

وإذا ما جعل الوزير الهوى أميره فإن جميع المملكة تكون هباء من هوائه

ولما أصبح الأمين خليفة، أطلق سراح على بن عيسى، وأنعم عليه، وأكرمه إكرامًا لا حد له، وظل الأمين فى الخلافة ثلاثة أعوام وخمسة وعشرين يومًا، وبعد ذلك خلعوه وحبسوه، وجعلوا الخلافة من بعده لعمه أبى إسحاق بن إبراهيم، وأطلقوا سراح الأمين من الحبس بعد أربعة وعشرين يومًا وبايعوه وجعلوه خليفة، وكانت له الخلافة مرة أخرى مدة عام وستة أشهر وعشرين يومًا، وفى النهاية أرسل عليًا بن عيسى بجيش لمحاربة أخيه، وسير المأمون طاهرًا بن الحسين لصده، وتوجه طاهر بالجيش، وأسرع به، حيث استولى على الرى وتجاوزها، وحارب على بن عيسى وهزم عليًا، وتوجه جيشه إلى بغداد منهزمًا، وأخذ أكثرهم الحذر، وكتب طاهر رسالة فى الحال إلى الفضل بن سهل، وراعى فى تلك الرسالة غاية الإيجاز فى الكلام، والاختصار فى الحديث، وكان مضمون الرسالة:" بعد قبول الخدمة ليكن معلومًا لرأيك الأنور أننى كتبت فى الوقت الذى كان فيه رأس على بن عيسى أمامى، والخاتم فى إصبعى والسلام".

ولما وصلت الرسالة إلى أمير المؤمنين المأمون، سلموا الخلافة له فى نفس اليوم، وسمى المأمون طاهرًا ذا اليمينين، وأمر بأن يتوجه إلى بغداد، وأرسل هرثمة إلى بغداد مددًا له، واستولى طاهر على بغداد فى سنة ثمانٍ وتسعين ومائة، وألقى محمد الأمين فى الماء؛ فانتشله رجال طاهر وحبسوه فى جوسق قاضى بغداد، وقتله غلام طاهر الذى كان يسمى فردوس، وكان فى الثامنة والعشرين من عمره، ومدة خلافته عام وسبعة

أشهر وثمانية عشر يومًا، وكان مقتله ليلة الأحد الخامس والعشرين من المحرم سنة تسع وثمانين ومائة، وكان له ولدان: الناطق بالحق موسى، والعالم بالحق عبد الله.

ويقولون: إن طاهرًا أمر بقتل العالم بالحق عبد الله وهو حي، وكان ذلك في ليلة قدم فيها قروى من بغداد في الفجر، ونام بجوار قبر في المقبرة، فرأى فجأة شعلة تظهر مع جماعة من الفرسان وتابوتًا، ومشاة يجرون خلف جواد هذا الأمير، وكانوا يقبلون ركابه ويتضرعون، وكان يضربه بالسوط ويبعده، ووقع في التراب، حتى وصلوا إلى رأس قبر ودفنوا هذا التابوت، وسووا القبر بالأرض، فوقع ذلك الماشي على رأس هذا القبر وكان ينوح، وسحبوه وحملوه ومضوا، فعرف القروى أن من في التابوت حي، ففحر القبر وأخرج التابوت، فرأى شابًا وسيمًا، وقال: من أنت؟، قال: أنا رجل كاتب حافظ وهؤلاء أعدائي، فقد غلبوني وقبضوا علي، وحملوني إلى القبر على تلك الحال التي رأيتها، ولما قدر الحق تعالى الحياة لي أوصلك إلي، ألا تستطيع أن تخفيني ؟، فقال القروى: إن قريتي قريبة وأحملك إلى هناك، وحمله إليها وأنزله في داره، وهيأ له كل ما يحتاج، وأصبح معلمًا لأبنائه، وظل مجهولاً حتى توفي في عهد المعتصم سنة تسع عشرة ومائتين.

وتوفي أبو بكر شعبة بن عباس بن سالم الأسدي الكوفي في زمانه سنة مائة وأربع وتسعين، وتوفي أبو سعيد ورش القارئ، وهو عثمان بن سعيد المقرئ في مصر سنة خمس وتسعين ومائتين.

المأمون أبو العباس عبد الله بن الرشيد: كان الخليفة السابع لبني العباس والسادس والعشرين بالنسبة إلى النبي (ﷺ)، كان ملكًا عاقلاً عادلاً فاضلاً واشتغل بالفنون والعلوم، وأقام مرصدًا في بغداد وينسب إليه الزيج المأموني، ولما ولي الخلافة واستقر في مرو، كان طاهر بن الحسين في بغداد واستقر أمر العراق، ثار نصر بن المسيب في الرقة سنة تسع وتسعين ومائة، واستولى على الموصل، فأرسل المأمون الحسن بن سهل الساماني، الذي كان أخًا للفضل إلى بغداد، وأمر بأن يمضي طاهرٌ لحرب نصر، ويعود هرثمة إلى خراسان، فأسر طاهر نصر بن المسيب وأرسله إلى المأمون، وبقي في الرقة واليًا عليها.

ولما قدم الحسن بن سهل بغداد، كان أبو السرايا غلام هرثمة من رجال الدهر وأبطال المدينة، فقطع مرسومه ومضى إلى الكوفة، وأظهر واحداً من السادات الطالبين المعروفين ويسمى طباطبا وبايعه، وطرد رجال الحسن بن سهل من الكوفة وجعل الخطبة باسمه، فأرسل الحسن بن سهل الجيوش وهزمهم جميعًا وقوى أمره، وطلب هرثمة ليجيش الجيش وهزم أبا السرايا، وثار أهل بغداد على الحسن بن سهل وكانوا كارهين له، فأراد هرثمة أن يمضى إلى دار الخلافة؛ ليعرض حال الحسن وتغافله، فكتب الحسن للفضل رسالة وأخبره بحال هرثمة، وقال الفضل للمأمون: كانت ثورة أبى السرايا بأمر من هرثمة ولو كنت طلبته ما خرج أبو السرايا، فأمر المأمون أن يكتبوا ولاية قم له، وأمره بأن يعود من هناك.

وكان هرثمة بسبب ذلك على ثقة بعهد أمير المؤمنين، وقال: أمضى أولاً وأجدد عهد الخدمة، وأخبر أمير المؤمنين بحقيقة الأحوال، ولما بلغ مرو، قال الفضل: إن هرثمة لم يطع أمر أمير المؤمنين، ويريد أن يكون خليفة، وبناء على ذلك أمر أن ينزلوه ويأتوا به مقيد اليدين إلى المأمون، ولما أراد هرثمة عرض عذره، لم يدعه الفضل، وأمر أن يلكموه وحملوه إلى السجن وقضوا عليه فى الليل.

ولما كان المأمون يحب نسل النبى (ﷺ)، استدعى الرضا على بن موسى من بغداد بكل مظاهر الإعزاز، وجعله نائبه وولى عهده، وأرسل الخبر إلى أطراف الدنيا وأخذ البيعة له على أن يكون الخليفة بعد المأمون، إلا إنه لم يقبل، وذات يوم أثناء الحوار ذكر أمير المؤمنين ظلم الحسن بن سهل، وكراهية الخلق له ومبايعته لإبراهيم بن المهدى وأحوال هرثمة وقتله، ولما ذكر هذه الأوضاع مضى بنفسه إلى بغداد من أجل أن يدفع إبراهيم بن المهدى، وأمر أربعة من المشاة على باب سرخس حتى قتلوا الفضل فى الحمام، وقدم طوس من سرخس وزار قبر أبيه، وكان معه الإمام بن موسى الرضا، يقولون: أكل كثيراً من العنب ذات يوم ومرض، وفارقت روحه المباركة جسده، وجزع المأمون على وفاته كثيراً، ويعتقد جماعة من الشيعة أنهم دسوا له السم فى العنب، ودفنوه فى طوس سنة ثلاث ومائتين.

وتوفى أبو يزيد طيفور بن عيسى بن سروشان بن مؤيد البسطامى فى سنة مائتين وأربعٍ، وكان يبلغ من العمر مائة عام، كان آدم، طيفور، وعلى ثلاثة إخوة، وكان جدهم مجوسيًا، وذكر محمد بن على الصعلوكى فى كتاب النور، أن أبا اليزيد أربعة أولهم: سلطان العارفين أبو يزيد طيفور بن عيسى بن سروشان، وثانيهم: أبو اليزيد القاضى طيفور بن ابن موسى يعقوب بن آدم بن عيسى بن سروشان، وثالثهم: أبو يزيد طيفور بن على بن آدم بن عيسى بن سروشان، والرابع من قبيلة أخرى: وهو أبو يزيد طيفور بن حسن بن عامر البسطامى (رحمهم الله)، وقال: إن ولادة أبى اليزيد كانت فى سنة إحدى وثلاثين ومائتين فى بسطام، وعاش ثلاثة وسبعين عامًا، وتوفى فى سنة أربعٍ ومائتين، وجده سروشان والى قومس، وهى دمغان، ويقولون: إنه صاحب مروءة وسخاء، وآمن على يد إبراهيم بن عرفة، الذى كان من صوفية العرب، وقدم بسطام فى بداية الإسلام، وكان ابنه عيسى مصاحبًا للصالحين على الدوام، وتزوج خالة ذى النون المصرى، واسمها عز العزيز، وولد منها آدم، وطيفور، وعلى، وتوفى أبوهم بعد أربعة أعوام.

وخدم أبو يزيد مائة وثلاثة عشر شيخًا كان آخرهم جعفر الصادق وكان سقّاءه، قال له الصادق ذات يوم: خذ هذا الكتاب من الطاق، فقال أبو اليزيد: أى طاق؟، فقال الصادق: لم تر طاقًا فى المنزل منذ مدة!، قال: وما شأنى به ولم أشاهده، فقال الصادق: مادام الأمر كذلك امضِ إلى بسطام، وبذلك يكون قد تم أمرك. قال يا يزيد: جاهدت ثلاثين عامًا فى سبيل الله، ولم أجد شيئًا أصعب من العلم ومتابعته، وإلا كان اختلاف العلماء سببًا لسوء حظى، واختلاف العلماء رحمة إلا فى وحدانية الله، وقال: كنت فى هذا الحزن، وطلبت من الله؛ ليدفع عن قلبى الرغبة فى النساء والطعام، وقلت لنفسى: كيف يليق بى أن أسأل مثل هذا السؤال؟، ولم يسأله رسول الله (ﷺ)، فصمت فرفع الله تعالى عن قلبى بركة هذه الرغبة، فإذا لم أتناول الطعام لمدة عام فلا يختلف الأمر بالنسبة لى، والمرأة التى تقدم على تصبح هى والجدار سواء.

فسألوه ماذا كان أصعب شيءٍ رأيته فى الطريق؟، قال: إن وصفه غير ممكن، قالوا: وماذا كان أسهل شيء رأته نفسك فى طريق الله؟، قال: أقول هذا، قال: طلبت

نفسي ذات ليلة بالطاعة، فتكاسلت، وطالما يقول إنسان مرة واحدة: سبحان الله، لم أسقها الماء عامًا، وقلت: إذا تكاسلت بعد هذا فلن أعطيك الخبز عامًا.

وتوفى الشيخ أبو محفوظ المعروف بفيروز الكرخي فى سنة مائتين، وكان أبوه وأمه مسيحيين، وأرسلاه إلى معلم ليعلمه المسيحية، فهرب منهما ومضى لخدمة على بن موسى الرضا.

حكاية: قال محمد بن الحسن: رأيت معروفًا فى المنام، قلت: ماذا صنع الله بك؟ قال: غفر لى، قلت: أبزهدك؟، قال: لا، ولكن بكلمة سمعتها من ابن السماك فى الكوفة، حيث قال: كل من يرجع بالأمر كله إلى الله تعالى، فإن الله تعالى يرجع إليه بالرحمة، ويعهد إليه بكل الخلق له؛ فوقع كلامه فى قلبى، ورجعت إلى الله ورفعت يدى عن كل الأعمال ماعدا خدمة على بن موسى الرضا، وقلت هذا الكلام له، فقال: إذا قبلت هذا فهو كافٍ لك.

وتوفى أبو شعيب صالح بن حماد بن عبدالله بن إسماعيل الرسى السوسى فى خراسان سنة مائتين واثنتين، وتوفى الإمام أبو عبدالله محمد بن إدريس الشافعى فى مصر سنة مائتين وأربعٍ فى ليلة الجمعة السابع من رجب.

حكاية: قيل: إن شجارًا وقع بين هارون الرشيد وزبيدة، فقالت لهارون: يا من أنت من أهل جهنم، فقال هارون: إذا كنت من أهل جهنم فأنت طالق، فتفارقا، وكان هارون يحب زبيدة، فاستدعى علماء بغداد واستفتاهم فى هذه المسألة، فلم يتكلم أحد، قالوا: إن الله يعلم إذا كان هارون من أهل الجنة أو النار، وكان الشافعى فى ذلك الوقت طفلاً، فوقف فى وسط الجميع، وقال: أنا أجب عن هذا، فتعجب الناس، فاستدعاه هارون إليه، وقال: أجب، فقال الشافعى: أأنت محتاج إلى فى هذا الأمر أم أنا محتاج إليك؟، فقال هارون: لى حاجة بك، فقال الشافعى: إذًا أنزل عن العرش وأجلسنى عليه واجلس أمامى باحترام حتى أرد عليك؛ لأن درجة العلم عالية، ففعل هارون ما طلب، فقال الشافعى: أسألك سؤالاً؛ فأجب أولاً وعلى ذلك أجيبك، فقال هارون: قل، فقال الشافعى: ألم تكن قادرًا على اجتراح أى معصية قط، وأنك امتنعت عنها من خشية الله؟

فقال هارون: نعم، قال: قل كيف كان ذلك، قال ذهبت ذات ليلة إلى حرم أبى، أردت أن أرتكب معصية مع إحدى السرارى، إلا إنى امتنعت وتبت عن ذلك خوفًا من الله، فقال الشافعي: قل بالله مثل هذا، فقال هارون: والله هو كذلك، فقال الشافعي: حكمت أنك من أهل الجنة، فقال العلماء: بأى دليل؟، قال: بذلك الدليل الذى يقول فيه الحق تعالى: ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴾(٤٧)؛ فقالوا من كان فى طفولته هكذا، فكيف يكون فى شبابه!، وكانت مدة عمره أربعة وخمسين عامًا.

وتوفى أبو داود سليمان بن داود الطيالسي فى سنة مائتين وأربعٍ وكان فى الحادية والسبعين من عمره، وتوفى هشام بن محمد السايب الكلبى، ويزيد بن هارون بن زادان الواسطى، وكان فى التاسعة والثمانين من عمره، وهو من أصحاب الحديث فى واسط سنة ستٍ ومائتين، وتوفى فى نفس السنة جرير بن حازم، وشبانة بن سوار المدنى، والحجاج بن محمد الأعور الفقيه، وعبد الله بن النافع الصايغ المدنى مولى لبنى مخزوم، ووهب بن جرير، ونوفل بن إسماعيل، وروح بن عبادة، وهيثم بن عدى.

وتوفى محمد بن عمرو بن الواقدى مولى بنى هاشم المعروف بالواقدى سنة سبعٍ ومائتين، وكان فى السابعة والسبعين من عمره، وتوفى فى نفس السنة يحيى بن الحسينى بن يحيى بن زيد بن على (كرم الله وجهه) فى بغداد، وصلى عليه المأمون، وتوفى أبو عمرو نفيل بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن خالد بن سعيد بن حرجة المكى المخزومى القارئ بمكة، وقتل المأمون إبراهيم بن عبد الوهاب بن إبراهيم بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس المعروف بابن عائشة، ومحمد بن إبراهيم الأفريقى مع جماعة أخرى كانت فى الحبس فى سنة ثمانٍ ومائتين، وتوفى أبو القاسم النبيل، وهو الضحاك بن مخلد بن سنان الشيبانى، ومحمد بن يوسف الفارابى فى سنة إحدى عشرة ومائتين.

وتوفى الشيخ أبو سليمان عبد الرحمن الدارانى فى سنة خمس عشرة ومائتين، وداران قرية من أعمال دمشق، وكان أحد الحوارى مريده، قال: قال الشيخ: إن القناعة من الرضا بمكانة الورع من الزهد؛ فالأول هو الرضا، وهذا أول الزهد، وقال: لقد

وصلنا بالرضا لدرجة لو وضعوا فى عيننا اليمنى سبع طبقات من جهنم، فلا يستقيم فى خاطرنا لما لم توضع فى عيننا اليسرى.

وتوفى فى نفس السنة هود بن خليفة بن عبد الله بن عبيد الله بن أبى بكر، ومحمد بن عبد الله بن المثنى بن عبد الله بن أنس بن مالك الأنصارى، وإسحاق بن الطباع، وأبو عمرو معاوية بن عمرو، وأبو عمرو قبيضة بن عقبة من بنى عامر.

ولما بلغ المأمون بغداد، استدعى طاهراً من الرقة، وأرسله إلى خراسان، ومنحه إياها من جبل حلوان حتى أقصى بلاد المشرق، وفى نهاية الأمر، فإن خبث نيته وفساد ضميره كان باعثًا له على العصيان؛ فخلعه المأمون وطرح اسمه من الخطبة، وفى سنة سبعٍ ومائتين يوم الجمعة من شهر جمادى الأولى، ذكر الخطبة باسم القاسم بن على، وكفر بنعمة المأمون حتى نام فى ذلك الأسبوع ذات ليلة فى بيته ومات، ولم يعرف أحد سبب موته، وتلك عاقبة كفران النعمة فكل من أنكر نعمة وليه فسيصيبه الزمان بالبلاء، وكان للمأمون رغبة فى زيارة أنوشيروان العادل.

حكاية دخمة أنوشيروان: قيل إن المأمون أراد أن يرى مبانى المدائن وتلك القصور والقصر الذى كان لأنوشيروان، فصحب معه الحصن بن سهل الكاتب، وأحمد بن خالد الأحول وشاهدوا هذه الأبنية وأبدوا إعجابهم بها، وقال بعد ذلك: يجب أن أزور أنوشيروان، فقالوا: فى موضع كذا رجل شيخ يعلم أين دخمة أنوشيروان، فأحضروه، ولما قدم على المأمون أثنى عليه بلغة العجم، ثم قال: إن جد جدى كان حارس دخمة أنوشيروان وآلت إلىَّ بالوراثة.

قال: سيزورنى ملك من ملوك العرب من أقرباء النبى (عليه السلام)، وقدم أدلة وأنت تشبه هذا الرجل، فتعجب المأمون، وأمر بأن يضيِّفوه ثلاثة أيام، ثم استدعى الشيخ وقال: أظهر لنا دخمة أنوشيروان، فقال الشيخ: إنها فى الجبل ومن هنا إلى هناك خمسون فرسخًا، وعندما تمضى تجد واديًا عليه اثنى عشر فرسخًا، وعليه جبل طوله سبعة فراسخ، الدخمة على رأس هذا الجبل، دار منحوتة من صخر صلب وجوسق بطول ثلاثمائة ذراع، أرضه من فضة، وسقفه مزين بالذهب والجواهر النفيسة،

ووضع فى ممره عرش من ذهب ولؤلؤ وقد طرحت على هذا العرش ثياب منسوجة بالذهب والجوهر وعليه الملك الذى كان يملكه، وعلق تاج على رأس الوسادة، وطلوا جسده بعقاقير حتى لا يفسد ولا يتغير، وصنعت طلاسم فى هذا الجوسق حتى لايستطيع أحد أن يدخل هذا المكان ما عدا ملك العرب الذى أشار إليه، وأنا أرى كل هذه الأمارات فيك.

فقال المأمون: ينبغى أنك تعبت من الوصف، فقال الشيخ: لقد خربوا طريق هذا الجبل حتى لا يستطيع أحد أن يمضى إلى هناك، فينبغى أن ندبر أمر تعمير هذا الطريق، فأمر المأمون بأن تجمع الآلات والعلماء والعمال والأخشاب، فوضعوها على الجمال، ومضى المأمون وجمع من خواصه وذلك الشيخ، ولما وصلوا إلى نهاية الجبل شيدوا هذه الطرق، ولما انتهوا منها، مضى المأمون مع ثلاثة أشخاص، وخادم جنيبته الذى أمسك يده، وحملوا معهم عشرين دستة ثياب مزركشة وعدة مئات من الكافور والمسك والعنبر، ولما اقتربوا من الدخمة ترجل المأمون حتى وصل إلى بابها، فقال الشيخ: إذا كنت ذلك الذى أشار إليه فأمسك حلقة الباب وحركها، فأمسك المأمون حلقة الباب وحركها؛ فسقط مفتاح من أعلى الباب، فقال الشيخ: صح أنك ذلك الذى أشار إليه؛ ففتحوا الباب، فرأوا عدة فرسان بتمام أسلحتهم، وقد لبسوا الطلسم وهجموا نحوهم وحملوا عليهم، فقال الشيخ للمأمون: اطرح السوط من يدك فألقاه فسكنوا، ومضوا من هناك، ووصلوا إلى وسط القصر، فرأوا على ركن الضفة أربعة أسود وقد اتجهوا إليهم، فقال الشيخ: انشر كمك عليها، فنشره فسكنت، ولما وصلوا باب الدخمة رأوا أربعة سيوف حادة، كان قد علقها أعلى الباب فكانت تأتى وتذهب، ولم يكن لأحد القدرة على أن يقترب منها، فقال الشيخ: اخلع العمامة عن رأسك وادخل بشجاعة، فخلع العمامة عن رأسه فسكنت السيوف، فدخل وشاهدوا تلك العجائب من البسط والفرش والأدوات الذهبية، وفى وسط القصر قوالب ملقاة من الذهب والفضة وحوائط مرصعة بالجواهر النفيسة، ووقف خمسة غلمان وقد لبسوا الطلاسم، وحاملين السلاح على يمين العرش، وخمسة على اليسار، وخمسة من الأمام، وخمسة من الخلف، وقد تحركوا جميعًا إليهم واتجهوا نحوهم.

فقال العجوز: يا أمير المؤمنين صِحْ وقل من أنا؟؛ فصاح المـأمون، وغاب عن وعيه من الهيبة، وظن أنه حى، وبعد ذلك تفقد المـأمون ثلاثة مواضع وأبدى تواضعًا، وتوجه ناحية العرش وجلس، ووقف الحسن بن سهل، وأحمد بن خالد، وكان المـأمون ينظر فى وجه الملك وكان يرى ثيابه وبعضها قد تمزق، فطرح عليه المأمون ثيابًا جديدةً وستر بها عرشه ونثر عليه الكافور والمسك والعنبر، وكان قد بدا البياض فى جانبى لحية أنوشيروان وقد ربط عصابة من الديباج على رأسه كتب عليها أربعة أسطر من اللؤلؤ بشكل الكتابة، وكان المـأمون ينظر فيها، وقرأ هـذه الآية ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لأُولِي الأَبْصَارِ ﴾[٤٨]، فقال العجوز بعد ذلك: اقرأ ما كتب على هذه العصابة، فقرأ وكان أول سطر منها: الدنيا التى خلقها الله وأى جهد لى، وكان ثانى سطر: ليس لى فى الدنيا خلود فأى راحة فيها، وثالث سطر: ليس لى العمر الخالد فأية رغبة لى فيها، ورابع سطر: ما الذى يجوز فعله حتى حيث لا يجوز معرفته، ووضع كلتا يديه على صدره، ووضع خاتمًا من الجوهر فى إصبعه، وكانت كل كوة منها مضيئة، وكان المـأمون ينظر فى كل ناحية إلى ما حوله فى تعجب، فرأى لوحة من الذهب مكتوبة بخط منير عليها بعد موتى بعدة أعوام يأتى ملك من العرب يزورنا ويكسونا بثوب جديد ويعطرنا، وكانت صفته واسمه ونسبه إلى آدم هكذا، فنظروا فكانت تلك الصفة صفة المأمون، ولو لم يكن جسدنا خلى من الروح فنحن نعذره ونضيفه، أما تلك الكتابة التى تحت ركبتى فهى أجر مجيئه إلينا، فيأخذه ويقبل عذرنا، والثلاثة أشخاص الذين كانوا معه، فأحدهم ناقص التجربة، وهو يخوننا فينبغى للملك سوط يؤدبه به.

ولما قرأ المـأمون هذا اللوح وضع يده تحت ركبته؛ فرأى حجرًا كتب عليه فى ذلك الجبل عشرة كنوز من الذهب والفضة والجواهر فى موضع كذا فليحملها وليعذرنا، فحمل المأمون هذه الكتابة وقبل ركبته ويده وعاد، ولما خرج طلب الخادم أن يزوره، وأثناء عودته أخرج خاتم أنوشيروان وأخفاه، ولما مضوا فى الطريق، قال المـأمون لأحمد والحسن: إنه كان ملكًا عظيمًا عالمًا بكل شئ، ولكن الكلام الذى قاله صعب، فالناقص يخوننى وليس كلامه كذبًا، فكروا فيما يمكن أن يكون هذا؟، قالوا: الناقص هو الخادم ولا نعلم ماذا صنع، فسألوا الخادم وفتشوه، فوجدوا خاتم أنوشيروان معه، فعاد

المأمون ماشياً وقبل جانب عرشه، ووضع الخاتم فى إصبعه، ولما نظر رأى أربعة أسطر مكتوبة على أركان العرش الأربعة: كل من له الملك ليست له السعادة، وكل من ليست له زوجة ليس له مدبر فى بيته، وكل من ليس له ولد ليست له فرحة، وكل من ليست له هذه الثلاثة ليس مريضاً.

ثم خرج المأمون، وقرأ هذه الآية ﴿ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾[٤٩] ولما وصل إلى هذه الكنوز كما دل عليه أخذها، وحمل الجمال والدواب بالذهب والجواهر.

ويقولون: إن ثراء المأمون وأبنائه والأشياء التى صنعوها كل هذا منها، ولما وصل المدائن أمر أن يمثلوا بالخادم، وأن يعلقوه فى شجرة حتى يعتبر الناس، والطريق الذى كان قد مهده فى الجبل أمر بتخريبها، وأكرم الشيخ العجمى إكراماً عظيماً.

وفى سنة سبع عشرة ومائتين مضى المأمون إلى مصر وقتل عبدوس، وفى سنة مائتين وثمانى عشرة، جعل أخاه أبا إسحاق ولى عهده ولقبه بالمعتصم، وأرسل لكل أطراف العالم إعلاماً بذلك حتى يبايعوه، وعزم على غزو الروم فى العام نفسه، ولما وصل ديارها، يقال: إنه نزل عند نبع يسمى بندرود، وأرسل الجيوش إلى أطراف بلاد الروم، وكان جالساً ذات يوم على حافة هذا النبع، وأدلى قدميه فى الماء وأكل كثيراً من التمر؛ فانتابته القشعرة ومرض، وتوفى ليلة الخميس، السابع عشر من رجب فى العام المذكور، وفى ذلك اليوم كان عمر المأمون ثمانية وأربعين عاماً، وحملوا نعشه إلى طرطوس ودفنوه بها، ويقول أبو سعيد المخزومى فى رثائه :

شعر

هل رأيت النجوم أغنت عن المأمون أو عن ملكه المرسوس[٥٠]

خلفوه بعرصتى طرسوس مثل ما خلفا أباه بطوس

وكانت مدة خلافته عشرين عامًا وخمسة أشهر واثنين وعشرين يومًا، وأمه مراجل البادغيسية، وهــو من الخلفـــاء الذين منحــوا مبلغ ألف ألف درهم لشخص واحد، ولم يُحى بعده أحد سنة مقبولة[٥١].

المعتصم أبو إسحاق محمد بن الرشيد: كان الخليفة الثامن من خلفاء بنى العباس والسـابع والعـشـرين بالنسـبـة للنبى (ﷺ)، أمـه أم ولد ماردة بنت شـبيب، تولى الخلافة بعد أخيه، وقدم بغداد ونظم أمور الملك، وكان أول من اهتم باستخدام الترك، وشيد سامراء وجعلها دارًا للخلافة، وفتح عمورية بلاد الروم، ونقل بلاطه إلى بغداد واشترى تسعين غلامًا من الترك، وكان عظيمًا شجاعًا وبلغ من القوة لدرجة أنه يقتلع النقش من اليد بإصبعه، وأسند الوزارة لمحمد بن عبد الملك الزيات، وتوفى فى زمانه أبو نعيم الفضل بن ركين مولى طلحة بن عبد الله فى الكوفة، وبشر بن غياث المريسى وعبد الرحمن بن الرجا البغدادى فى سنة مائتين وتسع عشرة، وفى هذا العام ضرب المعتصم الإمام أحمد بن حنبل ثمانية وثلاثين سوطًا؛ ليقول بخلق القرآن.

حكاية: يقولون إنه لما كانت الغلبة للمعتزلة فى بغداد، قالوا: ينبغى أن يكلفوه حتى يقول القرآن مخلوق، فحملوه إلى قصر الخليفة، وكان الحارس على الباب، قال: أيها الإمام خذ حذرك على أن تكون رجلاً شجاعًا، فقد سرقت وضربونى ألف عصا ولم أقر حتى وجدت الخلاص فى النهاية، وصبرت على الباطل، فأنت أولى الناس بالصبر على الحق، فقال أحمد: إن هذا الكلام شجعنى، فضربوه وكان شيخًا ضعيفًا فشدوه بين عاقبين، وضربوه ثمانية وثلاثين سوطًا حتى يقول بأن القرآن مخلوق، إلا إنه أبى، وفكوا عنه قيد العذاب فى ذلك الوقت، وكانوا قد قيدوا يديه وجاءت يد من الغيب وربطت قيد عذابه، فلما رأوا هذا أطلقوا سراحه، ومات فى ذلك الوقت، وقال له قوم فى آخر العمر ماذا تقول فى قوم ضربوك ؟، قال: إنهم ظنوا أنى على الباطل، إلا إنهم ضربونى من أجل الحق، فلا خصومة لى معهم فى يوم القيامة إلا هذا الجرح.

وتوفى محمد بن على بن موسى الكاظم فى بغداد سنة مائتين وتسع عشرة فى الخامس من ذى الحجة، وتوفى أبو عيسى خلاد بن خليد الكوفى القارئ فى سنة

مائتين وعشرين، وتوفى عمرو بن مرزوق الباهلى البصرى، وأبو النعمان عازم بن محمد بن الفضل السدوسى، وأبو أيوب سليمان بن حرير الراسخى البصرى الأزدى، وسعيد بن الحكيم بن أبى مريم البصرى، وأحمد بن عبد الله العرابى، وسليمان الشاد الكوفى، وعلى المدينى، الذين كانوا من نقلة الأخبار وأصحاب الحديث فى سنة مائتين وثلاثٍ وعشرين، وتوفى أبو دلف القسم بن عيسى العجلى، وقالون بن عيسى بن مينا المدنى القارئ فى سنة أربعٍ وعشرين ومائتين، وتوفى بشر بن حافى المروزى فى بغداد سنة مائتين وسبعٍ وعشرين، ويقال: فى سنة مائتين وسبعٍ وخمسين فى بغداد، وكان يكنى بأبى نصر، وكان مريداً لخاله أبى على بن حشرم، قال: رأيت المصطفى (ﷺ) فى الرؤيا، فقال: يا بشر، أتعلم لماذا اختارك الله من بين رفاقك؟، قلت: لا يا رسول الله، قال: بمتابعتك سنتى، وخدمة الصالحين، وإسداء النصح إلى الإخوة، ومحبة الصحابة وأهل بيتى، فهذا ما أوصلك إلى منازل الصالحين.

وتوفى فى نفس السنة أبو الوليد بن هشام بن عبد الملك الطيالسى، وكان فى الثالثة والتسعين من عمره، وعبد الله بن عبد الوهاب الحجبى بن بشار الميعادى الرمادى، ومحمد بن كثير العبدى.

حكاية: قد حكى أن بابك الخرمى ثار فى عهد المعتصم، وكان زنديقًا ينكر الله عز وجل، ولم يكن يؤمن بالحلال والحرام، ولم يكن يعرف أن الأمر والنهى حق، ويقال: إن أمه كانت من قرية من أعمال آذربيجان، وإن رجلاً من نصارى سواد العراق زنى بها، وولدت منه بابك.

وقد حكى المقدسى فى تاريخه أنه اجتمع له من الزنادقة واللصوص والملحدين عشرون ألف فارس، وقتلوا ألف ألف مسلم، فأرسل الخليفة الأفشين بن كاوس لمحاربته، وأسند إليه ولاية آذربيجان، فاعتقله الأفشين وأرسله إلى الخليفة، فأمر المعتصم فمثلوا به وعلقوا رأسه فى بغداد على جسر فى يوم الجمعة الرابع عشر من شهر رمضان سنة ثلاثٍ وعشرين ومائتين.

وفى نفس العام ثار توفيل بن ميخائيل قيصر الروم، وتوجه المعتصم لمحاربته، وفتح عمورية، وكان قاضى القضاة أحمد بن أبى داود يعاصره، ومن الفقهاء العظام إسماعيل المزنى وربيع المرادى، وكان المعتصم يميل إلى الاعتزال ويعتقد فى خفض الفرد، وكان له ثمانية أولاد وثمانى بنات، وبقى له ثلاثة أبناء هم: هارون، وجعفر، ومحمد. وكانوا يسمونه الخليفة المثمن؛ لأنه كان الخليفة الثامن لبنى العباس. ولد ببغداد فى قصر الخلافة سنة مائة وتسع وثمانين، وعاش ثمانية وأربعين عامًا، وتوفى فى سرٌ من سنة مائتين وسبع وعشرين، وكانت مدة خلافته ثمانية أعوام وثمانية شهور وثمانية أيام.

الواثق بالله أبو جعفر هارون: كان الخليفة التاسع من خلفاء بنى العباس والثامن والعشرين بالنسبة للنبى (ﷺ)، وأمه أم ولد قراطيس، تولى الخلافة بعد أبيه، وكان يشبه المأمون فلقبوه بالمأمون الأصغر، وكان له ولد هو أبو عبد الله محمد، وكان وزيره محمد بن عبد الملك، وتوفى أبو محمد خلف بن هشام البزار القمى فى بغداد فى سنة تسع وعشرين ومائتين، وكان بين الشيخ أبى الحسن أحمد بن أبى الحوارى الدمشقى، ومريده سليمان الدرامى عهد على أن لا يقوم بينهما خلاف، وكان سليمان متغيرًا ذات يوم، فقدم أحمد، وقال: يا شيخ التنور مشتعل فبماذا تأمر؟، فلم يجب سليمان، وقال أحمد هذا ثلاث مرات، فقال سليمان: امضِ واجلس فيه، فمضى أحمد وجلس فيه، ولما مضت ساعة طلب سليمان أحمد، فقالوا: لا نعلم أين هو؟، فتذكر سليمان الحال، وقال: انظروا فى التنور فرأوه فيه وأخرجوه، ولم تحترق منه شعرة واحدة، فقال أحمد: إن كل من ينظر فى الدنيا راغبًا فيها مُحبًا لها أخرج الله نور اليقين والزهد من قلبه، وقال: كل من يعمل عملاً دون أن يتبع سنة رسول الله (ﷺ) فعمله باطل، وتوفى على بن جعد مولى بنى المخزوم، وكان من أصحاب الحديث.

وقتل الواثق أحمد بن نصر الخزاعى فى سنة مائتين وإحدى وثلاثين، وتوفى أبو حذيفة بن واصل بن عطاء شيخ المعتزلة الذى قال: إن الفاسق من أهل الملة ليس مؤمنًا ولا كافرًا، وتوفى أبو العباس عبد الله بن طاهر بن الحسين فى ربيع الأول سنة مائتين وثلاثين، وثار جماعة من الأعراب وتعرضوا للقوافل، فأرسل بوغاء الكبير ليدفع

شرهم، وثار نصر بن مالك فى بغداد وقتل، وعاش الواثق أربعة وثلاثين عامًا، وتوفى يوم الأربعاء الرابع والعشرين من ذى الحجة سنة مائتين واثنتين بمرض الاستسقاء، وكانت مدة خلافته خمسة أعوام وتسعة أشهر وثلاثة عشر يومًا.

المتوكل على الله أبو الفضل جعفر بن محمد بن هارون: كان الخليفة العاشر من خلفاء بنى العباس والتاسع والعشرين بعد النبى (ﷺ). أمه أم ولد، وأصبح خليفة بعد أخيه، كان يحب الفقهاء والمحدثين، وأسند الوزارة لأبى الوزير، وقتل محمد بن عبد الملك فى التنور الحديدى، الذى صنعه فى عهد المعتصم لتعذيب الناس، وتوفى القاضى محمد بن سماعة صاحب محمد بن الحسن الشيبانى، وكان فى المائة من عمره، ويحيى بن معين فى سنة مائتين وثلاثٍ وثلاثين.

عزل المتوكل القاضى أحمد بن أبى داود، وابنه أبا الوليد محمد بن أحمد فى سنة مائتين وخمسٍ وثلاثين، واسترد من أبى الوليد مائة وعشرين ألف دينار وجوهرة تساوى أربعين ألف دينار، وجعل أبا محمد يحيى بن أكثم قاضى القضاة، وتوفى الشيخ أبو حامد أحمد بن خضرويه البلخى، وكان فى الخامسة والتسعين من عمره، وكان لأحمد زوجة تسمى فاطمة بنت أمير بلخ، زهدت الدنيا وكانت آية فى التصوف، ومضت مع أحمد لزيارة بايزيد، ورفعت النقاب عن وجهها، وكانت تقول كلامًا فاحشًا، فغضب أحمد من ذلك ولما دخل، وضعت النقاب على وجهها، قال أحمد: ينبغى أن يكون الأمر على عكس ذلك ما معنى أن تخفى وجهك عنى، ولا تخفيه عن بايزيد، قالت فاطمة: لأنك محرم طبيعتى وهو محرم طريقتى ومنك بالهوى رسم، وهو مع الله، والدليل على هذا الكلام؛ لأنه ليس فى حاجة إلى الصحبة وأنت محتاج إلى، فقال أحمد: يكرم كل من خدم الدراويش بثلاثة أشياء: التواضع، وحسن الأدب، والسخاء.

وتوفى القاضى أبو عبد الله أحمد بن أبى داود بعد وفاة ابنه أبى الوليد بعشرين يومًا فى نفس السنة، وتوفى أبو جعفر محمد بن عبد الله الإسكافى، والإمام أحمد بن محمد بن حنبل، وأبو الحسن أحمد بن محمد بن عبد الله بن القاسم بن نافع بن أبى مرة المؤذن المكى القارئ فى نفس السنة، وتوفى أبو عمرو بن عبد الرحمن

بن أحمد بن بشير بن ذكران القرشى الدمشقى فى سنة مائتين واثنتين وأربعين، والشيخ أبو عبد الله حارس بن أسد المحاسبى فى بغداد سنة مائتين وثلاثٍ وأربعين. أصله من البصرة، وكان فى وقته شيخ المشايخ ببغداد.

يقول الشيخ أبو عبد الله بن خفيف: اقتدوا بخمسة من مشايخنا، واهتدوا بأحوالهم، وسلموها للآخرين، ولا تعارضوا، الأول: الحارث المحاسبى، والثانى: الجنيد البغدادى، والثالث: رويم، والرابع: عباس بن عطاء، والخامس: عمرو بن عثمان؛ لأن هؤلاء جمعوا بين العلم والحقائق، وكل من له اعتقاد بغيرهم فلا يَجْدُر بِهِ إلا أن يقتدى بهم. قال الحارث: المراقبة علم القلب بحضرة الله تعالى، والرضا هو الراحة تحت أحوال الأحكام، والصبر هدف سهم البلاء، والتفكر فى الأسباب هو رؤية خفاء الله، والتسليم هو الثبات فى وقت نزول البلاء بلا تغير فى الظاهر والباطن، وعلامة الأنس بالحق هو الوحشة من الخلق، والفرار من كل شىء سوى الله، والإنفراد بحلاوة ذكر الله تعالى.

وتوفى عمرو بن عبيد شيخ المعتزلة فى سنة مائتين وأربعٍ وأربعين، والشيخ أبو الفيض ذو النون المصرى سنة مائتين وخمسٍ وأربعين، قال: علامة غضب الله تعالى على العبد الخوف من الدراويش، وقال: يأتى الفساد للشخص من ستة أشياء: ضعف النية عن العمل للآخرة، والوحدة بلا علم، وأن يغلب عليه طول الأمل مع قرب الأجل، والبعد عن رضا الله، ومتابعة الهوى، وترك سنة الرسول (ﷺ)، واتخاذ ذلة السلف حجة للخلف، وعدم رؤية فضائلهم.

وتوفى الشيخ أبو تراب النخشبى، وهو عسكر بن حصين صاحب حاتم الأصم، وأبو حاتم العطار البصرى فى نفس السنة.

يقول أبو العباس السيارى: كنت مع أبى تراب فى البادية، فقال أحد الأصحاب: أنا ظمآن، فضرب أبو التراب بقدمه فظهر نبع ماء، فقال ذلك الدرويش: لى رغبة فى شرب هذا الماء فى قدح، فضرب بيده الأرض، وأعطاه قدح ماء أبيض، وكان معنا هذا القدح فى مكة، ثم قال لنا: ماذا يقول أصحابك فى الأعمال التى يصنعها الله تعالى مع أوليائه من الكرامات؟، قلت لم أر أحداً قط يؤمن بهذا إلا قليل، قال: كل من لا يؤمن بهذا فهو كافر.

وتوفى أبو الوليد هشام بن عمار بن نصر بن إبان ميسرة السلمى القاضى الدمشقى فى نفس السنة، وفى سنة سبع وأربعين ومائتين توفى أبو عُمر حفص بن عمر بن عبد العزى. صهبان الأزدى الدورى القارئ النحوى، وأبو الحسين أحمد بن يحيى بن إسحاق الرواندى(٥٢)، وله من الكتب المصنفة مئة وأربعة عشر كتابًا، وأبو نعيم إبراهيم أبو العباس الصولى الكاتب والشاعر.

ويقولون: إن المتوكل أمر ففتحوا تربة أمير المؤمنين الحسين (رضى الله عنه) وسووها بالأرض ومنع الناس من مجاورة تربته، وكان له ثلاثة أبناء: المنتصر بالله محمد ، والمستعين بالله أبو عبد الله ، والمؤيد بالله إبراهيم. وجعل ولاية العهد لكل الثلاثة وأقطع كل ابن إقطاعًا فى أطراف البلاد، وقد قال الشعراء قصائد فى ذلك، ومن جملتهم يقول بن المدبر :

شعر

يا بيعة مثل بيعة السحرة ... فيها لكل الخلائق الخيرة
أكدها جعفر وصيرها ... إلى بيعة الثلاثة البررة

وفى ذلك يقول على بن الجهم(٥٣) :

قل للخليفة جعفر يا ذا الندى ... وابن الخلايف(٥٤) والأئمة المهدى
لما أردت صلاح دين محمد ... وليت عهد المسلمين محمدا
وثنيت بالمعتز بعد محمد ... وجعلت ثالثهم أعز مؤيدا

وأقام المتوكل كثيرًا من العمائر فى سامراء وبنى بالقرب منها قصرًا عاليًا سماه القصر الجعفرى، وكان مدمنًا للخمر، وقتلوه فى ذلك القصر، وكان سبب قتله أنه قتل إينانج كبير غلمان المعتصم، فحقد عليه الترك واتحدوا مع المنتصر، ودخلوا عليه ذات

ليلة وهو في لهوه ومتعته ومزقوه إربًا إربًا مع الفتح بن خاقان، وكان له من العمر أربعة وأربعون عامًا، ومدة خلافته أربعة عشر عامًا وتسعة أشهر وتسعة أيام.

المنتصر بالله أبو جعفر محمد: كان الخليفة الحادى عشر من خلفاء بنى العباس والثلاثين بعد النبى (ﷺ)، أمه أم ولد حبشية الرومية، ووزيره أحمد بن الخصيب بن الضحاك، كان شريرًا كثير الشر؛ لأنه سعى فى قتل أبيه، وتوفى بعد ستة أشهر بمرض الخناق، ويقولون: لم يكن ملك قط أأصل من شيرويه، وهو بن برويز بن هرمز بن أنوشيروان والى عهد أردشيربابك كان له ستة عشر أبًا كلهم ملوك، وكان المنتصر أكثر الخلفاء أصالة، ومن العجيب أن أصل الملوك والخلفاء، هم الذين قتلوا آباءهم واستولوا على الملك، فلا عجب أنه مات بعد أبيه بستة أشهر[٥٥].

المستعين بالله أبو العباس أحمد بن المتوكل: كان الخليفة الثانى عشر من خلفاء بنى العباس، الحادى والثلاثين بالنسبة للنبى (ﷺ)، أمه أم ولد مخارق، ووزيره أبو موسى، وكاتبه الشجاع بن القاسم، فقتل كلاهما، وأسند الوزارة لأحمد بن صالح بن شيراز اد، وكان خليفة على خلق كريم، وتوفى فى أيامه فى سنة مائتين وثمانٍ وأربعين أبو هشام محمد بن يزيد الرقاشى، وأيوب بن محمد الوراق، وأبو بكر محمد بن العلاء الهمدانى فى الكوفة، وأبو موسى أحمد بن صالح المصرى فى مصر، وأبو جعفر بن سوار الكوفى، وحسن بن الصالح البزاز، وهو من كبار أصحاب الحديث، وهشام بن خلد الدمشقى ومحمد بن سليمان الجهنى فى مصيصه، وحسن بن محمد بن طالود، وأبو حفص الصيرفى فى سامراء، ومحمد بن زنبور المكى فى مكة، وسليمان بن أبى طيبة، وموسى بن عبد الرحمن.

وفى نفس السنة توفى بغا التركى، وكان عمره إحدى وتسعين سنة، وهو من غلمان المعتصم، وخلفه ابنه موسى، وتوفى إبراهيم بن محمد التيمى قاضى البصرة، ومحمود بن خداش، وأبو مسلم أحمد بن أبى شعيب الحرانى، والحارث بن مسكين البصرى، وأبو طاهر أحمد بن عمرو بن السرج.

وثار فى طبرستان فى نفس العام حسن بن زيد العلوى وفتح ديلم الرى، وثار أبو الحسين يحيى بن عمر بن يحيى بن الحسين بن زيد بن على بن الحسين بن على (رضى الله عنه) فى الكوفة، وأمه بنت حسين بن عبد الله بن إسماعيل بن عبد الله بن جعفر الطيار، وقتل وحملوا رأسه إلى بغداد وعلقوه، وكان عادلاً كريمًا ورعًا، ويحبون خلقه الكريم، وقال ابن أبى طاهر شعرًا فى رثائه :

سلام على الإسلام فهو مودع	إلى ما مضى آل النبى فودعوا
فقدنا العلا والمجد عند إفتقادهم	وأضحت عروس المكرمات تضعضع
أتجمع عين بين نوم ومضجع	ولا بن رسول الله فى التراب مضجع
فقد أقفرت دار النبى محمد	من الدين والإسلام فالدار يقلع
وقتل آل المصطفى فى خلالها	وبدد شمل منهم ليس يجمع
ألم تر آل المصطفى كيف نضفى	نفوسهم من المنون فتتبع
بنى طاهر واللؤم منكم سجية	وللغدر منكم حاسر ومقنع
قواطعكم فى الترك غير قواطع	لكنها فى آل أحمد تقطع
لكم كل يوم مشرب من دمائهم	وغلتها من شربها ليس تنقع
رماحكم للطالبين شرع	وفيكم رماح الترك للقتل شرع
لكم مرتع فى دار آل محمد	وداركم للترك والجيش مرتع
أخلتم بأن الله يرعى حقوقكم	وحق رسول الله فيكم مضيع
وأضحوا يرجعون الشفاعة عنده	وكيف لمن يرميه بالوتر يشفع
فيغلب مغلوب ويقتل قاتل	ويخفض مرفوع ويدنا المرفع

وثار فى العام نفسه محمد بن جعفر بن الحسن بن على بن عمر بن على بن الحسين بن على (كرم الله وجهه) فى الرى، ودعا للحسن بن زيد بن محمد بن إسماعيل بن أبى القاسم بن الحسين بن زيد بن الحسن بن الحسن بن على (كرم الله وجهه)

صاحب طبرستان، وحاربه أهل خراسان، وأسروه وحملوه إلى محمد بن طاهر بن عبد الله بن طاهر، وتوفى فى حبسه بنيسابور، وبعد ذلك خلع الترك الخليفة، وقتلوه بعد تسعة أشهر، وكان فى الخامسة والثلاثين من عمره، وقتل يوم الأربعاء الثالث من شوال سنة مائتين واثنتين وخمسين، وكان بدء الفتنة بين البلالية والسعدية، وكانت مدة خلافته ثلاثة أعوام وتسعة أشهر.

المعتز بالله أبو عبد الله محمد بن الزبير بن المتوكل: كان الخليفة الثالث عشر من خلفاء بنى العباس، والثانى والثلاثين بالنسبة إلى النبى (ﷺ)، وتوفى فى عهده صفوان العقيلى صاحب ديار مصر فى الحبس بالشام، وتوفى الإمام أبو الحسن على بن محمد بن موسى الكاظم، وكان فى الثانية والأربعين من عمره، وصلى عليه أحمد بن المتوكل، ودفنوه فى قصره فى سامراء، ولما أصبح المعتز خليفة، أسند الوزارة لأحمد بن إسرائيل، وأرسل الأوامر إلى أطراف البلاد، ودخل الناس فى بيعته، وكان محمد بن طاهر بن عبد الله أمير بغداد، وخلعه المؤيد من الخلافة، وقتل الترك فى سنة مائتين وثلاثٍ وخمسين وصيف الخادم، وقبضوا على أحمد بن إسرائيل الوزير، وصاحب الديوان أيوب، وحسن بن مخلد الكاتب وقيدوهم، وسحبوا المعتز من بيته وكانوا يضربونه حتى خلع نفسه وحبسوه، ومات فى السجن جوعًا يوم السبت الرابع والعشرين من شعبان سنة مائتين وخمسٍ وخمسين، ودفنوه فى سامراء، وكان فى الرابعة والعشرين من عمره، وكانت مدة خلافته ثلاثة أعوام وثلاثة أشهر، وكان له ولد يسمى المنتصف بالله أبو العباس، فبايعوه وكانت له الخلافة من وقت صلاة الظهر حتى صلاة العصر، وقتلوه بعد ذلك.

المهتدى بالله: كان الخليفة الرابع عشر من خلفاء بنى العباس، والثالث والثلاثين بعد النبى (ﷺ)، وأمه أم ولد بنت رومية، وكان رجلاً شديد الزهد عابداً يلبس الصوف، ويصلى من الليل حتى النهار فى الخلوة، ولم يستطع أحد فى أيامه أن يشغل نفسه باللهو والمحرمات، وثار فى عهده أولاد الليث بن الصفار فى سنة مائتين وستٍ وخمسين، وقتله الترك، وهو فى الثامنة والثلاثين من عمره، وكانت مدة خلافته أحد عشر شهراً.

وتوفى أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن الأحنف الجعفى البخارى فى نفس السنة، وكان فى الثانية والستين من عمـره، وذكر الإمام الحافظ أبو بكر أحمد بن على بن ثابت الخطيب البغدادى فى كتابه تاريخ بغداد(٥٦) قال محمد البخارى: ذكرت مائة ألف حديث صحيح، ومائتى ألف غير صحيح، واخترت من كتاب الصحاح مدة ستة عشـر عامًا ستين ألف حـديث، والأحاديث التى اختارها البخارى لا تصل عشرة آلاف حديث.

المعتمد على الله أبو العباس أحمد بن المتوكل: كان الخليفة الخامس عشر من خلفاء بنى العباس، والرابع والثلاثين بالنسبة للنبى (صلى الله عليه وآله)، وكانت أمه أم ولد قينان الكوفية، وكان الوزير عبد الله بن يحيى بن خاقان الذى كان وزيرًا لأبيه، ولما توفى أسند الوزارة إلى حسن بن مخلد وبعده لسليمان بن وهب، ثم وصلت إلى صاعد، وجاء المعتمد من سامراء إلى بغداد، وأقام فى دار الخلافة فى الجانب الشرقى، وأصاب سامراء الخراب، وأرسل أخاه الموفق أبى طلحة محمد إلى اليمن والحجاز، وانتهى أمر الصفاريين فى أيامه.

فى سنة سبعٍ وخمسين ومائتين توفى الشيخ سرى السقطى خال الجنيد، وكان فى الثامنة والتسعين من عمره فى بغداد، قال: العارفون لهم صفة الشمس وهم يضيئون (الطريق) للجميع، ويشكلون الأرض، التى تتحمل الموجودات، ولهم صفة الماء؛ لأن حياة القلوب تكون بهم، ولهم لون النار؛ فهم الذين يربون السذج والبسطاء، وقال: لن تصير كاملاً طالما لا تؤثر دينك على شهواتك.

وفى سنة خمسين ومائتين توفى أبو زكريا يحيى بن معاذ الرازى فى نيسابور، قال: بقدر ما تحب الله فإن الخلق يحبونك، وبقدر أن تخشى من الله يخشاك الخلق، وبقدر أن تكون مشغولاً فإن الخلق ينشغلون بك، وكل من يستحى من الله تعالى فى حال الطاعة فإن الحق تعالى يستحى أن يعذبه على أى ذنب.

وتوفى أبو محمد الحسن العسكرى يوم الجمعة السابع من ربيع الأول سنة مائتين وستين فى سرمن، وكان فى التاسعة والعشـرين من عمـره، وتوفى أبو الحسن مسلم

بن الحجاج أبو مسلم القشيرى ليلة الإثنين سنة مائتين وإحدى وستين، قال: صنف هذا المسند الصحيح من ثلثمائة ألف حديث مسموعة، وجميع ما رواه مسلم عن شيوخه أحد عشر ألف حديث، ووصل يعقوب بن الليث الصفارى بجيش جرار ديار العراق، ونزل على ضفة دجلة وسط واسط بغداد فى دير العاقول، فتوجه إليه المعتمد ووصل إليه فى يوم الخميس الخامس من رجب فى السنة المذكورة وانهزم الصفاريون، وتركوا مالاً ودوابًا كثيرة، وقال يعقوب وهو فى حالة النزع:

ملكت خراسان وأكناف فارس   وما أنا عن ملك العراق بآيس
إذا ما أمور الناس ضاعت وأهملت   ورثت فصارت كالرسوم الدوارس

وتوفى يوم الثلاثاء الثالث والعشرين من شوال سنة مائتين وخمسٍ وستين فى جندى شابور من توابع الأهواز.

وتوفى موسى بن بغا التركى فى سنة مائتين وأربعٍ وستين، وتوفى إبراهيم بن يحيى المزنى صاحب محمد بن إدريس الشافعى فى مصر يوم الخميس من ربيع الأول فى نفس السنة المذكورة، وتوفى فى نفس السنة أبو عبد الله أحمد بن عبد الرحمن بن وهب صاحب مالك بن أنس، ويونس بن عبد الأعلى، وكان فى الثانية والتسعين من عمره، وخالد بن يزيد بن سنان فى مصر، وتوفى الشيخ أبو حفص عمرو بن أسلم الحداد النيسابورى فى سنة مائتين وستٍ وستين، وكان عثمان الحيرى مريداً له، وقدم شاه شجاع الكرمانى زيارته ومضى فى صحبته إلى بغداد.

حكاية: مضى الشيخ ذات يوم مع رفاقه إلى الصحراء واستمتعوا بالنزهة، فقدم غزال فجأة من الصحراء، ووضع رأسه فى جانب الشيخ، فضربه أبو حفص طبانجه على وجهه وكان يصيح، فقال الرفاق: ما هذا؟، قال ظهرت لنا البهجة بالسعادة، قلت: لو كان لنا خروف لصنعت لكم الليلة طعامًا حتى لا يتفرق الرفاق لكان هذا أفضل، فجاء هذا الغزال فى الحال، فقال المريدون: أيها الشيخ من يكون له هذا الحال مع الله، لما يلطم طبانجه على وجهه ولما يصيح؟، ولو أنّ الله تعالى أراد بفرعون الخير لأجرى النيل على هواه؟، وقال: الخوف مصباح القلب وكل ما كان القلب من خير وشر يمكن

أن يرى بهذا المصباح. ومضى الموفق أبو طلحة فى شهر صفر سنة مائتين وسبعٍ وستين؛ لمحاربة صاحب الزنج، وكان ابنه فى المقدمة، وحاربوا كثيراً، وقتلوا صاحب الزنج فى سنة مائتين وسبعين، وكانت مدة صاحب الزنج أربعة عشر عاماً وأربعة أشهر.

وتوفى أبو سليمان داود بن على الأصفهانى الفقيه فى بغداد، وأبو أيوب سليمان بن وهب الكاتب فى نفس السنة، وتوفى أحمد بن طولون صاحب مصر يوم السبت العاشر من ذى القعدة سنة سبعين ومائتين، وكان فى الخامسة والستين من عمره ومدة ملكه سبعة عشر عاماً، وتوفى الشيخ أبو صالح حمدون بن أحمد بن عمارة القصار النيسابورى سنة إحدى وسبعين ومائتين، ووجد الصحبة مع سلم وأبى تراب النخشبى، قال: التوكل هو التعلق بالله، ولو استطعت أن تنجز عملك مع الله، فذلك أفضل من أن تشغل نفسك بالحيرة والتدبير.

وتوفى أبو داود سليمان بن الأشعث السجستانى(٥٧) فى السادس عشر من شوال سنة مائتين وخمسٍ وسبعين، قال: كتبت خمسين ألف حديث وجمعت أربعة آلاف وثمانمائة فى كتاب السنن.

وتوفى شيخ المشايخ أبو القاسم الجنيد بن محمد بن الجنيد البغدادى فى سنة سبعٍ وسبعين ومائتين، وأصله من نهاوند ومولده ونشأته فى بغداد، كان فقيهاً على مذهب سفيان الثورى، وكانت له صحبة كل من سرى السقطى، والحارث المحاسبى، ومحمد بن على القصاب، قال: لم نأخذ التصوف من القيل والقال، ولكنه من الجوع وترك الدنيا، والخروج على المألوف. وقال: أغلقت جميع الطرق على الخلق إلا من كان له سنة رسول الله (ﷺ)، وقال: لو أن سالكاً اتجه إلى الله بوجهه ألف عام وبعد لحظة يشيح بوجهه فإن الذى فات منه يصبح أكثر من الذى وجده، وقال: كل من لا يحفظ القرآن ولا يكتب الحديث لا تليق له الريادة، وسبب ذلك أن علمنا يحتم العمل بالكتاب والسنة.

وقبض أبو محمد بن طلحة فى سنة مائتين وإحدى وسبعين على صاعد وحبسه وتوفى فى حبسه سنة مائتين وستٍ وسبعين، وتوفى أبو طلحة بن محمد ليلة الخميس

الثاني والعشرين من صفر سنة مائتين وثمانٍ وسبعين، وكان في التاسعة والأربعين من عمره، وتوفي ممدشاد الدنيوري في سنة مائتين وتسعٍ وسبعين، قال: يستلزم أدب المريد على نفسه احترام المشايخ، وخدمة الإخوة، والخروج من حطام الدنيا، والمحافظة على أدب الشريعة. وكان من معاصري المعتمد من الفقهاء: أبو علي حسن بن محمد البزار الزعفراني تلميذ الإمام الشافعي، وأبو القاسم الإنماطي تلميذ المازني وربيع، ومن المشايخ أبو محمد بن سهل بن عبد الله التستري.

حكاية: يقولون عندما مرض عمرو بن الليث الصفار وعجز الأطباء عن علاجه، قال له: إن هذا الأمر بالنسبة لسهل سهل؛ لأنه مستجاب الدعوة، فأحضروا سهلاً، فقال: تستجاب الدعوة لمن يتوب ويرجع إلى الله، ولك مظلومون في السجن فيجب عليك أولاً أن تطلق سراحهم، فأمر عمرو بإطلاقهم وتاب توبة نصوحًا، فقال سهل: يارب بقدر ما أطلعتني على معصيته أظهر له عز الطاعة، ومثلما كنت تلبس باطنه ثوب التوبة، ألبس ظاهره لباس العافية، ولما تمت المناجاة، برأ عمرو في الحال وعرض عليه مالاً كثيرًا، فلم يأخذها وخرج، فقال الخادم: لو كانوا يقبلون شيئًا وكنت وضعته في شيء، فقال الشيخ: ينبغي أن تنظر إلى الذهب، فنظر الخادم فشاهد الصحراء كلها ذهبًا، قال: من حاله مع الله هكذا يأخذ شيئًا من المخلوق؟!

حكاية: لما مات يعقوب بن الليث الصفار حمل أخوه عمرو خزانته، وجمع الجيش وطلب اللجؤ إلى الخليفة، فأقامه الخليفة وأعطاه إمارة خراسان وبغداد، فعين عبد الله بن طاهر نائبًا عنه، ومضى عمرو بن الليث بالجيش من خراسان إلى الري في سنة مائتين وثمانٍ وسبعين، فغضب الخليفة من هذا وعزله من هذه النيابة، واستولى على الري وجرجان وكرمان، فحرك المعتمد الجيش بنفسه ومضى لمحاربته، وتوفي هناك في ليلة الثلاثاء الثامن عشر من رجب سنة مائتين وتسعٍ وسبعين، وكان في الثامنة والأربعين من عمره، وكانت مدة خلافته ثلاثة وعشرين عامًا وأحد عشر شهرًا.

المعتضد بالله أبو العباس أحمد بن طلحة: كان الخليفة السادس عشر من خلفاء بني العباس، والخامس والثلاثين بالنسبة للنبي (ﷺ)، أمه أم ولد ضرار الرومية

ووزيره عبد الله بن سليمان، ولما توفى، صار قاسم بن عبد الله وزيراً له، وكانوا يسمونه السفاح الثاني، وكان صاحب رأى وتدبير وشجاعة، يقال: إنه عندما أفضت له الخلافة لم يكن فى الخزانة أكثر من اثنى عشر درهماً، وكان قبله قحط عظيم وحروب وفتن كثيرة، وفى عهده امتلأت الخزانة، وعمرت البلاد، ورخصت الأسعار، وأصبحت الرعية فى رخاء.

وفى سنة تسع وسبعين ومائتين وصل من مصر حسين بن عبد الله المعروف بابن الجصاص رسول خمارويه بن أحمد بن طولون[٥٨]، ومعه كثير من الهدايا لزواج قطر الندى بنت أبى الجيش بن خمارويه من على المكتفى بن المعتضد، وفى سنة اثنتين وثمانين ومائتين قتل أبو الجيش أباه خمارويه فى دمشق، وحمله إلى مصر، وصار ملكاً عليها.

وتوفى فى نفس السنة إبراهيم بن إسماعيل القاضى، والحارث بن أبى أسامة، وهلال بن الوفى، وفى سنة ثلاث وثمانين ومائتين فى الثامن والعشرين من شهر رمضان توفى أبو عمرو مقدام بن داود الرعينى فى مصر، وكان من كبار أصحاب مالك، وفى هذه السنة توفى أبو جيش بن خمارويه وخلفه أخوه هارون، وفى هذه السنة أسند المعتضد قضاء بغداد إلى يوسف بن يعقوب، وقبض على أحمد بن الطيب بن مروان الفرجى صاحب يعقوب بن إسحاق الكندى، وسلمه لوالد غلامه، فعاقبه وفى سنة أربع وثمانين ومائتين أحضروا سرى رافع بن هرثمة إلى بغداد وعلقوه، وفى نفس العام كان قد وضع السيف على رقبة أبى ليلة الحارث بن عبد العزيز بن أبى دلف فى الحرب، ولكن حصانه حال برأسه السيف عنه فقتل، فأرسله عيسى النوشرى إلى بغداد.

وفى سنة خمس وثمانين ومائتين توفى أبو إسحاق محمد الحربى الفقيه المحدث يوم الخميس الثالث والعشرين من ذى الحجة، وكان فى الثمانين وبضع سنين من عمره، وتوفى فى نفس الشهر أبو العباس محمد بن يزيد النحوى المعروف بالمبرد فى بغداد، وكان فى التاسعة والسبعين من عمره.

وتوفى نصر بن أحمد السامانى صاحب بلاد ما وراء النهر فى بلخ وخلفه أخوه إسماعيل بن أحمد، وتوفى أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبى الدنيا القرشى أستاذ المكتفى بالله، وله مصنفات كثيرة، وأحمد بن أبى الطاهر الكاتب صاحب كتاب أخبار بغداد فى المحرم سنة مائتين وثمانين، وتوفى أبو سهل محمد بن أحمد الرازى المحدث سنة مائتين واثنتين وثمانين، وتوفى عبد الله بن شريك المحدث فى بغداد، وأبو محمد بن الحسين بن جنيد، وبكر بن عبد العزيز بن أبى دلف فى طبرستان فى سنة مائتين وخمس وثمانين، وتوفى أبو العباس محمد بن يونس الكريمى المحدث، وكان له من العمر مائة وستٌ وستون عامًا فى بغداد سنة مائتين وستٍ وثمانين يوم الخميس الخامس عشر من جمادى الآخرة، وفى هذا العام نشبت حرب بين إسماعيل بن أحمد السامانى، وعمرو بن الليث الصفارى فى بلخ ووقع عمرو فى الأسر.

مضى المعتضد إلى ثغور الشام طالبًا وصيف الخادم وأسره فى سنة مائتين وسبعٍ وثمانين، وتوفى أبو عبد الله محمد بن أبى الساج فى آذربيجان فى نفس السنة، وأحضروا عمرو بن الليث إلى بغداد، وقد أجلس على جمل، وطافوا به حول المدينة، وأرسلوه إلى الحبس فى جمادى الأولى سنة مائتين وسبعٍ وثمانين، وتوفى أبو على بشر بن موسى بن صالح بن عميرة المحدث الأسدى فى بغداد سنة مائتين وسبعٍ وثمانين، وتوفى أبوه أبو محمد بن موسى بن صالح فى أيام المعتمد سنة مائتين وسبعٍ وخمسين، وكان فى الثامنة والسبعين من عمره، وابنه فى الثامنة والتسعين، وفى نفس السنة توفى أبو المثنى معاد بن المثنى بن معاد الغبرى، وتوفى وصيف الخادم فى أول المحرم سنة مائتين وتسعٍ وثمانين، وصلبوه بلا رأس حتى عصر المقتدر، وكان للمعتضد ثلاثة أبناء: على، وجعفر، ومحمد. وتوفى ليلة الاثنين الثانى والعشرين من ربيع الآخر سنة مائتين وتسعٍ وثمانين فى بغداد، وكان له من العمر تسعة وأربعون عامًا، ومدة خلافته تسعة أعوام وتسعة أشهر.

المكتفى بالله أبو محمد على بن أحمد: كان الخليفة السابع عشر للعباسيين، والسادس والثلاثين بالنسبة للنبى (ﷺ)، وأمه أم ولد ظلوم، ووزيره قاسم بن عبد الله.

وكان المكتفى فصيحًا جميلاً، وعمر جامع بغداد الواقع فى حرم دار الخلافة، وكان قبل ذلك سجنًا يسمى مطامير شيده المعتضد، وبنى دار الشاطئية، وكان أبو حمزة البزاز البغدادى من قرناء الجنيد، وصحب السرى السقطى، الذى كان عالمًا بقراءات القرآن، والفقيه الذى كان من أبناء عيسى بن إبان كان الإمام أحمد بن حنبل يسأله فى مسائل الفقه، فكان يقول: ماذا تقول أيها الصوفى فى هذه المسألة؟، فكان يقول المجتمعون جاءه الحال فى الجمعة، وسقط من على المنبر وتوفى.

وتوفى فى نفس السنة الشيخ أبو العباس أحمد بن محمد مسروق الطوسى فى بغداد، وكانت له الصحبة مع الحارث المحاسبى، والسرى السقطى، قال: كل من حفظ حق الله تعالى فى قلبه، فإن الله تعالى يحفظه فى حركات أعضائه، وتوفى أبو حمزة النيسابورى، وهو من أقران الجنيد والخراز وأبى تراب فى نيسابور.

حكاية: مما يروى: إنه كان يمضى إلى البادية متوكلاً بلا دلو وحبل، ونذر أنه لا يطلب شيئًا كان من أى شخص، فسقط بغتة فى بئر، فجلس متوكلاً فقدم شخص ورفع رأس البئر، وقال: لا قدر الله أن يكون أحد سقط فيه، فقالت النفس له يقول الحق تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾(٥٩)، فقال أبو حمزة: إن التوكل أقوى من هذا ولكنه يبطل بالفجور والرياء، إن هذا الرجل الذى ينظر على من أعلى يرى نفسه كذلك فى البئر، فاتجه إلى القبلة ونكس رأسه، فقدم عليه أسد فجأة ورفع رأس البئر ومد يده فيه، وأدلى قدميه، فقال أبو حمزة: لا أرافق القطة فى الطريق فألهموه إن هذا خلاف العادة فأطرق الباب ودخل، فأمسك بقدم الأسد وخرج فسمع صوتًا يقول له:يا أبا حمزة نجيناك من التلف بالتلف، فوضع الأسد وجهه فى التراب ومضى، وتوفى فى نفس السنة ربيع بن سليمان المرادى المؤذن صاحب الإمام الشافعى فى مصر، وتوفى فى السنة نفسها يوم الثلاثاء العشرين من جمادى الآخرة عبد الله بن أحمد بن حنبل، وتوفى ليلة السبت الثانى عشر من جمادى الأولى أبو العباس أحمد بن يحيى المعروف بثعلب، وكان معاصراً لمحمد بن يزيد المبرد، وقالوا فى حقهما :

شعر

أيا طالب العلم لا تخرطن	وعد بالمبرد أو ثعلب
تجد عند هذين علم الورى	فلأنك كالجمل الأجرب
علوم الحقائق مقرونة	بهذين من المشرق والمغرب

وفى نفس السنة توفى أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد الخواص، وهو من أقران الجنيد، ونورى فى الرى، قال: دواء القلب خمسة أشياء: قراءة القرآن على أناة، والاحتفاظ بالبطن خاوياً، وقيام الليل، والبكاء قبل السحر، وصحبة الصالحين. ورأى فى نفس السنة الشيخ أبو عبد الله عمر بن عثمان المكى، وأبو عبد الله النساجى، كما كانت له الصحبة مع أبى سعيد الخراز، وكان شيخ هذه الطائفة فى أصول الطريقة، وتوفى فى بغداد، وقال: كل شيء يدخل وهمك أو يمر بخاطرك أو فى قلبك من الحسن والبهاء والأنس والضياء والجمال والنور والخيال، فإن الله تعالى منزه عن هذا لقوله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾(٦٠).

وتوفى أبو حازم عبد العزيز بن عبد المجيد القاضى الحنفى فى بغداد فى المحرم من سنة مائتين واثنتين وتسعين، وكان يبلغ من العمر بضعاً وتسعين، وفى نفس العام غلب ابن الخليجى على مصر وأحرقها.

حكاية: ثار زكرويه بن مهرويه فى الكوفة فى عهد المكتفى، ودعا الخلق لمذهب القرامطة، وكان له ولدان: يحيى وحسن، وكان على وجه حسن علامة سوداء، وكان يقول: هذه علامة السامية ولقبوه بصاحب الشامة السوداء، ودعا طائفة بنى كلاب فى البادية وتابعوه، ونزلوا فى الشام، واستولوا على دمشق وحمص، وكان المكتفى فى سامراء، فأخبروه فجمع الجيش ومضى إلى الرقة، واستقر هناك، وكان يرسل الجيوش تباعاً، وأرسل محمد بن سليمان مع عشرين ألف رجل، وأمر محمد بأن ينثروا عشرين ألفاً من النفط فى أطراف معسكرهم، ولما اصطفوا فى اليوم التالى، وحمل عليهم الخوارج، أشاح عنهم محمد بن سليمان؛ فتعقبوه ووقعت النار فيهم، وكل من نجا من شر النار

وقع فى أسر السيف الحسام، وأسر صاحب الشامة مع ابنيه، وأرسلوهم إلى حضرة الخليفة مقيدين فعوقبوا، وبعد ذلك ثار محمد بن هارون فى طبرستان، فكتب الخليفة رسالة إلى إسماعيل السامانى فقتلوه.

وتوفى فى آخر أيامه أبو الحسين بن أحمد بن محمد الثورى الذى كانت ولادته ونشأته في بغداد، وأدرك صحبة السرى، وأحمد بن الجرارى، وكان من أقران الجنيد، وتوفى فى سنة خمسٍ وتسعين ومائتين، وفى كل يوم كان يخرج من بيته فى بداية أمره يحمل معه خبزًا يتصدق به فى الطريق، وكان يعقد النية للصيام، ويمضى للمسجد؛ ليؤدى صلاة الظهر، وبعد ذلك يذهب للحانوت، فكان أهل البيت يظنون أنه يأكل شيئًا فى السوق، وكان أهل السوق يظنون أنه يأكل فى البيت، وظل على تلك العادة عشرين عامًا، قال: لما كان البرقع غطاء الآلام، فإن الحريم فى هذا الزمان رمم، فقال أحمد المعادى: لم أر من هو أكثر تعبداً من الثورى، قالوا: ولا الجنيد ؟، قال: ولا الجنيد، وقال مرتعش: سمعت من الثورى أنه قال: كل من تراه يدعى أن له مع الله تعالى حالاً، انظر إذا كانت هذه الحال خارجة عن حدود الشرع فلا تقترب منه، ودسوا السم للمكتفى، وأحضر محمد بن يوسف القاضى، وعبد الله بن على بن أبى الشوارب، فأسند ولاية العهد إلى أخيه جعفر، وتوفى يوم الأحد الثالث عشر من ذى القعدة سنة خمسٍ وتسعين ومائتين، وكان فى الحادية والثلاثين من عمره، ومدة خلافته ستة أعوام وستة أشهر واثنين وعشرين يومًا.

المقتدر بالله أبو الفضل جعفر بن المعتضد: كان الخليفة السابع عشر من خلفاء بنى العباس، والسابع والثلاثين بعد النبى (ﷺ)، أمه أم ولد شعب، ووزيره عباس بن الحسين الهاشمى، وقتل يوم السبت التاسع عشر من ربيع الأول سنة مائتين وستٍ وتسعين، بأمر عبد الله بن المعتز، ومحمد بن جارود، وحسن بن حمدان، ووصيف بن سوارتكين، وأصبح المقتدر الذى لم يبلغ الحلم خليفة، وتناقص ملك خلفاء بغداد فى عصره، وخرج من يده ملك فارس وأصفهان، وثار ناصر الحق حسن بن على فى ديار الديلم وقتل، وأسند الوزارة إلى على بن محمد بن موسى يوم الأربعاء الرابع عشر من ذى الحجة سنة مائتين وستٍ وتسعين، ووزر ثلاثة أعوام وتسعة أشهر، ولما انتظمت

الأحوال على مقتضى السياسة والكياسة، اختلف الأمراء وقامت الخصومة بينهم، وخلعوا المقتدر وأخرجوه من دار الخلافة وأهانوه، وحبسوه في بيت يونس بن مظفر، وأحضروا محمد بن المعتضد إلى دار الخلافة وبايعوه ولقبوه بالقاهر بالله ، وأصبح بازوك حاجبه ، واستقدموا العظماء والأعيان؛ ليبايعوه في يوم الاثنين السابع عشر من المحرم سنة مائتين وسبع وتسعين ، وأثناء تلك الحال قدم جماعة من المشاة الحشم إلى باب الجوسق ، وكانوا في حوار مع بازوك ، فطرحوا بازوك وأبا الهيجاء عن فرسهما وقتلوهما ورفعا رأسيهما على الرماح ، وقدموا دار الخلافة وقهروا القاهر وأرسلوه لنفس المجلس ، وأخرجوا المقتدر من قصر يونس وجددوا له البيعة ، فأسند الوزارة إلى علي بن مقلة ، فعادت إلى الدولة هيبتها وسعد الحظ التعيس، وظهر للعالمين التقدير الإلهي والحكم الأزلي بقوله تعالى : ﴿ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ ﴾(٦١)، فقد عزل الخليفة بلا سبب وجلس مكانه آخر، وعاد إليه الملك بلا سعي ولا اهتمام في خلال ثلاثة أيام، وازدان عرش الخلافة به ﴿ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾(٦٢).

حكاية: قال أحد العظماء: في اليوم الذي بايعوا فيه القاهر، مضيت إلى محمد بن جرير الطبري، فسأل ما الخبر؟، قلت: إن الجيش بايع محمداً بن المعتضد، وقال: ومن سيكون وزيره؟، قلت: محمد بن داود الجراح، قال: ومن سيكون القاضي؟، قلت: حسن بن المثنى، فنكس رأسه مدة، ثم قال: هل انتهى هذا العمل؟، قلت: لماذا؟، قال: يستحق هؤلاء الثلاثة هذا العمل؛ لأنهم جديرون به والزمن في تدهور، ولا يمكن إسناد الأمر إلا لذي الكفاءة ونعطي العمل لمن يستحقه، ويقصر أهل الزمان عن هذه الرتبة، ولا يسلمون بإسناد الأمر إلى الأكفاء، وقد وقع ما قال، ولم يدم هذا العمل لهم أكثر من ثلاثة أيام حتى يعلم العقلاء أن فضل الفضلاء كان سبب يأسهم، وأن الزمان متحامل دائمًا على الفضلاء.

حينما يعين فضل الله	يصبح العبد الحقير ملكًا
وإذا أظهر قهره لأحد	فإن صاحب التاج يصبح تاجه أعوادًا

وأصبح محمد بن عبد الملك بن يحيى بن خاقان وزيراً للمقتدر، وبعده على بن عيسى بن داود الجراح، ثم أسند الوزارة إلى على بن محمد بن موسى الفرات، وبعده حامد بن العباس، وكان آخر وزرائه الفضل بن جعفر بن موسى بن الفرات، وكان أحمد بن إسماعيل السامانى أميراً لخراسان فى عهده، وبعد ذلك لنصر بن أحمد بن إسماعيل، وتوفى فى عصره أبو سعيد أحمد بن عيسى الخراز البغدادى صاحب ذى النون المصرى، وأبى عبد الله النساجى، وأبى عبيد التسترى، وسرى السقطى، وبشر الحافى، قال: رأيت إبليس فى المنام، وكان يمضى بعيداً عنى، قلت: تعال، قال: ماذا أصنع معك؟! إننى أخدع الناس بذلك، ولكنك بعدت عنى، قلت: ماذا لك؟، قال: إذا انصرفت عنى الدنيا فنظر إلى، وقال: لى معك نكتة أخرى أخدعك بها، قلت: ما هى؟، قال: صحبة الصبيان.

وتوفى فى نفس السنة موسى بن إسحاق الأنصارى، ومحمد بن عثمان بن أبى شيبة الكوفى فى بغداد، وكان من علماء أهل الحديث، ويوسف بن يعقوب بن إسماعيل بن عماد الدين زيد القاضى فى بغداد، وكان فى الخامسة والتسعين من عمره، وأبو عون البزورى المبدل، وكان فى الثمانين من عمره، وأبو العباس أحمد بن محمد بن مسروق، وكان فى الرابعة والثمانين من عمره.

وتوفى أبو عبد الله محمد بن إسماعيل المغربى أستاذ إبراهيم بن شيبان، وتلميذ على بن زرن، وكان يبلغ من العمر مائة وعشرين عاماً، وأبو محمد داود بن على بن خلف الأصفهانى الفقيه الذى ألف كتاب الأصول إلى معرفة الأصول، وكتاب الإنظار، وكتاب الابتصار، وقال الكثير من الشعر والنثر فى عنفوان شبابه منها :

شعر

على كبدى من خفية البين لوعة	يكاد لها قلبى آسى يتصدع
يخاف وقوع البين والشمل جامع	فيبكى بعين دمعها متسرع
فلو كان مسرورا بما هو واقع	كما هو محزون لها يتوقع
لكان سواء برؤه وسقامه	ولكن وشك البين أدهى وأوجع

وله أيضاً :

تمتع من خليلك بالوداع	فما بعد الرحيل من اجتماع
فكم جربت من هجر وعدو	ومن حال ارتفاع واتضاع
وكم كأس أمر من المنايا	شربت ولم يضق عنها ذراعى
تعالى الله كل مواصلات	وإن طالت تؤول إلى انقطاع

وله أيضاً :

لا خير فى عاشق يخفى صبابته	بالقول والشوق فى زفراته بادى
يخفى هواه ولا يخفى على أحد	حتى على العيس والركبان والحادى

وانتقل أبو عثمان سعيد بن إسماعيل الحيرى من الرى إلى نيسابور، وصحب الشاه الكرمانى، ويحيى بن معاذ الرازى، وتزوج ابنة أبى حفص الحداد، وتوفى بعد وفاة أبى حفص بثلاثين عاماً، قال: لا يكمل المرء ما لم تتساوى فى قلبه أربعة أشياء: المنع، والعطاء، والعز، والذل. وقال: تكلم مع الله بحسن الأدب، ومع الرسول (ﷺ) بمتابعة السنة، وملازمة ظاهر الشريعة، ومع الأولياء بالاحترام والخدمة، ومع أهلك وعيالك بحسن الخلق، ومع إخوتك بوجه باسم دون ذلك أو خطأ، ومع الجهلاء بالدعاء وطلب الرحمة لهم.

وقال عظماء هذا العصر فى الدنيا ثلاثة أشخاص، لا رابع لهم:أبو عثمان فى نيسابور، والجنيد فى بغداد، وأبو عبد الله بن جلا فى الشام.

وكان أبو الفوارس شاه شجاع الكرمانى من أبناء الملوك، وأدرك صحبة أبى تراب النخشبى، وأبى عبيد التسترى، ومات قبل عام ثلاثمائة، وقال: علامة التقوى الورع، وعلامة الورع الامتناع عن الشبهات. وقال: كل من يخفى غضبه عن الحرام، ويحفظ نفسه عن الشهوات، ويعمر سريرته بالحفظ الدائم، وظاهره بمتابعة السنة، ويعلم نفسه أكل الحلال فلن تخطئ فراسته.

وفى سنة إحدى وثلاثمائة توفى عبد الله بن ناجية المحدث فى بغداد، وفى سنة اثنتين وثلاثمائة توفى أبو عمران موسى بن القاسم بن الحسن بن الأشهب، وكان من كبار فقهاء الشافعية والعلماء المحدثين، وفى سنة ثلاثٍ وثلاثمائة توفى أبو يعقوب إسحاق بن محمد النهرجورى حيث كان يجاور مكة فى ذلك المكان، وأبو محمد رويم بن أحمد البغدادى أستاذ عبد الله بن خفيف، وكان من كبار المشايخ مقرئًا للقرآن، وفقيهًا فى مذهب داود، قال: حكمة الحكيم هى أن يسهل على الإخوان فى الأحكام، ويصعب على نفسه فيها، لأن التسهيل عليهم هو تتبع للعلم، والتشديد على نفسه من الورع، وقال أبو عبد الله، قلت لرويم: أوصِنِى بوصية، قال: إن هذا العمل هو فداء للروح، فأقدم إذا كان ميسرًا لك، وإلا فلا تشغل نفسك بترهات المتصوفين. قال رويم: مضيت فى يوم شديد الحرارة بطريق من طرق بغداد فظمئت، فطلبت الماء من بيت، ففتحت فتاة الباب وفى يديها كوز من الماء، ولما رأتنى قالت: أيشرب صوفى فى النهار؟!، ولم أفطر بعد ذلك اليوم قط.

وتوفى أبو عبد الرحمن بن شعيب بن على بن سنان النسائى فى نفس السنة، وتوفى يوسف بن الحسين شيخ الرى الذى كانت له الصحبة مع ذى النون المصرى، وأبى تراب النخشبى، ورفيق أبى سعيد الخرّاز العالم فى العلوم الدينية، قال: عندما ترى مريدًا يعمل بالرخصة؛ فاعلم أن الخير لا يرتجى منه، وكتب رسالة إلى الجنيد قائلاً: يذيقك الله لذة النفس، فإذا ما ذقتها فإنك لم تجد ذوقًا لأى شىء، وقال: إن مصيبة الصوفية فى صحبة الغلمان، ومعاشرة الخصوم، وملاطفة النساء.

وتوفى أبو العباس أحمد بن عمر بن شريح القاضى فى سنة ثلاثمائة وسبعٍ، وجاءوا بيوسف بن أبى الساج إلى بغداد محمولاً على جنبه، وطافوا به فى المدينة، وتوفى أبو العباس أحمد بن محمد بن سهل بن عطا الأدبى، وكان من كبار المشايخ وأقران الجنيد، وصاحب إبراهيم المارستانى، وأبو محمد عبد الله بن محمد الخراز الرازى الذى كان فى مكة سنة ثلاثمائة وتسعٍ، وتوفى أبو محمد أحمد بن محمد بن الحريرى، وكان من كبار صحابة الجنيد، وصحب سهل بن عبد الله التسترى، وخلف الجنيد فى سنة ثلاثمائة وإحدى عشرة، قال: كل من استولت نفسه عليه يصبح أسيرًا

فى حكم الشهوات، ويكون محصوراً دائمًا فى سجن الهوى، فإن الله تعالى يحرم الخيرات على قلبه، ولا يجد لذة من كلام الحق، ولو أجراها كثيراً على لسانه.

وتوفى أبو الحسين بيان بن محمد الحمال الواسطى فى مصر سنة ثلاثمائة وست عشرة، سألوه عن معظم أحوال الصوفية، فقال: الاعتقاد فى المضمون، وكتمان السر، والتخلى عن الدنيا والآخرة، وعدم الاستخفاف بالأمور. قال: أبو على الروذبارى: ألقوا "بيانًا" أمام سبع فجعل يشمه، ولكنه لم يضره ولما أخرجوه، قالوا: ما الذى كان فى قلبك عندما كان السبع يشمك ؟، قال: كنت أنظر فى اختلاف العلماء فى فضلات السباع.

وصحب أبو عبد الله محمد بن فضل البلخى، أحمد بن خضرويه فى سنة تسع عشرة وثلاثمائة، وكان أبو عثمان الخيرى يميل إليه؛ فكتب إليه رسالة فحواها ما علامة الشقاء؟، قال: ثلاثة أشياء: يوم يكون له فيه علم ويبقى من العمل محرومًا، ويصبح عمله يومًا ويحرم من إخلاصه، ويصبح له صحبة الصالحين يومًا ويحرم من احترامهم، فطردوه من بلخ، فسكن سمرقند وتوفى هناك.

وكان للمقتدر أربعة أبناء: محمد، وإبراهيم، والفضل، وإسحاق، وقتل فى صلاة العصر فى بغداد يوم الأربعاء السابع والعشرين من شوال سنة ثلاثمائة وعشرين، وكانت مدة عمره ثمانية وثلاثين عامًا وخمسة شهور، ودامت أيام خلافته خمسة وعشرين عامًا.

القاهر بالله أبو منصور محمد بن أحمد المعتضد: كان الخليفة التاسع عشر لبنى العباس، والثامن والثلاثين بعد النبى (ﷺ)، آلت إليه الخلافة بعد أخيه، وكانت أخلاقه سيئة وسيرته، كما كان سفاحًا، ضاق الناس منه فى شدة وكرب، فاعتقلوه وسملوا عينيه وجعلوا ابن أخيه خليفة بعده، وكان وزيره أبا على محمد بن مقلة، فعزله فى سنة ثلاثمائة وإحدى وعشرين، وأسند الوزارة إلى أبى جعفر محمد بن القاسم بن عبد الله بن سليمان، فعزله أيضًا، وأسندها إلى أبى العباس أحمد بن عبد الله الحصنى،

وتوفي أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد العماني في بغداد في نفس السنة، وكان في زمانه خليفة لخليل بن أحمد البصري في الشعر واللغة :

يا ظبية شيء بالمنى	رائعة بين السدير واللوى
أما ترى رأسي حاكي لونه	طرة صبح تحت أذيال الدجى !
واشتعل المبيض في مسوده	مثل اشتعال النار في حول الغضى

وعارضه أبو القاسم علي بن محمد بن داود بن الفهم التنوخي الأنطاكي(٦٣) في هذه القصيدة، وقال :

لولا انتهائي لم أطلع نهي الهوى	مدى الصبا نطلب من حاز المدى
إن كنت قصرت فما قصر قلب	دامياً ترميه ألحاظ الدمى
ومقلة إن مقلت أهل القضا	أغصت وفي أجفانها جمر الغضى
وكم ظباء رعيها ألحاظها	أسرع في الأنفس من حد الظبى

وتوفي أبو بكر محمد بن علي الكتاني البغدادي في مكة، وأبو علي أحمد بن محمد الروذباري في مصر سنة ثلاثمائة واثنتين وعشرين، وخلع القاهر يوم الأربعاء لخمسٍ خلون من جمادى الأولى سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة، وكانت مدة خلافته عاماً وستة أشهر وستة أيام.

الراضي بالله أبو العباس محمد بن جعفر المقتدر: كان الخليفة العشرين من خلفاء بني العباس، والتاسع والثلاثين بالنسبة للنبي (ﷺ)، أمه أم ولد ظلوم، ووزيره أبو علي محمد بن علي بن مقلة، وبعده أبو علي عبد الرحمن بن عيسى بن داود الجراح، وبعده أبو جعفر بن أبي القاسم الكرخي، وبعده أبو القاسم سليمان بن الحسن بن مخلد، وبعده أبو الفتح فضل بن جعفر بن الفرات، وآخرهم أبو عبد الله أحمد بن محمد البريدي، وكان كاتبه بن جعفر الخصيبي، وحاجبه علي بن صليق، وتوقيعه (اشكر الله يزدك)، ويقال: (المنتقم بأعدائه)، وكان الراضي آخر خليفة خطبوا له

على المنبر، كان رجلاً فاضلاً شجاعًا، وبعده اتجه الخلفاء إلى الناس، وله أشعار كثيرة منها في وصف حاله مع المعشوق :

يصفر وجهي إذا تأمله طرفي ويحمر وجهه خجلا
حتى كأن الذى بوجنته من دم قلبى إليه قد نقلا

وتوفى أبو إسحاق إبراهيم بن داود الرقى، وكان من كبار مشايخ الشام، ومن أقران الجنيد وابن جلا، وأبو بكر محمد بن موسى الواسطى وأصله من فرغانة، وكانت له الصحبة مع الجنيد ونورى فى سنة ثلاثمائة وستٍ وعشرين، وتوفى أبو محمد عبد الله بن محمد المرتعش النيسابورى، وصحب أبا حفص، وأبا عثمان، والجنيد فى سنة ثلاثمائة وثمانٍ وعشرين فى بغداد.

حكاية: قال مرتعش: نزلت ذات يوم فى محلة، وكان الجو حارًا؛ فظمئت وطلبت ماء من بيت؛ فأحضرت فتاة ذات جمال كوزًا من الماء، فصار قلبى فريسة حسنها، فجلست هناك حتى خرج صاحب البيت، فقلت: أيها السيد، أعطونى من دارك شربة ماء وسلبوا قلبى، فقال: لا تحزن إنها ابنتى وأزوجك إياها، ثم مضيت معه إلى البيت، وعقد عقد النكاح فأرسلنى إلى الحمام، وأخذوا خرقتى وألبسونى ثوبًا جميلاً، ولما حل الليل أدخلونى المنزل مع العروس، فاشتغلت بالصلاة، فسمعت صوتًا فجأة أثناء الصلاة يقول: يا مرتعش لقد اختلفت بذلك الرأى عنا فقد خلعنا عن ظاهرك ثوب أهل الصلاح، وإذا أبديت رأيًا آخر نخلع ثوب المعرفة عن باطنك، ولما سمعت ذلك صحت قائلاً: ردوا إلىَّ مرقعتى، فأحضروها فلبستها وخرجت. قال: كل من يظن أن فعله ينجيه من النار، أو يصل به إلى الجنة فيقينًا أنه ألقى بنفسه فى الخطر، وكل من يثق فى فضل الله، فإن الله تعالى يدخله الجنة، كما قال الله تعالى : ﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا ﴾(٦٤).

وتوفى الراضى فى بغداد يوم الخميس السادس من جمادى الأولى سنة تسعٍ وعشرين وثلاثمائة، وكانت مدة خلافته ستة أعوام وأحد عشر شهرًا وثمانية عشر يومًا.

المتقى لله إبراهيم بن المقتدر: كان الخليفة الحادى والعشرين من خلفاء بنى العباس، والأربعين بالنسبة إلى النبى (صلى الله عليه وآله)، وكانت أمه أم ولد، ووزيره سليمان الحسن بن مخلد، وبعده أبو الحسن أحمد بن ميمون، وبعده أبو إسحاق محمد بن أحمد القراريطى، وبعده أبو العباس أحمد بن عبد الله الأصفهانى، وبعده أبو الحسن على بن محمد بن على بن مقلة، وقاضى القضاة أحمد بن عبد الله بن إسحاق الحرمى، وكان نصر بن أحمد أميرًا على خراسان، وبعده آلت لابنه نوح بن نصر، وفى أيام الراضى أدرك أبو محمد عبد الله بن المبارك صحبة حمدون القصار، وتوفى فى نيسابور سنة سبعٍ وعشرين وثلاثمائة.

حكاية: قال عبدالله بن المبارك: خرجت فى عام من الأعوام للحج، وبعد الحج أمضيت ساعة فى الحرم، واستغرقت فى النوم، فرأيت فى المنام ملكين قدما علىّ من السماء، فسأل أحدهما الآخر هذا العام كم ألف شخص جاء للحج؟، قال: ثلاثمائة ألف، قال: حج كم شخص مقبول ؟، قال: لم يقبل حج أحد منهم، فقال عبد الله: لما سمعت هذا حزنت، قلت إن كثيرًا من الخلق جاءوا من بلاد بعيدة وتحملوا المشقة ﴿ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾(٦٥)، وطووا الصحارى ويضيع كل هذا؟، ثم قال هذا الملك: فى دمشق رجل يسمى عليًا بن موفق لم يأت للحج، إلا أنهم قبلوا حجه، ومنحوه كل شىء.

فقال عبد الله: لما استيقظت من نومى، قلت ينبغى أن أزور هذا الرجل، فمضيت إلى دمشق، فدخلت باب داره فرأيت شخصًا، وقلت: ما اسمك ؟، قال: باره دوزى، فقصصت له هذه الرؤيا، فقال: ما اسمك؟، قلت: عبد الله بن مبارك، فصاح وسقط، قلت: خبرنى بخبرك، وقل لى ماذا صنعت حتى أصبحت مقبولاً هكذا؟، قال: كنت راغبًا فى الحج مدة من الزمان، فجمعت ثلاثمائة درهم، وعزمت هذا العام على المضى إلى ذلك اليوم الذى حملت فيه زوجتى، فشمّت رائحة الطعام من بيت الجار، فقالت لى: أحضر لى قليلاً من هذا الطعام من ذلك البيت، فمضيت إلى هناك وطلبت الطعام، فخرجت لى أرملة وقالت: لم يذق أبنائى الطعام منذ عدة أيام، فوجدت اليوم حمارًا ميتًا فجئت بقطعة منه وطهوت طعامًا لأبنائى، فلا يصلح هذا لأكلك، فلما سمعت هذا تألم قلبى

وقلت: إن حجى على باب البيت، فأعطيتها فى الحال الثلاثمائة درهم، وقلت: أنفقى على أبنائك، فقال عبد الله بن مبارك: لما سمعت هذا، قلت: صدق الملك الرؤيا، وصدق الملك فى حكم القضاء.

وتوفى أبو على محمد بن عبد الوهاب الثقفى الذى كان له صحبة مع أبى حفص وحمدون بن قصار، وأبو الحسن على بن محمد المزين البغدادى الذى كان من أصحاب سهل بن عبد الله، والجنيد فى سنة ثمانٍ وعشرين وثلاثمائة، وتوفى أبو بكر عبد الله بن طاهر الأبهرى من أبناء عدى بن حاتم الطائى، وكان مصاحبًا للشبلى صاحب يوسف بن الحسين، وتوفى فى مصر أبو الحسين على بن محمد بن سهل الصايغ الدينورى وكان من كبار المشايخ، قال أبو عثمان المغربى: لم أرَ من المشايخ أكثر رزانة من يعقوب، وأعظم هيبة من أبى الحسين الصايغ، وفى سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة توفى أبو عيسى محمد بن عيسى الحافظ الترمذى.

وكان المتقى عالمًا زاهدًا، ثار الديالمة فى عهده واستولوا على أطراف بغداد، وفى أثناء ذلك كان توزون أبو الوفاء التركى أمير أمراء جيش بغداد؛ فقبض عليه وسمل عينيه، وجعل ابن عمه خليفة مكانه فى يوم السبت الثالث من صفر سنة ستمائة وثلاثٍ وثلاثين، وكانت مدة خلافته أربع سنوات.

المستكفى بالله أبو القاسم عبيد الله بن المكتفى: كان الخلفية الثانى والعشرين من خلفاء بنى العباس، والحادى والأربعين بالنسبة للنبى (ﷺ). أمه أم ولد، ووزيره أبو الفرج محمد بن على السامرى، وبعده محمد بن يحيى بن شيرزاد، وأسند قضاء الجانب الشرقى لبغداد إلى محمد بن عيسى المعروف بابن أبى موسى الحنفى، وتوفى أبو بكر دلف بن خلف الشبلى البغدادى صاحب الجنيد، وكان فى السابعة والثمانين من عمره فى سنة ثلاثمائة وأربعٍ وثلاثين، واستولى الديالمة فى عهد المستكفى على بغداد وأعمالها ومعظم المدن، وكان بويه من رؤساء الديالمة، وكان له ثلاثة أبناء: أحمد، وأبو على، وأبو الجواد، وكان أحمد أكبرهم فاستدعاه الخليفة إلى بغداد، وحرضه على قمع الترك وإسقاطهم وأمّله بإمارة بغداد، فساق الجيش وقدم، فانهزم الترك فخلع عليه الخليفة

وأصبح أميرًا لبغداد، ثم عزل شيرزاد عن العمل، وأسند الوزارة لعلى بن مقلة، وبدأت الأحوال في الازدهار، وبعد ذلك خلع معـز الدولة أحمد بن بويه الخليفة، وسمل عينيه فى شعبان سنة ثلاثمائة وأربعٍ وثلاثين، وكانت مدة خلافته سنة وأربعة أشهر.

المطيع لله أبو القاسم الفضل بن جعفر المقتدر: كان الخليفة الثالث والعشرين من خلفاء بنى العباس، والثانى والأربعين بعد النبى (ﷺ). كانت أمه جارية تسمى مشغلة، لم يكن له حكم فى البلاد مع أن الخطبة والسكة كانت باسمه، ورضى بما كان يعطى له، وكان معز الدولة أحمد بن بويه الحاكم المطلق، وكان أبو جعفر محمد بن يحيى بن شيرزاد مدبر الأمر وهو ديلمى، وأبو الحسن على بن محمد بن على بن مقلة كاتبًا مطيعًا، وتوفى أبو الحسن الأقطع المغربى فى زمانه سنة ستٍ وثلاثين وثلاثمائة، وتوفى أبو على حسن بن أحمد الكاتب فى سنة ثلاثمائة وإحدى وأربعين، وأبو سعيد ابن الأعرابى وهو أحمد بن محمد زياد المصرى، وكان مجاورًا للكعبة ومات هناك، وكان له صحبة مع الجنيد، وعمرو بن عثمان، ونورى، وتوفى أبو محمد جعفر بن محمد بن نصير البغدادى صاحب الجنيد، ورويم، ونورى، وسمنون فى نفس السنة.

وتوفى أبو العباس أحمد بن محمد الدينورى العالم الفاضل، وكان مصاحبًا ليوسف بن الحسين، وابن عطاء، والحريرى، وأبى بكر الطمستانى الذى كان وحيد زمانه فى العلم والورع، وصاحب إبراهيم الدباغ فى سنة ثلاثمائة وأربعين، وتوفى أبو العباس القاسم بن القاسم السيارى فى سنة ثلاثمائة واثنتين وأربعين، وتوفى أبو عمر ومحمد بن إبراهيم الزجاجى النيسابورى، وأبو محمد جعفر بن محمد، وأبو الحسين على بن أحمد بن سهل البوشنجى الذى كان من أهل فتوة خراسان، وصحب أبا عثمان، وابن عطاء، والحريرى، وأبا عمرو الدمشقى فى سنة ثلاثمائة وثمانٍ وأربعين، وتوفى أبو بكر محمد بن داود الدينورى المعروف بالرقى، وكان عمره يزيد عن المائة فى سنة ثلاثمائة وخمسين، وتوفى أبو محمد عبد الله بن محمد الرازى فى نيسابور سنة ثلاثمائة وثلاثٍ وخمسين، ولد هنا وكبر وصحب أبا عثمان، والجنيد، ورويم، ويوسف بن الحسن، وسمنون، وكان أبو الحسين بندار بن الحسن الشيرازى عالمًا فى الأصول، وعظيمًا فى الحال

وكان له صحبة الشبلى وتوفى فى زنجان، وفى النهاية أصاب المطيع الشلل، وخلع نفسه، وأعطى الخلافة لابنه فى سنة ثلاثمائة وخمسٍ وخمسين، وكانت مدة خلافته إحدى وعشرين سنة.

الطائع لله أبو بكر عبد الكريم بن المطيع: كان الخليفة الرابع والعشرين من خلفاء بنى العباس، والثالث والأربعين بالنسبة للنبى (ﷺ). وبناء على الوصية أصبح خليفة، وخلعه بهاء الدولة بن عضد الدولة فى آخر عهده، وسلمه إلى ابن عمه، وتوفى فى عهده سنة ثلاثمائة وستٍ وستين أبو عمر وابن إسماعيل بن نجيد الذى صحب أبا عثمان، ورأى الجنيد، وكان آخر من مات من أصحابه، قال: بلاء العبد رضاه عن نفسه فضلاً عما هو أعلى منه(٦٦).

وكان أبو القاسم إبراهيم بن محمد النصر الآبادى شيخ خراسان فى وقته، وصحب الشبلى، وأبا على الروذبارى، ومرتعش، وكان مجاورًا لمكة وتوفى هناك، وتوفى فى صور أبوعبد الله أحمد بن عطاء الروذبارى ابن أخت أبى على الروذبارى الذى كان شيخ الشام فى عصره فى سنة ثلاثمائة وتسعٍ وأربعين، وتوفى الشيخ أبو عبد الله محمد بن خفيف الشيرازى، وله من العمر مائة وخمسة أعوام، وبرواية أبى القاسم الصفار مائة وأربعة عشر عامًا ليلة الثالث والعشرين من رمضان سنة ثلاثمائة وإحدى وسبعين، وكان شيخ الشيوخ ووحيد عصره، وصحب الجنيد، ورويم، والجريرى، وابن عطا، قال: الإرادة على الدوام هى المشقة وترك الراحة، وقال: أكثر شىء ضررًا بالمريد التساهل مع النفس فى المضى، والأخذ بالرخص وقبول التأويل.

حكاية: قال: أردت فى بداية أمرى أن أمضى إلى الحج، ولما وصلت بغداد كانت أفكار كثيرة فى رأسى؛ لأنى لم أمضِ لزيارة الجنيد، ولما نزلت فى البادية، كان معى حبل ودلو فعطشت، فبلغت بئرًا، فرأيت غزالاً كان يشرب منه، ولما مضيت لرأس البئر هبط ماؤه، فقلت: يا إلهى أعبد الله أقل قدرًا من هذا الغزال؟، فسمعت صوتًا يقول: الغزال ليس له حبل ودلو واعتماده علينا، ففرحت وطرحت الحبل والدلو ومضيت، فسمعت صوتًا يقول: يا عبد الله كنا نختبرك؛ لنعرف كيف أنت؟، فارجع واشرب الماء،

فرجعت فارتفع الماء إلى رأس البئر؛ فتوضأت وشربت ومضيت، فما مستنى الحاجة إلى المدينة، ولما عدت وقدمت بغداد كان ذلك يوم الجمعة، فدخلت الجامع فوقعت عين الجنيد علىَّ، فقال: يا عبد الله لو أنك صبرت لنبع الماء من تحت قدمك.

وتوفى فى بغداد فى نفس السنة أبو الحسن على بن إبراهيم الحصرى البصرى المقيم فى بغداد شيخ الوقت، وصاحب أقوال عجيبة وأعمال، وكانت له صلة بالشبلى، وتوفى الطائع فى سنة ثلاثمائة واثنتين وسبعين، وكانت مدة خلافته سبعة عشر عاماً.

القادر بالله أبو العباس أحمد بن إسحاق بن المقتدر: كان الخليفة الخامس والعشرين من خلفاء بنى العباس، والرابع والأربعين بالنسبة إلى النبى (ﷺ). كان رجلاً صاحب رأى وتدبير ويعتز به ملوك الديلم، وكان يحضر ديوان المظالم الذى ينعقد فى داره كل يوم اثنين وخميس، ولم يعش أحد من خلفاء بنى العباس مدة أطول منه، وتوفى وفاة طبيعية، وكان وزيره أبا الفضل حاجب بن النعمان، وأمير خراسان نوح بن منصور بن نوح.

وكان آل سامان أمراء خراسان، وحماة بلاد الإيمان. وهم تسعة ملوك وكان عهدهم أزهى العهود، واسمهم فى هذه الرباعية :

كان آل سامان تسعة أشخاص عظماء ... واشتهروا بإمارة خراسان
إسماعيل وأحمد ونصر ... ونوحين وعبد الملكان ومنصوران(٦٧)

ولما هزم السلطان يمين الدولة محمود بن سبكتكين، عبد الملك بن نوح على باب مرو، سلم له ملك خراسان يوم الاثنين السابع والعشرين من جمادى الأولى سنة ثلاثمائة وتسعٍ وثمانين، وقدم أرسلان بن إيلبك بن نصر بن على بخارى، وهرب عبد الملك بن نوح من جيشهم، ومضى إلى بلاد ما وراء النهر، واستولى السلطان محمود على خراسان بالكامل، وجعل غزنين داراً لملكه.

وكان أبو عثمان سعيد بن سلام المغربى فريد عصره وصحب ابن الكاتب، وحبيب المغربى، وأبا عمرو الزجاجى، ورأى ابن الصائغ ونهرجورى. وتوفى فى نيسابور فى عهد

القادر فى سنة ثلاثمائة وثلاثٍ وسبعين، قال: التقوى هى الوقوف مع الحدود، ولا يقصر فى هذا ولا يتجاوز ذاك، وقال: إن كل من يختار صحبة الأغنياء على الدراويش يبتليه الحق تعالى بموت القلب.

وتوفى الشيخ أبو القاسم بشر بن ياسين فى نيسابور سنة ثلاثمائة وثمانين، وقال: حقيقة العلم ما كشف على السرائر، وتوفى القادر فى سنة أربعمائة وأربع عشرة، وكانت مدة خلافته إحدى وأربعين سنة وأربعة أشهر.

القائم بأمر الله أبو جعفر عبد الله بن أحمد: كان الخليفة السادس والعشرين من خلفاء بنى العباس، والخامس والأربعين بالنسبة إلى النبى (ﷺ). كانت أمه جارية تسمى بدر الدجى، وفى عهده ثار جغربيل أبو سليمان داود بن طغرل بيك بن ميكائيل بن سلجوق، من نور بخارى فى سنة أربعمائة وخمسٍ وعشرين، ومضى إلى خوارزم، وقدم خراسان من خوارزم سنة أربعمائة وستٍ وعشرين، وفى ذلك الوقت كانت غزنين وخراسان لظهير الدولة مسعود بن محمود، فمضى لمحاربته فى ناحية ديد آباد، وتحاربوا فى ذلك المكان الذى يسمونه الباه، وانهزم السلطان مسعود، وعاد إلى غزنين وقطع أمله فى خراسان، وقسم السلاجقة خراسان بينهم، ومضى الأمير ألب أرسلان إلى العراق، وكان الأمير قتلمش حاكمًا للرى، وحاربه فى قرية نمك وانهزم، واستولى ألب أرسلان على الرى، وجلس على عرش الإمارة فى يوم الأحد الثالث عشر من ذى الحجة سنة أربعمائة وخمسٍ وخمسين، ودخل فى ملكه الجبال والعراق وأجزاء من خراسان، ومضى لغزو الروم فى سنة أربعمائة وستٍ وخمسين وحارب القيصر وهزمه وقبض عليه وعرضه فى المزاد، ثم عفا عنه ورده إلى الروم.

وسعد السلطان بالشهادة فى غرة ربيع الأول سنة تسعٍ وأربعين وأربعمائة، وخلفه السلطان ملك شاه بن ألب أرسلان.

وتوفى فى عهد القائم بأمر الله الشيخ أبو إسحاق إبراهيم بن شهريار بن رادان بن فرخ الكازونى يوم الأحد من ذى القعدة سنة أربعمائة وستٍ وعشرين، وكان فى الثالثة والسبعين من عمره، وتوفى الرئيس أبو على حسين بن عبد الله بن سينا فى سنة أربعمائة وسبعٍ وعشرين فى همدان، وقيلت هذه الرباعية فى تاريخه.

ولد حجة الحق أبو على بن سينا في سنة ثلاثمائة وثلاث وسبعين وألف ثلاثمائة وإحدى وتسعين مؤلفًا في العلوم، وخرج (توفى) من هذه الدنيا في سنة أربعمائة وسبع وعشرين.

وولد الشيخ أبو سعيد فضل الله بن أبى الخير الميهنى[٦٨] يوم الأحد غرة محرم سنة سبع وخمسين وثلاثمائة، وكان عمره ألف شهر بالتمام، وهو ثلاثة وثمانون عامًا وأربعة أشهر، وتوفى ليلة الجمعة الرابع من شعبان سنة ست وأربعين وأربعمائة، وتوفى في صباح الأربعاء غرة رجب سنة سبع وخمسين وأربعمائة أخو فرج الزنجانى، وهرب البساسيرى في عهد القائم، وأحضر السلطان الخليفة إلى بغداد، ولما وصلوا باب المدينة، كان السلطان يسير مترجلاً في ركاب الخليفة، وكان الخليفة يبالغ في الاحتفاء به، وقال له : اركب يا ركن الدين، ومن ذلك اليوم تبدل لقب السلاطين من الدولة إلى الدين. وتوفى القائم في سنة ثمان وخمسين وأربعمائة، وكانت مدة خلافته أربعة وأربعين عامًا وثمانية أشهر.

المقتدى بأمر الله أبو القاسم عبد الله بن محمد بن القائم: كان الخليفة السابع والعشرين من خلفاء بنى العباس، والسادس والأربعين بالنسبة للنبى (ﷺ). كانت أمه جارية تسمى علم. وكان رجلاً صالحًا، سديد الرأى، صاحب كرامات. وزيره محمد بن أحمد بن جرير، وبعده آلت الوزارة لأبى شجاع محمد بن الحسين، وفى زمانه استولى ملك شاه على خراسان، وبنى إمارة بغداد، وجوسق السلطان. ومات فجأة في بغداد سنة ثمان وسبعين وأربعمائة، وفى يوم وفاته رحل عن الدنيا خمسة عشر ملكًا من بلاد، كبلاد الترك والهند على سبيل المثال، وكانت مدة خلافته تسعة عشر عامًا وثمانية أشهر.

المستظهر بالله أبو العباس أحمد بن المقتدى: كان الخليفة الثامن والعشرين من خلفاء بنى العباس، والسابع والأربعين بالنسبة إلى النبى (ﷺ). أمه جارية تركية. وكان رجلاً فاضلاً، وصاحب نعم، محبًا للفقه، وأُلف الكتاب المستظهرى في أصول الفقه باسمه.

كان الإمام الغزالي في زمانه، وكان أبو طاهر ابن الشيخ أبو سعيد بن أبي الخير في العاشرة من عمره عندما توفي أبوه. وعاش خمسين عاماً، وتوفي سنة أربعمائة وثمانين، وتوفي ملك شاه في أيامه، وكان الشغب في خراسان مدة أربعة أعوام وأربعة أشهر، ووقعت الفتنة في العالم حتى ذلك الوقت الذي قدم فيه السلطان محمود بن ملك شاه خراسان في سنة أربعمائة وتسعين، ودبر شئون الملك، ورتب الأعمال، وجعل الملك من ولاية غزنين حتى بلخ للسلطان سنجر وعاد إلى العــراق، وسقطت دولة بني بويه في عهده واستولى الشبانكاره على فارس، وتوفي المستظهر سنة خمسمائة وثلاث، وكانت مدة خلافته خمسة وعشرين عاماً.

المسترشد بالله أبو المنصور الفضل بن المستظهر: كان الخليفة التاسع والعشرين من خلفاء بني العباس، والثامن والأربعين بالنسبة للنبي (ﷺ). وفي عهده هاجم السلطان سنجر العراق، وحارب قراجه، وقتل خصمه، ومنح ملك العراق لابن أخيه محمود شاه، وجعله نائباً عنه فيه، وارتفعت راية الدولة السنجرية، وتجاوز علمه نجم كيوان (زحل)، واتصلت أطراف المملكة بالترك والهند والروم والعرب وانقاد له ملوك العالم، ولما أصبح المسترشد خليفة، هرب أخوه أبو الحسن من بغداد ومضى إلى الأمير دبيس بن صدقة، فأعزه، وأقام مدة عنده.

وخرج المسترشد من بغداد؛ لمحاربة السلطان مسعود بن ملك شــاه السلجوقي، ولما بلغ مراغة حارب السلطان مسعود، ووقــع في الأسر، واستشهد على يد الملاحدة في سنة خمسمائة وعشرين، وقــبره هناك، وكانت مــدة خلافته سبعة عشر عاماً وسبعة أشهر.

الراشد بالله أبو جعفر منصور بن المسترشد: كان الخليفة الثلاثين من خلفاء بني العباس، والتاسع والأربعين بالنسبة للنبي (ﷺ). لما سمع الراشد أن الملاحدة قتلوا أباه اهتم بهم حتى يثأر لأبيه، فقتله الملاحدة على باب أصفهان في سنة خمسمائة وإحدى وعشرين، وقبره هناك في مدينة لها سور، وكانت مدة خلافته عشرة شهور وأحد عشر يوماً.

وتوفى آيل أرسلان بن إتسز فى خوارزم فى التاسع عشر من رجب سنة خمسمائة وسبعٍ وستين، وكانت مدة ملكه ما يقرب من عشرة أعوام، وكان ابنه الأصغر السلطان شاه ولى عهده فأصبح خليفة بعده فى عهد المستضىء، وتوفى المستنجد فى سنة ستٍ وستين وخمسمائة. وكانت مدة خلافته عشرة أعوام.

المستضىء بأمر الله أبو محمد الحسن بن المستنجد: كان الخليفة الثالث والثلاثين من خلفاء بنى العباس، والثانى والخمسين بعد النبى (ﷺ). أصبح خليفة بعد أبيه، واستولى فى عهده ملك الغور على بلاد الهند وغزنة، والخوارزميون على خراسان، والسلاجقة على العراق، وفى عصر المستنجد التمس أقسنغر صاحب مراغة من دار الخلافة أن تكون الخطبة باسم ابن السلطان محمد شاه بن محمد السلجوقى الذى كان مربيًا له، فوصل هذا الخبر الأتابك أيلدكز فى همدان، فغضب من هذا الخبر، وأرسل ابنه جهان بجيش؛ لمحاربة أقسنغر وتحاربوا، فهرب أقسنغر ومضى إلى قلعة روبين دز على حدود مراغة، وحاصر جهان محمد وتصالحوا فى النهاية، وعاد جهان إلى أبيه، وكان هذا الوضع فى سنة ثلاثٍ وستين وخمسمائة، ويقال: فى سنة سبعٍ وخمسين وخمسمائة.

وتوفى الأتابك أيلدكز فى سنة سبعٍ وستين وخمسمائة فى همدان، وأصبح ابنه جهان أتابك وكان له عظمة وشوكة بحيث إنه لما تسلطن السلطان طغرل بن أرسلان ذكر اسمه سلطانًا على السكة وفى الخطبة، وكان جهان حاكمًا مطلقًا. ولما مات أقسنغر فى مراغة، وخلفه ابنه فلك الدين، وبسبب أنه استولى على تبرين، جهز جهان جيشًا، وحاصر فلك الدين فى القلعة النحاسية (روبين دز)، وأرسل أخاه قزل بن أرسلان؛ ليحاصر تبريز وقبض جيش مراغة على رجلين من رجاله وحملوهما إلى المدينة، فألبسهما القاضى صدر الدين التشريفة، وأرسلهما إلى جهان، فأعجب بذلك كثيرًا وبحديث القاضى واصطلح معهم على أن يمنحهم تبريز، وجعلوا مراغة لفلك الدين.

وأقر جهان، قزل أرسلان على تبريز، ومضى إلى العراق ومات، فقدم قزل أرسلان العراق، وكان يريد جريًا على قانون الأتابكة أن يكون مطلق الأمر بناء على

عادة أخيه الأتابكى، فكبر السلطان طغرل واستقل، فلم يلتفت إليه كثيراً، ولذلك السبب وقعت بينهما الحرب، وانهزم قزل أرسلان وقدم معظم جيشه إلى السلطان، وظل مريضاً مدة من الزمان ثم برأ من مرضه، فجمع جيشاً وقبض على السلطان وقيده وضربه على باب بيته خمس مرات وادعى السلطنة. وكان نائماً ذات ليلة فى همدان فى شعبان سنة خمسمائة وسبع وثمانين، فقتله شخص ولم يعلم من قتله، وظن الناس فى تلك الأوقات بسبب تعصب جمع من الأعيان من أصحاب الإمام الشافعى، أنه صلب ولهذا كان السبب ﴿ وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ ﴾(٦٩).

وكان حاكم الموصل وديار بكر الأتابك قطب الدين مودود بن زنكى بن أقسنقر، وتوفى أخو الأتابك نور الدين محمود بن سام فى سنة خمسمائة وخمس وستين، وخلفه ابنه الأصغر غازى، وفى سنة خمسمائة وإحدى وسبعين وقعت الحرب بينه وبين صلاح الدين حاكم مصر، وهرب سيف الدين غازى وتوفى فى صفر سنة خمسمائة وست وسبعين، وجعلوا أخاه عز الدين مسعود خلفاً له، وتوفى فى آخر شعبان سنة خمسمائة وتسع وثمانين، ولما توفى فخر الدين قزل أرسلان بن داود بن سقمان بن أرتق صاحب حصن كيفا، وأكثر بلاد ديار بكر جعلوا ابنه نور الدين محمد خليفته، وتوفى فى سنة خمسمائة وإحدى وثمانين، وخلفه ابنه قطب الدين سقمان، وكان فى الشام الأتابك نور الدين، وأقر كيفية تطيير الحمام الزاجل للأخبار على طريقة أهل بغداد فى سنة سبع وستين وخمسمائة، ومازال هذا معهوداً.

وفى شوال سنة خمسمائة وثمان وستين، وبعد ذلك بسبب عدم خروج صلاح الدين صاحب مصر لغزو الفرنجة عزم على المجىء لمصر فمرض ومات فى الخامس عشر من الشهر المذكور، وكان ابنه إسماعيل فى الحادية عشرة من عمره، فخلفه وسموه الملك الصالح، ولما مات استولى ابن عمه غازى بن قطب الدين مودود صاحب الموصل على البلاد التى كانت له، وكان فى مصر أسد الدين شيركوه الذى كان ابن عبد للسلاجقة أصبح ملكاً حاكماً، بسبب أن العاضد خليفة الإسماعيلية كان قد ضعف وشاور الذى كان وزيره قد سيطر عليه، فأرسل العاضد إلى نور الدين أتابك الشام وطلب منه المدد؛ ليدفع خطر وزيره، فأرسل نور الدين شيركوه مع اثنى عشر ألف رجل.

فخاف الوزير أنه عندما يصل يستولى على ملكه فطلب المدد من الفرنجة، فنزل شيركوه ذات ليلة فى الجانب الغربى من النيل وتحارب الفريقان، فانهزم جيش مصر والفرنج ولجأوا إلى ساحل النجاة، فاستولى شيركوه على الإسكندرية، وترك ابن أخيه صلاح الدين هناك، ومضى إلى الصعيد الأعلى واستولى عليه، واستولى الفرنجة على مصر والقاهرة.

فأرسل كامل الشجاع بن شاور الوزير برسالة إلى الأتابك نور الدين، وادعى الصداقة، وتعهد بأن يرسل إليه مالاً فى كل عام، فرضى نور الدين، واستولى شيركوه وقتل شاور الوزير وحكم شهرين وخمسة أيام، وتوفى فى الثانى والعشرين من جمادى الآخرة فى نفس السنة، وأصبح صلاح الدين يوسف حاكمًا لمصر، وأرسل أخاه الأكبر شمس الدين توران شاه إلى بلاد النوبة، فاستولى عليها وغنم منها وعاد كما استولى على بلاد اليمن، وكان العاضد فى يوم الجمعة الثانى من المحرم سنة خمسمائة وستٍ وستين، فجعل الخطبة باسم المستنجد خليفة بغداد، وسرعان ما وقع بينه وبين نور الدين جفوة بسبب ملك مصر، وفى سنة خمسمائة وإحدى وسبعين قامت بينه وبين سيف الدين غازى صاحب الموصل الحرب وهرب سيف الدين، ومضى صلاح الدين إلى تلك البلاد التى كانت فى حوزة الملك الصالح بن الأتابك نور الدين حتى بلغ حدود متيح[٧٠]، وهرب وحاصر حصن حلب، وكان فيه الملك الصالح، ولما تعذر فتحه عاد إلى الصلح، واستولى على ميافارقين فى سنة خمسمائة وإحدى وثمانين وبعد ذلك أنجز أعمالاً عظيمة حتى آخر عمره، واستولى على بلاد كثيرة من الفرنج وديار بكر وغيرهما، وكان أبناؤه وأقاربه وإخوته، كل منهم حاكمًا على بلد من قِبَله، وتوفى فى دمشق سنة خمسمائة وتسعٍ وثمانين.

وكان قد جعل ولاية العهد لابنه الأكبر نور الدين على، فاستقر فى دمشق خليفة له وسموه الملك الأفضل، ولكن لم يقدم له الولاء بعض ذوى قرباه الذين كانوا ولاة بلاد الشام. وانفرد بالحكم فى مصر أخ آخر له يسمى عثمان وتلقب بالملك العزيز، وقدم دمشق فى سنة خمسمائة وتسعين، وحاصرها، وطلب الملك الأفضل المدد من عمه الملك الغازى، فقدم الظاهر صاحب حلب وناصر الدين ناصر بن محمد بن تقى الدين صاحب

جما، وأسد الدين شيركوه حفيد شيركوه الكبير صاحب حمص بجيش عظيم مدداً للملك الأفضل، ولما رأى الملك العزيز أن أمره كبر رضى بالصلح، وقرروا له بيت المقدس، وأعمال فلسطين، ومصر للملك العزيز، وللملك الأفضل دمشق، وطبرية، وأعمال الغور، وللملك الظاهر الحلة، واللاذقية، والساحل، وأن يكون إقطاع مصر للملك العادل، ومضى كل واحد من هؤلاء الملوك إلى بلادهم.

واستولى يوسف بن عبد المؤمن على ولاية نقصة، وهى من أعمال إفريقيا فى المغرب، وكان أول الأتابكة فى فارس تكله السلغرى، ولما توفى أصبح الحكم للأتابك مظفر الدين سعد بن زنكى.

وكان وزير المستنجد أبو جعفر أحمد بن محمد بن شعيب البلدى، فقتله أبو الفرج محمد بن عبد الله وزير المستضىء، وتوفى سيدى محى الدين أحمد بن الحسن الرفاعى فى سنة خمسمائة وخمسٍ وسبعين، وخلفه سيدى على بن عثمان بن أخته. وتوفى فى سنة خمسمائة وإحدى وثمانين، وخلفه أخوه سيدى عبد الرحيم، وتوفى فى عصر الخليفة الناصر فى سنة خمسمائة وثلاثٍ وتسعين، وتوفى المستضىء فى سنة خمسمائة وثمانين، وكانت مدة خلافته أربعة عشر عاماً.

الناصر لدين الله أبو العباس أحمد بن المستضىء: كان الخليفة الرابع والثلاثين من خلفاء بنى العباس، والثالث والخمسين بالنسبة للنبى (ﷺ). وفى أيام خلافته كانت بساتين آمال الناس ناضرة، وتنظر عين السعادة إلى جماله المنقطع النظير، وانقطعت أسباب الفساد كلها من الدنيا، ومحيت آثار الفتنة من صفحات الآلام فى عهد دولته، ودامت سلطنته أكثر من سلطنة معظم الخلفاء، واستولى على بيت المقدس من الفرنجة. وكان عظيماً فاضلاً شجاعًا صاحب رأى، وكان قد جعل ولاية العهد فى حياته للمستضىء، وأمر بأن يذكروا اسمه فى الخطبة، وأن يزينوا السكة بحلية اسمه، وكان قد تولى عقد البيعة أبو الفضل عبد الله بن على، وقبله كان فى بغداد قحط عظيم.

وكانت أيامه رخاء وحلت الراحة بدل المشقة، وبلغت راية رفعته أقاصى العالم. وتوفى فى أيامه ملك الشعراء أفضل الدين الخاقانى الحقائقى فى تبريز سنة اثنتين

وثمانين وخمسمائة[٧١]، وفى عهده كانت بلاد خوارزم، وجزء من خراسان، والعراق فى حوزة السلطان معز الدين تكش بن أرسلان، وارتفعت بعده راية دولة السلطان سكندر علاء الدين، وكانت ولاية الجبال، والغور جزء من خراسان تحت سيطرة غياث الدين، ومعز الدين اللذين كان يتصل نسبهما بمحمد بن سام، وكانت ولاية ما وراء النهر للسلطان جلال الدين طمغاج خان إبراهيم بن الحسين، وبعد ذلك وصلت لابنه، وبعد ذلك استولى السلطان سكندر على تلك الولاية.

وكان أبو الفضل محمد بن على بن أحمد المشهور بابن البيضا وزيراً لناصر، استدعاه أمير المؤمنين من شيراز فى سنة أربع وثمانين وخمسمائة، وأسند إليه ديوان الإنشاء، وارتدى خلفه الوزارة فى رجب سنة تسعين وخمسمائة، وأرسله بعد فتح خوزستان للاستيلاء على بلاد العجم.

ولما بلغ حلوان، تقدم إليه قتلغ إينانج بن جهان بهلوان، فاحترمه الوزير وتوجها متفقين إلى همدان، وكان جيش الخوارزميين هناك، وكان رئيسهم مياجوق، ولما وصل الوزير بالجيش، هربوا وسلمت همدان للوزير، وتعقب مع قتلغ إينانج الخوارزميين، وهزموهم فى جرجان، وعاد جيش الخليفة من بسطام واستولى على الرى، وبسبب ذلك خلت الولاية من جيش الخوارزميين، وعزم قتلغ إينانج، وأمراء العراق على مخالفة الوزير، ومضوا إلى الرى وبدأوا العصيان؛ فحاصر الوزير الرى وتوجه قتلغ إينانج إلى "آبه"، ولم يسمح له أتباع الوزير، وتوجه من هناك بالجيش قاصداً كرج، فمضى الوزير فى عقبه وتحاربا، فانهزم قتلغ إينانج.

وجاء الوزير إلى همدان حيث توفى، وكانت مدة وزارته عامين، ووصل خوارزم شاه فى أعقاب ذلك، وأخرجه من القبر وأحرقه، وأرسل رأسه إلى خوارزم وتوجه إلى بغداد.

وأرسل الخليفة الشيخ شهاب الدين السهروردى برسالة إليه، ولكنه لم يسمع كلامه، وسقط فى الطريق ثلج غزير على الجيش؛ فخاف السلطان وعاد، وبعد ذلك أسند الوزارة إلى مولانا فريد الدين أبى الحسن محمد بن محمد بن عبد الكريم القمى.

في سنة ستٍ وثمانين وخمسمائة استشهد الشيخ شهاب الدين أبو الفتوح يحيى بن أوكا السهروردى المعروف بخالق البرايا فى حلب، وكان فى الثامنة والثلاثين من عمره، ويقال: إنه كان فى الخمسين. وتوفى فى عهده السلطان تكش خوارزم شاه فى سنة خمسمائة وستٍ وتسعين، وتوفى فى جمادى الأولى السلطان غياث الدين أبو الفتح محمد بن سام الغورى فى سنة خمسمائة وتسعٍ وتسعين، وكان السلطان سليمان بن قليج فى الروم، واستولى على مدينة ملطى من أخيه معز الدين قيصر شاه بعد حصارها عدة أيام فى رمضان سنة خمسمائة وسبعٍ وتسعين، ومضى من هنا إلى أرزن الروم وكان بن محمد سليق من الحكام القدامى هناك فخرج لاستقباله ليصطلح، فقبض عليه السلطان وقيده وأخذ أرزن الروم بحد السيف وسقطت دولة هؤلاء القوم.

وقدم الملك العادل، والملك العزيز بجيشهما من مصر إلى الشام فى رجب سنة خمسمائة وثلاثٍ وتسعين وحاصر دمشق وأسر الأفضل وأرسلاه إلى القلعة، وأصبحت مصر للعزيز ودمشق للعادل، وأرسل الأفضل عليًا من حبسه إلى الخليفة الناصر واستغاثه بهذين البيتين :

مولاى إن أبا بك وصاحبه عثمان قد غصبا بالسيف حق على
فانظر إلى خط هذا الاسم كيف لقى من الأواخر ما لقى من الأول

وتوفى عزيز مصر فى العشرين من محرم سنة خمسمائة وخمسٍ وتسعين، فاجتمع الأمراء واستدعوا الأفضل، فوصل مصر فى الخامس من ربيع الأول من السنة المذكورة، فاستقبله إخوته وقادة مصر وأعيانها، وأعد كل من أخيه الملك المؤيد مسعود، وفخر الدين جركس الأمير مراسم الضيافة، فحضر فى بيت أخيه، وكان فخر الدين جركس أميرًا عظيمًا، ولهذا السبب ساء ظنه وهرب ومضى إلى بيت المقدس واستولى عليها، واجتمع عبيد الناصر الذين كانوا الأفضل عليه، ولما اجتمع قراجة زردقوش وقرًا سنقر، وميمون القصرى أرسلوا رسالة إلى الملك العادل فحواها: تعال لنكون مددًا لك ونأخذ مصر، وكان مشغولاً بمحاصرة مردين، وكان مطمعه أن يستولى عليها وألا تفلت مصر.

ودخل الأفضل مدينة القاهرة فى السابع من ربيع الأول، وسمع أن جركس هرب، واتفق معه جماعة من أمراء ناصر، فقبض على بعض الأمراء الناصريين الذين كانوا فى مصر مثل: شقير، وأيبك أفطس، ووايل بيكى، وكانوا شجعانًا مبارزين فحبسهم.

وتمكن الأفضل فى مصر، وكان مدبر الملك سيف الدين باركح[٧٢]، وأرسل حكام بلاد الشام للأفضل، ودعوه للاستيلاء على دمشق، فأبدى الأفضل تهاونًا وتحالف معهم فبلغ الخبر العادل، وترك ابنه الكامل في مردين وقدم دمشق بسرعة وطلب عبيد الناصرى بيت المقدس، وعزم على المجئ، ووصل كذلك ابنه الكامل، ولما رأى الأفضل أن الأمر لن يكون سهلاً مضى إلى مصر، فأنفذ الملك العادل جيشًا إلى مصر فى سنة خمسمائة وتسع وتسعين، وخرج الأفضل بجيش قليل وحارب وانهزم ومضى إلى قلعة سرخد، واستولى على ميافارقين وتلك النواحى. وتمكن الملك العادل فى مصر وجعل الخطبة والسكة باسمه، واصطلح مع إخوته ثانية، وفى هذه الأعوام جمع أرسلان شاه صاحب الموصل الجيوش، ومضى إلى حران، والرها التى كانت خاصة بالعادل، وكان معه قطب الدين محمد صاحب سينجار، ونصيبين، وصاحب ماردين، ولما بلغ حران كان الجو حارًا؛ فمات كثير منهم بالمرض، وكان الفائز ابن الملك العادل فى حران، فأرسل شخصًا وطلب الصلح، وكان نور الدين قد سمع أن الصلح أُبرم بين الملك العادل والملك الظاهر والأفضل اصطلح معه، ومضى كل واحد إلى مقره.

وكان قد وقع بين يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن، وبين ملوك الفرنجة حروب شديدة، وتوفى فى مدينة سلا فى الثامن عشر من ربيع الآخر سنة خمس وتسعين وستمائة، وخلفه ابنه محمود، ودان له بالطاعة أهل مدينة مهدية الذين عصوا أباه، واستقرت له البلاد، وكان الأتابك مظفر الدين سعد بن زنكى فى فارس، وفى كرمان كان الملك دينار وهو من أمراء الغور، وتوفى بمرض الصدر فى ذى القعدة سنة خمسمائة وإحدى وتسعين، وكان ابنه علاء الدين فرخ شاه الذى كان حاكم بم من قبل خلفه، ومضى إليه سائس خيل غزان سيف الدين ألب أرسلان، وتوفى فرخ شاه فى رجب سنة خمسمائة واثنتين وتسعين، وخلفه أخوه شجاع الدين، وخرب غزان كثيرًا.

وكان فى الغور، وغزة، وبعض من الهند السلطان شهاب الدين، وتحارب مع بنى كوكر فى المحرم سنة ستمائة وستٍ، وركب إليهم فى الخامس من ربيع الأول، وسمع أن لهم جيشاً كثيفاً بين جيلم وسودره، فمضى سريعًا ووصل إليهم فى الخامس والعشرين من ربيع الآخر فى السنة المذكورة، وتحاربوا حرباً شديدة، فوصل فجأة غلام السلطان قطب الدين أيبك بجيش فشد عليهم وقتل كثيراً منهم، فهرب الهنود، ومضوا إلى جبل كبير وأشعلوا ناراً عظيمة، وطرحوا أنفسهم فيها، واحترقوا ﴿ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴾(٧٣)، وغنم الجيش مغانم عظيمة، وهرب ابن كوكر حينما احترق إخوته وأهله ولجأ إلى ابن دانيال مع قطب الدين ومضى السلطان من معبر الجبل فى غرة رمضان سنة ستمائة واثنتين، وأقام له قصراً على شاطئ نهر السند فى موضع يسمى داسل، وقدم هنديان أو ثلاثة لقتله، وخرجوا من الماء ذات يوم فى وقت الظهيرة وقتلوا السلطان.

فاجتمع الأمراء وكان للسلطان غلام عاقل فقام مقام أيبك، فأجلسوه على العرش ولقبوه بالسلطان شمس الدين، واشتهر فى أطراف وأقطار بلاد الهند.

وكان كوشلوك خان فى التركستان، وهزمه جيش جنكيز خان فى سنة ستمائة وست عشرة. ومضى جنكيز خان إلى أرض إيران فى سنة ستمائة وست عشرة، وفى هذه الأعوام المذكورة ألغى الخليفة الناصر فى بغداد عن الخلق ضريبة حق السعى وهى مثل التمغا، وكان سبب ذلك وفاة ابنته فاشتروا عدة أبقار للصدقة، وكان ذلك فى وقت حساب التمغا، فأمر الخليفة بألا يجمعوا الضريبة من أحد بعد، وأقام كثيراً من المبرات فى بغداد، وأمر بأن ينادى المنادون فى شطرى بغداد طالبين من الفقراء أن يتناولوا طعام الإفطار فى رمضان، وكانوا يوزعون فيها لحم الخراف والخبز الرقيق وحلوى النشا، وبنى خانقاه على شاطئ الفرات يسمى مرزبانيه.

وتوفى فى عهده سيدى محى الدين إبراهيم الأعرب بن على الرفاعى فى سنة ثمانٍ وتسعين وخمسمائة، وأصبح ابن عمه سيدى شمس الدين محمد بن عبد الرحيم الرفاعى خلفًا له، وتوفى فى سنة ستمائة وسبعٍ، وأقام مقامه أخوه سيدى قطب الدين أبو الحسن بن عبد الرحيم، وتوفى فى سنة أربعٍ وعشرين وستمائة، وخلفه عمه سيدى

نجم الدين وتوفي ملك الشعراء ظهير الدين طاهر بن محمد الفريابي[٧٤] في سنة خمسمائة وثمانٍ وتسعين في شهر ربيع الأول في تبريز، وتوفي سيد الشعراء جمال الدين شاهبور بن محمد الأسهري[٧٥]؛ النيسابوري في تبريز في سنة ستمائة، ودفن كل منهم إلى جانب الخاقاني في سرخاب، وتوفي مولانا الإمام فخر الدين أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسين الرازي في هراة في غرة شوال سنة ستمائة وستٍ[٧٦].

وكانت ولادة المبارك الناصر في رجب سنة خمسمائة وثلاثٍ وخمسين، وعاش أربعة وسبعين عامًا وأربعة أشهر، وتوفي في بغداد يوم الأحد الثاني من ذي القعدة سنة ستمائة وسبعٍ وعشرين، وغسله ابن الجوزي، وكانت مدة خلافته سبعة وأربعين عامًا.

الظاهر بأمر الله أبو نصر محمد بن الناصر: كان الخليفة الخامس والثلاثين من خلفاء بني العباس والرابع والخمسين بالنسبة للنبي (ﷺ). أصبح خليفة بعد أبيه واحترقت قباب موسى الجواد في عهده، وبني جسر الحديد في بغداد، وكان أول حكم أمر به الإعفاء من الضريبة في جميع ممالكه، وألا يؤخذ أي درهم فضي قط من العظماء، وأمر بأن ينادي في بغداد بأن كل من له مظلمة عند أمير المؤمنين الناصر، فيقدمها حتى تصل أموالهم إليهم، فقدم الناس الذين سلبت أموالهم وعرضوا مظالمهم، فأمر بأن تدفع إليهم أموالهم من خزانة الدولة، واتفق علماء بغداد بأنه لم يكن لخليفة آخر ما للظاهر من حسن السيرة، وسداد السريرة، والشفقة على الناس، وإكرامهم، ولكن مدة حكمه كانت قصيرة مثل أيام الورد، وكانت مدة خلافته تسعة أشهر.

وكان في أيامه السلطان عز الدين كيكاوس بن كيخسرو بن قليج أرسلان في الروم، وتوفي بمرض السل، وأخرجوا أخاه علاء الدين كيقباد الذي كان في القلعة وجعلوه ملكًا، لأن ابنه كان طفلاً، وخالف عمه صاحب أرزن الروم، وصالحهما الملك الأشر صاحب الأخلاط، وكان السلطان بدر الدين لؤلؤ في ديار بكر، والأتابك أوزبك في تبريز، وتوفي قطب الدين محمد عماد الدين زنكي بن قطب الدين مودود بن أقسنغر حاكم تبريز، وخلفه ابنه شاهنشاه، وكان أبناء الملك العادل في المدن الأخرى.

وفى الشام كان الملك المعظم من أبناء الملك العادل، وفى مصر الملك الكامل، وفى شيراز الأتابك سعد الدين بن زنكى، وفى كرمان الملك شجاع الدين.

ولما مضى براق الحاجب إلى الهند مر فى تلك النواحى، فطمع الكرمانيون بناء على رغبة عبيده الذين كانوا خدمه وحشمه فهاجموه، ولكنه لاينهم ولاطفهم، وقال: أمر من هنا، وليست لى معكم مصلحة، إلا إنهم لم يستمعوا إليه، وحارب مع قومه حرباً عنيفة وقتل منهم الكثير، وقتل الملك شجاع الدين، واستولى على كرمان.

وتوفى الظاهر يوم الجمعة الثالث عشر من رجب سنة ستمائة وثمانٍ وعشرين، وكانت مدة خلافته تسعة أشهر وأربعة أيام.

المستنصر بالله أبو جعفر المنصور بن الظاهر: كان الخليفة السادس والثلاثين من خلفاء بنى العباس، والخامس والخمسين بالنسبة للنبى (ﷺ). كان صاحب خيرات، كريماً، وعمر قباب موسى الجواد، وأقام المدرسة المستنصرية فى بغداد، وانقرض الخوارزميون فى عهده واستولى المغول، ومضى جورماغون إلى بغداد، وحارب شرف الدين إقبال سرايى[٧٧]؟، وكان جمال الدين قوشتمور قائد الجيش، فخرج الخليفة من بغداد، واستحضر الخواص والعوام، وأراد أن يخرج بنفسه لمحاربة المغول، فقال الملوك والأمراء: لا ينبغى للخليفة أن يتعب نفسه ونحن العبيد نمضى إليهم ومضوا جميعاً وحاربوا فى بسالة، وهزموا المغول فى جبل حمرى[٧٨]، وتعقبهم جيش الخليفة وقتلوا كثيراً منهم، واستردوا أسرى نيل ودوق[٧٩].

وتوفى الشيخ شهاب الدين أبو حفص عمر بن محمد بن عبد الله بن سعد بن الحسين بن القاسم بن محمد عبد الله بن عبد الرحيم بن القاسم بن محمد بن أبى بكر الصديق السهروردى فى سنة اثنتين وثلاثين وستمائة، وذكر بن الفوطى المؤرخ[٨٠]: قدم الشيخ شهاب الدين بغداد فى رجب سنة خمسٍ وخمسين وخمسمائة، ودخل طريق العزلة، والمعاملة مع الله فى سنة خمسمائة وستٍ وستين، وتوفى يوم الأربعاء غرة المحرم سنة ستمائة واثنتين وثلاثين.

وفى أيامه كان السلطان ركن الدين فى بلاد الروم، وفى مصر الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل، وفى الموصل بدر الدين لؤلؤ. وفى سنة ستمائة وتسع وثلاثين عين سيد تاج الدين محمد بن صلابة حاكمًا على أردبيل، وهجم المغول ثانية على ديار بكر فى سنة ستمائة واثنتين وأربعين، واستولوا على حران والرها وعلى ماردين صلحًا، وهرب شهاب الدين غازى إلى مصر، وتوطد له فيها الأمر.

وكان فى فارس الأتابك أبو بكر، وفى كرمان ركن الدين قتلغ السلطان بن براق الحاجب، وفى خراسان أرغون آقا، وفى خوارزم جينتمور.

وتوفى المستنصر فى يوم الجمعة العاشر من جمادى الآخرة سنة ستمائة وأربعين، وكانت مدة خلافته اثنى عشر عامًا وعشرة أشهر.

المستعصم بالله أبو أحمد عبد الله بن المستنصر: كان الخليفة السابع والثلاثين من خلفاء بنى العباس، والسادس والخمسين بعد النبى (ﷺ). لما ازدانت مرافق الخلافة بجماله وأصبحت إرادته نافذة فى بلاد الإسلام، أمر بأن جميع الخيرات التى ظهرت فى أيامه أن يقرروها ويضاعفوها، وتمسك السلطان شمس الدين إيلتمش بحبل ولائه، واستعصم بذيل جلالته.

وفى أيامه خلع حسام الدين خليل بن بدر خورشيد البلوجى الذى كان من أكابر الأكراد طاعة الخليفة، ولجأ إلى المغول، وكان قبل ذلك يلبس لباس الصوفية، وعد نفسه من مريدى سيدى أحمد الرفاعى، وفى هذا الوقت تشاور مع جمع من المغول. فمضى إلى خولنجان وهى من توابع النجف، وهاجم جماعة من أتباع سليمان شاه وقتل وأغار، فعلم سليمان شاه الخبر، فطلب من الخليفة الإذن وتوجه إليه، ولما وصل حلوان كان قد نصب كمينًا لسليمان شاه فى موضع يسمى سهر، وتحارب مع حسام الدين وانهزم، وسار خليل فى أعقابه فنصب الجنود لهم كمينًا، وحاصروهم، وقتلوا كثيرًا منهم، وأسروا خليلاً وقتلوه.

وفى الروم كان السلطان عز الدين كيكاوس، ولما عاداه أخوه علاء الدين وتوجه إلى أنكوريه[٨١]، فأحضره من هناك، وحبسه فى قلعة هشيار لمدة سبعة أعوام،

ولما توفى عز الدين، صار علاء الدين ملكًا حتى عهد المستعصم، وأعد بدر الدين لؤلؤ جيشًا فى الموصل، وطلب المدد من تاج الدين محمد صلابة صاحب أردبيل، فأرسل له ألف رجل، فاتجه بدر الدين لؤلؤ إلى ماردين، كما حشد سلطان ماردين جيشًا وطلب المدد من حلب ولما تقابلا، انهزمت ميمنة الماردينين، وتعقبهم جيش الموصل وغنموا، فهجم ابن القاهرى قائد جيش حلب على قلب جيش الموصل، وألحق به الهزيمة، فهرب بدر الدين لؤلؤ مع عشرة رجال، وجاء إلى الموصل وسلبوا خزانته.

وتوفى الملك الصالح أيوب فى مصر، وفى سنة ثمانٍ وأربعين وستمائة تقررت سلطنة مصر للملك المعظم توران شاه بن أيوب بن الكامل الذى كان ملكًا على حصن كيفا، وتحارب مع جيش الفرنجة الذى كان قد استولى على دمياط وأطراف مصر، وقتل ما يقرب من ثلاثين ألفًا من الفرنجة، ووقع ملكهم أفريدش فى الأسر، واستخلص دمياط، وبعد ذلك اتفق المماليك البحرية على قتل السلطان، وكان أيبك التركمانى الذى كان رئيس الأمراء قد حضر مائدة السلطان، وفى أثناء الحديث ضرب السلطان بالسيف، فهرب السلطان فى بيت جوبين، فأضرم المماليك النار فى البيت، فصعد إلى السطح، فرشقه أيبك بسهم، فألقى بنفسه فى البحر، فقبضوا عليه وقتلوه ركلاً وطرحوه فى البحر، وكان من عهد شيركوه حتى انقراض دولتهم ثمانية وثمانون عامًا.

ولما عرف أسرى الفرنج هذا الخبر حطموا القيود وجعلوا يقتلون المسلمين، فدخل الخدام التركمانيون، وحاصروهم فى حلقة وقتلوا ثلاثة عشر ألفًا منهم فى لحظة واحدة، وقرروا لأفريدين مائتى ألف دينار. واستولى أيبك التركمانى على مصر فى سنة ستمائة واثنتين وخمسين، ولم يبقَ أحد من أبناء الملك الكامل، وقتله الأمير أقطاى جامة فى القلعة، وأمر أن تكون الخطبة والسكة باسمه، وأصبح سلطانًا. وكان السلطان ركن الدين فى كرمان، وقدم أخوه من عند منكو خان فى سنة ستمائة وخمسين، فهرب ركن الدين وطلب الأمان من دار الخلافة، فلم يمكنوه من هذا خوفًا من المغول، وتوجه من هناك إلى منكوخان، فتعقبه قطب الدين ودخل على يارغو، وسلموه إلى قطب الدين بعد أن ثبت ذنبه فقتله، وأصبحت له سلطنة كرمان.

وكان الأتابك مظهر الدين أبو بكر فى فارس، وتوفى سيدى نجم الدين بن أحمد بن على الرفاعى فى سنة ستمائة وثمانٍ وأربعين، وأصبح سيدى شمس الدين أحمد بن محمد بن عبد الرحيم ابن أخته خلفًا له.

وكان انقراض ملك خلفاء بنى العباس بالمستعصم، فمضى هولاكو لمحاربته وقتله مع معظم أهل بغداد، وسيأتى هذا الخبر فى القسم التاسع من تاريخ المغول، وكان مقتله يوم الأربعاء الرابع عشر من صفر سنة ستمائة وستٍ وخمسين، ومدة خلافته خمسة عشر عامًا وثمانية أشهر وأربعة أيام.

نسبه: عبد الله بن منصور بن محمد بن أحمد بن حسن بن يوسف بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن جعفر بن أحمد بن محمد بن جعفر بن محمد بن هارون بن محمد بن عبد الله بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب (رضوان الله تعالى عليهم).

هوامش القسم الثالث

(١) قس بن ساعدة بن عدى بن مالك، من بنى إياد، أحد حكماء العرب، ومن كبار خطبائهم فى الجاهلية، كان أسقف نجران، ويقال: إنه أول عربى خطب متوكئًا على سيف أو عصا، وأول من قال فى كلامه: أما بعد. وهو معدود فى المعمرين، طالت حياته وأدرك النبى (ﷺ) قبل النبوة ورآه فى سوق عكاظ.

الزركلى: الأعلام، جـ٥، صـ١٩٦ .

(٢) عندما يتصدى البناكتى لذكر أنساب العرب فى بداية تاريخهم، لا يكتفى بذكر ما يقول الناسبون، وإنما يلحق أنساب العرب القدماء أنساب غيرهم من الشخصيات فى الجاهلية وغيرها من شعراء وكرماء وملوك وفقهاء، وهذا من الدليل على قدرة البناكتى على الاستيعاب والنظر فى التاريخ على أنه علم، كما يجمع المعلومات فى عموم وشمول، إنها ليست مجرد روايات تروى وأخبار تقص.

(٣) سورة البقرة: آية ٢٤٨ .

(٤) وقد ذكر القرطبى فى تفسيره وكذا ابن كثير أن التابوت أنزله الله على آدم (ﷺ)، فكان عنده إلى أن وصل إلى يعقوب (ﷺ)، فكان فى بنى إسرائيل يغلبون به من قاتلهم حتى عصوا فغلبوا على التابوت، غلبهم عليه العمالقة، أما ما كان فى التابوت فكان فيه سكينة، اختلف علماء التفسير فى تأويلها والأغلب أنها ما كانت سببًا فى سكون قلوبهم واطمئنانهم، أما البقية مما ترك آل موسى، وآل هارون فهى عصا موسى، وعصا هارون، ورضاض الألواح.

انظر القرطبى - الجامع لأحكام القرآن - ٣/٢٤٩ .

ابن كثير - تفسير القرآن العظيم - ١/٣٠٢ .

(٥) هذه الرواية غير صحيحة فمن المعلوم والمعروف والمشهور أن أباه توفى وهو ما زال (ﷺ) فى بطن أمه.

(٦) سورة البقرة: آية ٢٨١ .

اتفق جمهور علماء التفسير على أن هذه الآية هى آخر ما نزل من القرآن، وحكى عن أبى بن كعب، وابن عباس، وقتادة، أن آخر ما نزل قوله تعالى ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ... ﴾، ولكن القول الأول أعرف وأكثر وأصح وأشهر.

أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصارى القرطبى: الجامع لأحكام القرآن، جـ٣، صـ٣٧٥ (بيروت بدون تاريخ).

وينظر كذلك، ابن كثير: تفسير القرآن العظيم: جـ١، صـ٣٣٤ (بيروت ١٩٨٤).

(٧) سورة الحجر: آية ٩٤ ، ٩٥ .

(٨) روى البخارى فى صحيحه عن البراء بن عازب (رضى الله عنه): أن القبلة حولت فى صلاة العصر، وليس فى صلاة الصبح، أما ما ذكره البناكتى فقد رواه الإمام مالك عن ابن عمر، والرأى الأول أولى.

الإمام الحافظ أحمد بن على بن حجر العسقلانى: فتح البارى بشرح صحيح البخارى، جـ٨، صـ٢١ (القاهرة ١٤٠٧هـ).

(٩) لا يوجد من زوجات النبى (صلى الله عليه وسلم) اللاتى دخل بهن من هى بهذا الاسم، ولكن ذكر القرطبى أن النبى (صلى الله عليه وسلم)، تزوج أسماء بنت النعمان الكندية، ولكنه لم يدخل بها. ونرى أن هذا الخطأ وقع من النساخ.

القرطبى: الجامع لأحكام القرآن، جـ١٤، صـ١٦٧ .

(١٠) عبارة وهى "التى وهبت نفسها للنبى (صلى الله عليه وسلم)"، مأخوذة من الآية رقم ٢٣ من سورة الأحزاب.

(١١) عطارد بن حاجب بن زرارة التميمى، خطيب من سراة بنى تميم، قيل وفد على كسرى فى الجاهلية، وطلب منه قوس أبيه فردها عليه، وكساه حلة ديباج، ولما ظهر الإسلام وفد على النبى (صلى الله عليه وسلم) فكان خطيبه واستعمله على صدقات بنى تميم، وارتد بعد وفاة النبى (صلى الله عليه وسلم) وتبع سجاح، ثم عاد إلى الإسلام، وقال فى سجاح :

أضحت نبيتنا أنثى يطاف بها وأصبحت أنبياء الناس ذكرانا

الزركلى: الأعلام، جـ٤، صـ٢٣٦ .

(١٢) هذه الرواية غير صحيحة، حيث إن مسيلمة قتل فى ميدان المعركة، واشترك فى قتله وحشى قاتل حمزة بن عبد المطلب، ورجل من الأنصار.

الشيخ محمد الخضرى بك: إتمام الوفاء فى سيرة الخلفاء، صـ٣٢ (القاهرة نشر دار الوفاء، بدون).

(١٣) من المعروف أن الحكم فى عهد الخلفاء الراشدين، لم يكن وراثيًا، بل كان شوريًا، وهذا ينافى ما ذكره المؤرخ، من أن أبا بكر جعل ولاية العهد لعمر (رضى الله عنهما).

(١٤) هذه عبارة خطأ، حيث إنه لا يطلق هذا اللقب إلا على النبى (محمد صلى الله عليه وسلم) فقط.

(١٥) عندما تحدث البناكتى عن عمر (رضى الله عنه)، استطرد وذكر سلمان الفارسى كثيرًا، وكان حديثه عنه طويلاً كما سرد قصة إسلامه، وكان حديثه عن سلمان الفارسى أطول من عمر (رضى الله عنهما).

(١٦) صححت فى الهامش" مائة وخمسة وتسعين حديثًا".

(١٧) سورة البقرة: آية ١٣٧ .

(١٨) يهتم البناكتى بسيرة صحابة رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، فيذكر دائمًا سنهم، وعدد الأحاديث التى رووها عن النبى (عليه السلام)، ولذلك يمكن القول بأن هذا القسم من الكتاب يعد مرجعًا مهمًا فى التعرف على رواة الأحاديث النبوية.

(١٩) هكذا فى الأصل.

(٢٠) المنات: مكيال معروف قديمًا يزن رطلين، والرطل اثنتا عشرة أوقية.

ابن منظور: لسان العرب، جـ١، صـ٤٩١ .

(٢١) يميل البناكتى إلى تعداد الأبناء وتعيينهم بأمهاتهم، ونرى أن هذا إفراط منه فى الدقة، كما أنه يعنى عناية كبيرة باختلاف الروايات فى تحديد الولادة والوفاة.

(٢٢) هو أبو عبد الله فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين الطبرى الرازى، كان من فلاسفة المذهب الشيعى وفقهائه، يعد من علماء إيران الكبار فى القرن السادس الهجرى، الذين برعوا فى العلوم الإسلامية، وله الكثير من المؤلفات فى كثير من الفنون، وكان من المعارضين لابن سينا، وله الكثير من المؤلفات العربية والفارسية.

زهرا خانلرى: فرهنگ ادبيات فارس، صـ٢٦٧، ٢٦٨ .

(٢٣) هكذا فى الأصل.

(٢٤) الشرع لا ينسب إلى النبى (صلى الله عليه وسلم)، ولكن الشرع يضاف إلى الإسلام - وهو الدين - فيقال: الشرع الإسلامى، والشريعة الإسلامية، يحاول كثير من المستشرقين إضافة اسم النبى (صلى الله عليه وسلم) إلى الشريعة. فيقولون: الشريعة المحمدية، ويقولون عن أمة الإسلام: المحمديون. وذلك تشبيهاً بالمسيحيين. ولذلك يحذر من الخلط.

(٢٥) سورة المائدة: آية ٤٥ .

(٢٦) هكذا فى الأصل.

(٢٧) هكذا فى الأصل.

(٢٨) هكذا فى الأصل.

(٢٩) أم الولد: هى الأمة التى تحمل من سيدها، وتنجب فإذا ولدت ولداً سميت أم ولد، وعندئذ لايجوز بيعها ولا التصرف فيها.

(٣٠) الحديث رواه أبو داود، وسكت عنه.

أنظر عون المعبود فى شرح سنن أبى داود، جـ١١، صـ٣٧٢ .

(٣١) سورة الزمر: آية ٣٠ .

(٣٢) هذه العبارات وردت باللغة العربية هكذا فى متن الكتاب.

(٣٣) سورة النحل: آية ٩٠ .

(٣٤) يلاحظ على البناكتى فى هذا الموضوع، أنه لا يسرد الوقائع فقط، لكنه عندما يذكر حقيقة تاريخية يرى فيها العظة والعبرة يذكرها بأسلوب تغلب عليه المحسنات البديعية رغبة منه فى أن يعرضها فى مظهر يقع فى النفس موقعاً طيباً، كما أنه يتصدى للتعقيب عليها، كما يذكر كلاماً فى الحكمة، وهذا ينهض دليلاً على أن التاريخ ليس مجرد سرد للوقائع، بل هو الاستفادة من هذه الوقائع، والخروج منها بالعبرة والعظة.

(٣٥) ذكر البناكتى هذا البيت مترجماً إلى الفارسية، ولم يذكر أصله العربى.

(٣٦) اختلف المؤرخون فى اسمه وكنيته ولقبه، فذكروا له ثلاثة أسماء هى: الحسن، وعبد الرحمن، ومحمد، ويكنى بأبى على، وأبى جعفر، تربى فى أسرة عريقة تعرف بالفضل والعلم والأدب، واشتهر جلهم بالشعر كما يقول ابن رشيق القيروانى، ويعد دعبل من العلماء والمتكلمين ومن حملة الأدب والتاريخ، ومن الواقفين

على اللغـة والرواية، وله كثير من المؤلفات إلى جانب ديوان شعر، ولد سنة ١٤٨هـ، وتوفى سنة ٢٤٦هـ.

دعبل بن على الخزاعى: ديوان دعبل، جمعه وقدم له عبد الصاحب عمران الدجيلى، الطبعة الأولى (بيروت ١٩٧٢م)، صـ٥ وما بعدها.

(٣٧) الحديث رواه الترمذى، وأبو داود، وابن ماجة.

الترمذى: سنن الترمذى، جـ ٣، صـ ٦٠٥ (دار الحديث - القاهرة).

(٣٨) هو الحكيم تاج الشعراء محمد بن على السوزنى، ولد فى كلاش من توابع سمرقند، مضى إلى بخارى؛ لتحصيل العلوم الدينية مثل التفسير والحديث، كما يعرف اللغة التركية واللغة العربية، تحتوى أشعاره على الكثير من الأحاديث والإشارات إلى الآيات القرآنية، وله ديوان شعر يحتوى على القصائد والغزليات والقطع والمسمطات والرباعيات.

حكيم سوزنى سمرقند: ديوان حكيم سوزنى، باهتمام دكتر ناصر الدين شاه حسينى، (تهران ١٣٦٦ شمسى).

(٣٩) هو أبو إسحاق إبراهيم بن ماهان، ويقال له أيضًا: ميمون، لم يكن من الموصل، ولكنه سافر إليها وأقام بها مدة فنسب إليها، لم يكن فى زمانه مثله فى الغناء واختراع الألحان وغنى للرشيد، ولد بالكوفة سنة ١٢٥هـ، وتوفى فى بغداد سنة ١٨٨هـ، وقيل سنة ٢١٣هـ.

شمس الدين أحمد بن محمد بن خلكان: وفيات الأعيان وأبناء الزمان، جـ١، صـ ٤٢ ، ٤٣ (بيروت بدون تاريخ).

(٤٠) سورة الجاثية: آية ٢١ .

(٤١) شبه الفضل وزير هارون بهامان وزير فرعون، وهذا المعنى مأخوذ من القرآن الكريم.

(٤٢) ذكر البناكتى لكن فى هذا البيت ليكن تأثر بالأسلوب الفارسى، ويمكن أن تكون من خطأ النساخ.

(٤٣) البناكتى يؤرخ بأسلوبين مختلفين فى كتابه، وأقصد من ذلك أنه فى مواضع السرد التاريخى يختار أسلوبًا سهلاً وعبارات معناها فى ظاهر لفظها، أما إذا تحدث عن أمر مهم أو أمر مستطرف فإنه يغير أسلوبه السهل الواضح بأسلوب النثر الفنى الذى يتضمن المجاز والسجع، ولكنه مع ذلك لا يذكر جملاً طويلة، كما يعقب على الخبر المهم دائمًا بذكر الشعر العربى والفارسى وغيرهما، ويبدو هذا جليًا فى وصفه لما وقع بين الفضل بن يحيى والعباسة، كما تصدى لوصف العلاقة بينهما بذكره كلامًا يخرج عن نطاق الحشمة.

(٤٤) وردت هذه القصيدة كاملة فى كتاب (مروج الذهب ومعادن الجوهر).

أبو الحسن على بن الحسين بن على المسعودى: مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد، ج٣، بيروت بدون تاريخ، ص٣٩٨ .

(٤٥) هو سلم بن عمرو، كان من شعراء الدولة العباسية، ومنقطعًا إلى البرامكة، وكان فاسقًا ماجنًا باع مصحفًا كان ورثه عن أبيه فاشترى بثمنه طنبورًا، وقيل اشترى بثمنه دفتر شعر، فشاع فى الناس خبره، فسمى الخاسر بذلك، ولكنه كان يقول: أنا الرابح ولست بالخاسر، وكان تلميذًا لبشار بن برد، توفى سنة ١٨٠هـ.

ابن المعتز: طبقات الشعراء، تحقيق عبد القادر أحمد فرج (القاهرة ١٩٥٦)، ص١٠٠ .

(٤٦) يبدو البناكتي متعاطفًا مع البرامكة، وربما كان تعاطفه هذا مرده أنه فارسي مثلهم، لقد بالغ في وصفهم بالجود والكرم، وقال: إن آية الكرم نزلت فيهم، وذكر الكثير من الأبيات العربية، والقليل من الأبيات الفارسية التي قيلت فيهم.

(٤٧) سورة النازعات: الآيتان ٤٠، ٤١ .

(٤٨) سورة آل عمران: آية ١٣ .

(٤٩) سورة الحديد: آية ٢٠ .

(٥٠) ورد هذا البيت في مروج الذهب.

هل رأيت النجوم أغنت عن المأمو ... ن أو عن ملكه المأنوس

المسعودي : مروج الذهب، جـ٤، صـ٦٥ .

(٥١) يقص البناكتي هذه القصة على أنها حقيقة، ولكننا نرى أنها قصة خيالية، ويمكن أن تكون أسطورة من الأساطير لأنها من الخيال، لأن كل ما ذكره لا يقبله العقل، وعلى كل حال فإن القصة التي ذكرها قصة مستطرفة، ونستطيع أن نقول: إنه اهتم بها لما تحويه من عبرة وعظة وحكمة، وإن كانت من نسج الخيال.

(٥٢) من أهالي راوند التي تقع بين أصفهان وكاشان، وكان من خطباء عصره المشهورين، وله من الكتب ما يزيد عن المائة، كان فيلسوفًا مجاهرًا بالإلحاد، ألف الكثير من الكتب في الطعن في الدين منها كتاب خلق القرآن، اختلف في تاريخ وفاته، فيقول مؤلف لغتنامه: في سنة ٢٤٥هـ، وقال الزركلي وابن الجوزي: في سنة ٢٩٨ هـ، وقيل: صلبه أحد السلاطين في بغداد.

علي أكبر دهخدا: لغتنامه، جـ٣ ، صـ٣١١ ، طهران ١٣٢٥خورشيدي.

(٥٣) هو أبو الحسن علي بن الجهم بن بدر بن الجهم، أصل أسرته من البحرين، ومن علية القوم ولكنها هاجرت خراسان، وبعد ذلك إلى بغداد، ولي المأمون أباه الجهم بريد اليمن، كما ولاه الواثق شرطة بغداد، ولد سنة ١٨٨ هـ أو قبلها بيسير، ذهب إلى الكتاب، وظهرت عليه النجابة منذ طفولته، وله قصائد أنشدها في عهد المعتصم والواثق والمتوكل الذي قربه واتخذه جليسًا ونديمًا وجعله من خواصه، إلا إن العلاقة ساءت بينهما، ونال على يدي المتوكل ما نال من سجن وتعذيب ونفي، وقتل في شعبان سنة ٢٤٩ هـ، وقد رثاه جماعة من الشعراء بعد قتله.

علي بن الجهم: ديوان علي، عني بتحقيقه خليل مردم بك، ص ٣-١٧ (بيروت بدون تاريخ).

(٥٤) كتبت هذه الكلمة في الأصل "الخلايف" تأثرًا بالأسلوب الفارسي.

(٥٥) يلتفت البناكتي في هذا الموضع إلى حقيقة تاريخية مستطرفة، فهو في هذا الموضع يوازن بين الساسانيين والعباسيين، فيوضح أن أبناء الملوك والخلفاء الذين أصلهم من أبناء ملوك وخلفاء، قتلوا آباءهم، واستولوا على الملك بعدهم.

(٥٦) هو أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن المهدي، ولد سنة ٣٩٢ هـ في قرية درزنجان، وهي تقع جنوب بغداد، حفظ القرآن الكريم وتعلم القراءات، كما درس الحديث والفقه، تجول في كثير من البلاد، ويحتوي تاريخ بغداد على تراجم للخلفاء والأمراء والوزراء والقادة والقضاة وغيرهم من أعيان مدينة بغداد إلى جانب المحدثين الذين أولاهم اهتمامًا خاصًا، وتوفي سنة٤٦٣ هـ.

دكتور/ أكرم ضياء العمري: موارد الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد، الرياض ١٩٨٥ ، ص١٧ .

(٥٧) هو أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق السجستانى، واحد من كبار وحفاظ الحديث وعلومه طاف معظم البلاد الإسلامية، وجمع كتاب السنن، وعرض على الإمام أحمد بن حنبل؛ فاستحسنه وأثنى عليه.

محمد فريد وجدى: دائرة معارف القرن الرابع عشر الهجرى، جـ٥، ص ٣١٣ .

(٥٨) كتب هذا الاسم "الطولون" فى المتن.

(٥٩) سورة البقرة: أية ١٩٥ .

(٦٠) سورة الشورى: الآية ١١.

(٦١) سورة آل عمران: أية ٢٦ .

(٦٢) سورة الحديد: آية ٢١ .

(٦٣) وردت هذه القصيدة عند المسعودى كاملة.

المسعودى: مروج الذهب ومعادن الجوهر، جـ٤، ص١٣٢ .

(٦٤) سورة يونس: آية ٥٨ .

(٦٥) سورة الحج: الآية ٢٧ .

(٦٦) يكثر البناكتى من ذكر المتصوفة، ويسرد قدرًا كبيرًا من قصصهم التى تدل على سلوكهم، وبذلك يكون قد أضاف بعدًا جديدًا إلى كتابه التاريخى، لأنه قد ضمنه أخبار المتصوفة التى لا تجدها بهذه الكثرة فى الكتب التاريخية الأخرى.

(٦٧) بيتى الشعر إشارة إلى ملوك الدولة السامانية.

(٦٨) هو أبو سعيد فضل الله بن أبى الخير محمد بن أحمد الميهنى، من الشعراء الإيرانيين، وشيخ من شيوخ الصوفية المعروفين، ولد فى سنة ٣٥٧ هـ. سافر إلى مرو وحصل الفقه هناك وبعد ذلك مارس الرياضة الصوفية حتى أصبح من كبار شيوخ التصوف المعروفين فى القرن الخامس الهجرى، كان من المبدعين فى الشعر الصوفى، وهو أول من استخدم الرباعيات وضمنها جميع الأفكار الصوفية، والفلسفية، والدينية، وتوفى سنة ٤٤٠ هـ .

محمد بن المنور: أسرار التوحيد فى مقامات الشيخ أبى سعيد، ترجمة الدكتورة / إسعاد عبد الهادى قنديل، ومراجعة الدكتور/ يحيى الخشاب، ص ١٣ ، ١٤ (القاهرة بدون تاريخ).

(٦٩) سورة الأحزاب: الآية ٢٥ .

(٧٠) هكذا فى الأصل.

(٧١) هو أفضل الدين إبراهيم بن على الخاقانى كان يتخلص بالحقائقى فى بداية أمره. ولد سنة ٥٠٠ هـ يعود الفضل فى تعليمه وتثقيفه إلى عمه ميرزا كافى الدين، ويعد الخاقانى من كبار شعراء القصيدة فى إيران، وله الكثير من القصائد المتعددة المطالع، وله ديوان شعر كبير طبع فى الهند وإيران.

ديوان خاقانى شيروانى : طبعة على عبد الرسول ص ١٧ (تهران ١٣١٦هـ .ش).

(٧٢) هكذا فى الأصل.

(٧٣) سورة الزمر: آية ١٥ .

(٧٤) هو ظهير الدين طاهر بن محمد الفاريابى كان فى غاية الفضل والمقام. ليس له نظير فى الشعر وقد اتفق أهل العلم على أن كلامه أرق من كلام الأنورى، وكان يسير فى سبكه وشاعريته على نسق الأنورى توفى فى تبريز سنة ٥٩٨ هـ .

زهرا خانلرى فرهنك أدبيات فارسى، ص ٣٦٥ .

(٧٥) هكذا فى الأصل.

(٧٦) للبناكتى شغف بجمع الأحداث المهمة فى كتابه فهو مثلاً إذا تحدث عن خليفة، إنه توفى فى عام كذا ذكر أسماء بعض الشعراء الذين توفوا فى نفس السنة ليربط الصلة بينهم وبين الخليفة الذى توفى، فهو بذلك يستطرد فى تأريخه وبذلك يمد القارئ بفائدة عظيمة.

(٧٧) هكذا فى الأصل.

(٧٨) هكذا فى الأصل.

(٧٩) هكذا فى الأصل.

(٨٠) هو كمال الدين أبو الفضل عبد الرازق تاج الدين المعروف بابن الفوطى الشبانى الحنبلى، ولد سنة ٦٤٢ هـ ببلاد الشام وتوفى سنة ٧٢٣هـ، ومن أشهر مؤلفاته (مجمع الآداب فى معجم الألقاب)، وقد نشرته وزارة الثقافة والإرشاد القومى بالجمهورية العربية السورية فى عدة أجزاء ضمن مطبوعات مديرية إحياء التراث القومى.

ابن الفوطى: مجمع الآداب فى معجم الألقاب، تحقيق الدكتور/ مصطفى جواد، دمشق بدون تاريخ، ص ١ ، ٢ .

(٨١) أنقره عاصمة تركيا الآن (أنكارا) .

القسم الرابع

فى أخبار السلاطين العظام والملوك الكرام الذين كانوا فى أيام خلفاء بنى العباس وكان لهم الملك فى إيران مستقلين عن بنى العباس .

وهم سبع طوائف، وعددهم تسعة وستون فردًا، ومدة ملكهم من وقت ثورة يعقوب بن الليث الصفار، حتى آخر أيام خور شاه ملك الملاحدة أربعمائة عام.

الطبقة الأولى - الصفاريون

وهم ثلاثة، ومدة ملكهم أربعون عامًا وخمسة أشهر

يعقوب بن الليث الصفار: ظهر فى أيام المهتدى بالله أبو عبد الله محمد بن الواثق الخليفة الرابع عشر لبنى العباس فى سنة مائتين واثنتين وخمسين، وكان هو وأخوه عمرو بن الليث فى خدمة إبراهيم بن النصر السجستانى فى بست، فأرسل إبراهيم يعقوب بجيش جرار؛ لمحاربة عمار بن ياسر حاكم هرات، فمضى يعقوب وانتصر واستولى على تلك الولايات وأقام هناك، ولما أقام العدل بين الناس عظمت شوكته، فاستولى على سجستان، وكرمان، وخراسان.

ولما أفضت الخلافة إلى المعتمد على الله أبو العباس أحمد بن المتوكل، أرسل الأمير محمد بن طاهر الذى كان واليًا على العراق بجيش، فهزمهم يعقوب وأسر محمد بن طاهر، وقصد فارس وخوزستان واستولى عليهما وأقام فى نيسابور،

وتوفى هناك فى سنة مائتين وخمسٍ وستين، وكانت مدة ملكه خمسة عشر عامًا وخمسة أشهر، وفى عهده شق أحمد بن عبد الله السجستانى عصا الطاعة وكان من خدم أخيه واستولى على خراسان، وبلغ أمره حدًا وصل فيه إلى نيسابور، ومنح الناس ثلاثمائة ألف دينار وخمسمائة جواد وألف خلعة. وهو أحد ملوك القاهرة.

عمرو بن الليث: خلف أخاه بحكم وصيته، واستولى على البلاد جميعًا، حتى إنهم جعلوا الخطبة باسمه فى بغداد، وشيد فى شيراز المسجد العتيق، وبلغ الغاية فى الملك وكان يحمل مطبخه فى أسفاره ثلاثمائة جمل، وفى آخر عهده ثار الأمير إسماعيل بن أحمد السامانى، وأسره فى حرب معه، وأرسله إلى حضرة المعتضد فى جمادى الأولى سنة مائتين وسبعٍ وثمانين، وتوفى فى سجن بغداد جوعًا، وكانت مدة ملكه ثلاثة وعشرين عامًا.

طاهر بن محمد بن عمرو بن الليث: لما أسروا عمرو، هرب طاهر ومضى إلى سجستان، وبقى هناك مدة وبعد ذلك قدم فارس، فأرسل المعتضد بدر الذى كان قائد قواد أمراء بغداد بجيش؛ فهرب منه طاهر، ومضى إلى سجستان، وتوفى فى سنة مائتين وثلاثٍ وتسعين، وكانت مدة ملكه ستة أعوام.

الطائفة الثانية - السامانيون
وهم عشرة، ومدة ملكهم مائة عام
وثلاثة وشهران وخمسة عشر يومًا

الأمير إسماعيل بن أحمد السامانى: أول السامانيين، كان ملكًا عادلاً عالمًا حصيف الرأى، ثار فى سنة مائتين وسبعٍ وثمانين، وفتح كل بلاد ما وراء النهر، وخراسان، وفارس، وكرمان، والعراق، وبعض بلاد الهند، وأقام فى بخارى، وكان يصادق أهل العلم مطيعًا منقادًا لأوامر الخلفاء، وتوفى فى سنة مائتين وخمسٍ وتسعين، وكانت مدة ملكه ثمانية أعوام.

أبو النصر أحمد بن إسماعيل: كان ولى عهد أبيه، وأصبح ملكًا بعده، ووجد الرعاية فى دار الخلافة، وبعد ذلك قتل على يد جماعة من العبيد فى سنة ثلاثمائة وواحد، وكانت مدة ملكه ستة أعوام وثلاثة أشهر.

نوح بن نصر الأمير أبو الحسن نصر بن أحمد: أصبح ملكًا بعد أبيه، وكان ذلك فى عصر المستكفى بالله الخليفة الثانى والعشرين من خلفاء بنى العباس، وتوفى فى سنة ثلاثمائة وإحدى وثلاثين، وكانت مدة ملكه ثلاثين عامًا.

نوح بن نصر: كان ولى عهد أبيه وخلفه بناء على وصيته، وتوفى فى سنة ثلاثمائة وثلاثٍ وأربعين، وكانت مدة ملكه اثنى عشر عامًا.

عبد الملك بن نوح: أصبح ملكًا بعد أبيه بحكم الوصية، وتوفى فى سنة ثلاثمائة وإحدى وخمسين، وكانت مدة ملكه سبعة أعوام وستة أشهر وستة عشر يومًا.

منصور بن نوح: أصبح ملكًا بعد أخيه، وتوفى فى سنة ثلاثمائة وستٍ وستين، وكانت مدة ملكه خمسة عشر عامًا وتسعة أشهر.

نوح بن منصور: كان ولى عهد أبيه، وخلفه، وفى عهده ثار ولاة خراسان، وأمر ناصر الدين بن سبكتكين الذى كان شرطى غزنة، وأسند إليه قيادة جيش خراسان، ليهلكهم فى سنة ثلاثمائة وأربعٍ وثمانين، وتوفى نوح بن منصور فى سنة ثلاثمائة وثمانٍ وثمانين فى عهد الخليفة القادر بالله أبو العباس أحمد بن إسحاق بن المقتدر الذى كان الخليفة الخامس والعشرين من خلفاء بنى العباس، وكانت مدة ملكه إحدى وعشرين سنة وثمانية أشهر.

أبو الحارث منصور بن نوح: خلف أباه بحكم الوصية، فثار عليه بكتوزن فى سرخس وأسره وبايع أخاه، وتوفى فى سنة ثلاثمائة وتسعين، وكانت مدة ملكه عامًا وتسعة أشهر.

عبد الملك بن نوح: لما أصبح ملكًا أراد أن يسترد جيوش خراسان من محمود بن سبكتكين، فاتجه إليه ووقعت بينهما الحرب وانهزم جيش عبد الملك، وقدم بخارى

منهزمًا، فثار عليه ملك الترك أيلك خان وأسره في شعبان سنة ثلاثمائة وتسعين، واستولى على ما وراء النهر دفعة واحدة، وكانت مدة ملكه ستة أشهر.

المنتصر إسماعيل بن نوح: لما أسر أخوه، فر إلى خراسان، ومنها مضى إلى خوارزم، فأرسل السلطان محمود بن سبكتكين في أثره حتى اعتقلوه وقتلوه، وبلغت دولة السامانيين نهايتها.

الطبقة الثالثة - الديالمة

وهم خمسة عشر، ومدة ملكهم مائة وخمسة وثمانون عامًا وثلاثة أشهر

الأمير عماد الدولة أبو الحسن على بن بويه الديلمي: كان فى خدمة ناصر الأكبر الأطروش حسن بن على بن عمر الأشرف بن الإمام زين العابدين الذى كان ملك الديلم، وكان معه فى المبايعة بالخلافة، ولما جعلوه شهيدًا، هرب عماد الدولة، ومضى إلى خراسان فى سنة ثلاثمائة واثنتين، واجتمع عليه كثير من الديالمة فقصده والى خراسان، فهرب ومضى إلى أصفهان، وكان الوالى هناك مظفر الدين بن ياقوت فحاربه وأسره، فاستولى عماد الدولة على أصفهان، فقصده ياقوت بن المظفر من شيراز، وانهزم فى الحرب، فقدم عماد الدولة فارس فى إثره، ومضى منها إلى خوزستان واستولى على تلك البلاد، وكذلك خزانة بغداد ودعوا له فى الخطبة بعد الخليفة، وترك معز الدولة فى بغداد فى أيام المتقى لله أبى إسحاق إبراهيم بن المقتدر فى سنة ثلاثمائة وتسع وعشرين، وأرسل ركن الدولة إلى العراق، واقام فى شيراز وتوفى بها فى سنة ثلاثمائة وثلاثين، ويقولون: إنه من سلالة بهرام كور، وكانت مدة ملكه ستًا وعشرين سنة.

الأمير ركن الدولة أبو على الحسن بن بويه: مضى إلى شيراز بعد أخيه، وأرسل معز الدولة أبى الحسن أحمد بن بويه إلى بغداد، وعزم من هناك السفر إلى مصر والشام، وتوفى فى عهد ركن الدولة، وبعد مدة قسم الملك على أبنائه، فأسند فارس لعضد الدولة، والعراق لمؤيد الدولة، وهمدان ودينور إلى فخر الدولة، وسلم أصغر أبناء

أبى العباس إلى عضد الدولة، وتوفى فى شيراز سنة ثلاثمائة وثمانٍ وخمسين، وكانت مدة ملكه ثمانٍ وعشرين عامًا.

الأمير عضد الدولة أبو شجاع خسرو بن ركن الدولة: كان ملكًا عادلاً عالمًا كريمًا، وصار ملكًا بوصية من أبيه، كان الناس فى عهده فى رخاء عظيم، ومن معاصريه من خلفاء بنى العباس: الطائع وهو الخليفة الرابع والعشرون، والقادر. ومن المشايخ والأئمة الكبار: الشيخ أبو عبد الله خفيف، والقاضى أبو بكر الباقلانى، والقاضى أبو بكر البيضاوى، والأستاذ أبو على النسوى.

قيل: إن صوفيين من الشام قدما لزيارة الشيخ أبى عبد الله، فلم يجداه فى الخانقاه، فسألا أين هو؟، قالوا: إنه مضى إلى قصر عضد الدولة، فقالا أى شأن للشيخ بالسلطان؟!، ثم قالا: يا أسفاه لقد ضاع الأمل الذى كان لدينا !، ثم قالا: لنطف فى المدينة ثم نعود، فمضيا إلى السوق وجلسا على دكان خياط، فضاع مقراض لهذا الخياط فقبضوا عليهما على أنه معهما وساقوهما إلى قصر عضد الدولة، فحكم بقطع يديهما، وكان الشيخ حاضرًا، فقال: اصبروا فإذا ما تريثتم وتأنيتم علمتم أن هذا ليس من عملهم، وأن هذا المقراض فى موضع كذا مع فلان، فمضوا ووجدوه وتخلصا، ثم قال للصوفيين: أيها الرجلان العظيمان إن رأيكما كان صحيحًا بالنسبة لى، وإن مجيئى لقصر السلطان يكون لمثل هذه الأعمال، فصار الصوفيان مريدين له، وعظم شأنهما بصحبته. وطالما تعلم أن كل من لا يمد يد المعونة للناس يذهب عمره هباء، قال الشيخ: الإرادة تعب دائم، والترك راحة، والرياضة كسر النفس بالخدمة، ومنع النفس عن الفترة فى الخدمة، والقناعة هى عدم طلب ما ليس فى يدك، وعدم الحاجة إلى ما ليس فيها.

ولما قرب أجل الشيخ، قال للخادم: أنا عبد عاصٍ مذنب قصير العمر، ضع غلاً فى رقبتى وقيدًا فى قدمى، واجعل وجهى شطر القبلة حتى يقبل الحق تعالى بكرمه، فأراد الخادم أن يصنع ذلك، فسمع صوتًا يقول: احذر أيها الغافل، لا تفعل حتى لا تجعل عزيزنا ذليلاً.

ومن آثار عضد الدولة: دار الشفاء ببغــداد، وشيراز، ومشهد أمير المؤمنين على، ونهر كرخه، وتوفى فى شيراز سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة، وكانت مدة حكمه أربعًا وثلاثين سنة.

الأمير مؤيد الدولة أبو منصور بن بويه بن الحسن: صار ملكًا بعد أخيه، ودارت بينه، وبين فخر الدولة، وشمس المعالى قابوس الذى كان واليًا على طبرستان وقهستان حروب كثيرة، وعاد منها وكان فى الأغلب مظفرًا ومنصورًا، وتوفى فى سنة تسع وتسعين وثلاثمائة، وكانت مدة ملكه سبعة أعوام وستة أشهر.

الأمير فخر الدولة أبو الحسن على بن حسن: صار ملكًا بعد أخيه، وكان له ثلاثة أبناء: مجد الدولة أبو طـالب رستم، وشمس الدولة أبو طـاهر محمد، وعـز الدولة أبو شجاع على، وتوفى فى سنة ثلاث عشرة وأربعمائة، وكانت مدة ملكه ثلاثة عشر عامًا وخمسة عشر شهرًا.

الأمير مجد الدولة أبو طالب رستم: أصبح ملكًا بعد أبيه بناء على الوصية، وثار فى زمانه السلطان محمود بن سبكتكين، واستولى على مملكته، وتوفى مجد الدولة فى سنة أربع عشرة وأربعمائة، وكانت مدة ملكه عامًا واحدًا.

الأمير شرف الدولة أبو الفوارس شيرزيل[1] بن عضد الدولة: كان فى كرمان، قدم شيراز فى عهد القادر بالله ومضى منها إلى بغداد، واستولى على جميع ممالك أبيه، إلا أن سيف القدر أصابه فجأة، وكانت مدة ملكه ستة أشهر.

الأمير صمصام الدولة أبو كالجيار المرزبان بن عضد الدولة: كان ولى عهد أبيه، وكان فى بغداد، وبعد والده كان أميرًا على بغداد مدة أربعة أعوام وستة أشهر فى أيام القادر بالله، وبعد ذلك جاء شرف الدولة إلى بغداد، واستعاد الإمارة وتوجه معه إلى شيراز، ولما توفى شرف الدولة بايعوه، وبعد ذلك ثار عليه أبو القاسم وأبو نصر ابنا عز الدولة، وقتلاه فى سنة خمس عشرة وأربعمائة، وكانت مدة ملكه تسعة أشهر.

الأمير بهاء الدولة أبو نصر بيروز بن عضد الدولة: كان ولى عهد شرف الدولة وأمير بغداد، جاء إلى فارس بعد أخيه، ولقبه الخليفة القادر بالله بلقب شاهنشاه قوام الدين، وتوفى فى سنة أربعمائة وتسعٍ وثلاثين، وكانت مدة ملكه أربعًا وعشرين عامًا وثلاثة أشهر.

الأمير سلطان الدولة أبو شجاع بن أبى نصر: كان ولى عهد أبيه وصار من بعده ملكًا، ولما عاد من بغداد، أسند القائم بأمر الله ولاية بغداد إلى شرف الدولة أبى على الحسن بن أبى نصر، ودامت إمارته خمسة أعوام وشهرين، وتوفى فى بغداد، فثار عليه أخوه قوام الدولة أبو الفوارس شيرزل، إلا أنه لم ينتصر، وتوفى سلطان الدولة فى سنة أربعمائة وإحدى وأربعين، وكانت مدة ملكه اثنى عشر عامًا وأربعة أشهر، ومن الشعراء الذين عاصروه الأستاذ المنطقى[٢]، وكيا الغضائرى[٣]، وبندار رازى.

الأمير العماد لدين الله عز الملوك أبو كاليجار المرزبان أبو شجاع: لما توفى والده، ظل النزاع بينه وبين عمه جلال الدولة أبو طاهر فيروز خسرو أربعة عشر عامًا، وبعد ذلك قدمت إليه دار الخلافة الخلعة واللواء فى شهر صفر سنة أربعمائة وخمسٍ وخمسين، وظل أربعة أعوام واليًا لبغداد فى عهد القائم بأمر الله، ومضى الشبانكارة فى أيامه إلى دار بجرد، وهم من سلالة أردشير بابك، وكانوا فى صحراء أرزن، وكان محمد بن يحيى كبيرهم، فاستولى على هذه النواحى، وكان ينفخ فى البوق خمسًا، وهم يملكون هذه الكورة فى فارس إلى الآن.

الملك الرحيم أبو نصر خسرو فيروز بن عز الملوك: أصبح واليًا على بغداد بعد أبيه، وتحدث معه فى الصلح السلطان طغرل بك السلجوقى وأسره وقتله، وكانت مدة إمارته فى بغداد سبعة أشهر.

الملك أبو منصور بولادستون، والملك أبو سعيد خسرو شاه: ابنا عز الملوك، ووقعت بينهما حروب وقتل أبو سعيد وواجهت فارس المنصور، ونوت أمه أن تقتل الصاحب العادل بهرام بن باقيه، وكان الفضل بن حسن قائد قواد الصاحب من الغوغاء،

واعتقل أبا منصور، وحبسه فى القلعة سنة أربعمائة وتسعٍ وخمسين حتى توفى وسقط ملكهم، واستولى فضلويه على فارس، فقدم الملك قاورد السلجوقى من كرمان، فهرب فضلويه ولجأ إلى السلطان ألب أرسلان، واستولى على فارس بضمان، إلا أنه عاد للعصيان، فأسره نظام الملك، وقتل فى قلعة إصطخر فارس.

الملك أبو على كيخسرو بن عز الملوك: كان من أكابر الديالمة، ورضى عن السلطان نوبندكان، وتوفى فى سنة أربعمائة وسبعٍ وثمانين. والله أعلم.

الطائفة الرابعة - الغزنويون

وهم ستة عشر ملكًا. ومدة ملكهم مائة وأربعون عامًا وستة أشهر

السلطان يمين الدولة أبو القاسم محمود بن سبكتكين: كان ملكًا عادلاً فاضلاً كاملاً، توفى ناصر الدين سبكتكين فى سنة ثلاثمائة وثمانٍ وسبعين، واستقر حكم جيش خراسان، فأراد عبد الملك بن نوح أن يسترد منه الجيوش، ولهذا السبب مضى إليه وحاربه وعاد منهزمًا، فاستقل محمود بخراسان وسجستان وتشرف بخلعة ومنشور من دار الخلافة وتلقب بالسلطان، وبعد ذلك مضى إلى جرجان والعراق واستولى على تلك البلاد من أولاد فخر الدولة الديلمى، ومضى إلى الهند، واستولى على كثير من مدنهم، وقلاعهم، وفتح سمنات، وخرب المعابد فى سنة ثلاثمائة وأربعٍ وتسعين.

وعاصره من المشايخ: الشيخ أبو الحسن على الخرقانى، وأبو سعيد فضل الله بن أبى الخير الميهنى. يروون أن السلطان محمود مضى لزيارة الشيخ أبى الحسن، فأرسل إليه رسولاً؛ ليقول للشيخ: إن السلطان قدم من غزنين من أجلك، وعليك أن تقدم من الخانقاه الخاص بك إلى قصره، فقال للرسول : إذا كان لا يحضر، فاقرأ هذه الآية ﴿ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ ﴾(٤)، فقدم الرسول الرسالة، وقال الشيخ: اعذرنى فقل لمحمود: إنى فى ﴿ أَطِيعُوا ﴾، فقد تأملت إلى حد أنى خجلت من ﴿أَطِيعُوا الرَّسُولَ ﴾، ولن آخذ بـ ﴿ أُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ ﴾ .

فأخبر الرسول محمود فأدركته الرقة، وقال: قف فإنه ليس ذلك الرجل الذى ظنناه فخلع ثوبه على إياز، وألبس عشر جوارٍ ثياب الغلمان، ووقف حاجبًا لإياز، وجعل الامتحان فى صومعة الشيخ، ولما دخلوا باب الصومعة سلموا، فرد الشيخ السلام، إلا إنه لم يقف، فالتفت إلى محمود ونظر إلى إياز، فقال محمود: لما لم ينهض الشيخ؟، قال: إن هذا دأبه، ولكن ليس له طائر، ثم قال لمحمود: تقدم إلىَّ، لقد جعلوك رئيسًا، ولما جلس محمود قال: قل شيئًا، قال: لا تخرج مع المحرمات، فأشار محمود فخرجت الجوارى، فقال محمود: قل لى شيئًا عن بايزيد، فقال الشيخ: قال بايزيد: إن كل من رآنى أمن الشقاء، فقال محمود: إن النبى (ﷺ) أقدم، وقد رآه أبو جهل وأبو لهب وهما من أهل الشقاء، فقال الشيخ: الزم الأدب يا محمود، وتصرف فى ولايتك، فما رأى المصطفى (ﷺ) إلا أصحابه الأربعة، وبعض صحابته، والدليل على ذلك قول الله تعالى ﴿ وَتَرَاهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لا يُبْصِرُونَ ﴾(٤)

فسر محمود من هذا الكلام، وقال: عظنى، قال: احفظ أربعة أشياء: التعفف، وصلاة الجماعة، والكرم، والشفقة على خلق الله، فقال محمود: ادع لى، قال: أدعو فى الصلوات الخمس اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات، قال: ادع لى دعاء خاصًا، قال: يا محمود لتكن عاقبتك محمودًا، ثم وضع محمود بدره من ذهب أمام الشيخ، ووضع الشيخ قرصًا من شعير أمامه، قال: كل فمضغ واعترض حلقه، فسأله الشيخ: أيعترض حلقك!، قال: نعم، قال: أنت تريد كذلك أن تعترض بدرتك حلقى، خذها فقد رفضتها، ثم قال محمود: أعطنى تذكارًا منك، فأعطاه الشيخ قميصًا له، ولما عاد محمود، وقف له الشيخ، فقال محمود: عندما جئت أولا لم تعرنِ اهتمامًا والآن تقف إلىَّ، كيف هذا ؟!، فقال الشيخ: جئت فى البداية برعونة الملك وكبريائه، والآن تذهب منكسرًا مسكينًا.

ثم ذهب السلطان ومضى فى ذلك الوقت؛ ليحارب الكفار وكان يخشى أن ينهزم، وفجأة نزل فى ركن، ووضع وجهه على التراب، ووضع قميص الشيخ على يده، وقال: يا إلهى بعزتك وفضل هذه الخرقة انصرنى على الكفار، على أن أوزع كل الغنائم التى تغنم منهم على فقراء المسلمين، وفجأة ظهر الظلام من ناحية، ووضع كل سيف من

سيوفهم فى سيف الآخر وقاتلوهم ومزقوهم وانتصر جيش الإسلام. ورأى محمود فى تلك الليلة فى المنام أن الشيخ كان يقول: يا محمود لقد أخذت بركة خرقتنا، حتى أنك إذا أردت أن تدخل الكفار جميعًا فى الإسلام لاستجبت.

وفى آخر عهد السلطان محمود، استدعى إسرائيل بن سليمان بن سلجوق من بلاد ما وراء النهر، وبسبب خوفه من كثرتهم أرسله إلى قلعة كالنجار فى أرض السند حتى توفى هناك، وكان سبب ثورة السلاجقة وضعف الغزنويين، وتوفى السلطان محمود فى سنة أربعمائة وعشرين، وكانت مدة ملكه تسعة وثلاثين عامًا.

السلطان مسعود بن محمود: كان محمود قد أوصى أن تكون سلطنة العراق وخراسان لمسعود، وملك الهند وغزنة لمحمد، فالتمس مسعود من أخيه أن يجعله شريكًا له فى الخطبة، فلم يستجب له محمد، فاتجه مسعود إلى غزنة وقبض قبل وصوله على يوسف بن سبكتكين بن محمد وأرسله إلى القلعة، فوصل مسعود وحبس يوسف أيضًا، واستولى على جميع ممالك أبيه.

وفى أيامه عبر آل سلجوق نهر جيحون ودخلوا خراسان واستقروا فى أطراف آبيورد وميهنة، فأرسل السلطان مسعود فرمان يهددهم فيه؛ فردوا عليه قائلين: إن هذا أمر الله فما يريده يكون، فعرف الشيخ أبو سعيد بن أبى الخير هذا الخبر وقدم بن إسشت؟[٥] وجغرى وطغرل وأخوه لزيارته، فسلموا وقبلوا يد الشيخ ووقفوا أمامه، فنكث الشيخ رأسه، ثم رفعه وقال لجغرى: لقد منحوك خراسان، وقال لطغرل: ومنحوك أيضا العراق، فقدموا إليه الخدمة وعادوا.

ووصل السلطان مسعود، ميهنة بعد ذلك وكانت معمورة، فلجأ الناس إلى القلعة ووافق الشيخ، وحارب السلطان أربعين يومًا، وأصدروا فى ميهنة واحدًا وأربعين حكمًا، فجرح وقتل كثير من جنود السلطان، فقال الشيخ لحسن المؤدب: يجب أن نمضى إلى البادة هذه الليلة، وهى قرية على بعد فرسخين من ميهنة، ونقرئ تلك العجوز منا السلام، ونقول لها أن ترسل الجرة الممتلئة بسمن البقر التى جعلتها لنا، فتركوا حسنًا بجوار الحصن وخرج من بين الجيش ولم يشاهده أحد، وأحضر جرة السمن هذه.

وأمر الشيخ فى الفجر بأن يحضروا قدراً، ووضعوا السمن فيه وغلوه، وفجأة دار الحديث عن الصلح وخرج رئيس ميهنة وخلعوا عليه وعاد وأخذ معه واحداً وأربعين رجلاً، فأمر السلطان بقطع أيديهم جميعًا، وقدموا ووضعوا أيديهم فى السمن، فبكى الشيخ، وقال: لقد قطع مسعود يد ملكه، وهاجر السلطان بعد العقاب ومضى إلى مرو، فقدم آل سلجوق وحاربوه وهزموه، وكان لمسعود معهم حروب كثيرة، ثم هزموه فى النهاية فى سنة أربعمائة واثنتين وثلاثين واتجه إلى غزنة، ولما سها عن محمد استقل بنفسه، ولما وصل مسعود، أرسله محمدٌ، وابنه أحمد بن محمد إلى القلعة وقتله فى سنة أربعمائة وثلاثٍ وثلاثين، وكانت مدة ملكه ثلاثة عشر عامًا.

السلطان محمد بن محمود: أصبح ملكًا بعد أخيه، فاتجه إليه مودود بن مسعود وغلبه وقتله مع جميع أبنائه؛ ثأرًا لأبيه فى سنة أربعمائة وأربعٍ وثلاثين، وكانت مدة ملكه عامًا واحداً.

السلطان أبو الفتح مودود بن مسعود: لما فرغ من القصاص، أصبح ملكًا بعد عمه، واستولى على جميع بلاده، وتوفى فى سنة أربعمائة وإحدى وأربعين، ومدة ملكه ثمانية أعوام.

السلطان مسعود بن مودود: لما توفى أبوه كان طفلاً، وأصبح الملك باسمه عدة أيام، فاتفق عظماء البلاد على أن يجعلوا عمه ملكًا، وكانت مده ملكه عشرة أيام.

السلطان على بن مسعود: لما أصبح ملكًا، كان عبد الرشيد بن محمود محبوسًا فى القلعة، فتخلص وتجمع الجيش وهزم عليًا، وكانت مدة ملكه عامين.

السلطان عبد الرشيد بن محمود: أصبح ملكًا بعده، وتوفى فى سنة أربعمائة وخمسين، وكانت مدة ملكه سبعة أعوام.

السلطان أبو المظفر إبراهيم بن مسعود بن محمود: كان ملكًا عاقلاً، ودامت أيام دولته من سنة أربعمائة وخمسين إلى أربعمائة وتسعين، ولم يبن بناء من أجله أيام ملكه، لكنه بنى مسجداً ومدرسة وخيرات كثيرة، وكانت مدة ملكه اثنين وأربعين عامًا، وأصبح ابنه ملكًا من بعده، وتوفى فى سنة خمسمائة وثمانين وحكم ستة عشر عامًا.

السلطان أرسلان شاه بن مسعود: خلف أباه بناء على وصيته، وقبض على زمام البلاد، وهرب منه أخوه بهرام شاه، ولجأ إلى السلطان سنجر السلجوقى الذى كان ابن خاله، وقدم غزنة بالاتفاق معه وحارب أرسلان شاه وهزمه، وأجلس بهرام شاه على العرش وعاد إلى خراسان، وعاد أرسلان شاه وهرب بهرام ومضى إلى السلطان سنجر، واستولى على الجيش بتمامه، وقدم غزنة فى سنة خمسمائة واثنتى عشرة، فقتل أرسلان شاه، وكانت مدة ملكه أربعة أعوام.

بهرام شاه بن مسعود: أصبح ملكًا بعد أخيه، وثار فى عهده علاء الدين حسين بن الحسين، وهو أول الغور، فهرب بهرام شاه، فترك علاء الدين أخاه سيف الدين فى غزنة وعاد، فقدم بهرام شاه، وقبض عليه سيف الدين، وأجلسه على بقرة وطوفه فى المدينة، فبلغ هذا الخبر علاء الدين فاتجه إلى بهرام شاه، وتوفى بهرام شاه قبل وصوله فى سنة خمسمائة واثنتين وثلاثين، وكانت مدة ملكه عشرين عامًا.

خسرو شاه بن بهرام شاه: خلف أباه بناء على وصيته، ولما وصل علاء الدين، هرب خسرو شاه ومضى إلى الهند، فأعمل علاء الدين القتل والسلب وترك أبناء أخيه غياث الدين أبو الفتح محمد، وشهاب الدين أبو المظفر أبناء سام بن الحسن، وقبض عليهم بخديعة خسرو شاه وأرسلهم إلى القلعة، وانقرضت دولة الغزنويين، وسيأتى تاريخ الغوريين فى القسم السابع من تاريخ الهند، وتوفى خسرو شاه فى سنة خمسمائة وخمسين.

الطائفة الخامسة - السلاجقة

وهم أربعة عشر . ومدة ملكهم
مائة وتسعة وثلاثون عامًا وسبعة أشهر

السلطان ركن الدين أبو طالب طغرل بك بن محمد بن ميكائيل بن سليمان بن سلجوق: أول السلاجقة، لما أرسل السلطان محمود، إسرائيل بن سليمان بن سلجوق إلى القلعة توفى هناك فى زمان ابنه مسعود فى سنة أربعمائة واثنتين وثلاثين، فثار طغرل واستولى على خراسان، فأرسل إليه القائم بأمر الله الخلعة والمنشور، ولما خلع القائم البساسيرى الذى كان قائده استعان بطغرل بك، فقدم وقتل البساسيرى، وأحضر القائم إلى بغداد ولقبه بركن الدين وعاد إلى خراسان، وتوفى فى سنة أربعمائة واثنتين وأربعين، وكانت مدة ملكه عشرة أعوام.

السلطان عز الدين أبو شجاع ألب أرسلان محمد بن طغرل بك: كان ملكًا مهيبًا شجاعًا مقدامًا، أغار على الدنيا، كلها ومضى مع فضلويه إلى فارس واستولى عليها، وكان هذا الإقليم فى قبضة ملوك السلاجقة مدة خمسة وثمانين عامًا، من آخر أيام الديالمة إلى ظهور دولة السلغريين، وحكم من قبلهم فى تلك المدة سبعة حكام: الأول: فضلويه شبانكاره، الثانى: ركن الدين خمارتكين، الثالث: الأتابك جلال الدين جاولى الذى دفع الشبانكاره عن فارس، الرابع: الأتابك قراجة، الخامس: الأتابك منكو، السادس: الأتابك بوزابه، والسابع: ملك شاه السلجوقى.

ومضى السلطان عز الدين ألب أرسلان مع اثنى عشر ألف فارس إلى أرمانيوس قيصر الروم الذى كان له ثلاثون ألف فارس، فهزمهم ووقع القيصر فى الأسر على يد

غلام رومى كان فى غاية الحقارة، لأن العارض لم يكتب اسمه فى أثناء عرض الجيش، فقال سعد الدولة شحنة بغداد: اكتبه فيجوز أن يقبض على ملك الروم، وبتقرير على أن يعطى القيصر أرمانيوس كل يوم ألف دينار، فقد أعطاه الأمان.

واتجه إلى ما وراء النهر فى آخر عهده، واستولى على قلعة برم، فجاءوا بالحاكم، فسأله عن أشياء، فلم يصدق، فأمر السلطان أن يعاقبوه، فاستل سكينًا وقصد السلطان فهاجمه الغلمان ولكن السلطان منعهم، وأراد أن يرشقه بالسهم، ولأن أجل السلطان كان قد انتهى، أخطأ السهم، ووصل إلى السلطان وطعنه بالسكين فى بطنه، وأهلك السلطان فى سنة أربعٍ وخمسين وأربعمائة، وكانت مدة ملكه اثنى عشر عامًا.

السلطان معز الدين أبو الفتح ملك شاه بن ألب أرسلان: كان ملكًا عادلاً عالمًا أخضع معظم بلاد العالم تحت سيطرته، وكان نظام الملك حسن وزيره، وقالوا هذا البيت[٧] فى الرد على سؤاله :

جــملة مــا هو آت جــاءت فى بيت	فاسمع أيها الصاحب نظام الملك مولانا حسن
الشرط والتعبير والتعجب هو المدة والنفى والخبر	والإنكار والصلة هو التفخيم والاستفهام وأنا

وكان معاصرًا له من الأئمة: إمام الحرمين، وتوفى فى سنة سبعٍ وسبعين وأربعمائة، وكانت مدة ملكه ثلاثة وعشرين عامًا.

السلطان ركن الدين أبو الفوارس بركيارك بن ملك شاه: كان ولى عهد أبيه، وخلفه بناء على وصيته، وحارب إخوته محمود ومحمد، وتوفى محمود فى أيامه، وثار الحسن بن على بن الصباح الحميرى، وأرسل عبد الملك بن عطاش إلى أصفهان ليستولى عليها، وتوفى السلطان بركيارك فى سنة مائتين وتسعٍ وثمانين، وكانت مدة ملكه اثنى عشر عامًا.

السلطان غياث الدين أبو شجاع محمد بن ملك شاه: أصبح ملكًا بعد أخيه، وقصد بغداد، وحاربه إياز وصدقة اللذان كانا عبدين لأبيه، فقتل صدقة وأسر إياز، ولما عاد توجه إلى قلعة الملك، طرحه عبد الملك بن عطاش من البوابة، وقتله أحقر قتلة فى سنة خمسمائة واثنتين، وكانت مدة ملكه ثلاثة عشر عامًا.

معز الدولة أبو الحارث سنجر بن ملك شاه: كان والى خراسان فى عصر إخوته، وبعد ذلك أصبح ملكًا، فثار عليه مغيث الدين أبو القاسم محمود بن محمد وانهزم، وبعد ذلك جاء لخدمته وطلب المعذرة، فأسند إليه السلطان نيابة العراق عنه، وتوفى أبو القاسم بعد أربعة أعوام، وفى أيامه عبر الغز نهر جيحون، فأوعز مدبر الملك العجمى الذى كان وزيرًا للسلطان أن يغير عليهم، فوقع السلطان فى الأسر واستولى الغز على ملك خراسان وكرمان وفارس، وكان جمع من مماليك السلطان امتزجوا بالغز فساعدوه على الهرب وحملوه إلى قلعة ترمد، وتوفى هناك فى ربيع الأول سنة خمسمائة واثنتين وأربعين، وكانت مدة ملكه أربعين سنة، وقال الأبيات التالية، وهو فى حالة النزع :

استولِ على الدنيا وافتح القلعة بالعمود	وسخرت لى الدنيا عندما سيطر عقلى على جسدى
استوليت على كثير من الحصون مباهيًا	وما أكثر ما حطمت فى الحرب بركلة من قدمى
ولما دهمنى الموت كان ذلك بلا جدوى	فالبقاء بقاء الله والملك ملك له

السلطان ركن الدين أبو طالب طغرل بن محمد بن ملك شاه: خلف أباه، نيابة عن عمه، وحكم غياث الدين أبو الفتح مسعود بن محمد نيابة عن عمه بعد أخيه سبعة عشر عامًا، وثار فى أيامه عزيز سلطان، واندلعت الحروب بينه وبين أخيه وتحدث مواليه وخدامه عن استقلالهم مثل: الأتابك أيلدكز فى آذربيجان، والأتابك جهان بهلوان فى العراق، والسلغريين فى فارس.

السلطان مغيث الدين أبو الفتح ملك شاه بن محمود بن محمد: أرسل أبناءه مسعود، ومحمد، وتاج الدين الوزير إلى فارس مع نورابه؟[8]، ومضى بنفسه إلى بغداد، فحملهم نورابه إلى أصفهان، وأجلس محمدًا على العرش، فاتجه إليه السلطان وقتل نورابه، ولما توفى عمه، خلفه ملك شاه ولكنه لم يهتم بالأمراء، فاتفقوا واعتقلوه فى حفل وحبسوه، وكانت مدة ملكه ثمانية أعوام، وقدم فى أيامه عدة أفواج من التركمان من نواحى القبجاق، فغلب يعقوب بن أرسلان مع جمع كثير على خوزستان، وقدم الأتابك مظفر الدين سنقور بن مودود السلغرى فارس فى شهور سنة خمسمائة وثلاث وأربعين، وثار على ملك شاه واستولى على فارس، وتوفى فى سنة خمسمائة وسبع وخمسين،

وحكم بعده الأتابك زنكى بن مودود أربعة عشر عامًا، وتوفى فى نهاية سنة خمسمائة وإحدى وسبعين، فخلفه ابنه الأتابك تكله، وحكم عشرين عامًا فى فارس، وتوفى سنة خمسمائة وإحدى وتسعين.

السلطان غياث الدين أبو شجاع محمد بن محمود السلجوقي: كان له الملك بعد أبيه، وحاصر بغداد، وسمع فى ذلك الوقت أن أخاه ملك شاه، والأتابك أيلدكز الذى كان زوج أم أرسلان بن طغرل حاصرا مع أرسلان همدان، فعاد لهذا السبب ليواجههم، فانهزموا، وعزم على المضى إلى بلاد أيلدكز. وتوفى بمرض السل فى سنة خمسمائة وثلاثٍ وخمسين، وأمر وهو فى النزع بأن يركب أمراء الجيش، وأن يعرضوا عليه كل أمواله التى فى الخزائن، وجواريه، وغلمانه، فنظر إليهم من بعيد وبكى، وقال: إن كل هذه الأشياء من الأمراء والجيش والحشم والخدم والذهب والجواهر واللآلئ لا يمكن أن تخفف عنى شيئًا، ولا تستطيع أن تضيف لحظة إلى عمرى، وما أتعس هؤلاء الذين يسعون لطول العمر فى الدنيا!، ومنح هذه الأموال إلى الحاضرين، وكان له ولد طفل فقال: أعلم أن القواد لن يطيعونك، واستودعه عند أقسنقور أحمد الدميلى والى مراغة، وكانت مدة ملكه ثلاثة أعوام وأربعة أشهر.

السلطان مؤيد الدين أبو الحارث سليمان شاه بن محمد بن مسعود: انقسم الأمراء بعد غياث الدين، فانحاز بعضهم إلى أخيه ملك شاه، والبعض إلى سليمان شاه الذى كان عمهم، ولما بلغ سليمان شاه أصفهان، كان معه أتابكة تكله فارس، وشمله التركى والى خوزستان، فاستودعه ابن القاضى صدر الدين الخجندى أصفهان، وأراد الجيش الذى كان على حدود همدان، إلا إنهم لم يطيعوه، فمضى سليمان شاه لمحاربتهم، ووقع فى الأسر فى ربيع الأول سنة خمسمائة وستٍ وخمسين، وخنقوه وكانت مدة ملكه ستة أشهر.

أرسلان بن طغرل: كان ابن زوجه الأتابك أيلدكز، وجعلوه ملكًا فى همدان، وحكم خمسة عشر عامًا وسبعة أشهر وتوفى فى همدان، وكان الأتابك محمد بن أيلدكز هو الحاكم العام، وبعده اعتلى العرش أخوه قزل بن أرسلان، وقتل على يد الفدائيين، وانتهى ملك السلاجقة فى هذه الديار، أما سلطنة بلاد الروم فكانت فى حوزة أحفاد السلطان علاء الدين قليج بن أرسلان بن سليمان حتى ذلك الوقت وانتهت.

الطائفة السادسة - الخوارزميون

وهم ثمانية . وكانت مدة ملكهم
مائة وثمانية وثلاثون عامًا

خوارزم شاه بن محمد بن بيلكاتكين: كان من موالي السلاجقة، ولما أسند الأمير بركيارك ولاية خراسان إلى الأمير حبش بن التونتاق فى سنة تسعين وأربعمائة، أرسل محمد بن بيلكاتكين إلى خوارزم، وسماه خوارزم شاه، فأقام العدل والإنصاف، وكان يحب العلماء والصالحين، وقضى عصرًا فى الرخاء، وتوفى فى سنة إحدى وعشرين وخمسمائة، وكانت مدة ملكه واحدًا وثلاثين عامًا.

خوارزم شاه أتسز بن محمد: أصبح ملكًا بعد أبيه، واستولى على بعض الممالك فى التركستان وصحراء القبجاق، وعاش إحدى وستين سنة، وأثناء حكمه خدع رجلين من الملاحدة واشترى روحهما وأرسلهما إلى السلطان سنجر ليقتلاه، فعرف خبرهما أديب صابر[٩]، فكتب أوصافهما وأرسلها إلى مرو ليقتلوهما، ولما علم أتسز الخبر، طرح أديب فى جيحون.

وقصد السلطان سنجر خوارزم فى سنة خمسمائة واثنتين وأربعين وحاصر قصبة هزاراسب، وكان الأنورى[١٠] عند السلطان، فكتب هذين البيتين على سهم، وألقى بها على قلعة هزاراسب :

أيها الملك، حسبك ملك كل هذه الأرض ولك الكسب من دولة الدنيا

واستول اليوم فى حملة واحدة على هزاراسب وغدًا لك خوارزم ومائة هزاراسب

وكان رشيد الدين الوطواط[١١] فى هزاراسب، فكتب الجواب على سهم ورماه :

لو أن عـدوك أيهـا الملك رسـتم البـطل فإنه لن يستطيع أن ينال حمارًا واحدًا من هزاراسب

ولما تم الاستيلاء على هزاراسب، غضب السلطان من الوطواط، وقال: اخلعوا سبعة أعضاء من أعضائه، فقال أحد المقربين من السلطان: إن الوطواط طائر ضعيف وليست له طاقة السبع أجزاء، فأمر بأن يقد شطرين، فضحك السلطان وعفا عنه، وتوفى السلطان، وعاش رشيد الدين الوطـواط طويلاً، وتوفى أتسز خـوارزم شاه، وكان رشيد الدين يمشى أمام جنازته ويبكى وكان يشير بيده، ويقول :

أيها الملك كان الفلك يرتعد من عقابك وكـان أمـامك يعـمل عـمل العـبـيـد

أيـن عـــاقـل حـــتـى يـرى أن كل هذه المملكة كانت تساوى هذا !

وكانت مدة ملكه ثلاثين عامًا.

أيل أرسلان بن أتسز: أصبح ملكًا بعد أبيه، وكان له ولدان: علاء الدين تكش، وسلطان شاه، وتوفى فى التاسع عشر من رجب سنة خمسمائة وسبع وستين، وكانت مدة ملكه خمسة عشر عامًا وسبعة أشهر.

سلطان شاه بن أيل أرسلان: كان ولى عهد أبيه، وخلفه، وكانت مدبرة ملكه أمه ملكة تركان، وكان أخوه الأكبر علاء الدين تكش فى جند، وثار عليه بمدد كور خان القراخطائى، فلجأ السلطان شاه، وأمه إلى الملك المؤيد حاكم خراسان، وجلس علاء الدين على العرش يوم الاثنين الثانى والعشرين من ربيع الآخر سنة خمسمائة وثمانٍ وستين فى خوارزم.

فمضى سلطان شاه مع الملك المؤيد إلى خوارزم، وكان الملك المؤيد فى المقدمة، فهجم عليهم علاء الدين وأسر المؤيد وشطره شطرين على باب القصر فى يوم عرفة سنة تسعٍ وستين وخمسمائة، فهرب السلطان شاه، وأمه إلى لهستان، وتعقبهم تكش واستولى على هذه الديار وقتل ملكة تركان وعاد ووجد التمكين له فى خوارزم، وبعد ذلك قتل أحد رسل كورخان ووقع بينهما العداء، فلجأ سلطان شاه إلى كورخان،

فأرسل كورخان قراماى[١٢] معه بجيش، فالتقى تكش فى نهر جيحون أثناء مروره، وقتل كثيراً منهم وعاد قراماى ومضى.

وفجأة مضى سلطان شاه إلى سرخس وهاجم الملك دينار، وهو أحد أمراء الغور فألقى الملك دينار نفسه فى الخندق، وسحبوه من شعره إلى القلعة، ومضى سلطان شاه إلى مرو وبقى الملك دينار فى القلعة، فأرسل مهتر أغوز رسولاً إلى طغان شاه وطلب منه بسطام بدلاً من سرخس، فأرسل الأمير عمر بن فيروز الكوهى ليسلم إليه الملك دينار القلعة، ويمضى إلى بسطام، فمضى سلطان شاه مع ثلاثة آلاف فارس إلى سرخس فواجه طغان شاه مع عشرة آلاف رجل من نيسابور، وتحاربوا فى شهر ذى الحجة سنة خمسمائة وستٍ وسبعين، فانتصر سلطان شاه، واستولى على سرخس وطوس، وطلب طغان شاه المدد من السلطان تكش وسلطان الغور، ولكن بلا جدوى. وتوفى فى يوم الاثنين الثانى عشر من المحرم سنة خمسمائة وإحدى وثمانين، وخلفه ابنه سنجر شاه، وتربع السلطان تكش على العرش فى يوم الثلاثاء السابع عشر من جمادى الأولى سنة خمسمائة وخمسٍ وثمانين فى رادكان، وذاع صيته فى أطراف البلاد، وعاد إلى خوارزم.

وبعد ذلك وقعت حروب كثيرة بين الإخوة وفى النهاية مضى السلطان تكش إلى أخيه فى خراسان، ولما وصل الخصم أراد الأعيان أن يصلحوا بينهما، ولكن لم يتيسر هذا، وفى تلك الأثناء أرسل حاكم قلعة سرخس ويسمى جعفر رسالة إلى السلطان تكش يستحضره، فمضى السلطان على عجل إليه، فسلمه الحاكم الخزائن والمؤن، وتوفى سلطان شاه حزناً على ذلك بعد يومين ليلة الأربعاء آخر رمضان سنة خمسمائة وتسعٍ وثمانين، وكانت مدة ملكه عامين وشهرين.

السلطان علاء الدين تكش: أصبح ملكاً مستقلاً بعد أخيه، واستولى على جيش خراسان كله والمملكة، وانتهت دولة السلاجقة فى هذه الديار، وكان له ولدان: ناصر الدين ملك شاه، وقطب الدين محمد، فجعلهما واليين على خراسان، وقصد العراق فى سنة خمسمائة وتسعين، وقبل ذلك بعامين أخبر قتلغ إينانج بن بهلوان الأتابك محمد بن أيلدكز

بسبب أن أمه قتيبة خاتون دست السم للسلطان طغرل بن أرسلان شاه بن طغرل بن محمد بن ملك شاه السلجوقى، فعرفته الجارية الخبر، فقال السلطان: اشربى، فشربت وماتت، فحبس السلطان قتلغ إينانج، ولما أطلق سراحه، اتفق مع أمراء العراق فى هذه الأثناء أن يستقبلوه فى سمنان، وأعاده السلطان مع جيش العراق فى المقدمة.

وكان السلطان طغرل قد أقام معسكرًا عظيمًا على بعد ثلاثة فراسخ ونزل، ولما اقترب قتلغ إينانج، ركب السلطان طغرل وتحاربا، وفى أثناء القتال ضرب السلطان طغرل ركبة جواده بعمود فسقط الجواد، فمضى إليه قتلغ إينانج وقتله وأرسل جثته إلى السلطان تكش، وأرسل رأسه إلى الخليفة الناصر فى بغداد، وعلقوا جسده فى يوم الخميس التاسع والعشرين من ربيع الأول سنة خمسمائة وتسعين على عود فى سوق الرى.

وحملوا أحد ندماء السلطان طغرل إلى الوزير نظام الملك مسعود، فقال له: أهذا كله هو شهرة طغرل بك؟ ولم يكن له طاقة جيش الإسلام، فقال ذلك النديم للوزير :

كان هومان أقوى من بيشرن فى القوة ويصبح الفضل عيبًا إذا ما عادت الشمس

فتوجه السلطان تكش من الرى إلى همدان، واستولى على معظم العراق، وتوفى بن ملك شاه الذى كان ولى عهده فى ربيع الآخر سنة ثلاثٍ وتسعين وخمسمائة، فجعل قطب الدين محمد وليًا للعهد، وأرسله فى سنة أربعٍ وتسعين وخمسمائة؛ لمحاربة غاير بكو خان أيغور، فأسره قطب الدين مع الأمراء وأرسله مع أبيه، فأمن غاير يكو خان على حياته، وبعد ذلك استولى السلطان على أصفهان، وأعطاها لابنه تاج الدين على شاه، وتوجه من هناك لمحاصرة قلعة الموت، وقتل صدر الدين محمد وزان فى هذه القلعة، وقتلوا الوزير نظام الملك مسعود بن على طعنًا بسكين، فأرسل السلطان قطب الدين إلى قهستان، وحاصر قلعة ترشيز أربعة أشهر، وبعد ذلك توجه السلطان من خوارزم قاصداً الملاحدة، ولما وصل بالقرب من شهر ستانة إلى منزل جاه عرب (بئر العرب)، توفى بمرض الخناق فى التاسع عشر من شهر رمضان سنة ستٍ وتسعين وخمسمائة، وكانت مدة ملكه سبعة أعوام.

السلطان قطب الدين محمد بن تكش: خلف أباه بناءً على وصيته، وبلغت دولته الذروة العليا، لأنه استولى على مملكة سلاطين الغور وسخر جميع أنحاء بلاد ما وراء النهر، وزوج ابنته للسلطان عثمان الذى كان من سلالة أفراسياب فى شهور سنة ست وستمائة، وباتفاق معه توجه إلى كور خان، ولما وصل ولاية طراز كان "تابنكو" أمير جيش كور خان هناك، فتحاربا ووقع تانيكو فى الأسر وانهزم جيشه ورجع السلطان، وكان كوشلوك خان بن تايانك خان ملكًا لنايمان، ولما سمع ضعف حال كور خان، هاجمه وأسره واستولى على كل خزائنه وأمواله وجيشه الذى كان قد أعده وجهزه فى مدة خمسة وتسعين عامًا، وتوفى كور خان بعد ذلك بعامين.

وتوجه السلطان محمد فى شهور سنة أربع عشرة وستمائة إلى بغداد، وذلك لأنه قبل ذلك قد وقعت بينه وبين الناصر الخليفة جفوة وخلافات، واستقرت فى صدرهما الأحقاد، ولهذا السبب كان السلطان قد استفتى أئمة البلاد خاصة مولانا فخر الدين الرازى الذى قال: إن بنى العباس ليسوا ذوى حق فى تولى الخلافة، وإن الخلافة من حق السادات من ذرية الحسين (رضى الله عنه)، ورشح سيد علاء الدين الترمذى الذى كان من السادات العظام، من أجل أن يجلسه على كرسى الخلافة ولما وصل دمغان، سمع أن الأتابك سعد بن زنكى السلفرى جاء إلى حدود الرى قاصداً العراق، فبادر السلطان بإرسال جيش على طريق كزك؟[١٣]، ولما وصل إلى موضع خيل بزركى؟[١٤]، تحارب مع الأتابك وأسره وأمنه على حياته وأعاده بعد مدة.

ولما وصل السلطان إلى همدان، كان الأتابك أوزبك قد جاء من آذربيجان قاصداً همدان، وانهزم، وتوجه السلطان فى آخر الخريف قاصداً بغداد، وفى وسط هضبة أسد آباد شقط جليد وضباب كثيف، ولهذا هلك معظم الجنود والدواب، وكانت تلك أول نكبة نزلت بالسلطان فعاد، وبعد ذلك سمع خبر جنكيز خان فتوجه إليه بجيش عظيم، وتوجه إلى أترار وحارب جيش المغول فى تلك الحدود، فانهزم منهم وقدم العراق، ومضى من هناك إلى جزيرة أبسكون فى بحر الخزر، وتوفى فى سنة ستمائة وثمانى عشرة، وكان له ولدان: جلال الدين، وغياث الدين، وكانت مدة مملكته اثنتين وعشرين سنة.

السلطان جلال الدين: حارب جيش المغول حروبًا كثيرة بعد أبيه، ومضى إلى الهند وعاد وسيأتى ذكره فى القسم التاسع من تاريخ المغول.

السلطان غياث الدين: عاد إلى فارس بعد واقعة أبيه، ومضى من هناك إلى كرمان، ويقال: إنه أول سلاطين كرمان، وقتله براق الحاجب فى قلعة كواشير فى سنة ستمائة وخمسٍ وعشرين، وبلغت دولة الخوارزميين منتهاها. والله الباقى.

الطائفة السابعة - ملوك قهستان

الذين يسمون بالملاحدة، وهم ثمانية.
ومدة ملكهم مائة وسبعة وسبعون عامًا

الحسن بن الصباح: وهو حسن بن على بن محمد بن جعفر بن الحسين بن جعفر بن الحسين بن محمد الصباح الحميرى، قدم أبوه من اليمن إلى الكوفة ومنها إلى الرى، واستوطن هناك، وولد حسن هناك، وكان من شيعة إسماعيل بن جعفر الصادق (عليه السلام)، كان رجلاً صالحًا ورعًا، ويعتقد فى اعتقاد أهل العلم. ودليل عظمته قلعة الموت.

وفى سنة أربعمائة وسبعٍ وسبعين، فإن لفظ الموت عبارة عن هذا التاريخ، وثار واستولى على معظم بلاد قهستان، وأرسل إليه المصطفى لدين الله نزار صاحب دعوة الإسماعيلية عهد النيابة والولاية، فأنفذ حسن، الدعاة إلى الأطراف والأكتاف، وقال: ليست معرفة الله بالعقل والنظر، لكنها بتعليم الإمام، وإذا كان نظر العقل كافيًا فى معرفة الله، لما اعترض أهل النظر على أحد سواهم، وكانوا جميعًا سواء، وجعلوا عدة كلمات موجزة حبائل خديعتهم، وسموا هذا إلزامًا، وظن الجهال والعوام أن تحت هذا اللفظ الوجيز معانى كثيرة ودقيقة، ومن جملتها واحدة، إنه كان يسأل المعترضين على مذهبه هل العقل كافٍ أم غير كاف؟ أى إذا كان العقل كافيًا لمعرفة الله، فإن كل من له عقل ما استطاع المعترض أن ينكر عليه شيئًا، وإذا قال هذا المعترض: إن العقل ليس كافٍ مع النظر العقلى، فلاشك أن معلمنا لم يفهم مذهبه، وإذا قال: هل يكفى العقل أو لا يكفى؟، فإن إثبات ما يريده من هذا السؤال أن التعليم واجب مع العقل،

ومذهب المعترض أن التعليم مع العقل ليس واجبًا، وما دام الواجب ليس واجبًا ربما كان التعليم واجبًا، وللعقل معنى فى رأيه، وربما لم يكن جائزًا ويبقى العقل وحده، وإلا لن تتحصل معرفة الله وهذا قسمان، واهتم بإبطال القسم الثانى، ويقول: أبطلت مذهبهم وليس كذلك، لأن مذهب جمهور أهل الدنيا، أن وجود العقل لا يكفى بالعقل، وينبغى استعمال العقل على شرط، والتعليم والهداية يعينان، فعلم أنه لم يستطع إبطال رأى الجمهور، كما أن وقف التعليم على شخص معين يحتاج إلى دليل، ودليله ما يقول: بما أنى أثبت التعليم وغيرى ليس أهلاً لهذا التعليم، فبعد ذلك يكون تعيين المتعلم بناء على قولى، وهذا كلام ظاهر الفساد، وبمثابة أن يقول الشخص الإمام هو فلان والبرهان على هذا الكلام ما أقوله، وإذا قال: الإجماع حق، إذا كان قولى صحيحًا، وأبطلت قول الآخرين، وبذلك يكونون قد اجتمعوا على الباطل، وعلى ذلك فجوابه أن الإجماع عند الجمهور حق بناء على القرآن والسنة، وليس الشأن كذلك عندك، وعلى ذلك فإن مذهبك مبنى على قولك وليس مفيداً لك، وليس له خارج هذا حجة أخرى.

وبالجملة فقد سعى الحسن فى الاستيلاء على البلاد المتصلة برودبار الموت وما حولها، وجعل كل موضع يتيسر بالخداع ثابتًا، وكان يقتل كل من لم يعمل وفق خداعه ويحاربهم، وكلما رأى أحجاراً كثيرة بنى قلعة، وسمى الموت بلدة الأقبال.

وفى سنة أربعمائة وأربعٍ وثمانين أرسل حسين القاينى الذى كان من دعاته إلى قهستان نيابة عنه، وأرسل السلطان ملك شاه قائداً يسمى أرسلان فى سنة أربعمائة وخمسٍ وثمانين فهزمهم، وكان نظام الملك حسن بن على بن إسحاق الطوسى وزيراً لملك شاه، ففى ليلة الجمعة الثانى عشر من رمضان سنة خمسمائة وخمسٍ وثمانين كان يمضى فدائى على حدود نهاوند فى موضع يسمى صحنة يرتدى زيًا صوفيًا أمام محفته، فجرحه فجأة فاستشهد، وكان أول شخص يقتله الفدائيون، وتوفى الحسن ابن الصباح فى عهد السلطان سنجر فى ربيع الآخر سنة ثمانى عشرة وخمسمائة، وكانت مدة ملكه خمسة وثلاثين عاماً، ويقال: أربعين عاماً.

وكان كيابزرك أميد، والحسن كلاهما داعية، وكان كيا قائد جيش الحسن وأرسله ليستولى على قلعة لمبسر وجعله ولى عهده، وسكن فى تلك القلعة أيام الحسن عشرين عامًا وخلفه، وتوفى فى جمادى الأولى سنة خمسمائة واثنتين وعشرين، وكانت مدة ملكه أربعة عشر عامًا.

كيار محمد بزرك أميد: خلف أباه بناء على وصيته، وجعل التشيع سنته، وكان على مذهب الحسن الصباح وأبيه، وتوفى فى ربيع الأول سنة خمسمائة وخمسٍ وخمسين، وكانت مدة ملكه ثلاثة وثلاثين عامًا.

الأمير أبو عبد الله الحسن بن محمد بزرك أميد: اشتهر بـ (على ذكره السلام)، ويقال: إنه من نسل المصطفى لدين الله نزار، وأصبح ملكًا بعد ذلك ودعا إلى الإلحاد، وجمع الناس فى السابع عشر من رمضان سنة تسعٍ وخمسين وخمسمائة، وصلى العيد، وأخرج رسالة قال فيها: إن الإمام المخفى محمد بن الحسن صاحب الزمان، أرسل إلى رسالة ورفع التكليف عن الخلق، فتبعه أكثر أهل قهستان ورودبار، وتوفى فى ربيع الأول سنة خمسمائة وسبعٍ وسبعين، وكانت مدة ملكه اثنين وعشرين عامًا.

علاء الدين محمد بن الحسن: أصبح ملكًا بعد أبيه بناء على الوصية، وسلك طريقة أبيه فى الإلحاد، وتوفى فى ربيع الأول سنة ستمائة وسبعٍ، ويقال: فى سنة خمسمائة وتسعٍ وتسعين، وكانت مدة ملكه اثنين وعشرين عامًا.

جلال الدين حسن بن محمد: أصبح ملكًا بعد أخيه، ويسمونه حسن الذى أسلم حديثًا، لأنه ترك طريق الإلحاد ولم يتجاوز جادة الشريعة، وكان رفيقًا للسلطان جلال الدين فى غزوة كرج، وتوفى فى رمضان سنة ستمائة وثمانى عشرة، ومدة ملكه تسعة عشر عامًا.

وكان علاء الدين محمد بن الحسن ولى عهد أبيه وخلفه بحكم الوصية، وكان فى التاسعة من عمره منزويًا أكثر أوقاته، وفى عصره مضى هولاكو خان بن تولى خان بن جنكيزخان إلى إيران، وأرسل كبتوقانويان فى المقدمة قاصداً بلاد الملاحدة،

فاستولى على معظم القلاع، وأكثر من الإغارة والقتل، وفى ليلة الأربعاء آخر شوال، ويقال: فى ذى القعدة سنة ستمائة وثلاثٍ وخمسين، كان حسين المازندرانى حاجب علاء الدين فى شيركوه جرحه ببلطة وقتله، وأجلس ابنه خور شاه على العرش، وكانت مدة ملكه واحدًا وثلاثين عامًا.

ركن الدين خور شاه: أصبح ملكًا بعد أبيه، ولم تكن له ثقة فى حسين المازندرانى، وكتب رسالة وأعطاها لفدائى ليحملها إليه، ولما قرأها جرحه وقتله، وانتصر خور شاه وقال: قتلت أبى فأنا أقتلك، وأمر بإحراق أبنائه فى الميدان، ووصل هولاكو فى السابع عشر من شوال سنة خمسمائة وأربعٍ وخمسين على قلعة ميمون دز، ونزل خورشاه من القلعة بعد متاعب كثيرة وتخريب القلاع فى يوم الأحد الأول من ذى الحجة سنة ستمائة وأربعٍ وخمسين فى صحبة مولانا نصير الدين الطوسى، وأصيل الدين الزورنى، والوزير مؤيد الدين، وأبناء رئيس الدولة، وموفق الدولة، وقال مولانا نصير الدين الطوسى فى هذا الباب :

لما أصبحت سنة العرب ستمائة وأربعًا وخمسين	ففى فجر يوم الأحد الأول من ذى القعدة
تخلى خورشاه ملك الإسماعيلية عن العرش	ووقف أمام عرش هولاكو

وأرسله هولاكو خان إلى منكو خان، وتوفى فى الطريق، وكانت مدة ملكه سنة واحدة.

هوامش القسم الرابع

(١) ورد هذا الاسم في بعض النسخ "شررنك" .

(٢) هو أبو محمد منصور بن علي المنطقي الرازي، من الشعراء المعاصرين للصاحب بن عباد، واتصل به وأطلعه على أشعاره، وجاءت كثير من هذه الأشعار في كتب التذاكر، وتوفي في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري.

زهراخانلري: فرهنك، أدبيات فارس، ص ٤٨٥ .

(٣) هو أبو زيد محمد بن علي الغضائري الرازي أو الهروي، من المعاصرين للسلطان محمود الغزنوي ومن مداحيه، وكان برفقته عندما فتح سومنان، وهنأه بقصيدة أشار فيها إلى هذا الفتح، كما عاصر السلطانين مسعود بن محمود، ومودود بن مسعود، وتوفي في سنة ٤٣٢ هـ.

محمد عوفي: لباب الألباب، جلد دوم، ص ٥٠، د/ ذبيح الله صفا: تاريخ أدبيات إيران، جـ ١، ص ٥٧٧ .

(٤) سورة النساء: الآية رقم ٥٩ .

(٥) الأعراف: آية ١٩٨ .

(٦) هكذا في الأصل.

(٧) الواقع أنهما بيتان وليس بيتًا واحدًا، كما جاء في المتن.

(٨) هكذا في الأصل.

(٩) هو شهاب الدين صابر بن إسماعيل الترمذي، مضى من ترمذ إلى بلخ و خوارزم، ومدح السلطان سنجر، وأعطاه السلطان سنجر رسالة إلى أتسز في خوارزم، واستطاع أن يقتفي أثر العنصري والغرخي في قرض الشعر، ويشتمل ديوانه على الكثير من القصائد والغزليات، وطبع في طهران، وقتل غريقًا في نهر جيحون.

دكتر / زهراى خانلري: فرهنك أدبيات فارس، ص ٤٠ .

(١٠) هو أوحد الدين محمد بن محمد الأنوري، من كبار شعراء القرن السادس الهجري، درس في المدرسة المنصورية بطوس، وخدم السلطان سنجر السلجوقي ومدحه، ويحتل الأنوري مكانة عظيمة بين شعراء الفرس، وقد اعتبره بعض النقاد الإيرانيين، أنه واحد من ثلاثة يلقبون بالأنبياء في الشعر الفارسي وهم: الفردوسي، والأنوري، والسعدي، وله ديوان شعر مطبوع، وتوفي في تبريز بين سنتي ٥٨٥، ٥٨٧ .

ديوان أنوري: با مقدمة وتصحيح سعيد نفيس، ص ١٧، (تهران ١٣٣٧ هـ.ش.) .

(١١) هو رشيد الدين محمد بن محمد بن عبد الجليـل العمرى الكـاتب المعـروف برشيد الدين الوطـواط، ولد فى بلخ والتحق بالمدرسة النظامية، وقام بخدمة علاء الدولة أتسز الخوارزم شاه، وأصبح شاعره وكاتب رسائله، واتصل بالكثير من المشـاهير فى عصره، وله الكثير من المصنفات الفـارسية والعربية فى سنة ٥٧٣ .

د/ ذبيح الله صـفـا: تاريخ أدبيـات إيران، جلدوم، ص ٦٢٨، وكـذلك تاريخ الأدب فى إيـران لبـراون، الترجمة العربية، ص ٤١٧ .

(١٢) هكذا فى الأصل.

(١٣) هكذا فى الأصل.

(١٤) هكذا فى الأصل.

القسم الخامس

فى ذكر ملوك بنى إسرائيل من عهد موسى (عليه السلام) إلى آخر ملوكهم متنيا الذى سماه بختنصر صدقيا، وهم ثلاث طوائف، وعددهم تسعة وخمسون ومدة حكمهم تسعمائة وإحدى وأربعون سنة وستة أشهر.

الطائفة الأولى

من موسى كليم الله (عليه السلام) حتى إيشوشت بن شاؤل الذى يسمونه فى العربية طالوت، وهم تسعة عشر، ومدة حكمهم خمسمائة عام.

لما وجب على المؤرخ أن يكتب تاريخ وشعب كل طائفة وفق اعتقادهم، وأن يتحرز من تناول معتقداتهم بالتجريح والتزييف والتبديل والتغيير، ومما لاشك فيه أن كثيراً من بعض تواريخ معتقداتهم لن تكون صحيحة، إذ إن الله تعالى يقول ﴿ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ ﴾[1]، فإنه طبقًا لمعتقدات هذه الطائفة المسطور فى كتبهم وسنثبته بحذافيره والعهدة على الراوى، وكذلك شعب وتواريخ النصارى والهنود وأهل الصين والمغول ومعتقداتهم ﴿ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴾[2].

موسى كليم الله (عليه السلام): ابن عمران بن قهان بن لاوى بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم (عليهم السلام)، عاش يعقوب (عليه السلام) مائة وسبعة وأربعين عامًا، وكان له

اثنا عشر ولداً هم(٣): روبيل، وشمعون، ولاوى، ويهودا، ودان، وتفثاييل، وجاد، وأشر، ويستاخير، وزبولون، ويوسف، وبنيامين، وكانت أم روبيل وشمعون ولاوى ويهودا تسمى لايا(٤)، وأم يوسف وبنيامين وراحيل بنت لاون النبى (عليه السلام). وما بين دخول يوسف مصر ودخول موسى (عليه السلام)(٥) أربعمائة عام، وعاش يوسف بعد أبيه خمسين عامًا، وتوفى وله من العمر مائة عام وعشرة، ولما جاء موسى (عليه السلام) أمر الله فى صحراء طور سيناء فى غزة الشهر الثانى من السنة الثانية من خروج بنى إسرائيل من مصر، لأن بنى إسرائيل كان لهم من يعدون مجموع الأبناء وهو أحَد عشر سبطًا من بنى إسرائيل دون عد سبط لاوى، وكانوا فى العد الأول ستمائة وثلاثة آلاف وخمسمائة وخمسين رجلاً، وكان هارون يكبر موسى بثلاثة أعوام، وأخته مريم كانت زوجة كالب بن يوفنا بن فارص بن يهودا واسم أمه أباحية، وفى التوراة أنها برحايث بنت لاوى.

وكان لروبيل أربعة أبناء، هم: أخنوخ وفلو وحصرون وخرمى، وكان عدد أبنائهم ستة وأربعين ألفًا وخمسمائة رجل، وعمرهم أكثر من العشرين، وأقل من الخمسين، ولكن إناث هؤلاء لم يذكرن فى جميع الأسباط، وكان شريف هؤلاء القوم إلى صور بن شداد. وكان لشمعون ستة أبناء هم: نوبيل ويامين وأوهد وياخين وصوخروشاوول، وكان أبناء هؤلاء تسعة وخمسين ألفًا وثلاثمائة ورجال جيش، وشريف هؤلاء القوم شلومى إيل بن سورى شداد، وكان للاوى ثلاثة أبناء: كيرشون وشريف أبنائه الياساف بن لايل، وقهات وشريف أبنائه الصافان بن عزى إيل، ومرارى وشريف أبنائه صورى إيل بن إينجايل، وكان لهم أبناء كثيرون .

أما سبب أن موسى (عليه السلام) كان من هذا السبط، فلم يذكروه فى عداد الجيش، وكان خدمت خاص خباء المحضر(٦) الذى كان يكلمه الله تعالى مع موسى مفوضًا عليهم، وكان عددها عن شهر أرينه وأكثر من اثنين وعشرين ألفًا، وكان ليهودا خمسة أبناء: شيلا وببرص وعبروا ريان وزارح الذى كان له خمسة أبناء: رموى وإيثان وهمان وخلكوك ودارع، وهؤلاء الخمسة كانوا أنبياء فى وقت ابتلاء بنى إسرائيل فى مصر بجور، وتسلط فرعون فى الوقت الذى تجلى فيه الله تعالى على موسى، وكان لببرص

ابن يسمى حصرون الذى كان له ابن يسمى كاليو، وله ابن يسمى حور، وله ولد يسمى أورى، وله ولد يسمى بنصل إيل[٧]، وهو الذى كان له مسكن فى زمان موسى (عليه السلام) يقال له: خباء المحضر، وكان الله تعالى يكلمه هناك فى ذلك الصندوق[٨] الذى كانوا يضعون فيه ألواح العشر آيات، ويسمونه صندوق الشهادة، وكانوا يقدمون ذبحًا قرابين لتلك الآلات[٩] التى كانوا يحتاجون إليها فى ذلك الوقت من الذهب والفضة والنحاس الأصفر والخشب، وكان يصنع هذا كله مهندس عظيم لدرجة أنه لم يكن له نظير، وله خادم يسمى أهلى بن ياخى ساماخ من نسل دان وكان موصوفًا بهذه الصفات، وكان أبناؤه أربعة وسبعين ألفًا، وشريفهم يحشون ابن عم نادوا، وكان لدون ولد يسمى حوسم، وأبناؤه اثنان وستون ألفًا وسبعمائة رجل، وشريفهم أحى غيور ابن عمى شداد، وكان لمعشاى أربعة أبناء: محصل وغونى وييصر وسلم، وأبناؤهم ثلاثة وخمسون ألفًا وأربعمائة رجل، وشريفهم أخى راع بن غينان، وكان لكاد ستة أبناء: صيفيون وجيكشونى وأصبون وعيرى وأردوى وأرايلى، وأبناؤهم خمسة وأربعون ألفًا وستمائة وخمسون رجلاً، وشريفهم الياف بن داعوايل، وكان لشوار أربعة أبناء: يمنا ويشوا ويشوى ويريغا، وأبناؤهم واحد وأربعون ألفًا وخمسمائة رجل، وشريفهم يرعمى إيل عمران، وكان ليساحار أربعة أبناء: بولاغ ونورا ويور وشمرون وأبناؤهم خمسة وخمسون ألفًا وأربعمائة رجل، وشريفهم نثرايل بن صوعار.

وكان لزوولون ثلاثة أبناء: سيرد وإيلون ومحليل، وأبناؤهم سبعة وخمسون ألفًا وأربعمائة رجل، وشريفهم إلى آو بن خليون، وكان ليوسف ابنان: منسى وأفرايم، وأبناؤهم اثنان وسبعون ألفًا وخمسمائة رجل أبناء منسى وأربعون ألفًا وخمسمائة، أبناء أفرايم، وشريفهم أولى شاماع بن عميهود واثنين وثلاثون ألفًا من أبناء منشا، وشريفهم كملى إيل بن بداهصور.

وكان لابن يمين عشرة أبناء: ببلغ وينحر وأشبيل وكبرا ونعما وأخى ورِوش وهويم وجويم وارد، وأبناؤهم خمسة وثلاثون ألفًا وأربعمائة رجل، وشريفهم أوى دان بن كدعونى.

وكان لموسى (عليه السلام)، ولدان: كيرشوم واليعبزر، وأخ يسمى هارون الذى يسميه اليهود أهرون هكوهين، وأخت تسمى مريم يسميها اليهود مريام، وكان لهارون أربعة أبناء: ناداو والعازار وأويهو وإيثامار، وكان للعازار ولد يسمى بنحاص. ويروى البعض أن الخضر (عليه السلام) الذى يسمونه إيلياهو هو بنحاص هذا، وكان قارون بن بصحار وهو ابن عم موسى (عليه السلام) الذى غاصت به الأرض، وله ثلاثة أبناء: أسيرو وألفانا وأوى أساف، وكان ثلاثتهم أنبياء، وعندما كان بنو إسرائيل فى التيه أدوا الرسالة وشموايل (عليه السلام) وابنه هيمان بن يوايل من نسل أوى أساف، وهيمان هذا هو الذى كان قد كلفه داود (عليه السلام) مع أساف (عليه السلام)، وعدة أشخاص آخرين من أبناء عمومته لخدمة خباء المحضر، فكانوا يسبحون ويهللون، وأنعم عليهم سليمان (عليه السلام) بهذا المنصب بناء على التقاليد القديمة.

نسبه: هيمان بن يوايل بن شموايل بن ألقانا بن يروحا بن اليهو بن تروح بن صفوف بن ألقانا بن ماحث بن عماساى بن ألقانا بن يوايل عزريا بن صصفينا بن ماحث بن أسبر بن أوى أساف (عليهم السلام).

وجعل موسى (عليه السلام) فى آخر عمره يوشع بن نون الذى يسميه اليهود يهوشوع خليفة على بنى إسرائيل، وكانت مدة عمر موسى (عليه السلام) مائة وأربعين سنة، ويقال: مائة وعشرين سنة.

يهوشووع: كان يهوشووع بن نون بن أليشاع بن عميهود بن لعدان بن شرشلح بن أفراييم بن يوسف (عليه السلام)، أصبح خليفة بعد موسى (عليه السلام)، وخاطبه الحق تعالى أن ارحل من هذا الموضع، واعبر من أمام مدينة بريحور[10] نهر الأردن، وسأجفف نهر الأردن من أجلكم، ولما رحلوا ووصلوا شاطئ نهر الأردن، وصلت قدم من يحملون صندوق الشهادة الذى كان فيه اللوح المحفوظ[11] إلى شاطئ النهر؛ فانقسم النهر قسمين: قسم بقى كأنه جدار، والقسم الآخر كان يجرى على عادته الطبيعية، وما بين ذلك بقى يابساً، والناس الذين حملوا الصندوق وقفوا فى وسط النهر حتى عبر جميع بنى إسرائيل من هناك، ولما تجاوزت أقدام هؤلاء القوم هذا المكان جرى الماء مرة أخرى، ولما رأى بنو إسرائيل هذه المعجزة أطاعوه جميعاً.

ولما وصلوا مدينة بريحور كان لها سور منيع، فأمر الجيش أن يطوف فى اليوم الأول حوله جماعات جماعات، وظلوا هكذا ستة أيام، وركب فى اليوم السابع، وطافوا على عادتهم كل يوم، ولكنهم طافوا على الدوام فى اليوم السابع، وأمر بألا يتحدث مخلوق، كما أمرهم فى المرة السابقة أن يكبروا وينفخوا فى الأبواق قائلين: إن الله أعطاكم هذه المدينة، ولما كبروا[١٢] تصاعد الصوت من الجيش سقط بقدرة الله تعالى سور هذه المدينة، واتجه الجيش إليها ونهبوها.

ولما بلغ هذا الخبر إلى المدن والأقاليم فإن سكان بعض هذه المدن ويسمونهم كدعون[١٣]، أعلنوا له الطاعة فأمنهم، وبعد ذلك تشاور خمسة ملوك من ملوك هذه الولايات قائلين: لنمضِ ونستولِ على مدينة كدعون، ونقتل أهلها حتى لا تتعلم بلادنا منهم ولا يطيعونهم، واجتمعوا وهاجموا الكدعانيين، فعلم يهوشووع الخبر، فخاطبه الحق تعالى قائلاً: لا تخف فسوف أسلمهم إليك، فبيتهم يهوشووع وهزمهم جميعًا، فأمطر الله تعالى عليهم حجارة لدرجة أن الذين ماتوا بالحجارة، كانوا أكثر ممن ماتوا بالقتل، وفى أثناء هذه الحرب لم يكونوا قد قهروا العدو كله فحلَّ الليل، ونظر يهوشووع إلى الشمس، وأمر الشمس ألا تبرح موضعها؛ ليهزموا العدو ويفنوه، وتوقفت الشمس بقدرة الله تعالى ست ساعات حتى هزموا الأعداء، وقتل واحداً وثلاثين ملكًا فى وقت قصير، واستولى على بلادهم ووزعها على بنى إسرائيل، وعبد بنو إسرائيل فى زمانه وبعده بمدة طويلة الله تعالى، وكانت مدة عمره مائة عام وعشرة.

غثنى إيل بن قناز: كان من أسباط اليهود، ضل بنو إسرائيل وخرجوا عن طاعة الله بعد يهوشووع، فسلط الله عليهم كوشان رشعاتم؛ فعذبهم ثمانية أعوام، فشكا بنو إسرائيل إلى الله، فأعانهم الحق تعالى على يد غثنى إيل حتى قتل كوشان، وكانت مدة حكمه أربعين عاماً.

أهود بن جير بن بنيامين: كان من سبط بنيامين، ولما بقى بنو إسرائيل بعد غثنى إيل بلا حاكم ضلوا الطريق مرة أخرى، فجعلهم الحق تعالى أسرى فى يد الملك عقلوان، فأغار عليهم عدة مرات، وكانوا عبيداً له مدة ثمانية عشر عامًا، ولما اتجهوا

إلى الله بعد ذلك أرسل إليهم آهود هذا حتى مضى بحيلة إلى الملك موارد وقتله، فأمن بنو إسرائيل واستراحوا، وكانت مدة حكمه ثمانين عامًا.

شمكار بن غياث: قام مقامه، وكان رجلاً شجاعا بطلاً، وهـزم جيش فلسطين عدة مرات، وكانت مدة حكمه عامًا واحدًا.

باراق بن آوى نوعم: كان من سبط يعثابى، وكان دوورا على مذهب نبيه اليهودى، فخاطبه الحق تعالى قائلاً: أرسل إلى باراق ليسوق الجيش ليمضى لمحاربة ياوين ملك القيصرة؛ لأنه يعذب بنى إسرائيل منذ عشرين عامًا، إذ إننى سوف أخذل ياوين أمام باراق، فجمع باراق الجيش ومضى لمحاربته؛ فنصره الحق تعالى وهزمهم وهرب بيسرا قائد جيش العدو مترجلاً، فاستدرجته امرأة تسمى ياعيل زوجة جبوريتنى إلى منزلها وقتلته، وبقيت المملكة مرة أخرى فى يد بنى إسرائيل، وكانت مدة حكمه أربعين سنة.

كدعون بن يراش: كان نبيًا من سبط منسا، وكانوا يسمونه يربعل، ولما سلك بنو إسرائيل طريقه مرة أخرى، سلط الحق تعالى ملوك الميديين عليهم، فعذبوهم سبع سنوات، فلجأ معظم بنى إسرائيل إلى الجبال، وابتلوا بأنواع الظلم والعدوان، ولما اتجهوا إلى الله ثانية أمر الله تعالى كدعون، ليحشد جيشًا وهزم بثلاثمائة رجل، مائة وخمسين ألفًا، وقبض على زبرح وصلمناع من ملوك الميديين وقتلهم، وكانت مدة حكمه ثلاثين عامًا.

آوى ميلخ: لما توفى كدعون كان له اثنان وسبعون ولدًا، وكان آوى ميلخ من سرية أهل شخيم، مضى إلى أقرباء أمه بعد وفاة أبيه، وبنوع من الحيل قتل فى يوم واحد سبعين من إخوته وهرب واحد منهم يسمى بونام، فانصبت عليه لعنته وقتلوا آوى ميلخ، وكانت مدته ثلاثة أعوام.

تولاغ بن فور: كان من سبط ببساخار، وأصبح حاكمًا من بعده، وكانت مدته اثنين وعشرين عامًا.

يفتاح كلعادى: كان نبيًا من سبط منشا، وضل بنـو إسرائيل بعد بانبو[١٤]؟، فسلط الله تعالى عليهم أبناء عمون؛ فعذبوهم ثمانية عشر عامًا، ولما عادوا إلى الله أرسل إليهم الحق تعالى يفتاح، فجهز جيشًا، وقتل أبناء عمون، وكانت مدته ستة أعوام.

أوصان: كان من سبط يهودا، وحكم بعده، وكانت مدته سبعة أعوام.

إيلون: كان من سبط زوولون، وقام مقامه ومدته عامان.

عوبون: كان من أبناء أفراييم، وحكم من بعده ومدته ثمانية أعوام.

سمسون بن مانوح: كان نبيًا من سبط دان، وكان بطلاً شجاعًا عظيمًا، بحيث إنه هزم جيش فلسطين بفك حمار، وأسر فى آخر العمر بحيلة من زوجته، وفى حالة انهزامه هزم عدة آلاف من الرجال، وهو مدفون فى أران، وكانت مدة حكمه عشرين عامًا.

عالى أمام: كان نبيًا من أبناء إيثارمار بن هارون (عليه السلام)، حكم من بعده، ولما ضل أبناؤه ومنعهم بلا اضطهاد، فلم يقبل الحق تعالى هذا، فأرسل إليه رسالة على لسان شموايل؛ ليعزله وأبناءه من حكم بنى إسرائيل، وكانت مدته أربعين عامًا.

سموئيل: كان من أبناء أوى أساف النبى من سبط راوى، وأمه تسمى حنا فقدم إلى عالى أمام وكان يلازم بيت الله، فسمع نداء ذات ليلة فظن أن عالى أمام يستدعيه، فنهض ومضى إليه، فقال عالى: لم أستدعك، فعاد إلى بيته حتى سمع النداء ثلاث مرات ومضى إلى عالى ثم عاد، فعرف عالى أمام الحال، وقال: يا بنى عندما تسمع النداء فى هذه المرة أجب وأنت فى موضعك ولا تأتِ، ولما سمع فى المرة الرابعة، قال: لبيك ونهض، فقال الحق تعالى: سوف أقوم بعمل فى بنى اسرائيل كل من يسمع عنه تصم أذناه، والآن لا أصيب عالى وأسرته بأكثر مما أصبت بهم من قبل، وأعلمهم الآن أنه وأسرته سيكون لهم الحكم حتى آخر الزمان بذلك الذنب الذى عرفه من عمل أبنائهم، وأقسمت بعزتى وجلالى أنه لن يكون لذنب أسرة عالى كفارة لا بقربان ولا بغيره، وبعد ذلك انقطع النداء، وناداه عالى فى الفجر وسأل عما وقع، فقال له: ما حدث على الحقيقة، فأجاب عالى: إن الأمر إلا لله.

وبعد ذلك وصل حكم بنى إسرائيل إلى شموايل، وأعطى أبناءه فى أثناء حياته لبوايل وافيا، ولكن أبناؤه لم يسلكوا الطريق المستقيم، فقال شيوخ بنى إسرائيل:

إن أبناءك لا يتبعونك وينبغي لنا ملك يحكمنا كشأن الطوائف، فعرض شموايل على الحق تعالى، وبأمر من الله جعل من يسمى شاوول ملكًا عليهم فى زمانه، وكانت مدة حكمه وأبنائه خمسة أعوام.

شاوول: كان من سبط بنيامين ويسميه العرب طالوت، جعله شموايل خليفته على بنى إسرائيل، وهو أول شخص سمى ملكًا من بنى إسرائيل، وأمر بمظاهر الحكم من قلان وقوبجور ونمرى والحقوق الديوانية الأخرى، ومع أنه كان ملكًا، إلا إنه لم يحكم من غير سؤال شموايل، وبعد ذلك قتله يهوناثان وآوى ناذار مع أبنائه فى جبل كلبودع، وكان مدة ملكه عامين.

إيشبوشت: كان عم أبيه إينو ملكًا بعد وفاة أبيه، وفى الوقت الذى قتل فيه شاوول، جعل سبط يهودا داود ملكًا عليهم، وكان أمير جيش داود يراو بن صوريا وقائد جيش إيشبوشت أووا بن نير، فتحاربا وقتل بنى رابو؛ ثأرًا لدم أخيه عسا إيل، وبعد ذلك قتل إيشبوشت أيضًا، وبقى هؤلاء الأسباط بلا ملك مدة خمسة أعوام، وقدم بعد ذلك اثنا عشر سبطًا من بنى إسرائيل إلى مدينة خورزين عبيدًا لداود (عليه السلام) وبايعوه، وكانت مدة حكم إيشبوشت عامين.

الطائفة الثانية

داود (عليه السلام) وأبناؤه حتى متتيا الذى قتله بخت نصر.
وهم واحد وعشرون، ومدة ملكهم أربعمائة وواحد وأربعون عامًا ونصف .

داود (عليه السلام): ابن إيشاى بن عوفيد بن بوغو بن سلما بن يخشون بن عميناداب بن رام بن حضرون بن ببرص بن يهود بن يعقوب (عليه السلام).

وكان نبيًا وملكًا وشجاعًا، وكانت بداية شجاعته عندما كان يرعى غنم أبيه فاختطف دب شاة من القطيع، فتعقب الدب حتى وصله، واستخلص منه الشاة، وفى تلك الأثناء هاجم أسد داود فقتلهما معًا.

وكان شاوول فى ذلك الوقت ملكًا على بنى إسرائيل، فثار عليه جيش فلسطين، وكان فى طليعتهم بطل يسمى كليات يسميه العرب جالوت، ولما التقى الجمعان خشى طالوت وجيشه جالوت، وكان جالوت يطلب من يخرج إليه مبارزًا مدة أربعين يومًا، ولم يستطع أحد أن يبرز إليه، فأمر طالوت منادٍ ينادى فى جيشه ثلاثة أيام تباعًا قائلاً: من يقتل هذا المجوسى، سأزوجه ابنتى وأجعله غنيًا وأعتقه وأباه.

وفى أثناء هذه الأيام قال إيشاى لابنه داود: يعود الجيش هذه المرة متأخرًا قدم إليهم قدرًا من الزاد لإخوة يبر، وخبرنى عن الجيش، وسلامة الإخوة، ولما مضى داود، رأى أخاه الأكبر؛ فزجره قائلاً: لماذا جئت وسلمت الغنم؟، ولما أوصل إليه رسالة وهدية أبيه وعاد وصلت لذلك الشخص امرأة مناديه، وسمع هذا المنادىَ يقول: أخرج من عهدة هذا الأمر، فأخبروا الملك فطلبه وألبسه درعه، ولكنه كان طويلاً وثقيلاً فخلعه،

فقال طالوت: كيف تقاوم هذا العدو بغير جيوش ولا سلاح ؟ قال: حينما كنت أرعى الغنم اختطف دب شاة من القطيع، وكان معه أسد فى ذلك الوقت وقتلتهما بقوة الله وخلصت الشاة، وإن هذا المجوسى لن يكون شراً منهما، قال هذا الكلام ومضى، وحمل فى الطريق خمسة أحجار بأسماء إبراهيم وإسحاق ويعقوب وموسى وهارون، ووضعهم فى كيس المقلاع، ولما وصل المعركة رآه جالوت، وقال: أنا ذلك الكلب الذى أتيت إلىَّ بالمقلاع أقدمِ حتى أقدّم لحمك لطيور السماء وكلاب الأرض، فدس داود يده فى الكيس، فصارت هذه الأحجار حجراً واحداً بقدرة الله تعالى، فوضعها فى المقلاع وضربه فى جبهته، فسقط جالوت، فجرى داود واستل سيفه من وسطه وقطع عنقه.

ولحقت الهزيمة بجيش جالوت، وتلا تلوهم بنو إسرائيل وقتلوا معظمهم، وسأل طالوت قائد جيشه نير من هذا الرجل؟، قال: لا أعلم، فطلبوه، فقدم داود ومعه رأس جالوت فى يده وقدمه إلى طالوت، فسأله عن حسبه ونسبه فاحتجزه عنده وجعله على رأس الجيش.

ولما قتل طالوت وهب الحق تعالى مُلك بنى إسرائيل إلى داود، وأقام العدل بين الناس، وكان له تسعة عشر ولداً: سليمان وأمنون ودانيال وأوشالوم وأنونيا ويوحار وشمعا وشورار وناثان وينفع ويانى بع واليشامع والياذا ع واليغيظ واليشامع واليفاطو برعه وشعطيا ويثوعلم، وكان أوشالوم ابن بنت ملك الكرج التى تسمى منحا، فحارب أباه وقتل وأمل الملك لدينا، ولما تقرر الملك لسليمان أراد دينا أن يتزوج زوجة أبيه، فقتله سليمان بهذا الذنب، وكانت مدة ملك داود (عليه السلام) أربعين سنة.

سليمان بن داود (عليهما السلام): جعله داود وليًا للعهد فى حياته، وأجلسه على العرش، ولما تقررت السلطنة له، جمع أمراء هزاره وصده وأشراف بنى إسرائيل وتوجه إلى معبد[١٥] كان فى كدعون، شيده خباء المحضر فى زمن موسى (عليه السلام)، ومذبح مسين الذى كان قد شيده بصل إيل بن أورى ومكث هناك، وقدم ألف قربان لحضرة الحق فى هذا المذبح ذات ليلة.

وتجلى الحق تعالى على سليمان، وقال: اطلب مني ما تريد أمنحك إياه؟، فقال سليمان: لقد أحسنت إلى أبى وأجلستني على العرش مكانه، وهؤلاء القوم كثيرون جداً ولا حصر لهم، وما أريده من الحضرة أن تهبنى العقل والعلم، حتى أذكر عظمتك بذلك الحدث لهؤلاء القوم، فقال الحق تعالى: طالما أنك لم تلتمس منى المال والعمر والنصر على العدو، وطلبت العقل والعلم حتى تنشر العدل بذلك بين خلقى، فقد وهبتك كليهما، وأضفت لهما المال والمهابة التى لم تكن لأى ملك قبلك ولا بعدك.

ولما وجد هذه العناية وهذا التفضل من الحضرة الإلهية، رجع وتولى حكم بنى إسرائيل، وكان أول حكم حكمه أن امرأتين كانتا مقيمتان فى منزل واحد، واتفق أن حضرتهما الولادة، فجاء لكل واحدة ولد، ولم يكن فى هذا البيت أحد سواهما، وفى اليوم الثالث توفى ولد إحداهما، فأخذت ولدها الميت فى الوقت الذى كانت فيه المرأة الأخرى نائمة، فوضعته بجانبها وأخذت وليدها الحى، وفى الفجر نظرت المرأة إلى ولدها فوجدته ميتًا، فحزنت حزنًا شديداً، ومن شدة الحزن لم تنظر إلى الوليد، ثم صار معلوماً لها أن هذا الولد ليس ولدها، ونظرت إلى الولد الآخر فعرفته، فصاحت ووضعت يدها عليه قائلة : هذا ولدى !، فنازعتها المرأة الأخرى فيه قائلة: لا، إنه ابنى، وتوجهتا إلى سليمان بسبب هذا النزاع لطلب الإنصاف، وعرضتا قضيتهما أمام الأمراء والوزراء بالحضرة، فعجزوا جميعًا عن الفصل فى هذا النزاع، فقامتا بعرضهما على حضرة سليمان، فقال: أحضروا سيفًا، وطلب المرأتين مع ولديهما، وقال: اشطروا الطفل الميت شطرين، وأعطوا كل امرأة شطراً منه، وقسموا الطفل الحى كذلك بهذا الشكل. فصرخت إحدى هاتين المرأتين قائلة: لا بحق الله، لا تقتلوا هذا الطفل الحى، وأعطوه لها حتى تذهب، وقالت تلك المرأة التى كانت قد صنعت الحيلة: لا، يجب أن تشطروا الاثنين إلى نصفين حتى يصلنى ويصلك نصيب من الاثنين كما أمر الملك، فأمر سليمان أن يعطوا هذا الولد الحى لهذه المرأة التى لا ترضى بقتله، فهى والدة الطفل الحى، وأعطوا الطفل الميت لهذه المرأة الأخرى، فبقى جملة الحاضرين فى دهشة وتعجبوا من هذا الحكم، وأقروا له بالعلم والعدل الملكى.

وفى العام الرابع عشر من توليه الملك، اتجه لعمارة بيت المقدس وجمع المال الكثير من أجل ذلك، بحيث أنهم صهروا ما فى المخازن من ذهب وفضة، وكان يتم وضعها فى الشوارع والأزقة على شكل أحجار كبيرة، وعمر بيت المقدس بشكل مبهر مدة سبعة أعوام، ولما تم ذلك التعمير، دعا إلى وليمة عظيمة لدرجة أنه ذبح بها اثنين وعشرين ألف بقرة، ومائة وعشرين ألف خروف، وبقية ما تحتاج إليه هذه الوليمة على هذا القياس، وأقاموا احتفالات عظيمة فى ذلك المذبح الذى كان قد شيده(١٦)، ووضعوا عليه القرابين، وتوجه سليمان (عليه السلام) إلى بيت المقدس، وصلى هناك وتضرع إلى الحق تعالى، فهبطت من السماء نار كما كان معهوداً فى زمن موسى (عليه السلام)، وحرق كل هذه القرابين، وخاطب الحق تعالى سليمان فى هذه الليلة قائلاً له: لقد قبلت صلاتك وقرابينك، ما دمت وأبناؤك على نهج عبدى داود ولا تتجاوزون ذلك، ولن أنزع الملك من أسرتك وأبنائك(١٧).

وبلغت عظمة ملكه أنه حكم على الجن والإنس، وكانت له السيادة والملك على المربع المسكون، وكان له ألف امرأة، وسبعمائة سيدة، وثلاثمائة من السرارى، وجرت العادة بأن يقرر لمائدته فى كل يوم ثلاثين جوالاً كبيرًا من الدقيق، وثلاثين رأس بقرة، ومائة خروف غير لحوم الصيد وأنواع الطيور، وكان له أربعون ألف حمار، واثنتا عشرة ألف جنيبة، واشتهرت عظمته وملكه، وكانت مدة ملكه أربعين سنة، وذكر الواحدى: إن ملك سليمان كان سبعمائة عام وستة أشهر.

رحو عام بن سليمان وإخيا وشمعيا: كان هؤلاء الثلاثة أنبياء معاصرين له، وكان إخيا شيلونى قد وجد ذات يوم فى عهد سليمان يروعام بن نواط الذى كان غلام سليمان فى الطريق وحده، وقد ارتدى ثوبًا جديداً، فوضع يده فى هذا الثوب ومزقه اثنتى عشرة قطعة، وقال ليروعام: خذ عشر قطع من هذا الثوب، فقد أمر الحق تعالى بذلك لأن نساء سليمان أضللنه، فأهمل فى طاعته، ولم يستطع أن يقوم بجميع أحكام الدين مثل داود، وأنزع الملك من عشرة أسباط من بنى إسرائيل من أسرته وأعطيها لك، وأمنح الملك لسبطين من أبنائه لعبدى داود، وقبل أن يذكر قصة الخلع هذه، قال إخيا ليروعام: كان البارى تعالى قد قال لسليمان، فقصد سليمان يروعام لكنه

هرب ومضى عند شيشاق ملك مصر، وبقى هناك حتى توفى سليمان، ولما أفضى الملك ليروعام اجتمع بنو إسرائيل جميعًا؛ ليجلسوا يروعام بن نواط على العرش مكان أبيه، والتمس منه الرؤساء والشيوخ، وقالوا له: إن أباك كان حملاً ثقيلاً علينا، وإذا ما خففت عنا مراسم الملك فنحن ندين بالعبودية من قلوبنا وأرواحنا للقصر، فامتنع عن الجواب ثلاثة أيام، وقال بعد ذلك: إن خنصرى أغلظ من خنصر أبى، فإذا كان هو علّيكم حملاً ثقيلاً، فأنا حمل أثقل.

ولما سمعوا منه الكلام على هذا النحو انصرفوا عنه، ولم يبقَ معه سبط يهودا وبنيامين طويلاً، وأرسل على عادة أبيه من يسمى أزورا؛ لتحصيل الخراج، واتحد بنو إسرائيل جميعًا وقتلوه بحجر، ولما سمع رحو هذا الخبر فر إلى بيت المقدس، ومن هذا اليوم استاء عشرة أسباط من بنى إسرائيل من أسرة وأبناء داود، ومنذ ذلك اليوم إلى انقراض دولة بنى إسرائيل لم يحكم أحد بنى إسرائيل جميعًا، وجعل هؤلاء الأسباط العشرة يروعام بن نواط ملكًا عليهم، وجمع رجوعام من سبط يهودا وبنيامين فى بيت المقدس مائة وثمانين ألف رجل ليحارب يروعام، فأرسل البارى تعالى رسالة على لسان شميعا النبى لرحوعام قائلاً له: لا تحارب إخوتك، لأن عزلك عن الملك كان من عندى، فليرجع كل منكم إلى بيته، فرجعوا، وكانت مدة ملك رجوعام على سبط يهودا وبنيامين سبعة عشر عامًا .

أويا بن رحوعام: فى العام الثامن عشر من ملك يروعام بن نواط أصبح ملكًا بعد أبيه على سبط يهودا وبنيامين، كما كان يحيد مثل أبيه عن طريق داود (عليه السلام) وضل، كما كان معاصرًا ومخاصمًا ليروعام، وكانت مدة ملكه ثلاثة أعوام.

آساء بن أويا: أصبح ملكًا بعد أبيه فى العام العشرين من ملك يورعام، وسلك طريق داود (عليه السلام) وخرب جميع المعابد التى كانت فى مدن يهودا وبنيامين، وما شيده يعيشا ملك بنى إسرائيل، وكانت مدة مملكته إحدى وأربعين سنة.

يهوشافاط بن آسا: أصبح ملكًا بعد أبيه، وسلك طريق داود (عليه السلام)، وكانت مدة ملكه ثمانية أعوام.

يورام بن يهوشافاط: كانوا يسمونه بهرام، وهو معاصر ليورام بن آحاو، حكم بنى إسرائيل، وسار سيرة آحاو، وكانت مدة ملكه ثمانية أعوام.

أخزياهو بن يورام: أصبح ملكًا فى السنة الثانية عشرة من ملك يورام بن أحلو، وسار سيرة أبيه كذلك، وكانت مدة ملكه عامًا واحدًا، ولما توفى، كانت أمه عثليا بنت أحاو قتلت جميع الأمراء من نسل داود (عليه السلام)، واستولت على ملك سبط خودا، وخلصت أخت أخزياهو يهوشفيع من يسمى يهواش بن أخزياهورا من بين القتلى واحتفظت به ستة أعوام فى بيت المقدس، وفى العام السابع ضم يهوياداع الذى كان أمام وزوج يهوشيفع فى خفية من عثليا خمسة من قادة الجيش، وبايعوا يهواش وأجلسوه ملكًا فى بيت المقدس، ولما سمعت عثليا ذلك مضت إلى هناك ورأت الحال، فمزقت ثوبها، فطردوها من بيت المقدس وقتلوها، وأجلسوا يهواش مكان أبيه أخزياهو على العرش.

يهواش بن أخزياهو: سار سيرة داود (عليه السلام)، وأمر ببناء ما كان عامرًا فى بيت المقدس فى عهد سليمان وتخرب، وهاجمه غلمانه فى النهاية وقتلوه، وكانت مدة ملكه أربعين سنة.

إمصيا بن يهواش: قام مقام أبيه، وسلك طريق داود (عليه السلام)، وكانت مدة حكمه تسعة وعشرين عامًا.

عزريا بن إمصيا: يلقبونه بعزنا أيضا، وسلك طريق داود (عليه السلام)، وكانت مدة حكمه اثنين وخمسين عامًا .

يوثام بن عزريا: خلف أباه، وسار سيرة داود (عليه السلام)، وكانت مدة حكمه ستة عشر عامًا .

أحاز بن يوثام: خلف أباه، وسار سيرة يروعام بن نواط، وكانت مدة حكمه تسعة عشر عامًا .

حزقيا بن آحاز: كان شيخ داود (عليه السلام)، وخرب جميع المعابد، ولم يكن من الملوك قبله ولا بعده من كان مثله في زهده وتقواه، وكان معاصراً لبنجامودشتي[١٨] النبي (عليه السلام)[١٩]، وهو الذي هزم جيش فلسطين الذي كان يهاجم بني إسرائيل، وفي العام الرابع عشر من ملكه ثار سنخاريب، واستولى على جميع البلاد والمعمورة التي كانت في حوزة سبط اليهود، وبعد ذلك أرسل من رجاله: ترتان، وروساريش، وروشاقي بجيش في مكان لاحين عند حزقيا وهدده، ولما سمع الياقيم بن حلقيا وشوفارمواح هذا الكلام، فلم يجيبا ولجآ إلى حزقيا ومزقا ثيابهم، واستاء كذلك من سماع هذا ومزق ثيابه ولبس ثوب الفقراء، ومضى إلى بيت المقدس، ومزق هؤلاء الأشخاص المذكورون مع قادة جيشه ثيابهم وارتدوا ثياب الفقراء، وأرسلهم إلى يشيعا النبي وطلبوا منه المعونة، وأرسل في جوابه: لا تخشَ إرهاب هؤلاء القوم إن شاء الله، وسوف أسمع شيئًا عن أخبار ملكهم، وأنه رجع لبلاده وقتل.

وعاد روشاقي بعد ذلك، فأرسل الحق تعالى ملكًا؛ لقتل جيش سنخاريب، ومات في ليلة واحدة مائة وخمسة وثمانون ألفًا، ولما نزلت بهم هذه المصيبة عادوا، ومضى إلى مدينة نينوى، وشغل في معبده بعبادة صنم له سمي نسروح، وضربه بالسيف كل من شن أيصر وأذزملخ وقتلاه، وخلفه ابنه إيسرخدون، وبعد ذلك مرض حزقيا، فمضى إليه يشيعا، وقال: أوصِ، فإنك سوف تموت، فتضرع حزقيا إلى الله، فجاء يشيعا هتاف من الله يقول: قل لحزقيا إن تضرعك قد بلغنا وسامحتك، وستشفى في اليوم الثالث، وزدت في عمرك خمس عشرة سنة، وأكف يد تعدى الملك عنك من أجل عبدي داود وأبيك، وهذا ما وقع، وكانت مدة ملكه تسعة وعشرين عاماً .

منشأ بن حزقيا: كان من أولاد سليمان، خلف أباه، وهو في الثانية والعشرين من عمره، وسلك طريق الكفر والزندقة، وعمر كل معبد خربه أبوه، وجعل معبوده تسخير جميع الكواكب التي عبدوها، ووضع المعبود الذي صنعه في بيت المقدس، وأراق دماء كثيرة، وأبعد سبط يهودا عن طريقه كذلك، فغضب الحق تعالى، وعهد إليهم بإسقاطه، وأن يخرب بيت المقدس، وأن يلحق بهم كل سوء، وبقى اثنين وعشرين عامًا كافرًا عاصيًا،

وقبض عليه ملك الجزيرة بعد ذلك، ووضعه فى قفص من حديد، وأمر أن يضرموا النار تحته؛ ليقتل على مهل، ولما كان يسخر الكواكب كان يسخر كل يوم كوكبًا من الكواكب السيارة، ويطلب شفاعتها، فلم يغثه كوكب منها، وبعد أن عجز قال: أمضِ إلى باب الحق تعالى، وأجربه أيضًا، ولما ناح وهو صادق رحم الحق تعالى نحيبه وعويله وكسر حرارة هذه النار، ولما تخلص من هذا العذاب، تاب توبة نصوحًا، وبقى صاحب توبة طيلة ثلاثة وثلاثين عامًا، وكانت مدته خمسة وخمسين عامًا.

آمون بن منشا: خلف أباه، وهو فى الثانية والعشرين من عمره، وسلك طريق الكفر والزندقة، ودهمه غلمان أبيه وقتلوه، وكانت مدة ملكه عامين.

يوشياهو بن آمون: خلف أباه، وهو فى العشرين من عمره، وسلك طريق العدل والإنصاف، وسار على نهج داود (عليه السلام)، وأعاد ترميم بيت المقدس.

يرمياء النبى: كان معاصرًا لآمون وحولدا نبية، وكانا ينصحان بنى إسرائيل، ولكنهم لم يستمعوا إليهما، كانت حولدا امرأة صالحة ونبية، وكان أرزل شلوم اسم شخص ابن بقوانس بن جرجيس بن يوشياهو بن حلقيه أمام، وإحقيقام بن شافان وعيحور بن منجا وسافا محرر، وأرسل عسايا عبده إليه، وسأله كيف ستكون عاقبة أمرى وأمر قومى؟، فأرسل إليه هذا الجواب: إن البارى تعالى أمر بأنه سيصيب هؤلاء ببلاء عظيم؛ لأنهم خرجوا عن فرائضى وشرائعى وعبدوا الأصنام وأحرقوا أبناءهم بسببها، وقل للملك يهودا: بما أنك رجل صالح، وسمعت هذه الأخبار وبكيت، ومزقت ثيابك وتضرعت وانتحبت، فإن الحق تعالى لن يأتى به فى أيامك وسيجعلك تمضى سالمًا.

ولما سمع جواب رسالته، جمع كل شيوخ بيت المقدس، ومضى إلى بيت المقدس وكان معه الأنبياء الذين كانوا فى هذا الوقت وأحضر هؤلاء القوم، ووقف يوشياهو على عمود من أعمدة بيت المقدس، وعاهد الحق تعالى أن يأمر الجميع بأن يتبعوا فرائضه وسننه وشرائعه وكتابه بقلبهم وأرواحهم، وعاهدوه جميعًا على هذا، بعد ذلك قال لحلقيا الإمام: إن كل شىء وضعوه فى بيت المقدس لعبادة الأصنام أخرجها كلها وأحرقها، وما كانوا قد وقفوه من أجل مصالحهم خربوه بتمامه، وكذلك المنازل التى بنوها

فى أطراف تلك المناطق وقتلوا الناس الذين كانوا مجاورين للمعابد، وكانوا يخدمون الأصنام جميعًا، كما أحرقوا جميع الأشياء التى صنعها منشأ، ووضعها فى بيت المقدس، وجميع المعابد التى أقامها يروعام بن نواط، ولم يكن أحد من الملوك القدماء مثله فى الطاعة والعبادة، وثار فى آخر عمره من يسمى فرعون نكوه ملك مصر على ملك الموصل على شاطئ الفرات، فمضى إليه يوشاهيو، فقتله برغونجو فى موضع مور، وكانت مدة ملكه إحدى وثلاثين سنة.

يهو أحاز بن يوشياهو: خلف أباه، وهو فى الثالثة والعشرين من عمره، وعمل السوء، وحبسه برغونجو فى مدينة ربله من توابع حماة وأجلس أخاه الياقيم مكانه، ولما مضى إلى مصر حمله معه ومات هناك، وكانت مدة ملكه ثلاثة أشهر.

الياقيم بن يوشياهو : نصبه برغونجو ملكًا، واسمه يهوياقيم، وكان مثل أخيه زنديقًا كافرًا، وظهر فى عهده نروخت نصار الذى يسميه العرب بختنصر، أطاعه يهوياقيم هذا ثلاث سنوات، ثم تمرد عليه بعد ذلك، فسلط الحق تعالى جيش الكلدانيين وجيش دمشق وموا وعمون على سبط يهودا حتى محوهم من على وجه الأرض بذنب منشأ جده، وبسبب الدماء التى أراقها بغير حق، وكانت مدة ملكه أحد عشر عامًا. وكان يرميا وأورياهو النبيان معاصرين له، وكانا ينصحانه، ولكنه لم ينتصح.

يهوياخين بن الياقيم: خلف أباه، وهو فى الثامنة عشر من عمره وسلك طريقه، وقدم فى زمانه عبيد بختنصر ملك بغداد إلى بيت المقدس، واعتقلوه فى حصن، ووصل بختنصر أيضًا، فاضطر يهوياخين وأمه وعبيده للمضى إليه، وتولى بختنصر فى العام الثامن من ملكه عليهم، وعلى جميع الخزائن التى كانت فى بيت المقدس وهذه النواحى، كما استولى على كل شىء ذهبى صنعه سيدنا سليمان (عليه السلام) من أجل بيت المقدس، وعين جميع الرؤساء والأعيان مع عشرة آلاف رجل شجاع لهذا الموضوع، وحمل يهوياخين مع والده وحشمه وخدامه إلى بغداد، وكانت مدة ملكه ثلاثة أشهر.

متنيا بن يوشياهو: حمل بخت نصر يهوياخين إلى بغداد، وأجلس محله عمه متنيا وسماه صدقيا، وأصبح ملكًا وهو فى الحادية والعشرين، وسلك مسلك أخيه

وتمرد على بختنصر فى الشهر العاشر من العام التاسع من حكمه، وقدم بخت نصر فى نفس الشهر بيت المقدس، وحاصره مدة عامين حتى السنة الحادية عشرة من حكم الملك صدقيا، حيث ظهر قحط عظيم فى تلك البقعة، فهرب صدقيا فى نصف الليل مع الجيش، فتعقبه جيش الكلدانيين، وقبضوا عليه بالقرب من مدينة برنجا، وانفض جيشه عنه وحبسوه وقتلوا أبناءه أمام عينيه، وحملوه إلى بغداد، وبعد ذلك فى اليوم السابع من الشهر الخامس فى العام التاسع عشر من حكم بخت نصر قدم من يسمى فردزرازان[٢٠] ، وهو أمير من جملة عبيده، قدم بيت المقدس، وأشعل النار فى المحراب وبيت الملك وكل البيوت التى كانت حول بيت المقدس، وأحرقها كلها وهدم أسوار هذه البقعة من أساسها، وحمل معه من يسمى سرايا، وكان الإمام الأكبر وصفينا هو الذى كان أمام الروم والخادم الذى كان أمير العرض مع ستين رجلاً آخرين من أهل هذه البقعة إلى بخت نصر وقتلهم جميعًا فى موضع يسمى ودلاثه، وجعلوا سبط يهودا يهاجر من وطنه المألوف وشردوه، وكان فى الرعية أقليلة التى بقيت بعد هذا القتل والنهب من يسمى كدليا بن أحيقام بن شافان فوكل بهم، ولما سمع الأمراء والجيش هذا الخبر بأن الملك كدليا أصبح على رأس رعية بيت المقدس، قدم جمع عظيم مع ايشماعيل بن نتنيا، ويوحانان بن قنانيح[٢١]؟، وسرايا بن تنحومت، ونازينا بن حفحانى عند كدليا فى مكان يسمى مصفاة، فأقسم معهم وسرهم، وقال لهم: عودوا وكونوا عبيد الملك.

وفى الشهر السابع من هذه القضية قدم إيشماعيل مع عشرة رجال وكدليا ومن كانت لهم تبعة الجيش معه، وقتلهم فى موضع مصفاة وتفرقت الرعية التى كانت هناك من صغير وكبير، ومضوا إلى مصر وخلى بيت المقدس من هذه الطائفة، وكان هذا جلاء طائفة بنى إسرائيل عن هذا الموقع وانقراض دولتهم، وكان حزقيل معاصراً لذى الكفل ويرميا النبيين.

الطائفة الثالثة

وهم تسعة عشر. وكانت مدة ملكهم مائتين وإحدى وستين سنة وتسعة أشهر وسبعة أيام .

يروعام بن نواط: يروعام ذلك هو الذى هرب من سليمان (عليه السلام)، وكان قد توجه إلى مصر، وفى زمان ابنه أجلسه رحوعام السبط العاشر لبنى إسرائيل على عرش الملك، ولما تمكن فكر مع نفسه، أنه طالما أن عادتهم أن يذهبوا للحج إلى بيت المقدس كل عام، فإن قلوبهم تذهب إلى ملكهم رحوعام، فيقتلونه ويجعلونه ملكًا، والنتيجة أن الحيلة فى تلك القضية أن صنع الهين من ذهب، وأقول لا حاجة بكم أن تذهبوا إلى بيت المقدس للحج، فها هو ربكم الذى أخرجكم من مصر، وبهذه الحيلة أخدعهم حتى يبقى الملك لى، وقدم هذه الفكرة إليهم، ووضع أحدهما فى بيت آيل، والثانى فى دان، وكان الناس يذهبون إلى هذين الموضعين للحج، وخلعوا قلوبهم بهذه الكيفية عن البارى تعالى، وانشغلوا بعبادة الأوثان، وكانت مدة ملكه اثنين وعشرين عامًا.

ناداو بن يروعام: خلف أباه فى العام الثانى من ملك أسا، وحذا حذوه، وكانت مدة ملكه عامين.

بعشا بن أخيا: كان من سبط إيساخار، وقتل ناداو، وقضى على أسرة يروعام على نحو ما كان قد قال النبى إخياء شيلونى ويرهو وميخايهو والياهو هؤلاء الأنبياء الثلاثة كانوا معاصرين له. ولأنه انشغل بالكفر والزندقة، فقد أرسل الحق تعالى رسالة إليه على لسان يرهو فحواها: لقد رفعتك من التراب وجعلتك ملكًا على قومك، وبما أنك اقتديت بيروعام، وأخرب بيتك مثل بيته، وتأكل الكلاب جميع أسرتك من منهم فى المدينة

أو القرية، وكل ما هو فى الصحراء تأكل جوارح الطير لحمهم، وكانت مدة ملكه أربعة وعشرين عاماً.

إيلا بن بعشاء: خلف أباه وسلك طريقه، وهجم عليه عبده المسمى زمرى وقتله وجعل جميع أتباعه وأشياعه علفًا للسيف، وجلس مكانه وأسقط أسرته على حد قول بيهو بن حيانى، وكانت مدة ملكه عاماً واحداً وشهرين.

زمرى: ولما سمع بنو إسرائيل هذا الخبر، كان قائد جيشهم يسمى عمرى جعلوه ملكًا عليهم، وكانت ترسا اسم قصبه أصبح زمرى فيها ملكًا، فحاصروه وقتلوه، فمضى زمرى إلى بيت إيلا وأمر بإضرام النار فى تلك البيت وأحرقوه فيها، وانقسم الناس طائفتين، انضم بعضهم لعمرى المذكور، والبعض الآخر إلى جانب تونى بن كشاف، وكان النصر فى عاقبة الأمر لأنصار عمرى، وجعلوه ملكًا ودام ملك زمرى سبعة أيام.

عمرى: اقتدى أيضا بيروعام، وكانت مدة حكمه اثنى عشر عاماً.

أحاو بن عمرى: أصبح ملكًا على بنى إسرائيل فى العام الثامن والثلاثين من ملك آسا، وسلك طريق يروعام، وكانت زوجته تسمى إيزبول، وهى أكثر منه كفراً، فنادت ميخايهو النبى، وقالت: سيأتى ملك دمشق لقتالنا، فماذا ستكون عاقبتنا معه ؟، قال: رأيت أن جميع بنى إسرائيل مشتتون على رؤوس الجبال مثل الأغنام بلا راعٍ، ورأيت الحق تعالى جالسًا على كرسى مملكته، وجلس جميع الملائكة على يمين ويسار، ويقول لأحاو: من يستطيع أن يخدع ؟، وقال كل منهم شيئًا، وكانت الريح واقفة عند الحق تعالى، وقالت: أخدعه، فسأل بأى كيفية؟، قالت: أدخل فى فم أنبيائه الكلام الكذب. فقال البارى تعالى: تقولين صدقًا، فاخرجى وتقدمى واعلمى الآن وأدركى أن كل ما سيقوله أنبياؤه سيكون كذباً، وسيلحق بك الضرر، فضربه صدقياهو بن كنعامشتى على فمه، وقال: انصرف عنى أيها النبى وصله فإن كلامك صحيح، قال: اعلم من ذلك اليوم أنك تهرب من ركن لآخر، أو أن تختفى، فقال أحاو: أدخلوه فى السجن حتى قدومى، فقال ميخايهو: إذا عدت فسأكون كاذباً، ولما ركب للحرب لحقت به الهزيمة، وأصابه سهم فى وقت هزيمة أحاو، فحملوه إلى داره فى سومرون وتوفى فى الطريق،

وربطوا زوجته فى ذلك المكان التى كانت قد تبللت بدمه فى ذلك المكان الذى كانت الكلاب قد لعقت فيه دم ناورث، فلعقت الكلاب أيضًا من دمه فى نفس الموضع، كما قال الخضر (عليه السلام).

إيلياهو: هو الخضر، وكان معاصرًا لأحاو، وأمر باحتباس المطر ولا يهطل وكان الأمر كذلك، وبعد ذلك جاء خطاب الحق بأن يمضى إلى هذا المقام فى وادى كريت بالقرب من الأردن، فمضى، وكان يشرب من هذه الواحة وتأتيه القربان بالقوت، ولما أمر الخضر (عليه السلام) باحتباس المطر؛ فجفت هذه الواحة بسبب ذلك، فجاء الخطاب مرة أخرى بأن يمضى إلى ولاية الفرنج، فإن هناك أرملة أمرناها بأن تتزوجك، فمضى ونزل على هذه المرأة العجوز، فأظهرته هذه العجوز على بؤسها قائلة أنها تملك حفنة من الدقيق فى غرارة، وقدر من الزيت فى جرة، فقال الخضر: لا تخل غرارتك هذه من الدقيق، وجرتك لا تخل من الزيت حتى ينزل المطر ويكون الرخاء فى الدنيا، وقد كان.

وبعد احتباس المطر ثلاثة أعوام، أمر الحق تعالى بأن يمضى إلى أحاو ويأمره بإنزال المطر، ولما بلغ أحاو، قطع رقاب ثمانى مائة وخمسين رجلاً فى يوم واحد، وادعوا نبوة الأصنام، ومنهم الأربعمائة الذين كانوا يأكلون على مائدة إيزويل زوجة أحاو فى واحة وادى قيشون، وبعد ذلك أمر بنزول المطر، وخاطب أحاو قائلاً: لقد قتلت رجلاً بريئًا يسمى ناورث، وورثت حديقته، ويلعق الكلاب دمك فى نفس الموضع الذى لعقوا فيه دمه، وقال لإيزويل: لتأكل الكلاب لحمك فى الموضع النجس الذى يسمى يزرعيل، ويجعلوا دارك مثل دار يروعام. وقد كان.

واتفقت معظم الطوائف على أن الخضر لم يمت وأنه حى، ومذهب بنى إسرائيل أنه فى بداية ملك يورام بن أحاو أنهم حموه من النار، وكانوا ملائكة ولفوه فى ربقة وارتفع إلى السماء، وكانت مدة ملك أحاو اثنين وعشرين عامًا.

أخزياهو بن أحاو: خلف أباه فى السنة السابعة عشرة من ملك يهوشافاط وسلك مسلكه ومرض، وأثناء مرضه أرسلوا الرسل إلى صنم يسمى رفوف[٢٢]؛ ليعلموا عاقبة أمره،

فاتصل الخضر بهم فى الطريق، وقال: إنه سيموت فى هذا المرض، وقد كان، وكانت مدة ملكه اثنتى عشرة سنة.

***** بن أحاو**[٢٣]: كان الخضر واليشاع ويخايهو معاصرين له وثلاثتهم أنبياء، أصبح ملكًا بعد أخيه، وارتفع الخضر فى زمانه، وكانت مدة ملكه اثنتى عشرة سنة.

يورام بن يهوشافاط بن أسا: رشق يورام بن أحاو بسهم فى العام الأول من حكم أخزياهو ملك سبط اليهود وقتله، وأمر بقتل زوجة أحاو فى الموضع التى كانت فيه، وأكلت الكلاب لحمها، كما قال الخضر (عليه السلام)، وكان لأحاو سبعون ولدًا قتلهم جميعًا من أتباعهم وأشياعهم، وكانت مدة ملكه تسعة وأربعين عامًا.

يهو اخاز بن ييهو: خلف أباه فى العام الثالث والعشرين من ملك يهواش، وسلك طريق يروعام، وكانت مدة ملكه سبعة عشر عامًا.

يوأشبن يهو اخاز: خلف أباه، ولما مرض مضى إلى اليشاع النبى، وأكثر من التضرع قائلاً: إننا عجزنا عن مواجهة جيش دمشق، فقال: أمسك السهم والقوس، ولما أمسك بهما وضع اليشاع يده على يده، وقال: افتح النافذة، ولما فتحها أمره بأن يطلق السهم، فأطلقه، قال: الرمح يحميك واعلم أنه سوف تلحق الهزيمة بجيش دمشق، وقال بعد ذلك: ألقِ هذه السهام التى فى يدك على الأرض، فرماها ثلاث مرات وتركها، فناداه اليشاع، وقال: كان ينبغى لك أن تلقيها على الأرض خمس أو ست مرات حتى ينهزم جيش دمشق بعدد هذه المرات، والآن ستهزمهم ثلاث مرات، وتوفى اليشاع بعد ذلك، وفى نفس العام قصد جيش مواَ وهذه الولاية، وتوفى شخص فى هذه الأثناء، فأخرجوه ليدفنوه، ولما رأوا أن الجيش اقترب ألقوا هذا الميت وهربوا خوفًا منه، واتفق أن سقط على قبر اليشاع ووصل جسده إليه، فحيى فى الحال، ومعجزاته كثيرة وكانت مدة ملكه ستة عشر عامًا[٢٤].

يروعام بن يواش: خلف أباه فى العام الخامس عشر من ملك إمصيا، واسترد الكثير من الولايات التى كانت قد خرجت من يده، مثل دمشق وحماة وغيرهما، وكان يشيعا ويونس وهوشيع أنبياء معاصرين له، ودام ملكه واحدًا وأربعين عامًا.

زخريا بن يروعا: خلف أباه فى العام الثامن والعشرين من ملك عزريا، وكانت مدة ملكه ستة أشهر.

شلوم بن زخريا: داهمه وقتله وأصبح ملكًا، وكانت مدة ملكه شهرًا واحدًا.

مناحيم بن كادى: قتل شلوم وأصبح ملكًا، وكانت مدة ملكه عشرة أعوام.

فقيحا بن مناحيم: قام مقام أبيه ومدته عامان.

فقح بن رميا: ملك من العام الثانى والخمسين من ملك عزريا، وقتل فقيحًا، وأصبح ملكًا، وكانت مدته عشرين عامًا.

هوشيع بن إيلا: صارع فقحا وقتله فى العام الثانى عشر من ملك أحاو ملك سبط يهودا الذى كان الابن الحادى عشر لسليمان (عليه السلام)، وأصبح ملكًا، وكانت مدة حكمه تسعة أعوام، وكان آخر الملوك الذين حكموا على العشرة أسباط من بنى إسرائيل، وأثناء ملكه ثار شلمن أيسر ملك الموصل والجزيرة، فخضع له هوشيع وقبل أن يؤدى الخراج، وبعد ذلك أرسل رسولاً خفية إلى مصر الذى يسمى سوا، ففهم ذلك ملك الموصل؛ فسجنه ومضى إلى مدينة شومرون وحاصرها ثلاثة أعوام، وفتحها وأغار عليها فى العام التاسع من ملك هوشيع، ومحق بنى إسرائيل من هذا المكان، وكان انقراض دولة الأسباط الأحد عشر لبنى إسرائيل على يده ماعدا سبط يهودا الذى كان ملكهم من أبناء داود (عليه السلام)، والذى كان يقيم فى بيت المقدس، ولم يبقَ أحد من ملوكهم فى بلاده، وتفرقوا جميعًا ولم يبقَ لهم إلى يومنا هذا وجود. وظهرت بعد تلك الواقعة سامراء، وهى أن شلمن أيسر نقل بعض الناس من بابل وسوس ومواضع أخرى وجاء بهم إلى الشام ووطنهم مكان بنى إسرائيل، ولما كانوا لا يعرفون التوراة اتَّجه إليهم وحوش الأرض وهوامها وكانت تفترس بعضهم، ووقع فيهم خوف عظيم، فشكوا إلى من جاء بهم، وتعلق بهم شخص من بنى إسرائيل فاستبقاهم وعلمهم، ولكنهم لم يستطيعوا أن يتعلموا التوراة كما ينبغى، وهم السامراء ويقرأون التوراة الآن قراءة خاطئة، ويوجد معظمهم فى دمشق وأطرافها.

هوامش القسم الخامس

(١) سورة المائدة: أية ١٢ .

(٢) هذا المعنى مأخوذ من قول الله عز وجل ﴿ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴾، سورة الإسراء: آية ٤٣ .

(٣) الأسماء الصحيحة: رأوبين - شمعوم - لاوى - يهودا - دان - نفتالى - جاد - أشير - يساكر - زقولون - يوسف .

(٤) أولاد لينة هم: رأوبين وشمعون ولاوى ويهودا ويساكر وزقلون.

(٥) لم يدخل موسى (ﷺ) مصر، بل ولد بها. وبالتالى فالعبارة خطأ.

(٦) خباء المحضر: هى خيمة الاجتماع التى كان موسى يقيم فيها، وينزل عليه الوحى هناك.

(٧) بنصل إيل: اسم شخص معناه (فى ظل الله)، وهو الذى كلفه موسى بصناعة خيمة الاجتماع السابقة الذكر.

(٨) المقصود (تابوت العهد)، وهو تابوت له مواصفات خاصة، وكان به ألواح الوصايا، وعصا هارون، وقنينة بها بعض المَنّ، طعام فترة التيه. وهو أكثر عناصر الديانة اليهودية قداسة.

(٩) لم تكن القرابين تقدم للآلات، بل لرب العبريين حسب مفهوم ذلك العصر.

(١٠) المقصود مدينة أريحا الكنعانية فى ذلك الوقت.

(١١) المحفوظ: المقصود "ألواح الشهادة" التى كان مدون بها الوصايا العشر.

(١٢) لم تذكر التوراة أنهم كبروا بل تذكر فقط أنهم هتفوا دون تحديد القول.

(١٣) المقصود: الكنعانيون أهل كنعان اسم فلسطين القديم.

(١٤) هكذا فى الأصل.

(١٥) المقصود بهذا المعبد هو ما يسمى (المسكن)، وهو اسم لخيمة الاجتماع التى ذكرنا أن بنصل إيل بن أورى هو الذى قام بصناعتها على حسب أوامر الرب لموسى، وكانت تسمى أيضًا "المسكن" للاعتقاد الذى ساد وقتذاك بأن الرب يسكن بداخل أو يحل فى هذه الخيمة. أما اسم المدينة فكان (شيلوه).

(١٦) المقصود هو "هيكل سليمان" الذى بناه سليمان عام ٩٦٠ق.م. تقريبًا.

(١٧) تتسم الكتابات اليهودية عن الهيكل بالمبالغة. من ذلك أن العمل فى بنائه استمر سبع سنين؟!، مع أنه بناء صغير لا تتعدى أبعاده ٢٠ × ٣٠ مترًا، كذلك تبدو المبالغات فى النص فى أعداد القرابين التى قدمت للرب.

(١٨) هكذا فى الأصل.

(١٩) كان النبى أشعيا معاصراً للملك حزقيا بن آحاز، ولا أعرف شيئًا عن الاسم الذى ذكره الكاتب.

(٢٠) الاسم الصحيح هو نبوزرادان قائد جيش نبوخذ نصر الذى أحرق هيكل سليمان، ودمره عن آخره. علمًا بأن جميع الأسماء الواردة أغلبها غير صحيح.

(٢١) هكذا فى الأصل.

(٢٢) هكذا فى الأصل.

(٢٣) هكذا فى الأصل، لأن الاسم كان ساقطًا على حد قول مصحح الكتاب.

(٢٤) يلحظ على البناكتى فى تاريخه للأمم غير الإسلامية خاصة عند تاريخه لملوكهم أو غيرهم، فإنه يعقد الصلة بين الملك الذى يتولى الملك من قبله، وذلك بأن يجعل نهاية الملك السابق، بداية للملك اللاحق، وبذلك يؤرخ مدة حكم كل منهم تاريخًا دقيقًا، وبذلك يسرد تواريخهم فى وحدة متصلة، وكأن مدة حكمهم أشبه بحلقات تتألف منها سلسلة واحدة.

القسم السادس

فى تاريخ النصارى والفرنجة ونسب مريم أم عيسى إلى داود (عليهما السلام)، وذكر مملكة الفرنجة والقياصرة والباباوات، وهم خلفاء المسيح إلى يومنا هذا، وهى شهور سنة سبعمائة وسبع عشرة من الهجرة .

وهما طائفتان: القياصرة والباباوات. وعدد القياصرة مائة وواحد، وعدد الباباوات مائتان واثنان. ومدة ملكهم ألف وثلاثمائة وسبعة وثلاثون عامًا .

وينبنى هذا القسم على بابين :

الباب الأول : فى معرفة بلاد الفرنجة والأرمن من بحار وسواحل وجزر، وذكر القياصرة وهم ملوكهم.

الباب الثانى : فى معتقدات النصارى فيما يختص بحق المسيح (عليه السلام)، وذكر باباواتهم، وهم خلفاء المسيح (عليه السلام).

الباب الأول

فى معرفة بلاد الأرمن والفرنجة وملوكهم ، وينبنى هذا على ثلاثة فصول

الفصل الأول

فى بيان حدود بلاد الأرمن من المدن والضياع

إن بلاد الأرمن كانت قبل بلاد الفرنجة، وهى هناك بمنزلة الدهليز، ويطلق اسم أرمينيا على موضعين: الكبرى والصغرى، وطول أرمينيا الكبرى ممتد من حدود أرزنجان حتى حدود سلماس، وعرضها من أول بلاد جورجيا إلى أقصى وان ووسطان[1]، وطول أرمينيا الصغرى من طرف الشام إلى نهاية بلاد الروم ويسمونها أوج، وعرضها من حدود مالطة إلى حدود أنطاكية، وتحيط الجبال بتلك البلاد من كل ناحية، وأجزاؤها الخمس معمورة وهى: أماس وسيس وطرسوس وأذنة ومسيس، ومن مدنها وقراها العظيمة المشهورة ما يقرب من عشرين ألف قرية معمورة، وتتصل ببلاد الروم بأربعة طرق: أولها: من ناحية القيصرية، ويسمونه طريق خوشوخوار وطريق دولو، والثانى: طريق لولوه، وهو معدن الفضة أعلى قلعة البلوج، وهذا طريق قوافل سبر، والثالث: طريق قرامان، وهو محاذٍ لساحل بحر الروم حتى مدينة أماس، والرابع: طريق مدينة مالطة، ويمتد حتى جانب حلب وديار الشام، والمسافة بين طريق مسيس إلى جزيرة قبرص تقطع فى يوم واحد فى البحر، وفى هذه الجزيرة عدة مدن معمورة ويحضرون الصوف الجيد المعروف بالصوف القبرصى من هناك، كما أن العلق (اللبان) ينبت هناك.

الفصل الثانى

فى معرفة الفرنجة وبحارهم وجزرهم

أرض الفرنجة منبسطة وعريضة، وهى مملكة واسعة فى الجانب الغربى الشمالى من الربع المسكون وحدودها: أولا: من الجنوب بحر الروم ويمتد طوله من المغرب إلى المشرق بين طنجا والشام، والثانى: من الطرف الشمالى لبلاد الروس والترك وغيرهما، والثالث: الحد الشرقى بلاد اليونان، والرابع: بحر المحيط الغربى المعروف ببادقيانس[٢]؟، وتنقسم هذه المملكة إلى ثلاثة أقسام: أولها: من جهة المشرق بلاد ألمانيا، والثانى: وسط بلاد أفريقيا، والثالث: آخر بلاد الأندلس.

وأصل هذه المملكة مدينة روما العظمى وحاضرتها فرنكستان، وأول شخص بناها ستورنوس، واسمه فى التوراة النمرود، وكان له ولد عاق فخشى أن يكون له أخ فاعتقل أباه، وجعله خادمًا، فهرب ستورنوس[٣] من استيلاء وغلبة ابنه، ومضى إلى أرض الروم، فوجد مكانًا عظيمًا نزهًا خصبًا، فبنى مدينة روما، وبنى كل قائد بناء حسب منزلته، وبعد ذلك عندما أفضى الملك إلى بروطوس، جعل لهذه المدينة سورًا، ووضع اسمه عليه، ويسمونه العجم هروما، وأصبحت وسط دار ملك بلاد الفرنجة، محيطها حوالى عشرين فرسخًا، وشيدوا ثلاثمائة وستين برجًا على سور هذه المدينة، وشيدوا هذا السور فى شهر آيار الرومى، وهو بعد أربعة آلاف ومائة وثمانين عامًا بعد تاريخ آدم (عليه السلام)، وحكم سبعين بعد روملوس[٤] من أبنائه على التوالى فى فترة تبلغ مائة وأربعين عامًا، وكان سقراط الحكيم فى زمانهم.

وكان أبناء روملوس بعد ذلك يولون عليهم ملكًا كل عام، ويعزلونه فى آخره، وبعد أربعمائة وثمانية عشر عامًا ظهر بعد ذلك جيلليوس، وبعد جلوسه أصبح تولى الملك جيلاً بعد جيل، وكان الملك يصل الابن عن أبيه، وكان عمر جيلليوس هذا ستة وخمسين عامًا، وبعدهم أفضى الملك إلى أغسطوس(٥) القيصر الذى كان فى عهد كرسطوس، وأقام القياصرة مدة مديدة فى هذا المكان، والآن هو مكان الباباوات خلفاء المسيح (عليه السلام).

وكانت هذه المدينة فى هذا الوقت معمورة إلى أبعد حد، وتبدأ ولاية الإفرنج من أرض المغرب، وهى موازية مخازية لهذا البحر حتى يصل فى موضع يقترب أحد شاطئيه من الآخر حتى يبلغ خمسة فراسخ، وطول هذا الموضع عشرون فرسخًا، وكانوا يسمونه الزقاق، ويسمون أرض الفرنجة هذه إسبانيا، والطريق إليها شهر، وعليه عدة مدن معروفة على النحو التالى: فالنسيا ومرسية وبريانة وشاطبة وطليطلة وإشبيلية وقرطبة وأرأر(٦)، وعدة جزر أنسا(٧)، وميورقه ولارده وصقلية.

وفتح المسلمون كل هذه المدن المذكورة فى بداية عهد الإسلام، وكانت فى يد ملوك المغرب، واستولى عليها الملك كسطلونية من المسلمين فى سنة ستمائة وستين من الهجرة، وهم الآن يؤدون الخراج إلى ملك أسبانيا، وأحضروا المسلمين الذين كانوا من سكان جزيرة صقلية حتى مدينة ناجرة، وهى فى وسط بلاد الفرنجة، وأرسلوا قومًا من المسيحين إلى تلك الجزيرة أخذًا بالحيطة حتى لا يتحدوا مع المغاربة، وفى الوقت الذى استولى فيه المسلمون على مدينة عكا خربوا الكنائس التى كانت فى لبران(٨) فى عهد سلطان الإسلام غازان خان بن أرغون خان، فقتل فرنجة هذه البلاد من المسلمين ما يقرب من مائتى ألف شهيد مقابل هذا.

ومعظم مدينة طليطلة من بنى إسرائيل من أبناء يهودا بن يعقوب، ومن بداية نقطة المغرب من هذا الطرف، وهو فى الشمال بلد طولها شهر لها ملك عظيم يسمى الملك برتكلية، وله مال كثير وجيش لا حصر له، وتقع بينه أحيانا وبين ملك إسبانيا حروب.

ويحاذى هذه الأرض فى وسط البحر المحيط جزيرتان اسم إحداهما أيرلندا، ومن خاصية ترابها أنها لا يتوالد فيها الحشرات السامة، ولا الفئران وتطول أعمار الناس هناك، وهم حمر الوجوه، طوال القامة، أقوياء البنية وشجعان، وهناك عين ماء جارٍ إذا وضعوا فيه خشبة يبدو بعد أسبوع ظاهرها حجراً، واسم الجزيرة الأخرى وهى أكبر من الأولى انجلترا، وفيها جبل فيه كثير من المعادن، مثل: الذهب والفضة والنحاس والقصدير والحديد وأشجار الفاكهة الكثيرة، ومن عجائب هذه الأرض شجرة تثمر الطيور وذلك فى الوقت الذى يظهر فيه نورها تبدى كيساً على هيئة التفاحة من هذه الأشجار، وطائر فى هذا الكيس، ومنقار، ويتعلق بالخشب طائر هذا الكيس. ومنقاره ويخرق الطائر الذى ولد فيها الكيس بمنقاره فى وقت نضج الثمرة ويخرج، ويحتفظون به عشرة أعوام حتى يكبر مثل البط، ويأكل أهل هذه البلاد فى الأغلب لحم هذا الطائر، كما توجد الغنم فى هاتين الجزيرتين، وينسجون من صوفها الصوف القبرصى والسقرلاطى، واسم ملك هاتين الجزيرتين سقوط لاند، ويؤدون الخراج لملك انجلترا.

وبعد ذلك ولاية عظيمة عريضة طويلة للغاية، ومعظمها جاف، وبعضها ذات أبحر بجانب الأمانية، ويسمون الملك هناك ريدافرانس، ويدفع ملك الجزر الخراج إلى ملك إنجلترا وولاية الأمانية، هى مملكة القيصر ريدافرانس ومعه اثنا عشر ملكاً عظيماً، مطيعون ومنقادون ومقدمون الخراج للقيصر.

وبجانب الأمانية مملكة أخرى يسمونها بوهيميا، ويسمون الملك هناك ساقى، وهو موالٍ للقيصر، ولديه مائة ألف فارس، ويتصل بتلك الولاية مملكة أخرى لها ملك عظيم يسمى برلونيا، وفيها جبال مملوءة بالمعادن والجواهر والفلزات، ومات ذلك الملك فى هذه الأعوام؛ فاستولى ساقى على مملكته، وهى الآن تحت تصرفه.

وبجانب ولاية برلونيا ولاية أخرى تسمى سونسيا، وهى جزيرة فى وسط البحر، ويستخرج منها الجواهر الصفراء و البيضاء، ويتصل بتلك الأرض ولاية اسم ملكها كواندانده، ويسمونه باسم تلك الجزيرة التى فى تلك المملكة، وهناك ثمة جزيرة أخرى تسمى نورويكه(٩)، ويسمون الملك هناك باسم تلك الجزيرة أيضاً، ويذكرون أن طولها يمتد

إلى ما تحت القطب الشمالى حيث تتصل نقطة القطب الشمالى بها على شكل الرأس، وجبالها مليئة بالجليد دائمًا، ويستخرجون البلور منها، وجميع الحيوانات هناك بيضاء، وذلك لشدة برودة جوها، ويجلب الفرو الأبيض من هناك، ويقولون: يكون الإنسان أبيض الشعر والأهداب والحواجب كذلك، ويومهم فى غاية الطول فى البداية تكون الشمس لمدة ساعتين، والاثنتان والعشرون ساعة الأخرى فجر وشفق حيث يمكن تسميتها بالخطوط الدقيقة، وعندما تصل الشمس إلى أول السرطان يكون الأمر بعكس ذلك، وسبب هذا الأمر أن الفلك هناك يصبح رحويًا، وما وقع فى أفواه الناس ظلمات، ويقول علماؤهم: إنهم من بداية هذه الجزيرة حتى نهايتها بخار على الدوام، لدرجة أنه لا يرتفع أبدًا ولهذا السبب فهى مظلمة على الدوام، وبناء على ذلك يسمونها الظلمات. والحيوانات هناك قليلة، وأهل هذه الجزر ضخام الأجسام ويشيخون بسرعة.

وفى مقابل أرض المغرب غير ولاية أسبانيا تتصل بها بلاد يسمونها كتلونيا[١٠]، واسم الملك هناك رى كتلونيا، ويستخرج الزئبق من جبالها والذهب والفضة والنحاس، وهذه الولاية بها ثلاث مدن: فالنسيا و مرسية و ميوركه، وأهل هذه البلاد غاية فى الشجاعة لحد أنهم يعتبرون الموت عيبًا، ويعدون القتل فضلاً، وإلى جانب كتلونيا بلد على خط المشرق تسمى برونسا، وهى آهلة بالسكان، وفوق هذا على خط المشرق مقابل بلاد ملك فرنسا ولاية اسمها دلوره، وبعدها مدينة عظيمة تسمى برنس، ويقيم فيها كثير من الناس والغرباء ويميلون إلى تحصيل العلم، ويقال إن المتعلمين الغرباء بها يقرب عددهم من مائة ألف.

وبين برنس وكتلونيا بلد تسمى زدنقرة، ولملكها صداقة مع ملك المغرب، وإلى جانبها بلد معمورة على ساحل البحر تسمى جنوة[١١] ، والملك هناك له مائتا مرفأ، وفى كل مرفأ ثلاثمائة رجل محارب، ويركب تجار الفرنجة الذين يذهبون إلى مصر السفن من هذا المرفأ.

وتوجد بعد هذه الولاية على خط المشرق صحراء مساحتها حوالى أربعين فرسخًا، وحولها اثنتان وعشرون مدينة كثيرة النعم، وليس فى هذه المدن ملك أصيل عظيم.

وعظماء وأكابر هذه البلاد، أصلاء حسنو السيرة، ويولون عليهم فى كل عام ملكًا، وفى نهايته يأمرون مناديًا أن يقول: من الذى أصابه ظلم فى هذا العام؟، ولا بد أن يتظلم، ويأتى جميع المتظلمين، ويخلصون أعناقهم من مظالمهم، وبعد ذلك يولون ملكًا آخر، وتتصل بهذه الولاية بلد أخرى تسمى رومانيا إلى جانبها بلد تسمى مادكادو فرنيش، وتوجد الخيول فى هذين البلدين، وبعد ذلك بلاد كبيرة اسم ملكها البطريق ماكليا، وله جيش عظيم، ويستخرج من هناك البلور الصافى، ومن الناحية الشمالية لهذه البلاد توجد ولاية لنبرديه، وهتلان ديه فى جنب بلاد البطريق، كما توجد بلد بسيطة عريضة، وهى متصلة ببلاد القرم والبلغار، وكان توتاى أرادوق جوجى بن جنكيز خان يغزو هذه البلاد على الدوام، ويسمونها المجر، ومن جانب لنبرديه من ناحية الجنوب توجد ولاية تسمى مركدنكو وهى بيت البابا، وهم يحمون بحر الجنوب.

وفى شرق ولاية روما ولاية كبتانية، وبعدها ولاية عظيمة طولها شهر، وتسمى كرلود وعلى طرفيها الشمالى والغربى بحر، ويستخرجون منه المرجان الأحمر، وبالقرب منها جزيرة كبيرة من ناحية المغرب، اسم ملكها ريحال، وبها المرجان ومعادن كثيرة، وفى نهايتها جزيرة صقلية، ويتسلم ملك هذه الجزيرة الخراج من ملك ولاية المغرب، وزوج ريحال ابنته إلى بن ريداركون، ومنحه جزيرة صقلية التى تبلغ مساحتها مائتى فرسخ.

وتكثر العجائب فى هذه الجزيرة، منها جبل تنبعث منه النار على الدوام، ويقولون: إنه فى وقت اجتماع، واستقبال النارين تنبعث شعلة النار من هناك إلى عدة فراسخ، وفى ساحل هذا الجبل نهر عظيم يغلونه، وبين تونس وصقلية خمسون ميلاً، وبين خشك الأمانية ونور ومكة، بلاد تسمى دوليسا جبالها ممتلئة بالمعادن، وبين الأمانية وريدافرانس ولاية يسمونها بندر، كما يسمون العاصمة أرس، وعلى بعد خمسة فراسخ مدينة صحراوية، وهناك كنائس غاية فى الفخامة تسمى إيوانس فيها أناس كثيرون وأطعمة نادرة، واقتضت الحكمة الإلهية أنه فى كل عام حينما تصل الشمس إلى أول درجة الجدى، فإن جو هذه الصحراء، يمتلئ بطائر السار، ويأتون وفى منقار كل منهم زيتونة، ويلقونها فى تلك الكنيسة وما حولها، ويكررون ذلك ثلاثة أيام بلياليها، وبعد ذلك

لا يشاهدون هذه الطيور فى موضعها، ويقولون: إنه لا يوجد شجر زيتون على بعد مائة فرسخ، ولا يعلم أحد من أين يأتون به، ويجمع سكان هذه الناحية الزيتون، ويصنعون منه الطعام والإدام، ويأخذون منه الزيت ويشعلونه فى الكنيسة.

ورسم أهل الفرنجة شكل وهيئة الربع العربى، ويسمونه بباب المنذر، ويتحدث الفرنجة بخمس وعشرين لغة، ولا تفهم طائفة لغة الطائفة الأخرى، إلا لغة الخط والحساب الذى يعرفه الجميع.

الفصل الثالث

فى ذكر القياصرة، وهم ملوكهم، منذ عهد روملوس بانى روما الكبرى، إلى عهد أغسطوس القيصر مدة أربعمائة واثنين وعشرين عامًا[١٢].

أغسطوس: ماتت أم القيصر أغسطوس أثناء ولادته، وأخرجوا أغسطوس من بطنها، ويسمون هذا الشخص بلغة روما القيصر، ولذلك أطلق اسم قيصر على أغسطوس، وهو أول القياصرة، وسموه كذلك كيقيانوس، وكان له الملك قبل ولادة المسيح باثنين وأربعين عامًا، واستولى على الإسكندرية، وعاصر المسيح مدة ثلاثة عشر عامًا، وكانت مدة حكمه خمسة وخمسين عامًا.

طيباريوس القيصر: كان صهر أغسطوس، وأصبح بعده قيصرًا، وأرسل نائبه إلى الشام الذى يسمى إيرونس؛ ليقتل يوحنا بن زكريا، وأرسل من يسمى يونسيوس إلى القدس؛ ليعذب المسيح فى العام العشرين من ملكه، وكانت مدته أربعة وعشرين سنة.

غابيوس القيصر: أصبح قيصرًا بعد عام وستة أشهر، حيث كان العرش خاليًا من القيصر، وزنى بأخته لأنه كان سيئ السيرة فقتلوه، وكانت مدته أربعة أعوام وثمانية أشهر وعشرة أيام.

قليونيوس: أصبح قيصرًا بعد عام وسبعة أشهر، وكان فاسقًا فاجرًا، وفى عهده شاهدوا العنقاء فى مصر، وفتح جرراركدس، وكانت مدته خمسة عشر عامًا.

نارون: أصبح قيصراً بعد عامين وشهر وخمسة عشر يومًا، وقتل كثيرًا من المسيحيين ومعلمه و أمه، وكان قيطورس الحوارى البابا الأول، وقتل بارلوس الحوارى وثار عليه اليهود، وأشعل النار فى روما؛ فقتله أهلها، وكانت مدته أربعة عشر عاماً.

كليه؟(١٣): أصبح قيصراً بعد خمسة أشهر، وكان من جزيرة لارند، وعاصر كليتوس البابا، وكانت مدة حكمه عاماً واحداً.

أستيانوس: أصبح قيصراً بعده، وفى عهده مضى اليهود الذين كانوا قد ثاروا على نارون إلى بيت المقدس، واتفق مع ابنه طيطوس على قتل يهود بيت المقدس، ومات خلق كثير من القحط، وجاءوا بثلاثين ألف عبد، وكانت مدته عشر سنوات.

طيطوس: خلف أباه وكان كريمًا، وأحضر جميع أموال بيت المقدس إلى بلاد الروم ووزعها، وكانت مدة قيصرته عامين.

ذو ميطيانس: كان أخًا لطيطوس، شيد معبد مطنون فى روما، وجاء بصنم من كل بلد، ولما أظهروا له العداوة، مضى إلى تلك الناحية؛ ليدفعهم، وكانت مدته ستة عشر عاماً.

نارون: كان القيصر العاشر من القياصرة، وأراد أن يدفع أذى نوميكانس فى حق الناس، وصنع الكثير من الخير، وكانت مدته عاماً وأربعة أشهر.

طريانس: أصبح قيصراً، واستولى على بابل، ومضى حتى بلغ الهند، وقتل كثيراً من المسيحيين، وكانت مدته ثمانية عشر عاماً وستة أشهر.

أدريانس: عمر بيت المقدس التى كانت قد خربت، وسمى القدس التى كانت يسمونها أورشليم آدريانة، ومنع اليهود من دخولها، واعتز بالمسيحيين، وكانت مدة قيصرته اثنين وعشرين عاماً.

طيوطوس: كانوا يسمونه أيضا لونيانس، وصهر أدريانس من مدينة يرغاموس، وكان فى الإسكندرية، وعاصره بطليموس الفولاذى صاحب علم المجسطى، وتوفى فى جزيرة صقلية، وكانت مدة قيصرته اثنين وعشرين عاماً وثلاثة أشهر.

مرقوس، وأخوه أزرليوس: خلفا أبيهما فى الحكم معًا، وفى بداية عهدهما خرب ملك الأرض بلاد ملك اليونان، فجعلهم مرقوس يفرون، ومضى إلى الصقالبة وبلاد الترك، وهزمهم، وكانا معاصرين لسونز البابا الثالث عشر، وكانت مدتهما تسعة أعوام.

قرموطوس: أصبح قيصراً بعد ذلك، وحارب أهل الأمانية، وجعلهم يخضعون له، وقتل فى حربه مع الصقالبة، وكانت مدته ثلاثة عشر عاماً.

يليوس: أصبح قيصراً بالمشاركة مع سوريانس، وقتل كثيراً من المسيحيين، وتوفى فى جزيرة إنجلترا، وكانت مدته أربعة وعشرين عاماً.

أنطيونيانس: ابن سوريانس، وكان فاسقًا زانيًا، تزوج زوجة أبيه، وكانت مدة قيصرته سبعة أعوام وستة أشهر.

مرطينوس: أصبح قيصراً من بعده، وقتل مع ابنه على يد أعدائه، وكانت مدته عامًا وشهرين.

أنطونيانس: أصبح قيصراً من بعده، وكان أيضًا زانيًا فاسقًا، وكانت مدة قيصرته أربعة أعوام.

أيشندروس: أصبح قيصراً من بعده، وأنفذ جيشًا إلى فارس واستولى عليها، ودام حكمه ثلاثة عشر عاماً، وهو القيصر العشرون، وعاصر البابا أدريانس بعد جلوسه بثلاثة أعوام واثنى عشر يومًا، كما عاصر البابا يونسطيانوس خمسة أعوام وشهرين، والبابا كوماكوش عامًا وثلاثة أشهر، والبابا أنطروش ثلاثة أعوام وشهراً وخمسة عشر يومًا، والبابا فبيانوس خمسة أشهر وثلاثة عشر يومًا(١٤).

مسكيمناس: أصبح قيصراً من بعده وغزا بلاد الأمانية، وكان معاصراً للبابا فبيانوس البابا الحادى والعشرين، ومدته ثلاثة عشر عاماً.

كرديانوس: قام مقامه وجهز جيشًا وفتح فارس، فقدم روما فقتله فليبوس بحيلة مع ابنه، ومدته ستة أعوام.

فليبوس: كان أول قيصر اعتنق المسيحية، وقتل مع ابنه فى روما بسبب الدين، وقدم كل الأموال إلى الكنيسة، وكانت مدة حكمه سبعة أعوام.

دوقيوس: أصبح قيصراً من بعده، وقتل كثيراً من المسيحيين، وكانت مدة حكمه عامًا واحداً.

غالوس: خلفه، وكانت مدة قيصرته عامين وثلاثة أشهر.

أولارينوس: كان قيصراً لمدة شهرين وقتل.

ولريانوس وابنه كلبيانوس: حكما معًا خمسة عشر عامًا، وقتلهما جيش فارس، ووضع ملك الفرس قدمه على عنق ولريانوس وركب الفرس.

فليونيوس: أصبح قيصراًبعده، وفتح ولاية هرينـــه، وكانت مدته عامًا واحداً وشهراً.

أورلينوس: أصبح قيصراً من بعده، وبنى لروما سوراً، وأمر الناس بأكل لحم الخنزير، ومدته خمسة أعوام وستة أشهر.

ططينوس: كان الثلاثين من القياصرة، وعاصر البابا غابيوس التاسع والعشرين وكان كريمًا، وجهز جيشًا ومضى إلى فارس وتوفى هناك، وكانت مدته ستة أشهر، والسلام.

لديوس: أصبح قيصراً من بعده، وكانت مدته ثلاثة أعوام وأربعة أشهر.

فيلوريانس: أصبح قيصراً من بعده، وقتل فى مدينة طرسوس، وكانت مدته عامًا واحداً وعشرين يومًا.

أروس: حكم مع أبنائه كرينوس وزيانوس بعد عامين، وأغار على فارس. وقتلوا بين النهرين بالبرق.

ديوقليانس: حكم عشــرين عـامًا مع ابنــه مـاكسيميـانطس، وكان ظالمًا جـداً، وقتل ألف رجل مسيحى، وقتلوه بالسم.

واديوس: حكم عامين بعده، واستولى على مدينة أسبانيا، وتزوج بنت ملك برنيا، وولد له منها قسطنطينوس.

قسطنطينوس: خلف أباه عشرة أشهر وأحد عشر يومًا، وكان مصابًا بالبرص، وعالجه البابا الرابع والثلاثون سلفندروس، واعتنق المسيحية وبنى بيتًا فى الكنيسة، ومضى إلى القسطنطينية، وترك مملكة الفرنجة إلى البابا سلفندروس، وكانت مدته ثلاثين عامًا.

قسطوس: كان ابنه، ويسمونه أيضًا قسطنطنيوس وقسطنطين، وكانت مدته أحد عشر عامًا.

يوليانس: حفيد قسطنطنيوس، وحكم عامين وثمانية أشهر وارتد عن المسيحية إلى عبادة الأصنام، وأمر اليهود بتعمير بيت المقدس، إلا أن الزلزال خربها ثانية، وحارب جيش الفرس على شاطئ دجلة، وقتلوه فى الخيمة.

أرنيناس: كان حسن السيرة، وعم الرخاء الناس فى عهده، ومدته سبعة أعوام.

ليطينانس: حكم مع أخيه والينس سبعة أعوام، وأتعب المسيحيين كثيراً، وتحارب مع الفرنجة، وقتل منهم ثلاثين ألف رجل.

والينس: حكم بعد أخيه أحد عشر عامًا أخرى، وفى عهده وقعت حرب بين اليهود والمجوس، وتجادلوا كثيراً، وجعل كثيراً من الناس يعتنق المسيحية، وخسر أموالاً كثيرة.

ثاونيوس: حكم ستة أعوام وثمانية أشهر وتسعة أيام.

أوقانيوس: خرج رجل فى عهده من ناحية الشمال، واستولى على مدينة روما، وأحرقها وهلك البقية التى بقيت منهم بالبرق، وكانت مدته ثلاثة عشر عامًا.

أنوريوس: أصبح قيصراً من بعده، وكان مشفقًا رحيمًا على الناس جميعًا، وكان القادة يعوذون إليه أن يقتل، فأجاب: إذا ما ساعدتمونى أحيى الميت، وكانت مدته أحد عشر عامًا.

ثاوزوينوس: كان الثانى والأربعين من القياصرة، خرج فى عهده أصحاب الكهف، وهم سبعة فى جزيرة كريته، وظهر إبليس فى صورة موسى، ووعد الناس بالقدس، وألزمه القيصر بأن يمشى على الماء فلم يستطع وغرق، وكانت مدة حكمه سبعة وعشرين عامًا.

مرقيانوس وفلسطينوس: حكما معًا سبعة أعوام، وبعد ذلك حكم الأنطيوس ستة أعوام.

زينون: استولى فى عهده أهل سكسونيا على جزيرة بريطانيا، وقتلوا كل من يسكنها، واتخذوا لأنفسهم هناك مقامًا ومضى الزمان بها، وكانت مدة حكمه ثمانية عشر عامًا.

أناسطاس: حكم سبعة وعشرين عامًا.

يوسطينيانس: وقع زلزال عظيم على عهده فى أنطاكيه، وتخربت معظم أبنية هذه المدينة وهلك الناس، وكانت مدته تسعة أعوام.

يوسطينيانوس: كان محبًا للعلم، وألف كتبًا كثيرة فيه وفى السياسة، ووقع فى عهده قحط وشدة حتى كان الناس يأكل بعضهم بعضًا، وكانت مدة حكمه سبعة وعشرين عامًا.

يوسطينوس: حكم أحد عشر عامًا، وخرج فى عهده جيش عظيم من بلاد الألمانية، ومضى إلى إيطاليا، فقتلوا الناس هناك وأقاموا فيها.

يوسطينيانوس: تحارب مع كسرى قباد ملك الفرس على شاطئ نهر الفرات، ثم عاد إلى أنطاكيه، واستولى الفرس على روما، وجاءوا بكثير من العبيد، وهناك انتهى حكم الفرنجة وأصبح لليونان، وكان معاصرًا لنالكس البابا السابع والخمسين، ومدة حكمه أحد عشر عامًا.

طيبارونوس: أول قياصرة اليونان، والرابع والخمسون من القياصرة، كان ملكًا خيرًا، تصدق بمعظم أمواله، وكان يقول: ما أعطيته فهو لى، وما بقى للعدو. ذات يوم رأى لوحًا من الرخام عند كنس منزله، وكان عليه نقش الصليب، ووجد تحته آخر فرفعه، ورأى ثقبًا فأمر فحفروا فوجد كنزًا عظيمًا فوزعه بأكمله على الناس، وكانت مدة ملكه سبعة أعوام.

مموريقس: أصبح قيصرًا بعده، وفى عهده وجدوا ثوبًا لكرسطوس لم يصبه البلى، وسمع نداء، أنه سوف يقتل فخاف وتاب، وتحارب مع أنوشيروان العادل على باب مدينة الرها، وفى العام الثامن من ملكه كان قد هرب خسروبرويز من بهرام جوبين ولجأ إليه، وعاونه حتى دفع عنه بهرام، وقتل فى النهاية، وكانت مدة ملكه عشرين عامًا.

قوقاس: تولى الملك تسعة أعوام، ومنح البابا فيكيليوس الذى كان البابا الثانى والستين؟[١٥]، وشيد كنيسة.

هرقليوس: فتح فى العام الخامس من حكمه بيت المقدس، وتعادل عام تسعمائة وخمسة وثلاثين بالتقويم الإسكندرى، استولى على الإسكندرية، ومصر وبعد ذلك بثلاثة أعوام، وفى العام العاشر من حكمه تحرك جيش الإسلام من أرض يثرب بأمر خاتم النبيين (صلى الله عليه وسلم)، وكان هرقليوس ماهرًا فى علم النجوم، ووجد طبقًا لسير الكواكب أنه سوف يؤخذ ملكه على يد شخص مختون، وستزول أسرته فأرسل إلى ريدافرانس من أجل أن يقتل جميع اليهود، لأنهم جميعًا مختونون أو ينصرهم، فنصرهم جميعًا، واستولى المسلمون فى العام السابع والعشرين من حكمه على أنطاكيه، وقد خرب بيت المقدس، وكان ملوك مصر قد استولوا على صليب المسيح فى سالف الزمان، فمضى هرقليوس إلى آذربيجان واسترده من يزدجرد بن شهريار، وحمله إلى القدس ومضى إلى هناك حافى القدمين؛ ففتحت البوابات ووضعه هناك، وبعد ذلك استولى جيش المسلمين على بلاد الفرس، وتوفى هرقليوس، وكانت مدة حكمه إحدى وثلاثين سنة.

قسطنطينوس: كان قيصراً أخيراً، واستولى أمير المؤمنين عمر (رضى الله عنه) على الشام فى عهده، وقدم بيت المقدس وبنى مسجداً، وكانت مدته إحدى وثلاثين سنة وعشرين يوماً.

قسطنطينوس الثاني: كان حسن السيرة تقياً، رعى جانب المسيحيين، وفى عهده قدمت زوجة ملك الفرس، واسمها قيصرية مع زوجها، وأربعين ألف رجل إلى استانبول وتنصروا، ومدته سبعة عشر عاماً.

يرطينوس: حكم عامين وكان محبًا للعلم، وكتب كتابًا فى الكياسة، وصالح المسلمين بالاتفاق على دفع المال وقبول الجزية، وثار عليه من يسمى ليو وقطعوا أنفه، وأرسلوه إلى الجزيرة وأصبح قيصراً.

ليو: حكم ثلاثة أعوام، وبعد ذلك خرج طيباريوس وقطع أنفه قصاصًا، وأصبح قيصراً.

طيباريوس: حكم سبعة أعوام، وفى عهده كان يوسطنيوس سجينًا فى الجزيرة، واتفق مع أهلها على أن يكون قيصراً، فأرادوا قتله ففر ومضى عند الترك، وتزوج أخت قائدهم، وجعله معينًا له واسترد الملك.

يوسطينوس: حكم ستة أعوام أخرى، وقتل أكثر أهل الجزيرة التى أرادوا قتله وأسر أبناءهم، وبعد ذلك ولى أهل الجزيرة من يسمى فيلسوس ملكًا عليهم، وجمعوا جيشًا وقبضوا عليه وقتلوه.

أفسطاسيوس: حكم عامًا وستة أشهر، وقبض عليه ليو، واقتلع عينيه وأصبح قيصراً، ولما كان شديد الظلم، خشاه قادة الجيش، واختاروا قيصراً آخر، وكانت مدته ثلاثة أعوام.

قسطنطينس: قُبض عليه وجعل قسيسًا وأصبح قيصراً، وكانت مدته عامًا واحداً، وقبض عليه كرلوس وابنه وجعلاه قسيسًا، وفى عهدهما حاصر جيش المسلمين استانبول وقتلوا وأغاروا، وقدم جيش أيضًا من المغرب وحاربهم ملك فرنسا، ودامت الفتنة عامين، وكانت مدة حكمهما خمسة وعشرين عاماً.

يوطريكوس: حكم بعد أبيه خمسة وعشرين عامًا مستقلاً، وشاركته أمه فى الحكم بعد ذلك عشر سنوات، وبعد ذلك دبر دسيسة وسمل عين ابنه، واستقل بالمملكة ثلاثة أعوام، واستولى ابنه بعد ذلك، وحكم خمسة أعوام أخرى مستقلاً.

يوطريوس: لما مات ليو، جعل أسطينوس الذى كان البابا الرابع والتسعين، كرلوس ملك فرنسا قيصراً، وسبب ذلك لأنه عاون البابا فى صد ملك لنبرديه، ومدته أربعة عشر عامًا.

كرلوس: حكم وابنه خمسة وعشرين عامًا.

أونوقوس: حكم بعد أبيه إحدى وتسعين سنة وثمانية أشهر وأربعة أيام، وبعد ذلك أفضى الملك إلى كرلوس، واسترد جزيرة صقلية التى كان المسلمون قد استولوا عليها، وأجلسوه من قبل ملكًا على قلندريه، وفى النهاية دس يهودى له السم ومات، ومدة حكمه عشرون عامًا.

لوطر الثانى: حكم سبعة أعوام وفى عهده وقع قحط فى أنطاكيه، وطلب المدد من ملك فرنسا، وقد أعمل المجوس التخريب فى ولاية بوريكيه، فأجابه ونصرهم جميعًا.

فيكوس: حكم اثنى عشر عامًا، وأصيب بالقمل وعجز الأطباء عن علاجه، وتوفى بنفس العلة.

كاريوس: بعد ستة أعوام من الحكم أصبح رى كاريوس أخوه شريكًا له، وأقام فى الأمانية، وهو فى أنطاكيه، وحكما مدة ثمانية أعوام أخرى مشاركة.

أوكو: حكم وابنه سبعة أعوام، وفى عهدهما قدم جيش خراسان(١٦)، إلى إسبانيا وخربها، وتنصر ملك بوهيميا مع أهل هذه المناطق جميعًا، وبعد ذلك استخلف أوكو أحد قواد جيشه، وكان هذا القائد هو القائد الثامن والسبعون من القياصرة، وحكم إحدى وأربعين سنة وشهرين.

هرتكوس: حكم ثمانية عشر عامًا.

بريكاريوس: كان عـادلاً حسن السيرة، وفى عهده عمـرت أنتلية، وحكم سبعة أعوام.

لوبريوس: طلعت الشمس فى عهده حمراء، وظهرت الفتنـة والفسـاد فى أثينا ومدته عامان.

بريكاريوس وابنه: حكما أحد عشر عامًا.

أوطو: كان حاكم بلاد الألمانية، جعل كثيرًا من المجوس مسيحيين، وكانت مدة حكمه ستة أعوام.

أوطو الثاني: حكم واحدًا وعشرين عامًا.

أوطو الثالث: حكم اثنى عشر عامـًا، وكان الملك فى عهده قويًا متوارثًا، وبعد ذلك كانوا يختـارون ثلاثة مـرحاسـيا[١٧]، وثلاثة من كبار القواد وملكًا للناس، ولما كـانوا يتفقون على واحد كان الملك يختاره، ويجلسه على العرش، ويفعلون ذلك إلى الآن.

أفريكوس: كان مفوضًا لهؤلاء السبعة الذين اختارهم القياصرة، وزوج أخته لملك المجر ونصرهما.

كفراطوس: كان يحب الخير للناس، وكـان يواسى الرعيـة، وحكم أحد عشـر عـامًا.

أفريكوس: كان ابنه، وقيل صهره، حكم ثمانية وعشرين عامًا، ووجدوا فى عهده تمثالاً من الرخام فى مدينة أيونية، وقد صنع رأسه من النحاس، وكتب عليه: إنه فى أول يوم من أيام شهر آيار فى الوقت الذى تصل فيه الشمس إلى رأس السرطان تصبح رأسى ذهبًا، ولم يفهم أحد معنى هذا، وكان مسلـم حاضرًا، ففهم وكان أسيرًا فقال: فى أول يوم من شهر آيار عندما تطلع الشمس وفى الوقت الذى يقع فيه ظلها على رأس هذا التمثال فحضر فوجد كنزًا، فتعجب الناس وخلصوه من الأسر.

أفريكوس الثاني: حكم سبعة عشر عاماً، وفي عهده كان القائد جالساً في الدار، فاجتمعت الفئران حوله فجأة وكانوا يأكلونه ولم يتعرضوا للآخرين، ولم يتيسر صدهم فأجلسوه في سفينة وحملوه إلى البحر؛ ليدفعوهم، ولكنها لم تجدِ ودخلوا عليه في السفينة هكذا وكانوا يأكلونه، واحتشد في عهده جيش عظيم وتحاربوا مع المسلمين، واستردوا بيت المقدس من حوزتهم، ووجدوا في أنطاكية رمحًا كان كرسطوس ثبته هناك، وامتحنوا سلامته من العيب بالنار لكنه لم يحترق.

أفريكوس الثالث: دام حكمه خمسة عشر عاماً، وحكم يوطريوس خمسة عشر عاماً، وانقطع الماء في عهده في فرنسا؛ لأن الأنهار والعيون جفت، وتشققت الأرض قطعة قطعة، وكانت النار تخرج منها، ومهما حاولوا أن يزرعوا لم يستطيعوا إلا بعد خمود النار بعامين.

كتراطوس: حكم خمسة عشر عاماً، وكان في عهده شخص محارب يسمى كرلوس أولين، عاش أكثر من مائة عام، ومات في عهده.

فريطريكوس: حكم سبعة وثلاثين عاماً.

فريكوس: حكم سبعة أعوام وخمسة أشهر، وفي عهده استولى الفرنجة على القسطنطينية، وقتلوا الملك وأعملوا السلب والنهب وأسروا كثيراً، وظهر المغول في ذلك الوقت.

أوطو: كان من سكسونيا، لما وضع التاج على رأسه بأمر البابا المائة والرابع والثمانين سلسطينوس، وتحارب مع فرنجة روما، ومضى إلى بلاد عبولية واستولى عليها، فغضب منه البابا ولعنه وعزله، وحكم أربعة عشر عاماً.

فرندريكوس: وضع البابا سلسطينوس التاج على رأسه، وحكم ثلاثة وثلاثين عاماً وشهرين وخمسة وعشرين يوماً، وفي النهاية تمرد وغضب البابا منه ولعنه، فقبض ابنه عليه من أجل إرضاء البابا، وزَجَّ به في السجن حتى مات.

تورنكيه: كان قائداً اختاره البابا وجعله قيصراً، وحكم ثمانية وثلاثين عامًا وشهرين وثمانية أيام.

للمش(١٨): كان أمير هولندا، اختاروه ونصبوه ملكًا، وفى عهده مضى لودريكوس ملك فرنسا لمصر بجيش عظيم وغزاها واستولى على دمياط، واشتغل بحشد الجيش استعداداً لفتح مصر، فقدم سلطان مصر وهزمه ووقع فى أسر قائد يسمى منفرداً، وافتداه بمال وفير، وأرسل السلطان منفرداً؛ ليستولى على جزيرة صقلية، ويصبح حاكمًا عليها، فأرسل البابا فى هذا الوقت ملك فرنسا فقتل منفرداً، واسترد صقلية، وفى هذا الوقت أغار المغول على المجر و بولينيا عن طريق صحراء القبجاق، وقتلوا خلقًا كثيراً وسلبوا ونهبوا، وظهر فى تلك البلاد قحط لدرجة أن الناس أكلوا لحم أبنائهم، ولكن الله شملهم برحمته، وأنزل من السماء شيئًا يشبه الدقيق، فصنعوا الخبز وأكلوا، وانشق جبل فى ذلك الوقت، وانتقل إلى مكان آخر، فوقع تحته ما يقرب من خمسة آلاف آدمى. وأنشأ يهودى حديقة فى عهد ملك فرنسا فى مدينة طليطلة، فظهر حجر كبير لم يكن فيه أى ثقب ولا أى شق، فشقوه، فوجدوا فى وسطه كتابًا أوراقه من خشب، وكتب بالخط العبرى والفرنجى والرومى وكلامه مثل كلام الزبور، ووردت فيه حكايتان: أولهما: أن هذا الكتاب ظهر فى عهد ملك فرنسا، والثانى: أن المسيح ابن الله، ولد من مريم العذراء لإنقاذ الناس من جهنم، وأنه يتعذب على شر خلق الله، فعرض هذا الكتاب على الناس، وتنصر أهله وعياله.

وبعد ذلك مضى لوطريكوس ملك فرنسا إلى الشام بجيش يفوق الحد والحصر، ولما بلغ تونس أخضعها حتى جعلها تؤدى له الخراج وتصور أنه سيستولى على جميع بلاد الإسلام لكثرة جيشه، وتوفى فجأة، وكانت مدة قيصرته خمسة وثلاثين سنة وخمسة أشهر وثمانية عشر يومًا.

روالس: حكم سبعة عشر عامًا واستولى المسلمون فى عهده على عكًا وطرابلس وجميع موانى الشام، وقتلوا كثيراً من الفرنجة، وبسبب عداوته لملك بوهيميا حاربه وقتل.

أطلقس: كان القيصر المئوى، وحكم تسعة أعوام وستة أشهر، وقتل ما يقرب من مائتى ألف مسلم كانوا فى مدينة نوحيرة من تلك البلاد، انتقاماً للمدن التى كانت حول الشام، وتخريب كنيسة تبريز، وممالك إيران فى عهد سلطان الإسلام السلطان غازان خان.

أزالبرطوس: الملك الواحد بعد المائة للقياصرة، وجلس على العرش فى ذلك الوقت، وهو شهور سنة سبعمائة وسبع عشرة من الهجرة، وكان معاصراً للبابا نطبكطوس، وهو البابا الثانى بعد المائتين من خلفاء المسيح (عليه السلام). والله الباقى.

الباب الثانى

فى معتقدات أقوام النصارى فيما يختص بالمسيح (عليه السلام)

وذكر الباباوات وهم خلفاؤه، وهذا يتكون من ثلاثة فصول

الفصل الأول

في ذكر معتقدات أقوام النصارى فيما يختص بالمسيح (ﷺ)

ينقسم دين النصارى إلى اثنى عشر قسمًا حسب عدد ودعوة الحواريين الذين كانوا أصحاب المسيح، يتفق مرحسيا والبابا والباترك والجاثليق والأسقف والقسيس والرهبان والربان، وهم المقتدون بهم على أن عيسى ابن الله، إذ إنهم يقررون أن للحق تعالى ثلاث صفات، وكل الصفات ضمن هذه الصفات الثلاث: الوجود والحكمة والمحبة، فإن البارى تعالى عبارة عن الوجود المحض، ويسمونه الأب، ويسمون عيسى الحكمة وكلام الله، وباعتبار تأثيرالأثر فى المؤثر يسمونه كرسطوس، والمراد من الأب والابن وروح القدس إذ إن ابتداء الكلام والتسمية والعملة الذهبية هى هؤلاء الثلاثة.

ويقول حكماء وفلاسفة النصارى: كان موجوداً أو محسوساً أو معقولاً، والمعقول هو الذى لا يدرك بمظهره، ويسمى النصارى الثانى الآلهة إذ جاء فى التوراة والزبور إله الآلهة، فإذا كان للموجود المعقول تعلق بالأجسام فهم يسمونه النفس والابن، وإذا لم يكن هناك تعليق، فإنهم يقولون عنه أنه مطلق أو واجب الوجود أو ممكن، ويجوز أن يكون الممكن هو العقل، وروح القدس، ويسمونه الواجب، وهو علة العلل الأب وأشرف العلل، ولهذا السبب يسمونه تعالى وتقدس الأب، ويسمون النفس بالابن لهذا السبب، لأنها تتقبل أثر واجب الوجود وروح القدس منزهة عن وسائل تحصيل كماله، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

الفصل الثانى

فى مراتب ملوك ورؤساء الفرنجة

المرتبة الأولى عندهم: البابا ومعناه الأب، ويعدونه خليفة المسيح، المرتبة الثانية: القيصر، ويسمونه بلغة الفرنجة الإمبراطور ومعناه سلطان السلاطين، والمرتبة الثالثة: ريدفرانس ومعناه ملك الملوك، والإمبراطور قيصر وهو ملك ولكن ليست له قوة، ويختارونه على حسب جدارته من بين جماعة ويولونه الملك، و"ريدفرانس" ملك يرث الملك أبًا عن جد، وهو الآن معظم ومعتبر وتحت أمره اثنا عشر ملكًا، ولكل ملك ثلاثة ملوك يطيعونه، والمرتبة الرابعة: رى بمعنى ملك، ومرتبة البابا إلى حد أنه كلما أرادوا أن يعينوا قيصراً، فإن سبعة أشخاص من المعينين من أجل هذا القيصر يتداولون عند البابا، وهم ثلاثة: مرحسيا، وثلاثة أمراء عظام، وملك؛ ليختاروا عشرة أشخاص، ويختاروا واحداً من بين العشرة معروفًا بالزهد والصلاح والجدارة والعفة ومشهوراً بالإمامة والتدين والثبات والوقار وحسن الخلق والشرف وكمال النفس، ويضعون على رأسه، تاجًا من الفضة، ويزعم الإفرنج أن بلاد الأمانية من تلك الولاية تمثل ثلث ربع العالم المسكون، ويمضون من هناك إلى ولاية لنبرديه، ويضعون هناك تاجًا من الفولاذ على رأسه، ويمضون من هناك إلى روما الكبرى مدينة البابا، ويحمل البابا تاجًا من ذهب بقدميه ويضعه على رأسه، وبعد ذلك يطرحه حتى يضع البابا قدمه على رأسه وعنقه وينسحب على جسده، ويصبح فى ذلك الوقت ركابًا حتى يضع البابا قدمه عليه، ويمتطى صهوة الفرس، وبعد ذلك يطلق عليه اسم القيصر، ويدين له ملوك الإفرنج وأهل تلك البلاد بالطاعة، ويسرى حكمه فى تلك البلاد براً وبحراً.

الفصل الثالث

فى مولد المسيح (عليه السلام)، ونسب أمه مريم مع داود (عليه السلام) وخبر حادثته وذكر إجلاس الباباوات وهم خلفاء المسيح

عيسى (عليه السلام): ابن مريم بنت يوفيم، وهو عمران بن ماثان بن اليعازر بن بليود بن أخين بن صادوق بن عازور بن الياقيم بن زروياويل بن شالتى إيل بن أشير بن يوحينيا والد دانيال النبى، ويسميه اليهود يهوياخين، وهو الابن السابع عشر للنبى سليمان (عليه السلام)، ويسمى المسيحيون عيسى كرسطوس، والمسيح، وكلمة الله.

فى العام الثالث بعد الأربعين من حكم الملك أغسطوس القيصر ولد عيسى لمريم العذراء فى بيت لحم ليلة الثلاثاء الخامس والعشرين من شهر كانون الأول سنة ثلاثمائة وتسع بالتقويم الإسكندرى، ومن معجزاته أن تخرب وسقط معبد كان فى روما العظمى نقشت صور جميع أصنام العالم على جداره، وكانوا يسمونه الهيكل، ونبع فى نفس الوقت زيت فى وسط مدينة روما من الأرض وجرى، واندمج فى نهر طيريوس الذى كان فى وسط مدينة روما، وأخبر منجمو ملوك فارس المجوسيين، وخانات التركستان بأنه فى ذلك العام يولد طفل فى بيت المقدس سوف يطيعه وينقاد إليه أهل العالم، وكانت جماعة من الرسل قد وصلوا وأحضروا معهم اللبان والأعشاب العطرية للبخور، وكان أغسطوس يقتل أطفال بيت لحم والقدس، فجاء الوحى ليوسف بن يعقوب بن ناثان وهو ابن عم مريم قائلاً: احمل مريم مع طفلها وتوجه إلى مصر. فهربهما، وتوجهوا إلى مصر، وظلوا هناك عامين، ومن معجزات عيسى فى طفولته، أنه صنع من الماء النبيذ، واستخرج من جرة مزخرفة جميع أنواع الألوان، ولما بلغ الثلاثين من عمره عمده يوحنا

بن زكريا، فصار مسيحيًا، وتعميد النصارى هو أن يحمل (الشخص) إلى الكنيسة ويوضع فى حوض ماء ويغسل بماء ساخن، وتصلى بعض الصلوات وتتلى بعض الأدعية، ويلقن مذهبه ويدهن بالزيت المعروف بحيث يصل إلى جميع أعضائه، وحينئذ يكون قد أصبح مسيحيًا، وإذا كان الشخص طفلاً يجعلون له وكيلاً. والمسيح الذى كان فى بداية العام الأول بعد الثلاثين من عمره كان يونسيوس نائبًا عن طيباريوس القيصر فى بيت المقدس، وعذبه اليهود، وانتقل من دار الفناء إلى دار البقاء. ومنذ ابتداء عهد آدم حتى زمان المسيح مضت خمسة آلاف ومائة وتسع وتسعون سنة، وكانت مدة عمره اثنين وثلاثين عامًا وشهرًا واحدًا، وعاصر القيصر أغسطوس ثلاثة عشر عامًا كما عاصر طيباريوس القيصر تسعة عشر عامًا وشهرًا.

قيطورس الحوارى: كان خليفة المسيح (عليه السلام)، والبابا الأول، وأكبر الحواريين، وكان البابا فى أنطاكيه لمدة سبعة أعوام، وجلس على كرسى الخلافة، بعد ذلك جاء إلى رومية الكبرى، وشغل كرسى البابوية خمسة وعشرين عامًا وسبعة أشهر وعشرين يومًا أخرى، وتوفى بالتعذيب فى بداية عصر نارون القيصر.

لينوس: أصبح من بعده البابا، وكان من ولاية توسكانا، وجلس على كرسى البابوية مدة أحد عشر عامًا وثلاثة أشهر واثنى عشر يومًا، وكان يظهر الكرامات، وقال للناس: إنه يصنع السحر، وبسببه قطعوا عنقه.

كلينوس: كان من روما، ربى بأمر قيطورس خمسة وعشرين قسيسًا، وأصبح البابا بعد لينوس، وقتلوه متهمين إياه بالسحر، وكانت مدة بابويته أحد عشر عامًا وشهرًا وأحد عشر يومًا.

كليمس: أصبح البابا بعد أن خلى كرسى البابوية مدة واحد وعشرين يومًا، أصله من روما، ألف كتبًا كثيرة فى المسيحية، وطرده القيصر فى ذلك الوقت من الولاية وأرسله إلى جزيرة سوسنه، وقتل هناك، وكانت مدة بابويته تسعة أعوام وشهرين واثنى عشر يومًا.

أنكليطوس: أثناء جلوسه كان قد مضى سبعة أعوام من ملك نوميطيانس الذى كان تاسع القياصرة، وأمر القساوسة بحلق شعورهم ولحاهم، وقتل متهمًا بالسحر، وكانت مدته تسعة أعوام وخمسة أشهر ويومين.

أنوسطوس: كان أصله من روما وقتل معذبًا، وكانت مدته عشرة أعوام وثلاثة أشهر ويومًا واحدًا.

اليشندر: أصله من روما وقتل معذبًا، ومدته تسعة أعوام وخمسة أشهر ويومان.

سينسطوس: كان من روما، وأثناء توليه منصب البابوية كان معاصرًا لأدريانس القيصر، وقتل معذبًا، وكانت مدته عشرة أعوام وثلاثة أشهر وواحدًا وعشرين يومًا.

طلسفروس: كان من روما ومات معذبًا، وكانت مدته أربعة أعوام وستة أشهر وخمسة أيام.

أيكينوس: أصبح البابا بعد عشرة أيام، وكان من اليونان من أثينا التى كانت مدرسة أرسطو، ومات معذبًا، وكانت مدته أربعة أعوام وستة أشهر وخمسة أيام.

بيوس: أصبح البابا بعد عشرة أيام من هرقلية، وظهر فى عهده ملك لرجل يسمى أزميت، وقال: عندما يصل القمر فى شهر آذار ليلته الرابعة عشر، اجعلوا أول يوم أحد عيدًا كبيرًا، وأمر بحلق الشعر حول الرأس، وكان معاصرًا لطيطوس الثالث عشر من القياصرة، وكانت مدته تسعة أعوام وأربعة أشهر وواحدًا وعشرين يومًا.

إينسيوس: أصبح البابا بعد خمسة عشر يومًا، ومات معذبًا ومدته سبعة أعوام وثلاثة أشهر ويومان.

سويش: أصبح البابا بعد خمسة عشر يومًا، وكان من كبتانيا ومات معذبًا، وكانت مدته أحد عشر عامًا وثلاثة أشهر وواحدًا وعشرين يومًا.

الوتريوس: أصبح البابا بعد شهر، وكان من روما، ونصّر ملك بريطانيا الذى كان وثنيًا، ومات معذبًا وكانت مدته خمسة عشر عامًا وستة أشهر وخمسة أيام.

وكطور: أصبح البابا بعد عشرة أيام وكان من أفريقيا، وأمر بأن ينصر الناس بالأب والابن وروح القدس، ومات معذبًا، وكانت مدته عشرة أعوام وشهرين ويومين.

ديفرينوس: أصبح البابا بعد اثنى عشر يومًا، وكان من روما ومات معذبًا، ومدته تسعة أعوام وستة أشهر وعشرة أيام.

كلكسطوس: أصبح البابا بعد ستة أيام ، وفى زمانه أبرقت السماء ، وأحرقت يدين لنبىٍّ كان فى روما ، وكانت مدته خمسة أعوام وشهرين وعشرة أيام .

أريانوس: أصبح البابا بعد شهرين وتسعة عشر يومًا وكانت مدته أربعة أعوام وأحد عشر شهرًا وثلاثة عشر يومًا .

يونسطيانوس: كان من روما، قتل معذبًا فى جزيرة سردينيا، وكانت مدته خمسة أعوام وشهرين، وأجلسوا بعده كرياكوش مدة عام واحد وثلاثة أشهر، وبعد ذلك مضى إلى كلونيا وهى مدينة فى ألمانيا، ولم يعدوه من البابوات، لأنه لم يمت فى روما، وكان معاصرًا لاليشيدروس القيصر العشرين.

أنطروش: مات معذبًا، وكانت مدته ثلاثة عشر عامًا وشهرًا وخمسة عشر يومًا.

فيبيانوس: من روما ومات معذبًا، وكانت مدته ستة عشر عامًا وأحد عشر شهرًا وأحد عشر يومًا.

كنطليوس: من روما ومات معذبًا، ومدته سنة وثلاثة أشهر وعشرة أيام.

نطسيوس: من روما ومات معذبًا[١٩]، ومدته سنة وثلاثة أشهر وثلاثة أيام.

أسطينوس: من روما، وكان فى تلك الناحية معبد عظيم، فدعا الله فانهار، وبذلك تنصر كثير من الكفار، وقتل فى النهاية، وكانت مدته أربعة أعوام وشهرين وعشرة أيام.

سكسطوس: كان من روما، ونصر القيصر الكبير، ووزع خزانته على الفقراء، وقطعوا رأسه فى النهاية، ومدته عامان وأحد عشر شهرًا وستة أيام.

ريوقسيوس: مات معذبًا، ومدته عامان وثلاثة أشهر.

فالكس: كان من روما، وكانت مدته عامين وشهرين.

إنسيانوس: كان من توسكانا، وقام بأعمال حسنة، ومات في النهاية معذبًا، ومدته عشرون عامًا وشهران وأربعة أيام.

غاتيوس: كان من دلمافيا، ومات معذبًا، ومدته أحد عشر عامًا وأربعة أشهر وأربعة أيام.

مردسلينوس: كان من روما الكبرى، هدم وأحرق الأصنام بأمر القيصر آرام(٢٠)، وتاب بعد ذلك، وأوصى بأن يضعوه في القبر، وقطع ديوقليطيانس رأسه، وهو الرابع والثلاثون من القياصرة، ومدته سبعة أعوام وشهران وواحد وعشرون يومًا.

مردسلوس: كان من روما، تولى البابوية ستة أعوام واثنين وعشرين يومًا، وأمره قيصر وقته بأن يكون راعيًا، فرعى القطعان حتى مات.

أرنيئوس: كان من اليونان، ومدته عامان وشهران وعشرون يومًا.

بلكيارس: أصله من المغرب، وأمر المسيحيين بأن يصوموا يومي الأحد والخميس؛ لأن الوثنيين كانوا يصومون هذه الأيام، ومدته ثلاثة أعوام وستة أشهر وسبعة أيام.

سلفسدروس: من روما وكان طبيبًا حاذقًا، لأنه أنجى قسطنطينوس من البرص، وجمع مسيحيِّيه حتى اجتمع له ستمائة وثمانية عشر مرحسيا(٢١) في مدينة مكية، وناظر اليهود وألزمهم بثور ميت، وقال لهم في آذانهم: والأب والابن والروح القدس، فنهض الثور، وكانت مدته عشرين عامًا وشهرين وأحد عشر يومًا.

مرقوس: من روما، وتولى البابوية عامين وثمانية أشهر وعشرين يومًا.

جليبوس: من روما، وجد المشقة على يد قسطنطينوس القيصر، ولما مات ارتفعت عنه الشدة وكانت مدته أحد عشر عامًا وشهرين وثمانية أيام.

ليبرنوس: من روما، خرج عن طاعة قيصر عهده، فعزله، ومدته عشرة أعوام وسبعة أشهر وسبعة أيام.

فالكس: من روما، وقتله القيصر عندما كان يتحدث عن ضلاله مع الناس، ومدته عامان وسبعة أشهر وسبعة أيام.

ليبرنوس: ولوه البابوية مدة من الزمان فى عهد فالكس، وعزلوا فالكس ثم أعادوه، ولما قتل ولَّو الليبرنوس مرة أخرى، وكانت مدته ستة أشهر.

طسموس: أصله من أسبانيا، جمع مائة وخمسين مرحسيا[٢٢]، ولعنوا ليبرنوس حتى قتل، ومدته ثمانية عشر عامًا وشهران ويومان.

شريحيوس: من روما، وشكل جماعة فى استانبول مع ثلاثمائة من المسيحيين، وفى عهده ولد أرناووش[٢٣]، وله سرتان، وكان يتفق مع غيره فى كثير من الأمور، ومدته خمسة عشر عامًا وشهران وخمسة عشر يومًا.

إيسطاسيوس: كان من روما، وتولى البابوية عامين وستة وعشرين يومًا.

إينوسينسيوس: أصله من بلاد ألبانيا، وتولى البابوية خمسة عشر عامًا وشهرين وعشرين يومًا.

روسيموس: أصله من بلاد الروم، ثم أصبح عبدًا لقسيس، ومدته عشرة أعوام وثمانية أشهر وخمسة وعشرون يومًا.

تبيعايشوش: كان من روما، ومدته ثلاثة أعوام وثمانية أشهر وثلاثة أيام.

سلسطينوس: كان من روما، وأرسل شخصًا إلى جزيرة بولان، ونصر الناس هناك، وشكل جمعية فى مدينة أفروس، وجادل أعداء الدين، وكانت مدته عشرين عامًا وشهرًا وتسعة أيام.

سكسطوس: كان من روما، صنع خيرًا كثيرًا وبنى كنيسة، ومدته ثمانية أعوام وثمانية عشر يومًا.

ليو: من توسكانا، شكل الاجتماع الرابع فى عهده، وجلس ثلاثمائة وخمسون مرحسيا أمام النساطرة، وتحدثوا فى المسألة التى يقول فيها النساطرة: إن عيسى يتكون من شيئين هما: الله والإنسان؛ أى الروح والجسد. وكانت مدته واحداً وعشرين عامًا وشهرين.

إيلاديوس: من جزيرة سردينيا، وكانت له البابوية ستة أعوام وخمسة أشهر وعشرة أيام.

سميلجيوس: كان من مدينة تبور، وظهر فى عهده شخص فى جزيرة انجلترا، وادعى النبوة وقتل، وكانت مدته خمسة عشر عامًا وستة أشهر وسبعة أيام.

فالكس: أصله من المغرب، تولى البابوية ثمانية أعوام وأحد عشر شهراً وأحد عشر يوماً.

كلاسيوس: أصله من المغرب، وظهر فى عهده جسد أحد الحواريين، كما ظهر إنجيل بخط متى، وهو من جملة الحواريين، ومدته ثمانية أعوام وثمانية عشر يوماً.

أنسطاطيوس: كان من روما، وتولى البابوية أحد عشر عامًا وأحد عشر شهراً وأربعة وعشرين يوماً.

سيمسكش: من جزيرة سردينيا، وفى عهده تنصر ملك فرنسا، ومدته خمسة عشر عامًا وسبعة أشهر وثلاثة وعشرون يوماً.

أورمزد: من كبتانيا، وتولى البابوية تسعة أعوام وثمانية عشر يومًا.

بوخش: من روما، وتنصر فى عهده جميع سكان فرنسا، وازدهر الدين المسيحى تمامًا، وكان معاصراً للقيصر يوسطينوس الثانى والخمسين، وتولى البابوية عامين وأربعة أشهر.

بنيفاسيوس: من روما، وتولى البابوية عامين وشهرين وستة وعشرين يوماً.

أغايطوس: من روما، وتولى البابوية أحد عشر عامًا وثمانية وعشرين يوماً.

سلفيونوس: من كبتانيا، عذبه قوقا القيصر السادس والخمسون حتى مات، ومدته عام وخمسة أشهر وأحد عشر يومًا.

فيلاكيوس: كان من روما، وتولى البابوية أربعة أعوام وعشرة أشهر وعشرين يومًا.

بوحس: من روما، تشكل فى عهده الاجتماع الخامس للمسيحيين فى استانبول، ومدته سبعة عشر عامًا وسبعة أشهر وستة وعشرون يومًا.

فيلاكيوس: كان من روما، وتولى البابوية أحد عشر عامًا وأحد عشر شهرًا وأربعة وعشرين يومًا.

نبطلكوس: كان من روما، تولى البابوية ثلاثة أعوام وشهرًا وتسعة عشر يومًا، وظهر فى عهده قحط وفتنة فى بلاد الفرنجة.

بلايكوس: كان من روما، هطل فى عهده المطر بكثرة، وارتفع ماء نهر روما حتى ساوى سور المدينة، وحمل كثيرًا من الثعابين والحشرات والحيوانات المتعفنة لدرجة أن كثيرًا من الناس ماتوا من نتنها، ومات أيضًا، ومدته عشرة أعوام وثلاثة أشهر وعشرة أيام.

كريلوريوس: من روما، تولى البابوية ثلاثة عشر عامًا وثلاثة أشهر وعشرة أيام، وكان محبًا للعلم، ألف كثيرًا من الكتب وأظهر المعجزات، ونصّر أهل جزيرة انجلترا، ووقعت فى عهده مجاعة فى أوربا خاصة فى روما، مات كثير من الخلق منها.

سبيتانوس: كان من توسكانا، وتولى البابوية عامًا وخمسة أشهر وتسعة أيام.

بنيفاسيون الثانى: تولى البابوية ستة أعوام وثمانية أشهر واثنى عشر يومًا.

طاوس ططات: تولى البابوية ثلاثة أعوام وعشرين يومًا، كان تقيًا صالحًا لدرجة أنه قبل إله البرص، فشفى من علته.

بنيفاسيوس: كان من كبتانيا، تولى البابوية خمسة أعوام وثلاثة عشر يومًا.

أنوريوس: كان من كبتانيا، وتولى البابوية اثنى عشر عامًا وأحد عشر شهرًا وثمانية عشر يومًا.

سفرينوس: كان من روما، تولى البابوية عامًا وأربعة أشهر وثمانية وعشرين يومًا.

بوحيس: من دلماسيا، اشترى الكثير من أسرى المسلمين، ثم حررهم، ومدته عام وتسعة أشهر وثمانية وعشرون يومًا.

شوطروس: من الروم، تولى البابوية ثلاثة أعوام وخمسة أشهر وثمانية أيام.

برطينوس: من روما، تولى البابوية ثلاثة أعوام وشهرين وسبعة وعشرين يومًا.

فيطلبانس: من كبتانيا، تولى البابوية أربعة عشر عامًا وخمسة أشهر وستة عشر يومًا.

ديرطاطوس: من روما، تولى البابوية أربعة أعوام وشهرين وخمسة عشر يومًا.

أكسطوس: من جزيرة صقلية، اجتمع المجمع السادس للمسيحيين فى عهده فى القسطنطينية، ومدته عامان وستة أشهر وثلاثة أيام.

ليو: من صقلية، تولى البابوية شهرين وسبعة عشر يومًا.

زينوت: كان من روما، تولى البابوية أحد عشر شهرًا وتسعة أيام.

سركيوس: كان من أنطاكية، تولى البابوية أربعة عشر عامًا وثمانية أشهر وثلاثة وعشرين يومًا.

ليو: من روما، تولى البابوية عامين وتسعة أشهر.

برحنس: من الروم، تولى البابوية ثلاثة أعوام وشهرين وثلاثة عشر يومًا.

أوجنس: من الروم، تولى البابوية عامين وسبعة أشهر وسبعة عشر يومًا.

سزينوس: من روما، وتولى البابوية عشرين عامًا.

قسطنطينوس: أصله من الشام، تولى البابوية سبعة أعوام وثلاثة عشر يومًا.

كريكوريوس: من الشام، تولى البابوية ستة عشر عامًا وثمانية أشهر وثلاثة وعشرين يومًا.

كريكوريوس الثاني: من روما، حكم عامين وثمانية أشهر وأربعة وعشرين يومًا.

كريكورسيوس: من روما، تولى البابوية خمسة أعوام وثمانية وعشرين يومًا، ووقع في عهده بين روما ولنبرديه تعصبًا وخلافًا، وفي ذلك الوقت قتل ملك فرنسا ملك لنبرديه، وقبض على ذلك الملك.

كرياس[٢٤]: من الروم، تولى البابوية عشرة أعوام وثلاثة أشهر وأحد عشر يومًا.

باولوس: من روما، تولى البابوية عشرة أعوام وشهرًا.

قسطنطينوس: كان من روما، تولى البابوية ثمانية وعشرين يومًا، انتصر عليه المنشقون واقتلعوا عينيه.

أسطينوس: من صقلية، تولى البابوية ثلاثة أعوام وخمسة أشهر وأحد عشر يومًا.

أوريانوس: من الروم، تولى البابوية ثلاثة وعشرين عامًا وخمسة أشهر وثمانية عشر يومًا، وأقام المجمع السابع المسيحي في استانبول، وجادل المنشقين في الدين مع ثلاثمائة رجل مسيحي تقي.

ليو: من روما، تولى البابوية خمسة وعشرين عامًا وستة أشهر، انتصر عليه خصومه، وأخرجوا عينيه واقتلعوا لسانه.

كرسطسوس: ظهر للقيصر في المنام، فجهز الجيش وقهر أعداءه، واستولى جيش المسلمين في ذلك الوقت على بلاد الروم.

أستوايوس: من روما، تولى البابوية ثلاثة أعوام وسبعة أشهر وثمانية عشر يومًا.

سكانش: من روما، تولى البابوية سبعة أعوام وشهرين.

أوجينوس: من روما، تولى البابوية ثلاثة أعوام وشهرين.

فلنطينوس: من روما، تولى البابوية أربعين يومًا.

كريكوس: من روما، تولى البابوية أحد عشر عاماً، ولما وقع بين أهل روما جدال وتعصب طلب مدداً من سلطان مصر حتى استولى عليها، وجعل الكنيسة الكبيرة مركزاً، وبعد ذلك قدم عليه ملك فرنسا وملك لنبرديه وهزمهما.

كريكوس: كان من روما، تولى البابوية ثلاثة أعوام.

ليو: كان من روما، تولى البابوية ثمانية أعوام وثلاثة أشهر وثمانية أيام، وقدم ملك إنجلترا فى عهده هدايا، فأتحف كلاً بدرهم من الحلوى.

بنطلطوس: كان من روما، تولى البابوية عامين وستة أشهر.

باولوس: كان من روما، تولى البابوية أربعة أيام.

نيكولاوس: كان من روما، تولى البابوية تسعة أعوام وشهرين وعشرين يوماً، وفى عهده وقع الطاعون فى مدينة كلونيا، ومضى كل الناس إلى الكنيسة الكبرى، وانقضت الأفاعى كالصاعقة على الكنيسة حتى مات معظم الناس.

أدريانوس: كان من روما، تولى البابوية خمسة أعوام.

أوجنس: كان من روما، تولى البابوية عامين وعشرة أشهر، وفى عهده اجتمع المجمع المسيحى الثامن فى اسطنبول، واجتمع ثلاثمائة وثلاثة وثمانون من المسيحيين الأتقياء، وتناقشوا مع الخصوم وجادلوهم.

وطينوس: كان من روما، تولى البابوية عاماً وخمسة أشهر.

أطريانوس: كان من روما، تولى البابوية عاماً وأربعة أشهر.

أسطينوس: كان من روما الكبرى، تولى البابوية ستة أعوام وعشرة أيام.

فرموسيوس: تولى البابوية خمسة أعوام وستة أشهر.

بنيعاسيوس: كان من توسكانا، تولى البابوية خمسة عشر يوماً.

أسطينوس: كان من روما، تولى البابوية عاماً وثلاثة أشهر.

دومانوس: كان من روما، تولى البابوية ثلاثة أشهر وعشرين يومًا.

تيهوطروس: تولى البابوية عشرين يومًا.

يوخنس: من روما، قام بحروب مع ولاية روما وأهالى المدن الأخرى، وكانت مدة بابويته سنتين وخمسة عشر يومًا.

بنطكطوس: كان من الروم، تولى البابوية ثلاثة أعوام وثلاثة أشهر.

ليو: كان من روما، تولى البابوية أربعين يومًا.

فوروس: تولى البابوية سبعة أعوام، وعزلوه فى النهاية وصار..(؟)[٢٥].

كرسطو: كان من روما، تولى البابوية سبعة أعوام وثلاثة أشهر وستة عشر يومًا.

سركيوس: كان من روما، تولى البابوية عامين وشهرين.

أسطاسيوس: كان من روما، تولى البابوية ستة أشهر وأربعة أيام.

أولتيس: تولى البابوية ستة عشر عامًا وشهرين وثلاثة أيام، وحارب المسلمين حروبًا، وقدم فى عهده جيش المجر روما، وقتلوا وسلبوا.

ليو: من روما، وتولى البابوية ستة أشهر وخمسة أيام.

سطنيوس: كان من روما، وتولى البابوية عامين وشهرًا واثنى عشر يومًا.

ليوت: كان من روما، تولى البابوية أربعة أعوام وشهرين وخمسة عشر يومًا، وفى عهده ظهر فى ولاية حيوه[٢٦] ينبوع، وجاش منها دم خالص على الأرض، وقدم المسلمون فى هذا العام من المغرب وقتلوا ونهبوا.

أسطينوس: من روما، تولى البابوية ستة أعوام وشهرًا.

مرطينوس: كان من ألمانيا، وتولى البابوية ثلاثة أعوام وأربعة أشهر وخمسة عشر يومًا.

أغايطوس: كان من روما، وتولى البابوية ثلاثة أعوام وستة أشهر وعشرة أيام.

...... كان من روما وتولى البابوية سبعة أعوام وعشرة أشهر وخمسة أيام.

بوحياس(٢٧): كان من مدينة مارينه، وتولى البابوية سبعة أعوام وأحد عشر شهراً وستة عشر يوماً، وسجنه أهل روما، وأرسلوه فى النهاية إلى ولاية كبتانيا، فأرسل وطو القيصر جيشاً وقتل خلقًا كثيراً انتقاماً له.

بنطكطوس: كان من روما، وتولى البابوية عاماً وستة أشهر.

معنا: تولى البابوية عاماً وستة أشهر.

سيسوس: تولى البابوية ثلاثة أعوام وشهراً واثنى عشر يوماً.

يوخنوس: كان من روما، تولى البابوية تسعة أعوام وستة أشهر وخمسة أيام.

نرحيس(٢٨): كان من روما، تولى البابوية ثمانية أشهر، وقبض عليه أهل روما وحبسوه فى القلعة حتى مات جوعاً.

نرحيس(٢٩): كان من روما، وتولى البابوية ثلاثة أشهر.

نرحيس(٣٠): كان من روما، وتولى البابوية عشرة أعوام وثمانية أشهر وأربعة أيام.

كريكوريوس: من ولاية سكسونيا، وتولى البابوية عامين وستة أشهر.

نرحيس(٣١): كان من روما، وتولى البابوية خمسة أشهر.

سلفسطوروس: من فرنسا تولى البابوية أربعة أعوام وشهراً وعشرين يوماً، وكان ساحراً، وأصبح البابا بمعاونة الشيطان، وارتكب كبائر الذنوب، وقالوا له: يجب أن تمضى إلى أورشليم. وتدعو هناك، وكان فى روما كنيسة كبيرة تسمى مروشيم فمضى إليها وصلى فيها، فغضب الله عليه، فقطع جسده قطعة قطعة، فرحمه الحق تعالى وقبل توبته.

يوخنس: من الروم، وتولى البابوية خمسة أشهر وخمسة وعشرين يوماً.

يوخنس: كان من روما، وتولى البابوية خمسة أعوام وأربعة وعشرين يومًا.

سركيوس: تولى البابوية عامين وثمانية أشهر وثمانية أيام.

بنطكطوس: من يوسقلان، تولى البابوية أربعة عشر عامًا، ولما توفى ظهرت صورته على هيئة شخص تقى رأسه مثل الديك، وذيله مثل الدب، فسألوه عن حاله، قال: جعلونى فى هذه الصورة كما كنت فى الدنيا.

سلوسطرس: تولى البابوية ستة وخمسين يومًا.

كريكوريوس: من روما، تولى البابوية خمسة أعوام، كان رجلاً حسن السيرة ويقهر بها الأشرار، وقامت تلك الطائفة لتقتله، إلا إنهم لم يظفروا به، وأوصى وهو فى النزع أن يضعوه على عجلة يسحبها ثور، وأن يدفنوه فى المكان الذى يتوقف فيه، فوقف الثور عند كنيسة عظيمة فدفنوه هناك.

قليمس: من ألمانيا، تولى البابوية تسعة أشهر.

طروس: تولى البابوية شهرًا واحدًا.

لبيوت: من ألمانيا، تولى البابوية خمسة أعوام وستة أشهر ويومين.

عكطون: من ألمانيا، تولى البابوية عامين وثلاثة أشهر.

أسطينو: من ولاية لورنه، وتولى البابوية تسعة أعوام.

أتوريوس: تولى البابوية ثمانية أشهر.

أتوسسيوس: من تورنكديه[٣٢]، وتولى البابوية عامين وستة أشهر وخمسة وعشرين يومًا.

سلسطينوس: كان من مدينة ميلانو، تولى البابوية أحد عشر عامًا وستة أشهر وخمسة وعشرين يومًا.

فليمتس: من توسكانا، تولى البابوية اثنى عشر عامًا وشهرًا وأربعة أيام.

كريكوريوس: تولى البابوية عاماً وثلاثة أشهر وسبعة أيام.

أدريانوس: تولى البابوية أحد عشر عاماً وأربعة أشهر، وجاء فى عهده قائد عظيم بجيشه يسمى بريمد، واستولى على بيت المقدس.

لوسيوس: كان من توسكانا، تولى البابوية عشرة أعوام وخمسة أشهر وسبعة أيام.

إيشندر: كان من كبتانيا، تولى البابوية عاماً وخمسة أيام.

أطريانوس: كان من روما، تولى البابوية خمسة أعوام وشهرين وثلاثة عشر يوماً.

أفسطاريوس: كان من مدينة أسبانيا، تولى البابوية خمسة أعوام وشهرين وثلاثة أيام.

لوجايتوس: كان من روما، تولى البابوية ثلاثة عشر عاماً وسبعة أشهر وثمانية أيام.

لوسيتوس: كان من توسكانا، تولى البابوية خمسة أشهر وثلاثة عشر يوماً.

سلطينوس: كان من سانيا، تولى البابوية أحد عشر شهراً وأربعة أيام.

أنوسسيوس: من مدينة إيبر، تولى البابوية ثمانية أعوام وأربعة أشهر وعشرين يوماً.

أنوسيوس: من روما، تولى البابوية عاماً وأربعة أشهر وأربعة وعشرين يوماً.

كليكسطوس: من انجلترا، تولى البابوية أربعة أعوام وعشرين يوماً.

فلاريوس: كان البابا المائة والثامن والسبعين من توسكانا، وقع فى عهده زلزال شديد لدرجة أن تخربت كلٌ من أنطاكية وطرابلس ودمشق، كما تخربت مدينة كبتانيا فى جزيرة صقلية بتمامها، وغرق أكثر من عشرين ألف شخص، وكان معاصراً لفريطريكوس الثلاثين من القياصرة، وكانت مدته واحداً وعشرين عاماً وعشرين يوماً.

سكاس[٣٣]: كان من توسكانا، تولى البابوية أربعين عامًا وشهرين وثمانية عشر يومًا.

أنريانوس: كان من مدينة ميلانو، تولى البابوية عامًا وعشرة أشهر وخمسة وعشرين يومًا، وفى عهده استرد المسلمون بيت المقدس من النصارى، ومات حزنًا لذلك.

فكطور: كان من بنه فند[٣٤]، تولى البابوية شهرًا وثمانية عشر يومًا.

كريكوريوس: كان من روما، تولى البابوية ستة عشر يومًا.

...[٣٥]: كان من روما، تولى البابوية ستة أعوام وسبعة أشهر.

تيكوباوس[٣٦]: كان من روما، تولى البابوية عشرين عامًا.

بنطكطوس: تولى البابوية عشرة أعوام وثمانية أشهر وثلاثة عشر يومًا، وفى عهده استرد الفرنجة دمياط، ولكن المسلمين دافعوا عنها ثانية، وأسروا ملك فرنسا، وافتدى نفسه بماله.

سلسطينوس: كان من ميلان، تولى البابوية سبعة عشر عامًا.

أنوستسيوس: من جنوة، وتولى البابوية أحد عشر عامًا وستة أشهر.

أيشندر: كان من كبتانيا، تولى البابوية سبعة أعوام وثلاثة أشهر وأربعة أيام، اختار عظماء ألمانيا قيصرين فى عهده: واحدًا من أسبانيا، والآخر من انجلترا، وأصبحت المملكة قسمين.

أوريانوس: كان من بونز[٣٧]، تولى البابوية ثلاثة أعوام وشهرًا وأربعة أيام، وقدم من مصر جيش؛ ليستولى على جزيرة صقلية فى عهده، وسلم الملك كارلو هذه الجزيرة لأخيه ملك فرنسا، ثم مضى وهزم هذا الجيش واحتفظ بالجزيرة، وفى عهد تورنكيه قيصر فيلمتس من ولاية سرونج، الذى حكم تسعة أعوام وثمانية أشهر، وكان متزوجًا فى أول الأمر، ولما توفيت زوجته صار مرحسيا[٣٨]، ثم صار بعد ذلك البابا، وقدم أحد أقرباء فريدريكوس القيصر بجيش عظيم من ألمانيا ليقتل البابا، فقتله الملك كارلو بأمر البابا، وكان معاصرًا جلوس القيصر للمش.

كريكوريوس: كان من لنبرديه، تولى البـابوية أربعـة عشـر عامًا وأربعة أيام، وأمر بأن يهيئوا جيشًا عظيمًا لاستخلاص القدس، وتوفى أثناء ذلك.

أنوستستوس: كان من بركديه، تولى البابوية خمسة أشهر ويومين.

آنريانوس: كان من مدينة جنوة، تولى البابوية شهرًا وتسعة أيام.

يوانس: كان من أسبانيا، تولى البابوية ثمانية أشهر ويومًا واحدًا.

نيكولاوس: كان من روما، تولى البابوية عامين، وفى عهده زادت مياه نهر روما لدرجة أن الانتقال من بيت لآخر كان عن طريق السفن، ووقع العداء بين ملك كونيه والبابا.

مرطينوس: كان من ؟[٣٩]، تولى البابوية ثلاثة عشر عامًا، وفى عهده رفعت كونيه راية العصيان على البابا السابق، ووضعت التاج على رأس القيصر دون إذنه.

أفرريوس: كان من روما، تولى البابوية ثلاثة أعوام وخمسة أشهر.

نيكولاوس: كان من مدينة أوونين، تولى البابوية أربعة أعوام وشهرًا وثلاثة عشر يومًا.

سلسطينوس: كان من أبروحية، تولى البابوية ستة أشهر، واعتزل بمحض إرادته.

بنبعاسيوس: كان من كبتانيا، وتولى البابوية تسعة أعوام، واستردوا فى عهده جزيرة صقلية التى استولى عليها ملك كونيه، ودان بن ملك كونيه بالطاعة للبابا.

سيطلطوس: البابا الثانى بعد المائتين من مدينة ترفيس، وجلس على كرسى البابوية زمنًا يقرب من ثلاثة عشر عامًا، وكان هذا الوقت هو شهور سنة سبعمائة وسبعة عشر من الهجرة، وعاصر القيصر أطلفس ثلاثة عشر يومًا، وبعد ذلك حتى الآن عاصر ألبرطوس القيصر الأول بعد المائة.

هوامش القسم السادس

(١) هكذا فى الأصل.

(٢) هكذا فى الأصل.

(٣) ساتورنوس.

(٤) رومولوس: شقيق ريموس التوأم، ومعًا أسسا مدينة.

(٥) الاسم الصحيح أوغسطس، وهو أول الأباطرة الرومان، وبالتالى هو مؤسس الإمبراطورية الرومانية، وأوغسطس هذالقب فقط لقب به، لكن اسمه الحقيقى "أوكتافيوس" حكم منذ عام ٢١ق.م.، حتى عام ١٤ميلادية.

(٦) هكذا فى الأصل.

(٧) هكذا فى الأصل.

(٨) هكذا فى الأصل.

(٩) نعتقد أنها النرويج الآن.

(١٠) الصحيح: كاتالونيا.

(١١) البندقية فى إيطاليا.

(١٢) إن ما ذكر البناكتى فى تاريخه للقياصرة والبابوات، لدليل قاطع على الحياة التى كانت تعيش فيها أوربا بصفة عامة فى العصور الوسطى.

(١٣) هكذا فى الأصل.

(١٤) البناكتى فى تاريخه للقياصرة، يربط بينهم وبين البابوات الذين كانوا يعاصرونهم.

(١٥) هكذا فى الأصل.

(١٦) هكذا فى الأصل.

(١٧) هكذا فى الأصل.

(١٨) هكذا فى الأصل.

(١٩) هكذا فى الأصل.

(٢٠) هكذا فى الأصل.

(٢١) هكذا فى الأصل.

(٢٢) هكذا في الأصل.
(٢٣) هكذا في الأصل.
(٢٤) هكذا في الأصل.
(٢٥) هكذا في الأصل.
(٢٦) هكذا في الأصل.
(٢٧) هكذا في الأصل.
(٢٨) هكذا في الأصل.
(٢٩) هكذا في الأصل.
(٣٠) هكذا في الأصل.
(٣١) هكذا في الأصل.
(٣٢) هكذا في الأصل.
(٣٣) هكذا في الأصل.
(٣٤) هكذا في الأصل.
(٣٥) هكذا في الأصل.
(٣٦) هكذا في الأصل.
(٣٧) هكذا في الأصل.
(٣٨) هكذا في الأصل.
(٣٩) هكذا في الأصل.

القسم السابع

فى تاريخ الهنود وصور الأقاليم

وذكر ممالك الهند وملوكهم من عهد[1] حتى السلطان علاء الدين

وهما طائفتان : هنود ومسلمون، وعددهم ثلاثة وعشرون، ومدة ملكهم ألف ومائتا عام، وهذا القسم ينقسم لثلاثة أبواب:

الباب الأول: فى حساب الأعوام، والقرون وصور الأقاليم، وذكر ممالك الهند.

الباب الثانى: فى تاريخ ولادة شامكونى، وحالات ومقامات من وضع دين التناسخ من نسخ ومسخ ورسخ.

الباب الثالث: فى تاريخ ملوكهم، وهما طائفتان : الهنود وأهل الإسلام.

الباب الأول

فى حساب الأعوام، والقرون، وصور الأقاليم، وذكر ممالك الهند

وينقسم هذا لأربعة فصول:

الفصل الأول

فى معرفة الأدوار والقرون وكلب[2] وجترجوك وغيرهم .

الرأى السائد أن بلاد الهند وكشمير وزمرة الخطا هى العالم القديم، ولا علم لأحد ببداية الخلق بل إن جميع الموجودات العلوية والسفلية، هى ظل الخالق تعالى وتقدس، وانفصال الذات من ظل وظل عن الذات محال، ومع وجود الكفر والشرك، فالاتفاق على

أن الله واحد وليس له بداية ولا نهاية، وهويلا شبيه ولا نظير، وكم وجد من أنبياء وملوك لا يدخلون تحت حصر ، وامتداد القرون والعصور وأكثر من هذا.

رب عصر لفرط طوله   يعجز الكلام عن وصفه

وتصوروا أن أيام الزمان تنقسم لأربعة أقسام، وخصوا كل قسم باسم وجعلوا البداية من العصر الأول، ويجمع كل الأنبياء والحكماء ومنجمي الهنود وتقرير شامكوني وهوآخر أنبيائهم، أن العصور أربعة، **أولها**: عصر كريت يوك، أى بمعنى الدنيا ومعنى يوك عصر، ومدة هذا العصر مليار وسبعمائة مليون وثمانية وعشرون ألف سنة، ومعنى لك مائة ألف سنة، **وثانيها**: عصر تريتايوك ، ومعنى تريت ثلاثة أرباع، ومدته مليار ومائتا ألف وست وتسعون سنة، **وثالثها**: عصر واريوك ، ومعناها نصف مجموع الأول، ومدته ثمانى مائة وأربع وستون ألف سنة، **ورابعها**: عصر كله يوك ، ومعناها ربع العصر، ومن هذا العصر إلى العصر الذى نحن فيه مدة أربعمائة ألف واثنتين وثلاثين ألف سنة، ومن العصر الأخير إلى هذا الحد وهوشهور سنة سبعمائة وسبع عشرة، مضت خمسة آلاف وثلاثمائة وثلاث وتسعون سنة، وعندما يصل هذا العصر إلى نهايته تكون بداية العصر الأول (كريت يوك).

وما جاء فى كتب الحكماء وبراهمة الهند والأستاذ أبوالريحان البيرونى[٣] الذى كان فى خدمة السلطان محمود الغزنوى، وأقام مدة طويلة فى الهند وتعلم لغتهم واطلع على كتبهم، وخاصة الكتب النفيسة، وهى أفضل وأهم كتبهم، وتشتمل على أفضل العلوم والفنون يسمى بانتكل، وترجمه إلى اللغة العربية، وذكر فى كتاب القانون السعودى تاريخ قديم ، وكتاب تاريخ كمالشرى الذى ألفه بخشى كشمبرى وهو تاريخ جديد.

وذكر أبوالريحان آخذاً من تقارير البراهمة وحكماء الهند: أن الطبيعة الكلية التى يقوم بها خلق العالم، أنها تفتى وتصبح لاشىء بدونها، وواجب الوجود لله تعالى، والطبيعة ممكنة الوجود، ولقبوا الطبيعة برهما، ومعناها المرشد أوالدليل، ويقرر المجوس

أن برهما نبى مثل أى ملك يعيش دائمًا، ينظم ويدبر شئون العالم، وهوإشارة إلى هذه الطبيعة ويسمى الحكماء هذه الطائفة بالبراهمة، لهذا السبب لأنهم على مذهب الطبيعة، ويسمون عمر الطبيعة مائة عام برهمنى ، وكل سنة ثلاثمائة وستون يومًا ، وكل يوم يتكون من أربعة ألف ألف وثلاثمائة وعشرون ألف عام، ويسمون اليوم الواحد هذا كلبًا، ومن ترجمة أبى الريحان يسمون اثنى عشر ألف عام جترجوكى، وألف جترجوك يتكون منها كلبًا، وهذه هى تلك المدة التى يقول عنها علماء الهند : إنها مجمع الكواكب السيارة والأوجات وتكون فى أول برج الحمل، وفى هذه المدة تكون الكواكب الثابتة قد مرت وتكون اثنتا عشرة ألف مرة على التوالى، وكل يوم ثلاثمائة وستون ألف سنة، وبناء على تقرير كالشرى فإن الجزء من اليوم المذكور يسمى كلبًا، والمراد بذلك الأربعة عصور، وبما أن الكلب وهو العصر بالنسبة للبراهمة إذا مضى، فترتاح الطبيعة فى زمن يساويه من تعب الوجود مثل الليل الذى يرتاح فيه الإنسان والحيوان، ويقع الترتب والتركب والفساد من الكون، ولما يمضى هذا الليل البرهمنى يبدأ طلوع فجر يوم أخر، وتعود الطبيعة إلى اليقظة، ويروج الكون والفساد.

وقسموا يوم الكلب إلى ألف قسم، ويسمون كل قسم عصرًا، ومقدار كل عصر أربعة آلاف عام وثلاثمائة وعشرون ألف سنة، كما أنهم قسموا هذا العصر إلى أربعة أقسام: دينار ، وثلاثة أرباع ، ونصف ، وربع، وقسموا يوم الكلب مرة أخرى إلى تسعة وعشرين قسمًا : أربعة عشر منها سنة، ويسمون كل واحدة منها نوبة، وخمسة عشر قسمًا سنة، ويقولون عن كل واحد منها فصلًا ، ومقدار كل نوبة اثنان وسبعون عصرًا، وكل عصر بمقدار قسمين ونصف من الفصل، وعليه فمدة كل نوبة مائة وسبعون وتسعة آلاف ألف وخمسمائة ألف عام، ومدة كل فصل ألف ألف سنة.

والآن من عمر الملك الطبيعى الذى يسمونه برهما، بناء على قول أكبر حكيم من حكمائهم، ويسمونه برهمكويت[٤]، مضى ثمانية أعوام وخمسة أشهر وأربعة أيام، ونحن الآن فى اليوم الخامس من الشهر السادس من العام التاسع، وقد مضى من هذا اليوم الخامس ست نوبات وسبعة فصول وسبعة وعشرون يومًا من النوبة السابعة، ومضت

من اليوم الثامن والعشرين ثلاثة أقسام من الأقسام الرباعية، ونحن الآن فى القسم الرابع الذى يسمونه كلكال، ومن بداية عصر كلكال إلى وقت وفاة سككال الذى كان أعظم ملوك الهند، مضت ثلاثة آلاف ومائة وسبعون وتسعة أعوام، ومن وقت وفاة سككال إلى هذا التاريخ، وهو سنة سبع عشرة وسبعمائة من الهجرة، مضى ألف ومائتان واثنان وأربعون عاماً.

ويقول البراهمة ، وهم حكماء الهند : لقد عرفنا هذا من العلم الإلهى، حيث وصلنا كميراث عن الأنبياء العظام، وقد علم لهم من العظماء السالفين.

وفى أول كل عصر ونوبة وقسم وفصل سبق ذكره، تتغير أحوال العالم وتختلف الأوضاع والنواميس، وبناء على هذا ندرك من هذا الحساب أنه من أول عمر برهما إلى يومنا هذا سنة وعشرون ألف ألف ألف وثلاثمائة وخمسة عشر ألف ألف وسبعمائة وثلاثون وألفان وتسعمائة وثمانية وأربعون ألف وثمانمائة وتسعة أعوام.(٥)

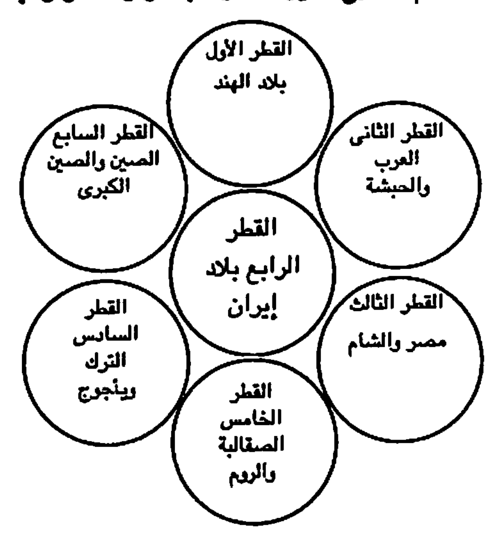
الفصل الثانى

فى معرفة مساحة الأرض المعمورة

اعلم أن الأرض مستديرة كأنها كرة فى السماء، وسطح الكرة الأرضية دائرة المشرق والمغرب، ودائرة نصف النهار، وكل منهما يقوم على زاوية قائمة، وتنقسم الأرض إلى أربعة أقسام : الشرق الشمالى ، والغربى الشمالى ، والشرقى الجنوبى ، والغربى الجنوبى. وتقع الأرض المعمورة فى النصف الشمالى، ونصفه معمور، وهو ربع من أرباع الأرض طويل، ويشمل الأقاليم السبعة وحوله من كل جهة بحر يسمونه المحيط، واستدارة الأرض من خط الاستواء ثلاثمائة وستون درجة طبقًا للزيج المأمونى، وكل درجة اثنان وعشرون فرسخًا ، وكل فرسخ ثلاثة أميال، ويتكون الميل من أربعة آلاف ذراع، والذراع أربعة وعشرون إصبعًا ، والإصبع ست شعيرات توضع الواحدة إلى جانب الأخرى.

وبناء على هذا التقدير تكون مساحة البر والبحر مائة وثلاثون وألفان وأربعمائة وستة عشر ألف وثلاثمائة وعشرون فرسخًا ، وتكون أربعة وعشرين ألف ألف وأربعمائة وتسعة وعشرين ألف وتسعمائة وستين ميلاً، وهذا يساوى سبعة وتسعين ألف ألف وثلاثمائة وستة وأربعين ألف ألف وخمسمائة وخمس وتسعين ألف ألف ومائة وستين إصبعًا ، ويكون هذا أربعة عشر ألف ألف وثلاثة آلاف ألف وستمائة وست وأربعين ألف ألف وتسعمائة وستين ألف شعيرة.

صور الأقاليم السبع وغيرها من البحار والقفار والبلدان[٦]



الفصل الثالث

فى ذكر الأقاليم السبعة

ذكر فى كتاب الجغرافيا : أن عرض المعمورة تسع وسبعون درجة إضافة إلى الربع والسدس، وقالوا: من جملة ذلك ست عشرة درجة، والربع والسدس من ناحية جنوب خط الاستواء، وثلاث وستون درجة من ناحية الشمال، وقالوا: إن طول الأرض مائة وسبع وسبعون درجة وربع، وأغلب العمران فى الشمال، وجعل بعضهم طول العمران مائة وثمانين درجة، وعرضها ستًا وستين درجة، وكل درجة بقدر عشرين فرسخًا، وعند بطليموس أن بدء العمران من الجزر الخالدات فى بحر المغرب، وكانت من قبل عامرة، وعند بعضهم أن مبدأ العمران من خط الاستواء، وعلى ذلك فإن ما كان فى الجنوب، يقال : إن عرضه فى الجنوب، وما كان فى الشمال، يقال : إن عرضه فى الشمال، فكل مدينة يقل طولها عن تسعين درجة تكون غربية، وكل ما كان أكثر من ذلك كانت شرقية، وكل مدينة نقصت عن ثلاثٍ وثلاثين درجة واثنتى عشرة دقيقة تكون جنوبية، وكل ما زاد عن هذا القدر فهو شمالى.

وقسموا الأرض إلى سبعة أقاليم غير متساوية فى العرض الطولى من المشرق إلى المغرب:

الإقليم الأول:- إنه أدنى من خط الاستواء بثلاث عشرة درجة، وطوله ثلاثة آلاف وستمائة فرسخ، وعرضه مائتان وخمسون فرسخًا، ويبدأ خط الاستواء من جانب

السودان الغربى، ويمر فى الشمال من الجبال المسماة بجبال القمر، وعلى بلاد الحبشة، وبلاد اليمن مثل صنعاء وعدن، ويدخل فى الشمال على بعض من بلاد الزنج فى البحر الأخضر، ويمر بجزيرة سرانديب(٧) إلى أرض الصين.

ونهاية خط الاستواء في جزيرة يسميها أهل الهند جمكوت، ومنتصف خط الاستواء قبة الأرض، وكان هناك وسط الأقاليم، ومن المدن التى كانت معروفة فى الإقليم الأول : السودان والمغرب وبعضًا من بلاد البربر واليمن وبلاد الحبشة والزنج وجزر الهند حتى حدود بلاد الصين.

الإقليم الثانى:- طوله ثلاثة آلاف وثلاثمائة فرسخ، وعرضه مائتان وخمسون فرسخًا، والبلاد التى هو فيها بلاد البربر، ووسط بلاد أفريقيا، وأرض المغرب، وجزء من ديار مصر، وبحر القلزم، ومكة، والمدينة، ومعظم بلاد العرب، وبحر عمان، وجزء من السند، ومعظم مدن الهند حتى الصين.

الإقليم الثالث:- طوله ألفان وسبعمائة وثلاثون فرسخًا، وعرضه مائتان وثلاثون فرسخًا، وبعضه فى بلاد طنجة من بلاد المغرب والبربر وأفريقيا والإسكندرية ودمياط وعسقلان وبعض من بلاد الشام والجزيرة والموصل والكوفة والبصرة وبغداد، وبعض من العراق وفارس وكرمان وسجستان والسند والتركستان وبلاد الصين.

الإقليم الرابع:- طوله ألفان ومائتان، وعرضه مائة وثمانون فرسخًا، وهو فى بلاد الأندلس، وبعض من أرض المغرب، وبحر الإفرنج، وجزيرة صقلية، وقبرص، وبعض من الروم، وأرمينيا، وأذربيجان، والسلطانية، وبعض من العراق العجمى، وخراسان، وبدخشان، وكاشغر، والتركستان، والخطا، والصين.

الإقليم الخامس:- طوله ألف وثمانمائة وخمسة وثلاثون، وعرضه مائة وخمسون

فرسخًا، ويمر ببلاد الأندلس، وبعض من بلاد الروم، وأرمينيا، وبحر الخزر، وخوارزم، وبخارى، وسمرقند، وفرغانة، وطراز، وبعض من بلاد التركستان.

الإقليم السادس:- طوله ألف وستمائة، وعرضه مائة وثلاثون فرسخًا، ويمر ببلاد القسطنطينية، وأكثر بلاد الروم، وباب الأبواب، وبحر الخزر، وبعض من التركستان، وولايات من الترك.

الإقليم السابع:- طوله ألف وثلاثمائة، وعرضه مائة وعشرون فرسخًا، وهذا التقسيم وضعه الحكماء فى عصر أفريدون القبطى، والإسكندر اليونانى وهو يمر ببلاد الصقالبة، وسواحل بحر الروم، والبلغار، وآخر الترك، ويأجوج ومأجوج، وفى بعض هذه البلاد يجلس الناس ستة أشهر فى الحمامات من شدة البرد ؛ لأن دوران الفلك هناك رحوى، ولم يعدوا بلاد ما وراء النهر، وما دونها من هذه الأقاليم. والله أعلم بالصواب.

الفصل الرابع

فى معرفة أرض الهند

بناء على تقرير أبى الريحان أن أرض السودان اثنا عشر فرسخًا، وقسموا بلاد الهند إلى ثلاثة أقسام متساوية، وسموا كل قسم منها باسم خاص طبق ما جاء فى كتاب بانتكل[٨]، مثل ظهر السرطان الذى يبرز من الماء على هذه الصورة.

وتوجد فى هذه الأقسام جبال وصخور كثيرة تمتد من المشرق إلى المغرب، وفى سفوح هذه الجبال بحار من جانب جنوب البحر المحيط، ومشرقه والصين والماجين، ومغربه أرض الهند وكابل، وشماله كشمير وأرض الترك وجبل ميرو[٩]، وهو جبل شديد الارتفاع موازٍ للقطب الجنوبى، وتسير الكواكب حوله وتطلع وتغرب من هناك، واليوم والليلة هناك ستة أشهر، وبعكس هذا جبل مستدير، يقال : إنه من ذهب وفضة، ويقع جبل ميمنة[١٠] فى جانب شمال بلاد قانوج ، وهو نهاية الأرض المعمورة لشدة الزمهرير والثلج وأرض كشمير فى وسطها، وهى متصلة بأرض التبت والترك، وتنبع جميع أنهار بلاد الهند من الجبال الشمالية والشرقية.

ويوجد جبل آخر مرتفع لا وجود له فى كل بلاد الهند لجبل أعلى منه، وهو بين التبت والهند، ويبلغ ارتفاعه ثمانين فرسخًا، وتشاهد بلاد الهند من قمته مثل السواد تحت الضباب، وتشبه الجبال الأخرى التى تقع على جانبيه التلال الصغيرة، وتبدو أرض التبت والصين حمراء، والنزول إلى أرض التبت من هذه العقبة فرسخ واحد،

وربما قال الفردوسى الطوسى هذا البيت فى صفة هذا الجبل:

بحيث ترى من السمكة بطنها ومن القمر ظهره

وتقع أرض الهند بين ثلاثة أقاليم : الشرقى منها الإقليم الأول، والغربى هوالإقليم الثالث، ومعظم بلاد الهند تقع فى الإقليم الثانى، كما تقع ولاية قنوج(١١) فى وسط البحور والجبال، ودار الملك هى عاصمة ملوك معظم بلاد الهند، وتقع أرض السند غربها، وعندما تمر من ديار إيران إلى بلاد الهند، يوجد ممر يمر بأرض كابل، وتقع مدينة قنوج غرب كنك، ويأتى لمدينة ترمذ من الجبال الشرقية، وتقع دار الملك شهريار إلى الجانب الشرقى من كنك، والمسافة بينهما ثلاثة أيام.

وتشتهر ممالك قنوج بأولاد وأحفاد بايدو، كما أن مدينة مهره معروفة بباسديو، وتقع على شرق مدينة جون، والمسافة بينهما سبعة وعشرون فرسخًا، وتقع مملكة تانين سربين بين النهرين على الشمال هناك، وتبعد عن قنوج بثمانين فرسخًا، وعن ماهورة بخمسين فرسخًا، ويروى نهر كنك معظم بلاد الهند.

وإذا أراد مسافر على سبيل السياحة، أن يمر من جزيرة ساحل فارس التى تسمى كيشى إلى بحر الهند، وأن يمضى إلى بحر الصين، فإن المدن تقع على يمين الساحل، وتعرف بتوت الغرب(١٢) وأولها البحرين، وما هى روبان وحبله وتاوة ولحسا وقطيف، ويمضى هكذا حتى عمان وصنعاء ومدينة عدن التى تعتبر ميناء ساحل العرب، وتمتد من هناك إلى مدينة مقديشيو التى تقع على ساحل الحبشة وزنجبار، ودخلوا فى الإسلام سنة ستين وستمائة، وليس لهم ملك خاص بهم، وفى كل موضع شيخ رئيس، ويجلبون من هناك العنبر والعاج والأبنوس وجلد النمر البرى، وتوجد فى هذه الجزر الفيلة بكثرة، وفضلاً عن هذا ولاية الزنجبار والحبشة وأهلها مسلمون وبعضهم نصارى، واتصل حدها بصعيد مصر الأعلى، وفضلاً عن ذلك فلا وجود لجزر أخرى هناك حتى القطب الجنوبى.

أما البلاد التى فيها كثير من السائحين، فأولها مدينة هرموز، وعلى ممرها ساحل تيزومكران، ويصل السياح من مضافات كرمان من مسافة تقطع فى شهر إلى مدينة باى بول[١٣]، وتقع فى منتصف المسافة بين واسطة وممالك إيران والهند، كما توجد بلاد الملتان، وهى من توابع ممالك بلاد دهلى، وفضلاً عن ذلك فثمة طريق على امتداد نهر توى، وطرق أخرى على سواحل البحر وكوجرات وهى بلاد عظيمة، ومنها تصل إلى كنباية وسومنات وكنكن وتانه، ويقررون أن مجموع بلاد الكوجرات سبعون ألف مدينة وقرية كلها معمورة، وأهلها فى نعمة وسرور، وتنبت فى الفصول الأربعة فى تلك الديار سبعون نوعًا من الأزهار المختلفة الألوان.

فـــــى شهـــر دى وبهمـــــن وآذر و ... فــ ترى الأرض ممتلئة على الدوام بالأزهار

الهواء معتدل والأرض ممتلئة بالصور ... لا حـــر ولا بـــرد وربيـــع دائـــــــم

ويقطفون الثمار مرتين فى العام، ويعبد الناس هناك الأصنام، والصنم الذى يسمى سومنات هناك هو بيت المعبود، ومكان السجود لمعظم ديار الهند، وفضلاً عن ذلك كنكن وتانة، ويمضون من هناك إلى ملبارد ومنها إلى حدود كهور، والمسافة بينها وبين بلاد كولم ثلاثمائة فرسخ، ومعظم شجر التنبول[١٤] بعضها على البر، وبعضها على الساحل، ومدن السواحل أولها سندابور، وهناك فاكنون ومنجرور وبعد ذلك ولاية دهلى، وبعد ذلك بلاد فندرينا وديار ذات غابات، وفضلاً عن ذلك ولاية كولم، ومعظم أهلها وثنيون، وبعد ذلك ديار سوالك، وتحتوى على مائة وخمسٍ وعشرين ألف مدينة وقرية، وبعد ذلك مالو التى كان عددها ألف ألف وثمانمائة وثلاثة وتسعين ألفًا، ومات مالو منذ ما يقرب من خمسين عامًا، وقام النزاع بين ابنه ووزيره، واستولى كل منهما على جزء من هذه الممالك، ووجد الأعداء مجالاً للمداخلة، أما معبر، فساحتها من حد أرض كولم حتى بلاد نيلاوور، وتقرب من ثلاثمائة فرسخ، وعلى سواحلها المدن والقرى،

ويسمون ملكهم ديور يعنى رئيس الدول، وطرائف أقصى الصين والماجين وبلاد الهند، فيمضون بسفن ضخام تسمى فى اللغة الصينية جنك[١٥]، كأمثال الجبال تجرى بجناح الرياح على سطوح المياه، وتصل لهذا المكان، وينبت فى هذه البلاد نبات اللالاسى والعقاقير بأسرها، ويستخرج من بحرها اللؤلؤ الكثير، والمعبر وكأنه المفتاح، ووجد فى هذه الأعوام ديور ملك السند، وكان الملك تقى الدين عبد الرحمن بن محمد الطيبى أخو الشيخ جمال الدين إبراهيم الوزير، وكان مشيره وصاحب تدبيره قد وهبه حكومة الفتن وبلادها، وتوفى فى ديور فى سنة ستمائة واثنتين وتسعين، وترك خزائن العالم للأعداء والحساد.

ومما يروى عن الشيخ إبراهيم بن محمد الطيبى أن سبعة آلاف بقرة محملة بالجواهر الثمينة، ومال الخراج آل إلى أخيه وخلفه، وبناء على القرار السابق أصبح تقى الدين نائبه. وبشرة أهل المعبر سمراء، لأنهم قريبون من خط الاستواء، وفيها معبد عظيم يسمونه بوتزر، ويطهون كل يوم ألف لون من الطعام فى ألف قدر ليأكل الناس، ويداومون على تقديم هذا الطعام، وبعد ذلك يحطمون القدور والكؤوس ثم يحضرون قدوراً وكؤوساً أخرى جديدة، ويقدمون الطعام لأهل الهند على أوراق شجر النرجيل.

ومن هناك ينقسم الطريق إلى قسمين : أحدهما فى بحر هائج على ممر الصين والصين الكبرى. وتقع جزيرة سيلان على ممر وطولها أربعمائة فرسخ وعرضها أربعمائة أو خمسمائة فرسخ، وتوازى خط الاستواء، ويقع جبل سرانديب على سطح جبل جوزى، ويسمى باللغة الهندية سمقادينب يعنى مأوى روضة الأسد، لأن هيئة هذه الولاية تشبه الأسد النائم، ويظهر فيها الياقوت والعقيق، ويكثر فى غاباتها وحيد القرن، والفيل ويشيرون كذلك إلى وجود طائر الرخ، وأهل تلك النواحى كلهم من الوثنيين، وما وراء هذه الجزيرة لاهورى، وما وراء تلك البلاد سومطرة، وما ورائها بندنياس من توابع

جاوة، ويخرج من جبال جاوة عود جيد، وتقابل جزيرة لاموري جزيرة لاكوارم، ويستخرجون منها معظم العنبر الأشهب والرجال والنساء فيها عرايا، وتضع النساء على عوراتهن ورق النرجيل، وكلها آيل قا آن، وإذا عبروا من هناك فيوجد طريق برخشك، وولاية اسمها آن جبنة، وكلهم عشرة القا آن، والناس بها حمر وبيض، وبعد ذلك ولاية خثيم، وما وراء ذلك الصين الكبرى، وما بعد ذلك ميناء زيتون الذي يقع على ساحل ديار الصين، وهناك ديوان القا آن المعروف بشنك.

وبالمرور من هناك يمتد الطريق إلى مدينة هنساي، ومن صفات العظمة يوجد في وسط المدينة بحيرة محيطها ستة فراسخ، والباقي على هذا القياس، ويوجد خان باليق بعد ذلك بأربعين مرحلة، وهي عاصمة القا آن على وجه الأرض.

أما الطريق الآخر الذي يتجه من المعبر إلى ولاية الخطا إلى مدينة كويخووسونجو يتجهون به من قابل فتن إلى ملي فتن، ومن هناك إلى مدينة كرداريا، ومنها إلى مدينة حواريون، ومنها إلى دهلي، ومنها إلى مملكة البنغال، وقد كانت في القديم من أعمال دهلي، وما وراء تلك المملكة رطبان، وما وراؤها مملكة الأرمن، وما وراء ذلك زردنان، وهم أتباع القا آن حتى حدود البحر، وعندما يعبرون من هناك يصلون إلى ولاية راجان، وهم آكلون للجيف، ويأكلون لحوم البشر كذلك، وهم من أتباع القا آن، ومن هناك إلى حدود التبت، الذين يأكلون اللحوم النيئة أيضًا، ويعبدون الأصنام، ولا يغيرون على نسائهم، ومن عفونة الجو هناك إذا أكلوا الطعام بعد نصف اليوم يخشى عليهم من الهلاك، ويكون دفع العفونة والألم عنهم بحيض النساء، ويغلون القرفة على الدوام ويشربون قشر الشعير، وولاية أخرى كبيرة يقولون عنها قندهار، وصاروا تابعين للقا آن في عهد قوبيلاي، وأحد حدودها ولاية التبت، والآخر ولاية الخطا، وأحد الحدود أيضًا ولاية الهند، وقال حكماء الهند: ينسب أهل الممالك الثلاث إلى ثلاثة أشياء : ملك الهند بالجيش العظيم، ومملكة قندهار بكثرة الفيلة، ومملكة الترك بكثرة الخيول[١٦].

والله أعلم بالصواب.

الباب الثانى

فى تاريخ ولادة شامكونى(١٥) وأحواله، ووضع دين التناسخ من حيث النسخ، والمسخ، والرسخ، والفسخ

الفصل الأول

فى ذكر أنبياء الهنود

قال كالمشرى بخش كشميرى: إن أنبياء الهنود كانوا كثيرين، لكن أصحاب الشريعة منهم ستة: أولهم : ماهشيور، وثانيهم : وشن، وثالثهم : برهما، ورابعهم : أرمنت، وخامسهم : ناسك، وسادسهم : شامكونى. ولكل منهم دين ومذهب على حدة، وأممهم أصناف : عابدوا الأصنام، وعابدوا النار، ويتعصب بعضهم على بعض، ويزعم المعتقدون فى ماهشيور أنه لم يولد بعد ولن يموت أبداً، وليس له أب وأم، ولكن له امرأة وولد، ويقررون أن له ثلاثة عيون : أحدها : الشمس، والأخرى : القمر، والثالثة : النار. ويكثر أتباعه من الرقص والسماع، وأتباع وشن من أرباب الرياضيات، وأتباع برهما يعبدون النار، والبراهمة هم تلك الطائفة وعقيدتهم فى ماهشيور ووشن وبرهما أن الشمس تشرق فى كل شهر بلون مختلف، وتظهر فى العام اثنتا عشرة شمس كل واحدة منها بلون، ويزيد فى كل عامين ونصف شهر قمرى، ويسمونه الشمس الثالثة عشرة، وبين هذه الطوائف الثلاث جماعة تعبد الشمس الثالثة عشرة.

ويزعم الأرمينيون، أنه سيكون لهم أربعة وعشرون نبيًا أرمينيًا، وبعد ذلك ينتهى الخلق، وسوف تمضى الدنيا، والآدميون، والحيوانات، والنباتات جميعًا إلى مقر الأخيار، ولن يعودوا مرة أخرى، ويعتقد الناسكيون أنه ليس للجنة والنار وجود، ولن يكون هناك ثواب ولا عقاب على الخير والشر، وسوف تنعدم جميع الخلائق مثل العشب الذى ينمو ثم يذبل. أما أتباع شامكونى، فهم ثلاث طوائف : يسمون أولها : الأسد، وهم ينحدرون من طبقة نازلة ، ويقولون: أن شامكونى شق طريقًا صعبًا، فكيف نبلغ بمجهودنا مقصدنا؟، وكيف نستطيع أن نرشد ونهدى إنسانًا؟، فلنجتهد ولنخلص أنفسنا، والثانية : سريتكند، ويزعمون أنهم يخلصون أهل الدنيا من البلايا، والثالثة : سمبك، ولهم المرتبة العليا، وهم يهدون ويرشدون الناس، ويكملون النفوس الناقصة، وهم يقفون ويطلعون على حكم وأسرار رموز شامكونى، ولشامكونى كتاب يسمى إبدرم؛ أى الأول، وهو آخر جميع الكتب، وحكى كمالشرى بخشى عن شامكونى أن جميع الأنبياء واحد فى المعنى ويعودون كل مدة، ويجددون دينهم، وقال جميع الأنبياء كلمة واحدة، وهى معانى كتاب إبدرم.

الفصل الثانى

فى مولد شامكونى

كان فى الزمن الماضى فى أرض الهند ملك يسمى شدودن؛ ومعناها الرجل الطاهر الطوية فى مدينة كيلواس، وله زوجة تسمى ماهايا، وكانت من العظمة بحيث لايعرفون أين توجد، ورأت هذه المرأة فى المنام ذات ليلة، أنها كانت تأكل الشمس والقمر، وكانت تشرب البحر فى لحظة، وجعلت من جبل قاف وسادة ونامت، ولما استيقظت قصت رؤياها على شدودن، فسأل المعبرين، فقالوا: سيكون لها ولد ثابت له ملك الدنيا، وستسجد له.

وبعد ذلك ولما جاء وقت الولادة مضت ماهايا ؛ لتتنزه فى الحديقة، وكانت تلعب بغصن بيدها اليمنى، وولدت الولد فى تلك الحال خارج مدينة مهابد، وهى منشأ ومولد شامكونى وسط بلاد الهند، وفى نفس الساعة تقدمت على الأرض سبع خطوات وظهرت فى كل خطوة وردة، وظهر كنز مخفى، ونظرت من الجهات الأربع، وقالت: إن ولادتى هذه آخر ولادة، ولن ألد مرة أخرى، فليس لى دنيا من بعد، لقد أصبحت روحًا طاهرة أمضى، وأعود إلى عالمى.

وظهر بعد ذلك أربعة من الملائكة الذين يدعون الألوهية، وهم: ماهشيور، ووشن، وبرهما على سبيل المرضعة والقابلة، وأخذوا هذا الطفل وغسلوه بماء المطر الدافئ الذى كان ينزل من السماء فى هذا الوقت، وجاء صوت آلات الطبل وغيره من أعلى إلى أسماع الناس، ونزل الطين من السماء، ثم أحضر هؤلاء الملائكة محفة، وأجلسوا الأم

والابن فيها، وحملوهما إلى الأب. فأمر الملك بإحضار المنجمين ؛ ليستخرجوا طالع المولود، وحملوه إلى المعبد ؛ ليسجدوا لصورة هؤلاء الملائكة الأربعة، فسجدوا لهذه الصور، فاندهش الناس، وقالوا: أتسجد آلهتنا له؟، وسموه سروارت سد؛ يعنى تمام نفس العمل، ولما بلغ الرابعة من عمره، أمر أبوه بأن يعلموه العلوم والفنون، وأظهر له البراهمة عدة خطوط، فقرأها جميعًا، وكتب خطًا فعجزوا جميعًا عن قراءته، فأطاعوه وانقادوا له.

ولما بلغ شامكونى الحلم، زهد قلبه عن الدنيا، وحبسه والده فى قلعة، بقى فيها عدة أعوام، وأخبر الملائكة الأربعة الذين كان لهم الحكم على جبل قاف سروارت الذى كان يتريض عدة أعوام فى الحصن، ولما بلغ التاسعة والعشرين من عمره، قالوا : آن الأوان لإخراجه من القلعة، فقدم الملائكة الأربعة، ومضوا إلى هذه القلعة وحملوا معهم فرسًا، وأخرجوه من الحبس، فامتطى صهوة هذا الفرس، وأمسك السيف بيده ومضى، فوصل إلى شاطئ نهر كنك مع رئيس الاصطبل، فرأى كثيرًا من الشيوخ يتريضون فى زى المتصوفة، فقص شعره، وطرح السيف فى الماء، وقدم شعرات من شعره لرئيس الاصطبل، وأرسلها إلى أبيه وأمه، وحمل الملائكة الأربعة بقية شعره إلى السماء الثامنة، فعارضه هؤلاء الشيوخ، ومن فرط غيرته جلس على حجر، وجعل طعامه فى كل يوم حبة ترمس، وبعد ستة أعوام قدم عليه الملك المسمى إندر الذى له ألف عين، وقال: حان الوقت لتخرج من هذا المكان، وفى الحال جاء نداء من السماء بتسميته شامكونى، وهذا ما يسميه أهل المذاهب الأخرى آدم، وأثر قدمه على حجر فى جبل سرانديب حيث يوجد معدن الياقوت الأحمر، وأسنانه هناك، والذى يسمونه شاريل هو شامكونى، وقدم هؤلاء الملوك الأربعة الذين نزلوا من جبل قاف، وأحضروا أربعة أوعية لإفطار شامكونى، ووضعوا كل إناء لآخر، وهى الآن عند مجاورى جبل سرانديب.

الفصل الثالث

فى حالاته ومقالاته

عاش شامكونى ثمانين عامًا، وقال: جئت الدنيا أربعة وثمانين ألف مرة فى صور مختلفة، وأشكال متنوعة، وكنت أموت فى كل مرة، وذات مرة كنت تاجرًا، فاجتزت البحر، فاتجه تمساح إلى السفينة، فذكرت بلسانى كلمة نموبداء، أى أسجد لله، فلما وصل صوت هذا الدعاء للتمساح، تذكر أنه كان ذات يوم فى صورة إنسان، وبعد أن ذكر هذا التسبيح لم يهاجم التمساح السفينة، وتخلص من الذنب، ولما مات بقيت عظامه فى الصحراء مكافأة له على ذلك، واتصلت روحه بجسد ابنه الدرويش، وكان من شأن ابنه هذا أنه كان لا يشبع من أى طعام، وهيأ له شامكونى شرابًا، ولما شرب شبع، فسأله قائلاً: أتريد شيئًا آخر؟، قال: لا، لقد زالت عنى شهية الطعام، فقال شامكونى لابنه: تعال لنتنزه، ولما مضيا وصلا لعظام التمساح، فسأله ابنه ما هذه العظام؟، قال: تذكرت بركتك لقد كنت هذا التمساح، وهذه العظام لى، فتمسك بذيل شامكونى، وقال خلصنى من الذهاب والإياب وهذه الصورة. فأوصله شامكونى إلى مرتبة، وخلصه من الدخول والخروج فى الصور المختلفة.

يقول أهل التناسخ : إن أجزاء العالم تتكامل وتتسامى، وإذا لم يتيسر للنفس أن تبلغ الكمال فى مزاجها العنصرى، فإنها تفارق هذه الصورة، وبما أن حالة المفارقة تكون غالبًا على الصنعة الإنسانية، فإنها تتعلق بحال مزاج إنسان آخر، ويتعرض لاستكماله مرة أخرى، وما ضاع عليه فى صورته الأولى من الكمالات، فإنه يحققها فى صورته الثانية إلى أن يرتقى لدرجة الملائكة، وحينئذ تتحقق له جميع كمالاته، ويسمون

هذه العودة فى صورة إنسان آخر بالنسخ، وإذا كانت حالة المفارقة الخلقية تغلب عليها الصفة الحيوانية، فإنها تتقمص حيوانًا له هذه الصفات والخصائص، ثم تتدرج فى درجات المراتب حتى تصل لدرجة الإنسان، وترتقى لدرجه الملك، وتتصل بكمالها الحقيقى، وينبغى مرور وقت طويل لهذه النفس حتى تصل إلى هذا الانتقال، ويسمون انتقال روح الإنسان إلى الحيوان بالمسخ، وإذا كانت حالة المفارقة تغلب على نفس الخلق، أو صفة النباتات، فإن النفس تتخذ صورة النبات ويسمون هذا فسخًا، وإذا ما تقمصت صورة الجماد فإنهم يسمون هذا رسخًا.

ويقررون أن الوجود قائم، وسوف يبقى على الدوام، ويسمون هذا الوكشور، وباللغة الصينية كويشى، وعمله أنه يخلص الأرواح من الصور الحيوانية، ويوصلها إلى مرتبة الإنسانية، وقال شامكونى: إن مراتب الذهاب والإياب والتردد فى الصور المختلفة ستة: المقام الأول : جهنم، الثانى : الشيطان، الثالث : الحيوان، الرابع : الإنسان، الخامس : بين الإنسان والملاك، السادس : الملائكى، وسبعة وعشرون جنة وثمانى نيران، والعمل السئ عند شامكونى عشرة، ثلاثة من النفس : وهى القتل والمال والغواية فى الفساد، وأربعة من اللسان : وهى الكذب والغيبة والسب الشديد والهراء (اللغو)، وثلاثة من القلب : وهى الحسد والحقد وعدم معرفة العاقبة، وقال: إن كل من يأخذ أطعمة الناس بلا إذن وبقسوة ووقاحة، ويتنازع مع الناس، ولا يعطى الناس شيئًا من ماله يصبح فى التناسخ شيطانًا ويسمى قبتوتن، وطعامه من الدود الذى يأكل الشجر، والآخرون الذين يجمعون المال ولا يأكلون ولا يعطون، ويقولون : إن هذا من أجل الأبناء يصبحون شياطين، وطعامهم عندما يقدمون الطعام للموتى فإنهم لا يأكلون الطعام الذى يتساقط منه، ومن يحب زوجته، فإنه لا يستطيع أن يفارقها بأية حال، وحينما يموت يصبح حيوانًا مثل القراد والدود، ويندس فى عنق الحيوانات، وكل من كان قهارًا جبارًا شريرًا مثيرًا للفتن، فإنه يصبح ثعبانًا أوعقربًا أوحيوانًا سامًا .

يقول شامكوني: تقصر الأعمار لهذه الأسباب، فإن الناس فى الصورة الأخرى يقتلون ويؤذون الحيوانات، وإذا لم يكن الإنسان أضر أى حيوان، فإن عمره يطول، وإذا أعطى الإنسان غيره نوراً ومصباحًا، فإن عينه وقلبه ينيران. وعلى ذلك فكل راحة وكل مساعدة تبلغ الإنسان فى الصورة الأولى، فإنه يجد الراحة والمتعة فى الصورة الثانية، وعلى ذلك فكل شئ تعمله مع غيرك، فإنه فى الحقيقة تصنعه مع نفسك إن خيراً أوشراً.

ومما يروى أن شامكوني جاءه ملك فى معبد زيت ون وسأله، أى سيف أشد بطشاً وهوعار، وأى سم أقتل من أكله، وأى نار أشد إحراقًا للروح من النيران، وأى ظلام أشد من جميع الظلمات لك؟[١٦]، قال: السيف المسلول هوالكلام السئ الشديد، والسم هو لقاء الجميل، والنار التى تحرق الروح هى الغضب، والظلام المتراكب الدامس هوالجهل، وسأله: أى زاد يمكن حمله، وأى حاصل نتيجته نفع بلا تعب، وأى درع يمكن فصله عن النفس، وأى سلاح لايفل؟، قال شامكوني: الزاد هوالخير الحسن، والنفع بلا تعب هوالدنيا التى ينالها الإنسان بلا سعى، والدرع هوالتحمل والحلم، والسلاح هوالعقل، وسأله: من الذى ينعم بالراحة فى الدنيا والغنى والخداع والغشاش؟[١٧]، قال: كل من كان قانعاً راضيًا بالكفاف فهومرتاح، ومن يقنع بأى شىء هوالغنى، وصاحب الثوب النظيف، ومن يدعى القناعة بالكذب فهو غشاش.

الفصل الرابع

فى وفاة شامكونى

توجد مدينة على حدود الهند تسمى قوشنقر، أهلها جميعًا من الأبطال الشجعان، لما عرفوا أن شامكونى سيمضى إلى تلك المدينة. كان فى الطريق جبل عظيم، فأرادوا أن يمحوه، فنزل شامكونى بالكرامات عن طريق السماء إلى هذه البلد، وقال: أى حاجة بكم إلى الراحة والتعب؟ ولما وصلت حياته نهايتها، خلقت فى هذه المدينة قبة من البللور الصافى، فمضى شامكونى إليها، ونام مثل الأسد، ورآه الناس من خارج القبة من صفاء جوهر البللور، ولم يكن فيها طريق بالداخل، فرأوا نورًا فجأة مثل عمود مضئ خرج من أعلى القبة، ووصل شخص من بلد بعيد بعد ثلاثة أيام ؛ ليستفيد من كلام شامكونى، ولما سمع خبر قصته بكى بكاءًا شديدًا، وكاد يقتل نفسه، فنظر فجأة وألقى شامكونى نظرة على السماء، ونادى على هذا الشخص من السماء قائلاً: لا تغتم ولا تنتحب، فأنا لم أولد، ولم أمت، ولم آت من مكان، ولم أمضِ إلى مكان لم أكن، ولن أكون من بعد، فسر الرجل من كلام شامكونى، وجمعوا كلامه ونصائحه فى كتاب سموه نشوزدى، ونعوذ بالله من تلك الخرافات(١٧).

الباب الثالث

فى تاريخ ملوك الهند، وهم طائفتان : الهنود والمسلمون، وعددهم ثلاثة وعشرون، ومدة حكمهم ألف ومائتا عام

الطائفة الأولى - الهنود

وعددهم عشرة، ومدة ملكهم تسعمائة عام

يزعم أهل الهند أنه كان فى الزمان الخالى ملك يسمى أوذى، وكل ملوك الأرض من نسله، ولا يمكن أن يكون الملك ملكًا ما لم يكن من نسله، وغمره الله تعالى بعنايته، ووعده أن يجعل جميع ملوك الدنيا من نسله، واحتفظ أهل الهند بشجرة نسبه إلى عهد باسديو، ويقال : إن باسديو هذا سيولد فى صورة آدمى فى مدينة ماهودة من إنسديو أخت كنش الذى كان واليًا لهذه البلاد، وكان هؤلاء من جنس الجت[١٨]، وهم من أصحاب المواشى، ومن طبقة الشودرو، وعرف كنش عن طريق التنجيم والتقويم أن موته سيكون على يد باسديو، ووكل قابلة لأخته أثناء الولادة فى الوقت الذى تضع فيه حملها ؛ لتخفى هذا الطفل، وفى تلك الليلة غلبهم النوم، وغفل الحراس فسرق أبوه باسديو وأخفاه وبدله ببنت لنند، لأن وقت ولادتها كان فى تلك الساعة، واستودعهم إياها عوضًا عن باسديو، فأراد الوالى أن يقتلها، فجعلت لها جناحين وطارت فى الهواء، واستودعوا باسديو عند حسو وهى مرضعته، فعرف كنش هذا الأمر، فأراد أن يكيد لهم ففكر فى مكر عاد إليه ومات. وبعد ذلك أجلسوا باسديو على العرش، وهو مع

أولاد بدو ملك قنوج، ودخل فى حروب كثيرة مع جنشتر، وأوجين، وفى النهاية كان صياد يمر ذات يوم، وكان باسديو نائمًا تحت شجرة واضعًا قدمًا على قدم، وظنه غزالاً فضربه بسهم وقتله. وأصبح أوجين ملكًا بعد ذلك وبعده كنك. وهو آخر ملوك كتورمان. وأصبح بعده سامند الذى كان من البراهمة ملكًا، وبعده كملو وبعده جيبال، وبعده أنده بال، وبعده نسدجيبال، وقتل فى سنة أربعمائة واثنتا عشرة من الهجرة، وحكم بعده ابنه بهيم خمسة أعوام ، وانقرضت الملكية فى الهند به، وانقرضت دولة ملوكهم، ولم يبق أحد من هذه الأسرة المالكة.

الطائفة الثانية - المسلمون

وهم ثلاثة عشر، ومدة ملكهم ثلاثمائة عام

قدم محمود بن القاسم بن ميمنة من نواحي سجستان إلى أرض السند قبل السامنيين، وفتحها فاستولى أولاً على مدينة يهنو وسماها المنصورة، واستولى على مدينة الملتان، وسماها المعمورة، ودخل فى مدن الهند حتى مدينة قنوج، وأرض قندهار وحدود كشمير، وعاد من هذا الطريق، وهدد أهل الهند، ورضى منهم بالصلح، ولم يتجاوز أحد من الغزاة حدود كابل من بعده، إلا فى عهد دولة الترك حين ملكوا غزنة.

وكان نائب هذه الدولة ناصر الدين سبكتكين، الذى وجه غزوات كثيرة إلى حدود الهند، وبعده ابنه السلطان محمود الذى اجتهد كثيراً ، وترك أثرًا عظيمًا خلال ثلاثين عامًا وبضع سنوات، واشتهر بفتح بلاد الهند، وفتحت دهلى بعد موته بعدة سنوات على يد السلطان شهاب الدين محمد بن سام بن حسين الغورى، ولم تكن قد دخلت فى حوزة المسلمين فى عهد السلطان محمود، وكان مالكًا لبلاد وجبال الغور، وكان سورى جدهم الأعلى، وأعظم ملوكهم الذى قتل على يد الجند فى عهد السلطان محمود، وأبناء سورى الذين كانوا أجداد السلطان شهاب الدين وغياث الدين، انقادوا لأمر السلطان محمود هم وأولادهم بعد دخولهم فى الدين الحنيف، حتى وصل أمر دولة السلاجقة إلى السلطان سنجر. وعاد حسين الغورى أخو سام عند بهرام شاه، وتوجه إلى السلطان سنجر. وطلب جيشًا، وأخذه وحارب السلطان بهرام شاه وهزمه وانهزم بهرام شاه، وتوجه إلى الهند، فترك حسين أخاه سام ؛ للمحافظة على غزنين، وعاد مع الغورى، وجاء بهرام شاه وشنق سام ؛ فعاد حسين، فهرب بهرام شاه، فأعمل حسين القتل والنهب فى غزنين، وقتل سبعين ألف آدمى، فقصده السلطان سنجر، وتم أسر حسين، فأمر السلطان بأن يقتل، ولكن تشفع له الإمام أحمد الغزالى، فأطلقوا سراحه.

وتسول حسين فى سوق الجيش عامين، واجتاز ذات يوم دكان طباخ أمير جيش خراسان عماد الدولة قيماج، فرأى حسينًا يوقد قدر الطهو، فأدركت قماج الرقة عليه فعرض الأمر على السلطان، فكتب السلطان أمرًا بإحضار حسين، فقبل حسين الأرض، فقال السلطان: ظننت أنك لم تبق لك أمتعة وأموال، ولم تبق لك القدرة على الاحتفاظ بكرامتك!، فأجاب حسين: فى الوقت الذى كان فيه رأسى مرفوعًا كان فى خدمتى مائتا ألف رأس. واليوم بما أن هذا الرأس لك فأنت تذله، فعفا السلطان عنه، وأرسله مع جماعة إلى ولاية الغور، وقدم الولاء حتى آخر العمر.

ولما انتهت أسرة السلطان محمود، أصبحت ولاية السلاجقة على شفا الانهيار، وأبناء سام الذين كانوا أبناء أخى حسين استولوا على هرات التى كانت فى حوزة أولاد السلطان محمود، وهم : شهاب الدين محمد الملقب بالسلطان معز الدين، والسلطان غياث الدين. وسيطر شهاب الدين على دهلى، وسمع خبر وفاة أخيه فجأة وتوفى بعده، وأصبح غلامه قطب الدين أيبك سلطانًا، وشايع ابن شهاب الدين محمد الذى يسمى محمودًا، وكان والى غزنين، وقالوا هذا البيت فى شأنه:

سلطان المشرقين وملك المغربين　　　محمود بن محمد بن سام بن حسين

والشعراء الذين كانوا فى عصره، هم : أبوالقاسم الرفيهى، وأبوبكر الجوهرى، ونظامى العروضى، وعلى الصوفى، ونظامى منيرى السمرقندى، ونظامى أثيرى النيسابورى[١٩].

وتوفى أيبك لنك بعد ذلك، فخلفه غلامه آيل تتميش فى مدينة دهلى، وتلقب بالسلطان شمس الدين حتى زمان كيوك خان سلطان الهند، وبقى بعده ولدان وبنت: جلال الدين، وناصر الدين، ورضيّة، فكفر نعمته مماليكه، وعبيده ألغ خان، وقتلغ خان، وسنكر خان، وأيبك خطابى، ويوزبيك[٢٠]، وميرداد شمس الدين العجمى، وثاروا على جلال الدين. فهرب جلال الدين وتوجه إلى حضرة منكوخان فى شهور سنة ستمائة وإحدى وخمسين، فخاف قتلغ خان وسنكر خان، وتعقبا جلال الدين ومضيا خلفه،

فأجلس ألغ خان رضية على العرش، ووجد جلال الدين الرعاية عند منكوخان، وأمر منكوخان بأن يقدموا المدد إلى جلال الدين على طول السنين، فعاد جلال الدين واستولى على حدود لها ورؤكرخه وسودر التى كانت فى حوزة المغول، ورضى الجميع بذلك إلا هو.

وبعد مدة نحى ألغ خان رضية عن العرش، ونعم الختن القبر، وجعل ناصر الدين سلطانًا، وكانت ابنته زوجة له، إلا إنه غدر مرة أخرى، وقتله.

يظلم الفلك فى كل يـــــوم وتجعل الحرفى كل يوم رهين الحـــزن

إن حسناء الملك عروسة جميلة ولكنها فى كل يوم فى حضن عريس(صهر)

وأصبح ألغ خان سلطانًا، وتلقب بغياث الدين، وتوفى بعد مدة، فخلفه ولده، وأثناء تلك الحال نفذ أمر من حضرة هولاكو خان بإحضار الملك ناصر الدين بن وفا الملك الذى كان حاكم السند، ولما وصل أفهمه الملك شمس الدين كرت، والسيد زاده برغندى، وقتلاه مع عدة من حاشية الملك، وفى تلك الحال عزم الملك فيروز الذى كان أميرًا على الخلج من جهة ناصر الدين المضنى إلى دهلى، ولازم ابن السلطان غياث الدين، وتقرب إليه بالخدمات الحسنة، فعينه واليًا على الملتان، وهى على الحدود حتى لا يسمح بدخول جيش المغول والغرباء، فواظب على هذا العمل، وجريًا على عادة الحساد، اتهموه واستدعوه من دهلى، فمضى الملك فيروز وكان خائفًا من السلطان، فغضب وزير السلطان، ومضى ليكره على الحضور، فاتصل به فى الطريق، فقضى عليه الملك فيروز فى الحال، وساقه بسرعة إلى قصر السلطان وقتله، وكان له ولد قاصر، أطلقوا عليه اسم السلطان عدة أيام، وجعل الجيش يدين له بالطاعة، وأرسل الابن فى عقب أبيه ليحمل الخبر.

من رســوم الوصل فى مـحل الأمل لم تبق آثار فى طرفـــة عـــين

وأصبح الملك فيروز سلطانًا، وزوج بنته لابن أخيه علاء الدين، وفوض إليه حكم غوص وبدرون، ولما استقل مدة حشد جيشًا عظيمًا، وحكوا عنده أن لملك الهند خزائن

كثيرة مملوءة بالجواهر الثمينة واللآلئ الفاخرة، فطمع علاء الدين فيها، وأرسل إليه الجواسيس، حتى ذلك الوقت الذى شغل فيه جيش ملك الهند بصد عدو فى جانب آخر، فأعلنوا أن علاء الدين فتح تلك البلاد، فزوجه الملك ابنته وسلمه جميع الخزائن، فملك علاء الدين كل المواشى، وحمل كل ما وجده من هذه النعم التى لا تحصى وعاد، ولما بلغ الخبر الملك فيروز، أرسل إليه أمرًا بحضوره، إلا إنه كان يتباطئ، فتوهم الملك فيروز أنه أعلن العصيان، فمضى بجيش عظيم، ولاقاه على شاطئ نهر جون، ولما كان النهر حائلاً بين الجيشين، تغاضى الملك فيروز عن حقوق الأبوة والبنوة، واتخذ طريق الحزم والاحتياط، فعبر النهر من خمسة رجال، فقبل علاء الدين الأرض أمام عمه جريًا على العادة واستسمحه العذر.

ولما جلسا لحظة وأخذا بأطراف الحديث بينهما، انتهز علاء الدين الفرصة وأشار لأحد خواصه بقتله وهو يتكلم، وفى الحال أرسل علاء الدين إلى قادة الجيش ذهبًا كثيراً، واستمال قلوبهم، فقدموا أعناقهم لخدمته، ومضى من هناك إلى دهلى دار الملك، فتمرد عليه رؤساء القلعة، وأبوا أن يطيعوه، ولم يفتحوا أبوابها، فأمر بنصب المنجنيقات، ورمى القلعة بأكياس الذهب والفضة بدلاً من الأحجار، فاضطر سكان القلعة إلى قبول أكياس الذهب والفضة، وفتحوا القلعة الحصينة، وقبضوا على ولدى الملك فيروز فى الملتان، وحملوها إلى دهلى وسلموها، وجلس السلطان علاء الدين على العرش فارغ البال، وكان موجوداً لهذا الزمان، وهو شهور سنة سبعمائة وسبع عشرة من الهجرة. والله أعلم.

هوامش القسم السابع

(١) هو فى الأصل واسديو، وهو اسم من أسماء الإله كرشنا (أحد الثالوث الهندوكى).

(٢) كلب: هو يوم رب الهنادكة ويساوى أربعة ملايين وثلاثمائة وعشرين ألف من السنوات البشرية.

(٣) أبوالريحان البيرونى من أكبر علماء الرياضيات، ولد فى سنة ٣٦٢ هـ. فى بيرون التابعة لمنطقة خوارزم، رحل إلى بلاط شمس المعالى قابوس بن وشمكير، ألف كتابًا فيه سماه الآثار الباقية، فى سنة ٣٩١ هـ، وافق السلطان محمود الغزنوى فى سفره إلى بلاد الهند، وتعلم اللغة السنسكريتية، كما كان على دراية بعلم الفلك والنجوم والتاريخ والجغرافيا والفيزياء وعلم الأدوية، أشهر مؤلفاته : (تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة فى العقل أو مرذولة).

زهراى خانلرى: فرهنك أدبيات فارسى، ص ٩٩، ١٠٠

(٤) لفظ يطلق على كل لاهوتى فى الديانة الهندوكية، إلا إن المقصود هنا هوالعالم الرياضى الهندى الذى اكتشف رقم الصفر، وكان هذا فى القرن السادس قبل الميلاد.

(٥) ما ذكره البناكتى أخذًا عن أبى الريحان البيرونى، يدل دلالة على أنه محب لعلم الرياضيات، فقد عهدنا عليه من قبل دقته المتناهية فى تعيين أوقات الأحداث والأعمار، وكل ما يجرى هذا المجرى بالأيام والأعوام، ولكن حشده لهذه الجمهرة من الأرقام للعصور والأيام وغير ذلك، يصعب على القارىء متابعته، بل وقد يدركه الملل من هذا التفصيل المفرط.

(٦) نقل مصحح الكتاب خريطة الأقاليم السبعة من كتاب أبى الريحان البيرونى(التفهيم)، لأنها كانت عبارة عن بياض فى النسخ التى اعتمد عليها المصحح فى طبع الكتاب .

(٧) هى جزيرة سيلان التى تعرف الآن بدولة سيرلانكا.

(٨) باتانجل: هوأحد علماء الهنود، وعاش تقريبًا فى ٢٠٠ ق.م.

(٩) هكذا فى الأصل.

(١٠) هكذا فى الأصل.

(١١) قنوج بكسر القاف وفتح النون مدينة فى أقصى الهند، تقع شرق المولتان بحوالى ٢٨٣ فرسخًا، وكانت فى القديم من أكبر مدن الهند. انظر تاريخ البناكتى. ص ٣١٩ ، حاشية ٤ .

(١٢) هكذا فى الأصل.

(١٣) هكذا فى الأصل.

(١٤) التنبول أوالتملول شجرة ذات أوراق معطرة، تنبت فى الهند والصين ومدغشقر وشرق أفريقيا.

(١٥) يبدو على البناكتى أنه يعرف لغات غير لغته، فهو يذكر أسماء هندية وغيرها، ويفسرها مبالغة منه فى التفسير والإيضاح، وأن يفهم قارئه ما يقول.

(١٦) يلحظ على البناكتى أنه ينقل روايات عن مؤرخين هنود، ولا يعرف بهم، وهذا يدل على أنه أخذ عن كتب كتبت عنهم، أو أنه قرأ هذه الكتب فى لغة الهند، فالاحتمالان قائمان.

(١٧) يقال : إن شامكونى هو أول مخلوق ينزل على وجه الأرض، وهو ما نعتقد أنه سيدنا آدم بدليل أن أثر قدم أدم (عليه السلام) موجود فى جزيرة سيلان بدولة سيرلانكا الحالية.

(١٨) هكذا فى الأصل .

(١٩) هكذا فى الأصل .

(٢٠) يميل البناكتى إلى التقصى الدقيق فى عرض المعلومات التاريخية، وأنه يتعرض لشرح عقيدة تناسخ الأرواح عن الهنود، ويعد تاريخه لها مصدراً يرجع إليه، إنه يحرص على جمع كل التفاصيل ويضرب الأمثلة على ذلك، وبذلك يضيف إلى كتابه بعداً جديداً .

(٢١) جات: طبقة المزارعين فى الهند، وهم من استعان بهم العرب أمام هارون الرشيد، وعرفوا فى المصادر العربية بالجات والزط.

(٢٢) يعرج البناكتى على تاريخ الأدب، وذلك لذكره جماعة من الشعراء عاصروا سلطاناً وحاكماً، وبذلك يربط التاريخ السياسى بالتاريخ الأدبى.

(٢٣) هكذا فى الأصل .

القسم الثامن

فى تاريخ الخطا من عهد نيكو ملكهم الأول، إلى آخر ملوكهم شودى شو وسونام الذى يسمونه التان خان، وحاربه جنكيز خان وأولاده، وهم ست وثلاثون طبقة، وعددهم ثلاثمائة وخمسة، ومدة ملكهم كما يزعم أهل الصين أربعون ألفًا وألفان وثمانمائة وخمسة وسبعون عامًا. وينقسم هذا القسم إلى بابين.

الباب الأول

فى ذكر بلاد الصين وحساب عصورهم وأدوارهم ومعتقداتهم.

وينقسم هذا الباب إلى مقدمة وفصلين.

مقدمة الكتاب : لما كان أهل الصين عبدة أصنام، وأرباب أديان، وملل مختلفة وكفاراً، فإن أساس دعواهم تقوم على قدم هذا العالم. وسبب ذلك أن التواريخ التى بدأوها، وقاسوا بمقتضاها ظهور الخلق كثيرة جداً، ولم تكن كتبهم التاريخية عندنا، بسبب بعد بلادهم عنا. ولم يصل حكماؤهم وعلماؤهم إلى بلادنا، كما أن ملوكهم لم يكونوا ميالين لبحث وفحص هذه التواريخ، وقدم جماعة من حكمائهم ومنجميهم فى عهد هولاكو معه، منهم حكيم يعرف بسينك؛ سينك أى العارف. وعرف خوجه نصير الدين الطوسى بأمر هولاكوخان من هذا الحكيم قواعد النجوم والزيج الأيلخانى وتاريخهم، وفى عهد ملك الإسلام غازان خان صدر الأمر بأن يؤلفوا كتاب التاريخ الغازانى المبارك، فأمر السيد رشيد الدين الوزير بإحضار ليتاحى ونكيسون، وهما من حكماء الصين اللذين كانا لهما علم بالطب والنجوم والتواريخ، وأحضرا معهما بعضاً من كتب الصين. وقررا أنه على الرغم من أن تاريخ أهل الخطا وعدد أعوامهم وعصورهم غير متناه، لكن هناك تاريخاً يتضمن أسماء ملوكهم مشروحة، ومفصلة وقد بنوا هذا التاريخ على الحكايات، وكانت له شهرة واسعة فى هذا الوقت بين أهل الصين، واعتمدوا عليه، وهو كتاب ألفه ثلاثة من كبار الحكماء، أولهم : يسمى فوهين خوشانك، فوهين اسم، وخوشانك صفة بمعنى الهبة، وكان من مدينة تاى غانجو، والثانى : يسمى فيخوخوشانك من مدينة نين جرو، والثالث : يسمى شيخون خوشانك من مدينة لادكين.

واختاروا هذا التاريخ من الكتب القديمة، وصححه جميع العلماء والحكماء، وقايسوا بين ما فيه وبين الواقع، وشهدوا على أنه مقابل للكتب القديمة، وليس فيه من شبهة، وصححه بعد ذلك حكيم مرة أخرى، وبناء على عادتهم فقد نسخوا من هذا الكتاب نسخًا ومازالوا، وبذلك لا يمكن أن يكون فيه تغيير ولا تبديل ولا زيادة ولا نقصان، كما تكون أحسن الكتب، وهى كتب صحيحة وخطها جيد، ولا مجال لتبديل ولا تغيير، وقد رعوا هذه الاعتبارات الثلاثة، إذا أرادوا تأليف كتاب استدعوا خطاطًا حسن الخط؛ ليكتب كل صفحة من هذا الكتاب بخط نظيف على لوح، ويتولى العلماء مراجعة ما كتبه، وتصحيحه بعناية، ويثبتون خطه الحسن على ظهر الألواح، ويكلفون فى ذلك الوقت خبراء لهم البراعة لينقدوها، وبهذه الطريقة إذا تمت نسخة للكتاب، فإنهم يضعون على كل نسخة رقمها على التوالى، ويقدمون هذه الألواح مثل السكة فى دار الضرب، ويضعونها فى أكياس مختومة، ويسلموها إلى أيدٍ أمينة، ويسجلونها فى دكاكين خاصة، ويضع العمال عليها علامة خاصة، فإذا أراد أحد منها نسخة، مضى إلى هؤلاء العمال، ويقدم رسومًا رسمية خاصة، فيخرج هؤلاء العمال هذه الألواح من الأكياس، ويضعونها على أوراق تشبه السكة الذهبية ويسلمونها إليه، وبهذه الطريقة لا يمكن أن يكون فى كتبهم زيادة ولا نقصان، ولهذا السبب يعتمد على كتابهم المذكور، ويستمد منه التاريخ.

الفصل الأول

فى تاريخ الخطا

يتكون تاريخهم من ثلاثة عصور، ولكل عصر اسم معين، العصر الأول : شانك ون، العصر الثانى : جونك ون، العصر الثالث : خا ون، ويجعلون أكبر عصر عشرة آلاف عام، ويسمون هذه المدن ون، ويضعون كل يوم معظم على الأنواء الثلاثة، وكل عصر يتكون من ستين عامًا، ولكل عام اسم. فإذا طالت المدة، فإن ضبط الحساب يكون أسهل، ومن المبدأ الذى تصوروه فهو معروف عندهم إلى شهور سنة سبعمائة وسبع عشرة من الهجرة، فهى تطابق عام الصعبان سنة أربعٍ وخمسين من عصر شانك ون، ومضى من عصره ثمانية آلاف وثمانمائة وثلاث وستون عامًا وستمائة وتسعة وثلاثون ألفًا وسبعمائة وخمسة وثمانون عامًا، ومجموع هذا ثمانمائة وثمانون ألف ألف وستمائة وتسعة وثلاثون ألف وسبعمائة وخمسة وثمانون عامًا، ومن هذا المبدأ المذكور إلى العام الذى قتل فيه جنكيز خان أرنك خان، وبداية ظهور ملكه كان عام طونقوزييل الذى يوافق شهور سنة خمسمائة وتسعٍ وتسعين من الهجرة، وكان مدة ذلك ثمانمائة وثمانين ألف ألف وستمائة وتسعة وثلاثين ألف وستمائة وسبعة وستين عامًا.

الفصل الثانى

فى ذكر ولايات الخطا

ممالك هذه الأقوام المذكورين عدة قطع وولايات عظيمة، وتختلف أسماء هذه الولايات باختلاف أقوامها، وذلك لكثرة ما لديهم من ولايات عظيمة، كانت فى أغلب الأوقات عواصم للملوك. ويسمون الولاية فى لغتهم خان زجوخون قوى، ويسميها المغول جاوقوت، والهنود جين، ومشهورة عندهم بالخطا.

وهناك بلاد أخرى شرق البلاد المذكورة، وتقع فى ناحية الجنوب، ويسمونها نيوى، والمغول نيكناس، والهنود مهاجين؛ أى الصين الكبرى، وجعلوا ولاية الصين تعادل عشر الماجين. وروى خواجه رشيد الدين الوزير عن بولاد جنكسانك، أن حساب ولاية الماجين جاءت فى دفتر الحساب بتسعمائة تومان، وفيها مدينة كبيرة يسمونها خنساى، وقطرها من السور إلى الآخر عشرة فراسخ، وجعلوا لهذه المدينة ثلاثة سطوح، وتتكون جميع منازلها من ثلاثة طوابق، ويوجد فى هذا المكان ثلاثة مساجد كبيرة تمتلئ بالمصلين من المسلمين فى يوم الجمعة، وقلما يعرف أهل المدينة بعضهم البعض من كثرة الزحام، وفى وسط المدينة بحيرة محيطها ستة فراسخ، والباقى عظيم على هذا النحو.

وتوجد ولاية أخرى فى جنوب غرب الصين يسمونها راى ليو، والمغول قراجانك، والهنود كندهر، ومشهورة عندنا بقندهار، وتقع هذه الولاية فى وسط الهند والتبت، ونصف سكانها سود والنصف الآخر بيض، ويسمى المغول النصف الأبيض جغان

حايل، ويسكن فى شمال الصين قوم بدو يسكنون الصحراء، ويسمونهم جيدن، والمغول قراختاى، وتتصل بلادهم بصحارى المغول، وثار من هؤلاء القوم شخص، واستولى على ملك الصين، وأصبح ملكًا، وحكمت ذريته من بعده أجيالاً طويلة، ويسميهم المغول والأقوام الأخرى جروجيا، وثار منهم شخص اسمه آن يان أوكوداى، ولقبه واى كيم، واستولى على بلاد الصين من ملك القراخطائيين، ويسميه المغول آقوره، وكان التان خان فى عهد جنكيز خان. سقط فى عهد أوكتاى قا آن كان من نسل واى كيم هذا، وبين بلاد الصين وقراجانك ولايات كثيرة، ولكل منها ملك، منها ولاية من عادة أهلها أنهم يشدون أسنانهم بالذهب، ويخلعونه أثناء الطعام، ومجموع هذه البلاد فى هذا الوقت إيل قا آن. والله أعلم بالصواب.

الباب الثانى

فى ذكر ملوكهم ، وهم ست وثلاثون طبقة.

الطبقة الأولى

كان ملكهم الأول نيكو، وجعلوا بداية التاريخ به. ولم يكن فى عهده بلاد ولا مدن، وكان الآدميون يتجولون فى الصحارى كالحيوانات، وكان العلف طعامهم، ويسترون عوراتهم بورق الشجر، ويتنفسون فى الحرِّ تنفسًا شديدًا، وبذلك تبرد أجسامهم، وتهب الرياح، وكانوا يسعلون فى ذلك الوقت ويقيئون، وكان يظهر فى الجو ما يشبه الرعد والبرق، وإذا أرادوا أن يكون الجو حارًا صفقوا، وفى ذلك الوقت لم تكن تعرف النساء الشهوة ولا الجماع، وكانوا يمزجون أنفاس بعضهم البعض؛ فتحمل النساء، وبعد ذلك يولد الأطفال.

وجاء بعد ذلك تن خوانكشى الملك الثانى. اسمه تن ولقبه خوانكشى، وكانت ألقاب ملوكهم فى القديم خوانكشى، ويسمونه فى هذا الزمان شى، وكان حجمه كحجم الثعبان، وله عشرة رؤوس كرأس الإنسان. وكان له ثلاثة عشر أخًا ، وعاش الملك الأول بهذه الكيفية ، وعندما كان يحاسب الواحد الآخر فى عهده كانوا يعقدون عقدة على غصن نبات، أو على غصن شجرة، وكانوا يفهمون من ذلك .

وكان دى خوانكشى ملكهم الرابع، وجسده كذلك كجسد الثعبان، وله عشرة رؤوس كرءوس البشر وله أحد عشر أخًا، وكانت عادتهم جميعًا واحدة. ولأولون كى

وشتى كى، وجه خون كى، ولن كر كى، وسومين كى، وشورن شى، كان لهؤلاء الملوك الستة طريقة واحدة، وظهرت فى عهدهم ثمرة شجرة القرفة، وبدأ الناس يأكلون الفاكهة، وكانوا يتسلقون الأشجار وقت الحر، ويدخلون السراديب وقت البرد، وقد فهموا فى ذلك الزمان أحوال الشمس والقمر، ولم يكن إشعال النار معروفًا، وفى ذلك الوقت كانوا يحكون الخشب بالخشب؛ فكانت تظهر النار. وفى بداية أمرهم كانوا يشربون دم الغزال، وبعد ذلك يسخنون الحجر بالنار. ويضعون على الحجر لحم الغزال، فيشوى ويأكلونه، وكانوا جميعًا يسيرون على هذه العادة، ولم تكن البشرية قد أطلقت عليهم حتى الآن.

الطبقة الثانية

كان نوكى الملك الحادى عشر للخطا، وبدأ ظهور صفات الإنسانية من فهم وذكاء، واخترعوا فى عهده علم الفأل الذى يسميه الخطائيون خوى، وهو مثل الرمل، وألف كتابًا بعد هذا فى هذا العلم، وهوالذى بدأ سنة الزواج والزفاف، ووضع طريقة للخط، واستحدث طريقة المستندات والكتب، وصنع شباك السمك، فاصطادوه وكانوا يأكلونه وصنع جهازًا كان سدى الحرير به خمسًا وعشرين خيطًا، وبدلاً من الحرير الذى لم يكن موجودًا فى ذلك الوقت، فشقوا نوعًا من الغاب قطعًا صغيرة، وعقدوه على ذلك الجهاز، وأطلقوا عليه اسم شقيقته نيواشى التى صارت ملكة بعده.

وتولى الملك بعده كون كونشى، وتاعى تايشى، ورن خويس، وجوى يانك، وأولى شى، وخى خوش، وسون يوشى، وخون دون شى، وجوبانك شى، وكوين شى، وجوس شى، وهم كانشى، وخواش، وبعد ذلك يتم الانتقال إلى الطبقة الثالثة.

الطبقة الثالثة

يعتبر شان ون الملك السابع والعشرين، وكان جسمه كالأفعى، وله رأس آدمى. وظهرت فى عهده وسائل الزراعة كالثور وغيره، ومارسوا الزراعة، وبدأ علاج الأمراض بتجربة الأدوية، وأصبح مشهوراً بين الناس، وأوجد التجارة، والأسواق فى الصحارى، وأظهر آلة أخرى يقال لها : قوبوزكيم. وحكم بعده دى جينك ديلم، ودى مينك، ودى حى، ودى لاى، ودى ياى، ودى در. وننتقل إلى الطبقة الرابعة بعد ذلك.

الطبقة الرابعة

كان لشن وت الملك السابع والثلاثين سبعة عشر ابنًا. كان الولد الثانى شجاعًا فطنًا عاقلاً، وظهر فى عهده الشيطان الذى يسمونه جى، ويتبعه سبعون شيطانًا آقاوايني، وكان جسمه من النحاس، وجبهته من الحديد، ويأكل الحجر والرمل، ويؤذى الناس كثيراً، ولم يكن لأحد قدرة على مقاومته. كما كانت له القدرة على الطيران. وحارب هذا الملك الشيطان سبعة أيام بلياليها، ولم يتغلب عليه، وحزن واغتم من هذا الوضع ونام، ولم يكن فى هذا العهد سهم ولا قوس، فرأى فى المنام أنه كان يمضى إلى عتبة الحق تعالى، وكان لبواب جهنم سهم وقوس، فسأله ما هذا؟، فبين له فوائدهما وعلمه كيف يستخدمهما. فخطر ببال الملك أن هذا السلاح يليق؛ ليتخلص به من الشيطان، ولما استيقظ تذكر صورة هذا. فهيأ أمره ومضى لمحاربة الشيطان وقتله، ولم يكن فى أيامه الحرير ولا نسج الثياب، وكان الناس يكتسون من ورق الأشجار، ورأى فى المنام أهل الجنة يرتدون الثياب الحسن، فسأل عن حالهم وعرف، ولما استيقظ اشتغل بعمل هذا حتى صنع الحرير، وحاك الثياب، وخيطه، وعلمه للناس.

وظهر فى عهده شخص يسمى أرنان، وكان أستاذًا ماهرًا، وبدأ الأعمال العظيمة،

وصنع السفن والعجلة والطبق والآلات الخشبية، وأرسى أساس المدن من الخشب. واخترع النعش من أجل الموتى، وكان الناس قبل ذلك لا يدفنون الموتى، بل كانوا يرمونهم، فأمر هذا الملك بدفنهم. وواحدة من العقوبات التى فرضها، أن كل ميت يموت من نسل الملوك يخرجونه من بيته بعد سبعة أيام، ويضعونه فى مكان فى الصحراء، ويترك هناك سبعة أشهر، وبعد ذلك يوضع فى القبر.

وطول قبرهم ثلاثة أقلاج، وأن يترك الأمر خمسة أيام وخمسة أشهر، وارتفاع قبورهم قلاجان وكسر، ويزرعون عليه شجرة سرو، أما غيرهم من الناس، فيتركون ثلاثة أيام وثلاثة أشهر، وارتفاع قبورهم أربعة أذرع، ويزرع عليهم شجرة صفصاف[1].

وشيد هذا الملك تسع مدن هى : دى يوجيو، وسنيك جيو، ويوجيو، وبين جيو، ولانك جيو، وجوجيو، ويانك جيو، وعمرها جميعًا، واستودعها ابنه، وبعد انقضاء عصره وأبنائه، وهم ثمانية عشر شخصًا انقرضت دولتهم. والله أعلم.

الطبقة الخامسة

كان شوهواركم بن شى الملك الثالث والخمسين، ويقولون : إنه لم يكن له أب، ورأت أمه نورًا وحملت منه، وولدته، ولم يوجد قبله طائر العنقاء، وظهرت فى عصره، وحلق فوق معسكره. وجعل للمدن شوارعًا فى هذا الزمان، وكان ملكًا عاقلاً فطنًا ومهندسًا، وحكم بعده تسعة ملوك من نسله. وانقرضت دولتهم.

الطبقة السادسة

كان جون موكاويانك شى الملك الثالث والستين، وهومن نسل الملك الخامس والثلاثين شن وت. وكان عظيمًا عاقلاً عادلاً. ودعا الحق تبارك وتعالى وعبده كثيرًا. وظهرت فى عهده البضائع الجيدة مثل أووقوجا، وانتهت دولتهم بعده بتسعة أجيال.

الطبقة السابعة

كان دى لوكاوشينك شى الملك السادس والسبعين. واخترعوا فى عهده الكهوكه والطبل والجرس، وكان هناك حكيم كبير يسمى جى سون ثرى، فجعله معلمًا له، وتعلم منه علمًا كثيرا وألف كتبًا، وانقرضت دولته بعد ثمانية أجيال.

الطبقة الثامنة

كان دى بوبار مانك شى الملك الثانى والثمانين، ومن أبناء عمومة الملك الخامس والثلاثين، ويقولون : إنه بقى فى بطن أمه أربعة أعوام، وكان لون شعره وحاجبيه يتكون من ثمانية ألوان، وظهر منه ما يشبه الكرامات، وجاء ملكان فى عهده، أحدهما على صورة ثور، والآخر على صورة كبش، وكانا يجلسان على يمينه ويساره، وكل من جاء من الأمراء والمقربين وكان يضمر نية خبيثة للملك، كان الثور يقبض عليه بأسنانه، وينطحه الكبش وبعد مدة مات الكبش ونبتت شجرة فى الموضع الذى كان فيه، ارتفاعها ثمانية أذرع، ومن خصوصياتها أن ينبت فيها ورق كل خمسة عشر يومًا، ويسقط بعد خمسة عشر يومًا أخرى. وبعد مدة مات الثور أيضًا، فاغتم الملك، وبعد ذلك عرف الناس ما يحدث، فظهرت شجرة فى موضع الثور، طولها ثلاثة أذرع، وعلى أطراف أغصانها شوك لأشواك، فإذا جاء خصم للملك كانت تتعلق فى ذيله، وتتحنى الشجرة الأخرى على الأرض، وبذلك عرف الملك أحوال أعدائه، وجاء من الممالك اثنان وثلاثون رجلاً من أصحاب الكرامات، لازموه وتعلموا العلوم، وألفوا كتبًا كثيرة، وكانت الطيور تنزل على رأسه، ويلعبون اللعب التى تسمى فى اللغة الصينية جام فى تلك البلاد أيضًا. وعدد بيوتهم ثلاثمائة وستة وستون بعدد أيام السنة، وهوالذى وضعها.

وكان له ولدٌ يسمى أونانجوا، وعندما رأى أباه لا يليق بالملك، أمر بأن ينادى منادٍ

قائلاً: يجب أن يجتمع عنده كل العقلاء والحكماء والعلماء فى البلاد، فحضر إليه من أطراف البلاد ألف شاب عاقل فاضل، إلا أنه لم يجد واحداً منهم يلائم طبعه، وأحضر ألف رجل آخر بعد ذلك، فوضع البخور على النار، وناجى الله تعالى متضرعًا لقد غفرت لى، ولم أجد من ألفى رجل، رجلاً ملائمًا لطبيعتى، فاجعل من هؤلاء الألف واحداً لائقًا، وبحث فى هذا الوقت فوجد واحداً منهم كفء فسأله ما اسمك ؟، قال: يوويوشى، وكان ذلك الشخص قبيح المنظر مثل الثعبان، وفى كل عين من عينيه شخصان، وخدم أباه وأمه وأحسن خدمتهما، فاختاره. وجعل الملك له فى حياته.

الطبقة التاسعة

كان دى شن يوريوسى الملك الثالث والثمانين حكم تسعة أعوام فى حياته. واستولى فى عهده أربعة عيارين على البلاد، وكان الناس فى مشقة منهم، فقبض على هؤلاء الأربعة وقتلهم، فوجدت الدنيا الراحة، واخترع النعش الخشبى والفخارى وبنى عشر مدن، فاختار ابن شخص يسمى يسار، وأجلسه على العرش فى حياته، وتوفى بعد ذلك.

الطبقة العاشرة

دام المطر فى عهد سيايروت اثنى عشر عامًا، حتى انتهى الأمر بالطوفان، وجرف الماء معظم العالم. وهلك أكثر الخلق، إلا الذين استطاعوا أن يصنعوا سفنًا، والذين بقوا على قمم الجبال والمرتفعات، ففكر هذا الملك فى نفسه، وقال: لقد حدث هذا فى عصرى وهلك الخلق، وكان كل ذلك بسبب غفلتى وتفكيرى السيئ، فجمع ما بقى من الناس، وأجرى الماء من المنازل حتى تنصب المياه من كل مكان فى البحر، وجفت

أراضى البلاد، وشقوا فى عهده تسعة أنهار كبيرة فى بلاد الصين، وكان فى عهده رجل طول قامته أربعون ذراعًا، وحكم بعده ستة عشر جيلاً.

الطبقة الحادية عشرة

كان شنك تانك الملك الواحد بعد المائة من نسل رى كوكوشنك شى الملك الثالث والسبعين، ولم يسقط المطر فى عهده سبعة أعوام. وجفت الأنهار والعيون، وعجز الناس عن الزراعة. فقال: إن كل هذا الشؤم ذنبى، فأمر بأن يجمعوا حطبًا كثيرًا، ويحرقوه حتى يهدأ غضب الله عليه، وليغفر له ذنبه وذنوب الناس، ولما جمعوا الحطب، وظهر أثر استقامته وحاجته، رحمه الحق تعالى، وهطل المطر سبعة أيام بلياليها، ونجا الناس من ضائقة القحط، والحاجة إلى السعة فى النعمة، وحكم بعده تسعة وعشرون جيلاً.

الطبقة الثانية عشرة

كان جورودانك الملك الحادى والثلاثين بعد المائة، وله أب يسمى جيورن حكيمًا كفئًا، والفأل الذى وضعه من قبل نوكى أول ملك من الطبقة الثانية جعله ثمانية أقسام وفهمه صعب، وقسمه إلى ثمانية فى ثمانية، وجعله فى أربع وستين خانة ، ووضحه وأوصله إلى مرتبة الملك ، إلا أنه لم يشغل نفسه به أخذًا بالحكمة ، وجعل ابنه مكانه وكان أيضًا حكيمًا عادلاً، وهو الذى وضع وعين الفرسخ .

وفى ذلك الوقت فى تلك المدينة الخاصة بخانباليق، ظهر من يسمى جيزكوة، وكان ملكًا واسمه وانك، حكم ستين عامًا، منها ثلاثون عامًا، كان فيها عادلاً، والثلاثون الأخرى كان ظالمًا، وله زوجة تسمى واكى، وكانت له مدة ليلتين، وله غلام شجاع

اسمه أولى. فأمره أن يجمع له من كل المدن كثيراً من الخمر والطراسون[٢]، وشيد قصراً عظيماً وسماه جنك نيكون، أى قصر الليلة الطويلة، وأغلق جميع نوافذه وثقوبه حتى صار مظلماً فأضاء كثيراً من الشمع، وكان يشرب فيه الخمر ليل نهار، وكان يقول: هذا مقدار ليلة واحدة، وقصده جوروودانك هذا بجيش عظيم، ولما سمع خبر وصوله طرح نفسه فى النار خوفاً وهيبة فاحترق، واستولى جوروودانك على تلك البلاد، وبعده صار ابنه جينك دانك ملكاً، وبعده ابنه كنك دانك، وبعده ابنه جى دانك الملك الرابع والثلاثون بعد المائة، وكان ملكاً عظيماً مباركاً، وواحدة من جملة الأحداث التى وقعت فى عصره، أنه على الرغم مما كان فى بلاد الصين وكشمير والهند من مذاهب مختلفة، ولكن لم يكن موجوداً من يدعى النبوة، وله ملة وطريقة. ولكن فى عهد هذا الملك كان أقوام الهند وكشمير والتبت والصين وتنكوت والأيغور، يعدون شمكونى برخان نبياً واتبعوه جميعاً، وفى العام الرابع والعشرين من مدة حكمه وصل خبر دعوته إلى الصين، وكان لشامكونى خان ثمانية وسبعون عاماً، ومدته منذ ولادته إلى هذا الزمان، وهى شهور سنة سبعمائة وسبع عشرة، ألفان وثلاثمائة وتسعة وثلاثون عاماً.

حكاية: يزعم أهل الخطا أن ولادة شامكونى برخان على النحو التالى : كان لأبيه ملك كشمير، وانكل فى ولاية يوكيا تيلاوى المسماه أنك فانك، وكان الملك فى تلك البلاد حاكماً ورئيساً لأربعة وثمانين ألف ملك ومائتين وستين، كما كان رئيساً للمدن والولايات، وله زوجة تسمى نوجين، ويقولون : إنه تزوجها بكراً ولم يتصل بها، وكانت نائمة فى حديقة تسمى لميبنى تحت شجرة تسمى يوكجة، فحملت من النور والهواء، وبعد ذلك انشق جانبها الأيمن، وخرج منه الطفل، فسألها زوجها قائلاً: لم أتصل بكِ وكنت بكراً فممن حملتى ؟، قالت: حينما كنت فى الحديقة هبط علىَّ نور فجأة فغبت عن وعيى، ولم أعلم من أى شئ حملت، وأثناء ولادته هبطت تسع أفاعٍ من الجو وصبت

عليه ماء من أفواهها، وغسلوه فى طست من ذهب، وبعد ذلك جرى الطفل سبع خطوات وارتفع صوته قائلاً: أرسلنى الله لأكون نبيًّا حتى يأتى الأنبياء الآخرون، وكان بارع الحسن فصيحًا عالمًا كاملاً، ولما بلغ التاسعة عشر من عمره ، مضى إلى الجبل ومكث هناك خمسة أعوام. ولم يكن يأكل شيئًا قط، وبقى فى الجبل ستة أعوام أخر مشغولاً بالعبادة، وادعى النبوة بعد ذلك، وأخذ عن مذهبه وتابعه عليه أهل كشمير وانكل، وأكثر بلاد الهند، والخطا.

وأصبح مودانك ملكًا بعد جى وانك. وكان له قائد يسمى برافر، قام بأعمال مستحسنة، وجلس بأمره على قنقل، وكان يجره ثمانية جياد، ويقطع فى اليوم والليلة مائة فرسخ، وكان يتجول فى البلاد، ويتعرف على الأحوال، ويعود ويبلغ مووانك، ومضى لبلاد إيران؛ ليتعرف على أحوال وطقس هذه البلاد.

وفى عهده كان شخص يسمى خوران. اخترع علم الكيمياء، كما كان يعرف السيميا حتى أنه كان يغير شكله فى كل لحظة، واخترع اللعب باللعب.

وصار كوتوانك من بعده ملكًا، وبعده بى دانك، وبعده سيارانك، وأحضروا له من ولاية كانت ضمن بلاده نمرًا له قدمان، وذنبًا له أربعة قرون، وبعده حكم بى دانك، وبعده تميلوانك، وبعده سون دانك العادل، وبعد عشرين عامًا من حكمه احتبس المطر عامين، واشتد الأمر على الناس، فقال لنفسه: لم أظلم الرعية حتى يحدث هذا الشؤم، فلا شك أنى فعلت السوء، ولذلك منع الله عنى ما يسرنى، وبعد ذلك هطل المطر ووجد الناس الراحة، واستخرجوا الخط الذى كانوا يكتبونه فى هذا العصر من الخط المعقلى، ووضعوه فى عهده، واسم واضعه شوجز.

وأصبح سون دانك ملكًا من بعده، وكانت له زوجة غاية فى العفة اسمها يوس لم

تضحك قط، ومهما حاول زوجها أن يضحكها لم تضحك، وكان المعهود فى هذا العهد أن يشعلوا النار على قمة جبل إذا قدم عدو، ويقرعون الطبول، ولهذا السبب كان القواد يعلمون بوصوله، فسر لذلك الملك، وأقاموا الولائم فرحًا لذلك، وبعد عامين قدم عدو فعلاً وأشعلوا النار فى القاعدة وقرعوا الطبول، واعتبر القواد هذا لعبًا فلم يحضروا. فدخل العدو وقتله وعاد.

وبعد ذلك جلس بينك ونك على عرش أبيه، وكان غير مبارك، وبنى مدينة أخرى تسمى لاكين، وكان هناك، وحكم بعده بالترتيب وانك وانك، وجونك وانك، وينز وانك، وبى وانك، وسانك وانك، وكونك وانك، وليك وانك، وكان دين وانك الملك الحادى والخمسين بعد المائة، وولد فى العام الثانى من حكمه أوتاى شانك، وكان قومه يعدونه نبيًا أيضًا.

حكاية: كان تاى شانك من ولاية جو، واسم ابيه جن، وهوكذلك مثل شامكونى برخان ظهر من النور تحت شجرة المشمش، وبقى فى بطن أمه ثمانين عامًا، وطول قامته أربعة أذرع ونصف، وعرض جبهته ذراعان، وكان له حاجبان غليظان، وأنف كبيرة، وأذنان عريضتان جدًا لدرجة أنهما كانتا تصلان كتفيه، وخرج من الجانب الأيسر لأمه، وكانت له لحية بيضاء عند ولادته، ومن أجل هذا كان الناس يعزونه ويحترمونه وقبلوه نبيًا، واسم هؤلاء القوم الذين تابعوه سن شن، وولد بعد شامكونى برخان بثلاثمائة وثمانين وأربعين عامًا، ومنذ ولادته لهذا العصر، وهى شهور سنة سبعمائة وسبع عشرة ألف وتسعمائة واثنان وتسعون عامًا[٣].

وبعده دين وانك، وكانك وانك، ولينك وانك الذى أصبح ملكًا ، وولد من أم ذات لحية، وولد فى عهده كون فرى، واسم أبيه شولنك، وأمه جوشى، وكان فى هذه الحدود جبل كبير يسمى نيكو سقط فى اللحظة التى وقد فيها الولد من أمه، ولما ولد كان الشعر يكسو جسده كله، وطول قامته تسعة أذرع ونصف، ومحيط جسده واسعًا لدرجة

أنه كان يتحزم بأربعة حبال، وكانت له صورة مخيفة مثل صورة النمر، كما كان عاقلاً كفئًا، ولذلك السبب كان معظم الناس من مريديه، وله ثلاثة آلاف تلميذ يأخذون عنه العلم، وصل منهم اثنان وسبعون إلى الملك، وولد له لاكون بعد باى شانك بخمسٍ وخمسين سنة، عمره ثلاثة وسبعون عامًا.

وتولى الملك بعده بالترتيب، لينك وانك وانك، ونا وانك، وكن وانك، وون وانك، وجين دين، ونى وانك، وكووانك، وسى وانك، ويل وانك، وعان وانك، وبيله وانك، وهين شى وانك، وسوشين وانك، وتخربت المملكة فى عهد بن وانك، ووقعت خمس وثلاثون مدينة من ولاياته فى يد الثوار، وبعد أن توفى قسم جماعة من الغرباء ملكه إلى أربعة عشر قسمًا، واستولى كل ملك بمفرده على واحدة منها، وكأنهم كانوا ملوك الطوائف فى تلك البلاد، وبعد مدة من الزمان ظهر سبعة ملوك، واستولوا على الملك من الأربعة عشر، بعضهم بالمشاركة وبعضهم منفردين، وكانت مدة حكم هاتين الطائفتين اثنتى عشرة سنة، وحكمت هاتان الطائفتان مع بعضهما البعض.

الطبقة الثالثة عشرة

بعد ذلك قوى أمر ابن وانك، وهو واحد من الملوك السبع، ويسمى شيخ وانك، واسترد المملكة من أولئك الملوك الستة الآخرين الذين كانوا شركاء أبيه، وصار ملكًا على جميع الممالك، ويشكل مع ولديه رشنى خوخوى، وسامشى زن الطبقة الرابعة عشرة.

الطبقة الخامسة عشرة

كان يانك وانك الملك الثالث والسبعين بعد المائة شجاعًا جدًا؛ لأنه كانت له قوة تسعة ثيران، فثار وقتل سامشى زن، وأصبح ملكًا.

الطبقة السادسة عشرة

كان صن كاوان شجاعًا للغاية، وله هيئة وشكل التنين، كان رئيس معلة فى بداية أمره، وسمع أن تنينًا أبيضًا قد ظهر فى الجبل ويؤذى الناس، فتوجه مع عشرة رجال وقتل ذلك التنين، ولذلك السبب ذاعت شهرته، ووصل إلى الملك، واشتبك مع يانك وانك المذكور فى اثنتين وسبعين معركة وقتله، وكان له ثلاثة أمراء عظام، حيث كان جنانك لانك أستاذًا له، وجين سانك شو وزيرًا له، وعهد بالجيش إلى جن سن[٢].

وأصبح شوفيدى ملكًا من بعده، وظهر فى عهده رجل يسمى جونكيو اخترع العزف على الناى، ولما مات حلت محله أمه كووتانجو، وطلبت من القوم أن يولوا عليهم ملكًا، ولكن القواد لم يقبلوا هذا وحاربوا، وقتلوا من هؤلاء القوم ثلاثة آلاف رجل، وأجلسوا فيدى أخا شوفيدى على العرش.

وأصبح نودى ملكًا من بعده، واشتهر فى عهده أن هناك نباتًا على شاطئ بحر المشرق إذا أكل منه الإنسان عاش أبدًا، وإذا أكل ونيته أن يكون ملكًا من الملائكة يصبح ملكًا، وأراد أن يحصل عليه، وكان له مُنجِّم بارع يسمى فونك فونك شو، فأركبه سفينة، وأرسله ليحضر هذا النبات، ولما انتظر مدة مضى إلى منجم غير معروف، وقال المنجم: إن الشخص الذى تسأل عن حاله يأتى فى سفينة محطمة، وصفق ثلاث مرات فى هذا الحال وضحك، وقال: سيصل بعد عشرة أيام أخرى، فتعجب الملك وكتب هذا الحكم، وقدم المنجم بعد عشرة أيام، وقال: هبت الرياح بالعكس وتحطمت السفينة ورجعت، فقال الملك: لماذا صفقت فى هذا اليوم ثلاث مرات وضحكت؟، قال: لأن المنجم كان يعلم أمرى منذ عشرة أيام، ولم يعلم الملك.

وكان لهذا الملك ولدان الأكبر يسمى ليوانك، وكان أحد القادة سيئًا معاديًا له، فعمل سحرًا فماتوا فقراء، وكانت الزوجة حاملاً فحبسها، وتقتل إذا ولدت ولدًا، ولما ولدت ولدًا وضعت المرأة أختًا أخرى فى موضعه حتى لا يعرفوا، وأرسلت الولد إلى الخارج، ومنحوه الملك على أنه ليوانك أخوه، ومات بعد ثلاثة عشر عامًا، وأخفوا

سوندى بن ليوانك فى دكان خباز، فجعلوه ملكًا، وبعده وندى وجندى وإيدى وبندى الذى دس له قائد السم. وأجلسوا حفيد سوندى الذى كان يبلغ من العمر عامين على الحجر، وكان يحكم، وتوفى بعد ثلاثة أعوام، وأصبح هذا القائد ملكًا.

الطبقة السابعة عشرة

وجمع وانك موانك القواد بعد خمسة عشر عامًا، وأخذوا من لحمه، وهو حى وقتلوه فى ذلة ومهانة، وأجلسوا ملكًا من نسل كيندى على العرش.

الطبقة الثامنة عشرة

كان كينكشين بازهار الملك الثامن والثمانين بعد المائة، ومن الجيل السابع للكنيدى، وكان رجلاً جبانًا لدرجة عندما يتحدث مع القواد كان جسمه يرتعد من الخوف منهم، فرأوا أنه غير كفء، فأجلسوا ابنه بدلاً منه، ولما أصبح ملكًا أمر مليون رجل من جنده أن يرسموا حواجبهم باللون الأحمر؛ ليكون ذلك علامة لهم، ولكن القادة لم يقبلوا هذا، وأنزلوه عن العرش، واختاروا واحداً من ذرية هؤلاء الملوك المذكورين.

الطبقة التاسعة عشرة

كان جوخن كون فو الملك التسعين بعد المائة، ولما أصبح ملكًا سر شيوخ عصره أنه من أسرة الملوك الأصليين، وحارب وانك موانك مرارًا وصنع السحر لدرجة أن جميع الوحوش والحشرات انضمت إلى جيشه، وكان الناس ينهزمون خوفًا منه، ولكن كلما حارب جوخن بنفسه على أنه الملك الأصلى، كانت الوحوش والحشرات تبعد عنه

وتنضم إلى جيش موانك، وكان شجاعًا لدرجة أن جيشه كان صغيراً، إلا أنه لم يكن يخاف، فكان يهجم عليهم بلا خوف وينتصر دائمًا عليهم، إلا درة انهزم فيها، ووصل به الحال إلى نهر لم يستطع عبوره، ولما عجز تضرع إلى الله تعالى وانتحب، وقال: يا الله إذا كان ملكى بالحق، اجعل هذا الماء ثلجًا حتى يعبر جيشى، وإلا أمتنى هنا، فاستجيب دعاؤه، وأصبح هذا النهر فى الصيف ثلجًا وعبر جيشه.

وكان له أربعة أبناء، وأجلسوا مكانه ابنه الأصغر بعد ذلك؛ لأنه كان أعقلهم ويسمى خن مندى، وبعد ذلك حكم كل من جندى، وخوارى، وشانك كردى، وموشانك، وخورشيندى، وجونكدى، وكانوا جميعًا أطفالاً رضعًا، ونحتهم أمهم وجلست على العرش وحكمت. ولما بلغ جندى الثامنة من عمره، وبلغ سن الرشد، وأصبح أهلاً للملك. وضع القائد الذى يسمى كنكى السم لها، وقدم الأمير الذى يسمى سوجينك وقتله، وهاجر شنيدى مدة، وبدأت بعده الفتنة، وأبعد شنيدى عن العرش، وبذلك مضى إلى ركن من أركان الممالك، وأصبح هذا القائد ملكًا، وبعد مدة قدم جيش غريب، وقتلوا سوجينك سانك، ولما بلغ هذا الخبر إلى شنيدى ضحك هو وزوجته حتى ماتا، ولما مات أصبح الملك لتلك الجماعة التى ثارت.

الطبقة العشرون

ولما استولت الجماعة التى قتلت الأمير المذكور على البلاد، قسموا هذه الممالك إلى ثلاثة أقسام بينهم وبين أبناء الأمير، وجعلوا لكل قسم اسمًا، وأعطوا واحدًا لأبناء الأمير، وقسمين لملكين من قومهم، واستولى ملك القسم الأول على نصيب الملك الثانى بعد مدة، واستولى ملك القسم الآخر على القسمين، واستقل بهم ملكًا، وكانت مدة ملكهم واحدًا وستين عامًا.

الطبقة الحادية والعشرون

أصبح سن فودى الملك الثامن بعد المائتين، وبعده ابنه قويدى، وبعده خويدى، وأوقعه جيش غريب فى الأسر، فأصبح أخوه مندى ملكًا من بعده، ولما استولى الجيش الغازى أسروه أيضًا، واستولوا على بلاد الصين، وظهر ستة عشر ملكًا، وفرت أسرة قويدى إلى الصين الكبرى، وهم من الملوك الأصليين، وقسم هؤلاء الملوك بلاد الصين إلى ستة أقسام، وأخذ كل منهم شيئًا من هذه الأقسام.

الطبقة الثانية والعشرون

كانت هذه الطبقة مع خمس طبقات أخرى من الملوك الأصليين، الذين كانوا فى الصين الكبرى، وكانوا وحدهم حكامها، وقسم هؤلاء الملوك الست عشر الذين ثاروا، ولاية الصين إلى ستة أقسام، وقسموها على بعضهم البعض، ومدة ملكهم مع هذه الطبقات الستة ثلاثمائة وخمس سنوات.

الطبقة الثامنة والعشرون

ثار سوى كاوزفيندى الملك الخمسون بعد المائتين، واستولى على بلاد الصين، وعلى الصين الكبرى أيضًا، وأسقط هؤلاء الملوك، وأصبح ملكًا مستقلاً على جميع البلاد، وحكم من ذريته ثمانية وعشرون شخصًا.

الطبقة التاسعة والعشرون

كان تن كاوزو قائدًا عظيمًا شجاعًا، ثار واستولى على البلاد، وأصبح ملكًا، وحكم من نسله عشرون شخصًا.

الطبقة الثلاثون

كان لن تايزو الملك الخامس والسبعين بعد المائتين أميرًا عظيمًا، ثار واستولى على البلاد، وقتله ابنه يوكى بعد ذلك، وأصبح ملكًا، وبعد ذلك قتله أخوه وأصبح ملكًا، وثار فى عهد لرن تايزو شخص من القراخطاى، اسمه خولنجى أياكى، واستولى على بلاد الصين، وجعل اسمه أى ليو؛ أى الملك الثائر، وهومحيط بالعالم كله، وحكم مع ثمانية أشخاص من نسله مائتين وتسعة عشر عامًا فى ذلك الملك الذى استولى عليه، وبعد ذلك ظهر ملك يسمى جوتجه أكوادى، واستولى على بعض ولايات الصين. وأخذ الملك من آخر أبناء داى ليوندب، واسمه رون آقوة، وقبل ذلك كان يدين ملوك جوتجه بالطاعة ويؤدون الخراج له؛ فمضى إليهم، فمضى إليه أكوادى متخفيًا، واستولى على الصين كلها.

الطبقة الحادية والثلاثون

كان ين جون رون الملك الثامن والسبعين بعد المائتين عادلاً، وأصبح منيدى ملكًا من بعده، وبعده مودى، الذى وجده مندى فى المصاد، ورباه، واستردت أخت مندى الملك منه، وأعطته لزوجها.

الطبقة الثانية والثلاثون

أصبح سن كاورو ملكًا بعد شودى، ولما مضى ثلاثة أعوام على ملكه، ثار بليتوانك ابن داى ليومن القراخطاى، وأصبح ملكًا؛ لأن سن كاورو أخذ الملك من مودى بمددهم، وكان يؤدى الخراج، ولم يؤده شودى، وهو فى الطبقة الثالثة والثلاثين.

الطبقة الرابعة والثلاثون

كان حن كاورو الملك الخامس والثمانين بعد المائتين من قادة الملوك السابقين، وثار وقتل بليتوانك وأصبح ملكًا، وتربع نيدى من بعده على العرش، وكان له ثلاثة من القادة أسماؤهم : شوخون جو، وكودى، ونيدى، فقتل الأميرين الأولين، فقال للثالث: لقد نلنا الملك، فلماذا تقتلنا؟! فثار عليه وقتله وأصبح ملكًا.

الطبقة الخامسة والثلاثون

أصبح شيرون ملكًا بعد كودى جاتايرو، وبعده أصبح من يسمى شيرون أيضًا ملكًا، وبعد عام ثار قوم يسمونهم سون، واستولوا على الملك، وأصبح من يسمى عنهم جوتايزون ملكًا.

الطبقة السادسة والثلاثون

كان جوتايزون الملك التسعين بعد المائتين، وبعده تايزون، وجيرون، ورترون، وينيك رون، وشيزون، وجرون، وهرترون، وكمزون، واستقل هؤلاء الملوك بجميع ممالك الصين، والصين الكبرى، وثار قوم جوده فى عهد كمزون، واستولوا على بلاد الصين، وأصبح من يسمى أكوداى نوجق ملكًا، ولقبوه بتايزون قرون، وسماه أقوام الترك التان خان، وحكم أبناؤه : كمزون، وكاوزون، وشاوزون، وكوانك زون، وبنك زون، ويزون، وتوزون، وشوجو بلاد الصين، وحكم بعد تايزون قزون، وتايزون فيثله، وتايزون فراوان، وهيزون، وشيزون، ولينك تايزون، وجنزون بلاد الصين الكبرى، وكان كيمشاى وشودى شووسو معاصرين لشوجو، وهو آخر الملوك الأصليين لهذه البلاد، وهوالملك الخامس بعد الثلاثمائة الذين حكموا من عهد نيكو مدة اثنين وأربعين ألف وثمانمائة وخمس وسبعين

على زعم المؤرخين وحكماء الصين، ولما مضى عامان على ملك شوجو، استولى جيش القاآن على بلاد الصين الكبرى، وجاء مقدماً فروض الطاعة والخضوع وسلم العرض، وظل يدين بالعبودية للقاآن، وكان ولداه تايزون، وقرون ملكين عظيمين، وظهر العداء منذ قديم الأيام بين أجداد جنكيز خان بسبب دم أوكين يوقان، وهميقاى قان.

وولد جنكيز خان فى العام التاسع من عهد هترون الموافق شهور سنة خمسمائة وتسعٍ وأربعين، وأطلقوا عليه لقب جنكيز خان فى سنة خمسمائة وتسعٍ وتسعين المطابقة للعام الخامس من عهد حترون، وفى العام العاشر من عهده الموافق سنة ستمائة وتسعٍ ركب قويين ييل قاصداً بلاد الصين، وخضع له الأقوش تكين القائد وسرور اللذان أقاما جبلاً، وهو سد بين بلاد الصين وبلاد الترك، وخضع له البدو أيضًا وسلموا دربند، وغادر التان خان عاصمة الملك جونكدو خوفًا من جنكيز خان الذى كانت فى وسط بلاد الصين وهرب، ومضى إلى مدينة بايانك فو التى تقع على نهر قراموران، واستولى جيش المغول على معظم بلاد الصين، وما لم يتيسر فتحه فى عهد جنكيز خان من بلاد الصين، ركب أوزكتاى القاآن لفتح ما بقى، واستولوا على شودى فى سنة موريين ييل الموافقة جمادى الأولى سنة ٦٣١ هـ.

ووقع الخلاف فى خاتمة أمره، يقول بعضهم : إنه جاء فى زى القلندرية وهرب، والأصح أنه كان جالسًا فى داره، فأشعل جيش المغول النار فى المدينة، واحترقت البيوت واحترق بينها، وانقضى عهد ولاة هؤلاء الأقوام. والله أعلم.

هوامش القسم الثامن

(١) يصف البناكتى عادات وتقاليد هذه الشعوب. فهو ينتهز الفرصة ليبصر القارئ بهذه العادات، ولكن تأريخه لها مختلطًا بالأساطير. لكنه مستمد من كتب قديمة ومعلوم أن هذه التواريخ تمتزج بالأساطير، فما نسميه اليوم أسطورة كان يعتقد فيه أهله بأنه حقيقة.

(٢) الطراسون : شراب مُر يصنع من الشعير .

(٣) يلحظ على البناكتى فى الكثير من المواضع عند تأريخه للحوادث والأفراد، أنه يربط بين عصرهم وعصره، بل للعالم الذى كان يعيش فيه، وهوبذلك يربط بين الماضى والحاضر فى الوقت الذى كان يعيش فيه.

(٤) هكذا فى الأصل.

القسم التاسع

فى تاريخ المغول ونسب جنكيز خان حتى دويان[1] والآن قوا، وشرح ظهور جنكيز خان، والاستيلاء على بلاد إيران، وشعب أبنائه إلى يومنا هذا، وهوالخامس والعشرون من شوال سنة سبع عشرة وسبعمائة. وهم أربع طوائف من نسل واحد، وعددهم ستة وثلاثون، ومدة ملكهم فى أطراف الدنيا مائة عام وواحد.

الطائفة الأولى

جنكيز خان مع ابنه الثالث أوكتاى قاآن، الذى أصبح ملكًا من بعده، وأبناؤه جنكيز خان بن يسوكاى بهادر بن نويان بهادر بن قبل خان بن توميته خان بن باى سنقور بن قيدوخان بن دوقوم توجومنن بن بوقا بن بودوذ نجاريجو[2] بن الآن قواخاتوت بوبون باما[3].

ذكر حكماء ومنجمو ومؤرخو الإيغور والتبت وأقوام الترك فى تواريخهم أن نوحًا النبى (عليه السلام)، أرسل ابنه يافث إلى الشرق، ولما تمكن هناك سماه هؤلاء الأقوام أبولجة خان، وكان له ولد يسمى ديب ناقورى، الذى أظهر رسوم الملك وعاداته، وأصبح له أربعة أبناء، أكبرهم كورخان الملك، وانصرفوا عن دين جدهم نوح (عليه السلام)، وعبدوا الأصنام، وولد لكور خان ابن يسمى أغور كان موحدًا تقيًا، فحارب أباه وقتله، واستولى على الملك، وثار، واستولى على جميع البلاد، وتشكل جيشه من أقوام الأتراك، وجعل لكل طائفة منهم لقبًا خاصًا، وبعد ذلك أرسل قومًا من أبنائه، وذوى قرباه بجيش كثيف إلى المشرق لتلك الأرض التى كانت تسمى مغولستان (بلاد المغول).

وبعد أربعين ألف عام من ملك ملوك الخطا، غزا هذه البلاد، وعبر نهر قراموران وبيتهم، وقضى عليهم جميعًا، وأسر نساءهم وأبناءهم، وهرب من هؤلاء الأقوام شخصان هما : تكور، وقتاب[٤] مع أختهما فى الجبال التى تسمى كنه قون؛ أى العدو بسرعة، وأقامت أسرتهم أربعمائة عام هناك، وكثر عددهم بحيث يمكنهم الخروج معًا، وكان فى سفح الجبل معدن الحديد، فوضعوا كثيراً من المنافيخ، وجمعوا كثيراً من الفحم والحطب، فأذابوا هذا الجبل، وشقوا طريقًا، وخرجوا من تلك المنطقة الجبلية.

وكلمة المغول اسم جنسهم ويشبهونه، ويقال على سبيل المجاز: إن هذا اللفظ أطلق عليهم منذ عهدهم، ويحتفلون بيوم فى كل عام يسمونه بنكلميشى، وهذا اليوم هوالذى خرج فيه المغول من كنه قون، ومنذ ذلك الوقت كانت لهم عادة أنهم يضعون فى النار قطعة من الحديد فى تلك الليلة، ويضعونها على سندان ويطرقونها بالمطرقة، وهذه عادتهم إلى يومنا هذا.

وانقسم المغول بعد هذا قسمين : القسم الأول : مغول درلكين، وخرجت تلك الطائفة من كنه قون، والقسم الثانى : مغول بيرون، وهم شعب دونون يايان[٥] والآن قواند، وهم سادة أقوام المغول، وجنكيز خان من نسله، ونحر[٦] ابن الآن قوا، وولد بعد دونون يايان مع أخوين آخرين بلا أب، وتلك حكاية طويلة.

قصة جنكيز خان بن بيسوكاى بهادر، واسم أمه دالون قوجين من قوم القونقرات، وولد فى قاقاييل الموافق لذى القعدة سنة تسعٍ وأربعين وخمسمائة، ولما بلغ الثالثة عشر توفى أبوه، واسمه تموجين، وانفض من حوله معظم أقاربه وأتباعه، وكان يكابد البؤس مدة ثمانية وعشرين عامًا.

حكاية: فى الوقت الذى كان فيه جنكيز خان شابًا، كان العداء مستحكمًا بينه، وبين قوم تايجبوت، وقد انفض من حوله الجيش والأتباع، فركب ذات يوم ومضى لأمر مهم، فرأى فى الطريق حجراً يدور كأن له محركًا يديره، وقدم مواجهًا له، ففكر فى نفسه، وقال: إن هذا الأمر جد عجيب، فلا شك أنه ينبغى لى أن أمضى فى هذا الطريق ومضى، واتفق أن قدم إليه ترغوتى فرنكتوق ملك قوم تاتجبوت خصمه وقبض عليه،

وكان ينظر، ولم تجر العادة فى هذا الوقت بقتل الأسرى بسرعة، وكانت امرأة عجوز من هؤلاء القوم تسمى بايجوايكاجى، وكان فى عهده من يسمى جاورغاى سفير، ورسول القاآن، فقدم مع إيكتاى من نسله، وكانت هذه العجوز تمشط على الدوام شعر جنكيز خان، وتقوم على خدمته.

وبعد مدة وجد جنكيز خان الفرصة، وهرب مع دوشاخه، وكانا على حدود ناورى(٧) ومضى إلى هناك، وحمل دوشاخه فى الماء بحيث لم يظهر من جسده إلا أنفه، فتعقبه جماعة من قوم تايجوت وكانوا يطلبونه، وكان سرغان شيرو من قوم سلدوس، وهو أبو حيلادغان بهادر، وهو أبوسودون نويان الذى يعتبر من أمراء اليد اليمنى فى عهد جنكيز خان، وكان له أربعة أبناء: سونجاق نويان، وأراتوا إيداجى، وتودان، وتموريقان، وكان ابن تودان ملكًا، وابن الملك أمير جوبان، وجده سرغان شيروكان بين هؤلاء القوم، وديارهم فى تلك الناحية، وفجأة أدرك أن نظره وقع على أنف جنكيز خان، فأشار فى الخفاء من أجل أن ينزل رأسه أكثر فى الماء، وقال لتلك الجماعة : اطلبوه فى الأطراف الأخرى، وأحتاط أنا هنا، وفرقهم، ولما حل الليل أخرجه من الماء، ورفع القرنين من حول عنقه، وحمله إلى البيت، وأخفاه فوق دولاب تحت صوف كثير، ولأن تلك الجماعة كانت قد تعقبته فى ذلك الموضع، ظنوا أنه فى منزل سورغان شيرو، فبحثوا كثيراً عنه هناك، ووضعوا أسياخًا فى دولاب الصوف ذلك، ولكنه لم يظهر، وبعد ذلك أعطاه سورغان شيرو فرسًا صفراء اللون وبعض اللحم وأسياخ الشواء، وبعض السهام والأقواس وكل آلة يجب استخدامها فى السفر، حيث أعطى البعض ولم يعطِ البعض الآن، ويقال : إنه لم يعطه زند إشعال النار، وسيره. وكانت هناك حكمة "لعل له عذرًا وأنت تلوم".

وكان قد انقطع أمل الأم ونساؤه والقوم منه فى هذه المدة، وكان ابنه الرابع تولوى خان طفلاً وكان يقول فى كل لحظة فى أثناء تلك الأيام: إن أبى سيأتى راكبًا فرسًا، فنهرته أمه قائلة: ما هذا الكلام الذى يقوله هذا الولد! حيث يذكرنا به، حتى ذلك اليوم الذى أراد جنكيز خان فوصل، وقال تولوى : هاهو ذا أبى يصل، وقد ركب حصانًا

أصفراً، وربط في السرج دوتوريوقان[٨] وبعد ساعة وصل جنكيز خان على فرس، فسر جماعة لمقدمه ووزعوا الصدقات، وعلا شأن دولته بعد ذلك، ولما أقهر أونك خان ملك كرايت لقبوه جنكيزى؛ أى الملك المعظم، وبعد ذلك قتل جون تايان خان ملك نايمان، وأصبح الملك له مقراً ومسلماً، ورفع علماً له تسع قواعد بيضاء، وأطلقوا عليه لقب جنكيز خان، وكان واضع ذلك فوق بت تنكرى بن منكيك إيجه، وكوجو ولقبه بت تنكرى.

وكان لجنكيز خان خمسمائة زوجة وسرية، وعدد الخواتين الذين عظم قدرهن عنده خمس، أولهن : بورتة قوجين بنت وى نويان ملك قوم القنقرات، الثانية : قولان خاتون بنت طراسون رئيس قوم أوزهادمركيت، والثالثة : ييسوكات من قوم التتار، والرابعة : كونجوخاتون بنت التان خان ملك الصين، والخامسة : ييسولو أخت ييسوكات المذكور.

ولجنكيز خان ثمانية أبناء وخمس بنات، أربعة أبناء كبار هم : جوض، وجغتاى، وأوكتاى، وتولوى، والخمس بنات هن : قوجين بيكى التى زوجها لابن نكون بروتوكور كان من قوم إيكبواس، وجيجكان التى زوجها تورايجلى كوركان بن قونوقنه بيكى ملك قوم الإويرات، والأقاى التى زوجها جنكيزى كوركان ابن رئيس قوم أنكوت، وتوبالون التى زوجها إلى بم كوكان ابن ملك القنقرات، والتالون التى زوجها لحادر ساجان بن بياجوكور كان أخا أمه، وولد كل التسعة من بروته قوجين، والابن الخامس كولاكان من قولان، وينسب إليه مصنع القاآن فى تبريز، كما كان له ثلاثة أبناء من زوجة أخرى، وتوفوا فى طفولتهم.

تاريخ الخلفاء والسلاطين والملوك والخواتين والأتابكة وغيرهم الذين كانوا معاصرين لجنكيز خان

كان المقتفي خليفة بنى العباس فى بغداد فى عام ولادة جنكيز خان، وفى مصر كان الخليفة الظافر خليفة الإسماعيلية، وفى خراسان السلطان سنجر بن ملك شاه السلجوقى، وفى خوارزم الشاه أتسز بن محمد بن بيلكاكتين، وفى التركستان كشلوك خان، وفى الخطا هيرون، وفى العراق السلطان محمد بن محمود بن محمد بن ملك شاه السلجوقى، وفى الروم السلطان مسعود بن قليج أرسلان، وفى كرمان السلطان أبوالفوارس محمد بن أرسلان شاه بن كرمن شاه بن قاورد بن جغربيك بن داود بن سلجوق، وفى الغور كان السلطان علاء الدين حسين بن الحسن، وفى سجستان نصر بن خلف، وفى مازندران الشاه رستم بن على بن شهريار بن قارون، وفى فارس الأتابك سنقور بن مودود السلفرى، وفى همدان الأتابك إيلدكز، وفى آذربيجان أقسنقر أحمد الديلمى، وفى الشام الأتابك نور الدين، وفى ديار بكر الأتابك قطب الدين مودود الذى كان والد أتابكة الموصل، وفى بلاد الفرنجة كورنكتيه القيصر، وفى المغرب عبد المؤمن.

ومن الحوادث التى وقعت فى هذا الوقت فى سنة ثلاثٍ وخمسين وخمسمائة، غرقت بغداد لدرجة أن غرقت معظم البيوت، وفى شعبان سنة أربعٍ وخمسين وخمسمائة، قدم ثلاثون ألف رجل من جورجيا إلى مدينة دوين من أعمال آذربيجان، وقتلوا أكثر من عشرة آلاف رجل، وحملوا كثيرًا من الأسرى، وأحرقوا مسجد المدينة ولما سمع بذلك الأتابك شمس الدين إيلدكز، جمع جيشًا عظيمًا فى تبريز، واستمد العون من ملك الأرمن ابن سكمان قطبى والى الأخلاط، وابن أقسنقر صاحب مراغة، ومضى بخمسين ألف فارس؛ لينتقم منهم، وفى صفر سنة ثمانٍ وخمسين وخمسمائة، بلغوا كرجستان وحاربوا شهرًا، وفى النهاية انتصر جيش المسلمين، وقتلوا كثيرًا من

القساوسة، وغنموا غنائم كثيرة، وفى شهر صفر نفسه وقعت الحرب بين قضاة أصفهان لتعصبهم فى المذهب، ودامت الحرب أسبوعًا، وقتل خلق كثير من الجانبين وخربوا بيوتًا كثيرة، وحاصروا ملاحدة قزوين.

واعتلى جنكيزخان العرش فى شتاء تونقوزييل الموافق شهور سنة تسعٍ وخمسين وخمسمائة فى موضع، يقال له : ثمان كهره. والله أعلم.

حكاية ذهاب جنكيز خان إلى بلاد إيران
قاصدًا ممالك السلطان محمد خوارزم شاه

فى عام الأرنب المطابق لذى القعدة من سنة خمس عشرة وستمائة، ركب جنكيز خان مع أبنائه وأمرائه قاصداً ولاية السلطان، وأقاموا معسكراً فى عام التنين فى الشتاء بطريق نهر أرديش، وأرسلوا الرسل إلى السلطان، وأخبروه بأنهم ينوون القدوم عليه، وتحرك بايز واستولى على جميع البلاد الواقعة فى طريقه، ولما بلغ حدود قياليق، قدم رئيس الأمراء هناك أرسلان خان معلنًا فروض العبودية، ووجد الإنعام، ومضى لجيش المغول على أنه مدد لهم فى الطريق، وقدم أيغور بخيله من عند باليغ، وقدم سوقنان تكين من الماليغ بجيشه، ووصل مدينة أترار فى آخر خريف سنة التنين المذكورة.

وقدم السلطان محمد جيشًا عظيماً إلى غاير خان، وأرسل قراجة حاجبه الخاص مع عشرة آلاف فارس مدداً له، وحصن المدينة بسور واستحكامات عظيمة، وأمر جنكيز خان جغتاى، وأوكتاى مع عدة آلاف من الجند؛ لمحاصرة المدينة، وأرسل تولوى خان إلى جند وينكى كت بجيش جرار، وجماعة من القواد إلى جخجند وبناكت، وقصد بخارى بنفسه، واستولوا على أترار بعد خمسة أشهر، وقتلوا قراجة وغاير خان، واستخلص الأمراء، وألقواد بلاداً أخرى، وقدم جنكيز خان فى بداية المحرم من سنة سبع عشرة وستمائة بخارى. ونزل عند بوابة القلعة، وكان جيش بخارى يتكون من عشرين ألف مقاتل، وخرج رئيسهم كوك خان، والقواد الآخرون سونج خان، وكشلى خان مع قومهم من القلعة، ولما بلغوا شاطئ جيحون هجم عليهم جيش المغول، وأفنوهم جميعًا.

وفتحوا البوابات فى فجر اليوم التالى، وقدم القوم من الأئمة والعظماء معلنين العبودية، فدخل جنكيز خان المدينة، ومضى إلى الجامع، ووقف أمام المقصورة، وترجل ابنه تولوى خان، وصعد المنبر، فسأل جنكيز خان هل هذا بيت السلطان؟، فقال: لا، إنه بيت الله، فنزل عن فرسه واقترب خطوتين من المنبر، وقال: إن السهل خالٍ من العلف فاملأوا بطون خيلنا، ففتحوا أبواب المخازن، وحملوا الغلال، وجعلوا صناديق

المصاحف حظائر للخيل، وبعد ذلك خرج جنكيز خان من المدينة، وأحضر جميع أهلها، ومضى إلى منبر مصلى العيد، وبعد أن قرر الخلافة، وذكر غدر السلطان الذى صنعه من قبل، وقتل جنكيز خان الأعيان وسلب أموالهم، وقال: اعلموا أيها القوم أنكم اجترحتم ذنوبًا عظيمة، وعظماؤكم سبب أنى عذاب الله، ولوكانت منكم ذنوبًا عظيمة، فإن الله لم يرسل عليكم عذابًا مثلى، وأمر جنده بجمع الأموال، وأحرقوا المدينة والقلعة كلها ماعدا الجامع، وجعل الأمراء والنساء والأطفال عبيداً، وأرسل الشباب ليكونوا خدمًا فى سمرقند ودبوسيه، ومضى من هناك إلى سمرقند، وفى عام الأفعى الموافق شهور سنة ثمانى عشرة وستمائة استولى عليها بعد نهب وقتل كثير فى فصل الصيف، وقتل سماى خان، وتغاى خان، وأولاغ خان مع عشرين قائداً من قادة السلطان، وأرسل جوجى، وجغتاى، وأوكتاى لخوارزم، ووقع بينهم خلاف، وقتل كثير من جيش المغول، وبعد ذلك أرسل تولوى، ولما سمع جنكيز خان عن شهرة شيخ المشايخ نجم الدين أبوالجناب أحمد بن عمر بن محمد بن عبد الله الخيوقى الخوارزمى المعروف بالكبرى (رحمه الله)، أرسل إليه رسالة قائلاً: أريد أن أنهب خوارزم وأقتل أهلها، فليخرج هذا العظيم منها، إلا أنه لم يلق لذلك سمعًا، واستشهد فى هذه الغزوة.

وفى نفس العام قبل أن يعبر جنكيز خان نهر جيحون بستة أشهر، توفى الشيخ قطب الدين حيدر بن تيمور بن أبى بكر بن سلطان شاه بن سلطان خان السالوية فى الطريق، وبلغ من العمر مائة عام وعشرة.

وأرسل جنكيز خان جبه نويان من قوم بيسون مع عشرة آلاف مقاتل فى المقدمة، كما أرسل فى عقبهم يقواما داى بهادر من قوم أورما نكفت مع عشرة آلاف آخرين، وأمرهم أن يلحقوا بالسلطان، وإذا وصلتم إليه أخبرونى، وإذا اختفى اذهبوا وابحثوا عنه فى بلاده، وكل من جاء معلنًا الولاء استميلوه، واقهروا كل من يبدى العداء، وأتم كل هذه الأعمال فى غضون ثلاثة أعوام، وعاد من طريق صحراء القبجاق، وقال: إن بلاد المغول هى وطننا الأصلى وليتصلوا بنا.

ومضى جبه، وسوباداى، وتوقاجار مع ثلاثين ألف رجل شجاع إلى معبر البنجاب

متعقبين السلطان. ولما وصل خبر وصولهم نيسابور، مضى السلطان محمد على أنه يصطاد نحو إسفرايين، واتجه ناحية العراق، وأرسل أمه وحريمه إلى قلعة قارن عند تاج الدين طغان، ومضى ليتفقد جبل شيران، وأرسل رسولاً إلى الملك هزارا غسف لور، وكان من أكابر الملوك القدماء، ولما وصل الملك نصر الدين قبل الأرض، وقال أثناء المشاورة: الصواب أن نرحل فوراً، وبين لورا وفارس جبل حصين يسمى تنك تكو، وهى ولاية كثيرة النعم ولنجعلها ملجأ، ونجمع من اللور، وشول، وشبانكارة مائة ألف مقاتل ونحارب المغول، وبينما كانوا فى هذا الكلام، وصل جبه وسوبادای نيسابور، وأرسلا الرسل إلى عظمائهم : مجير الدين كافى الرخى، وفريد الدين، وضياء الملك الزوزنى، وطلبوا منهم الطاعة، فأطاعوا، ونصحهم جبه نويان، وأعطاهم التمغة من منشور جنكيز خان، وفحواه كما يلى: فليعلم الأمراء والعظماء والرعية الكثيرة أن الأرض بما وسعت من مغرب الشمس إلى مشرقها انطاعت لى، وكل من يطيع فسوف يرحم وأبناؤه ونساؤه، وكل من لا يدين بالطاعة ويثير الخلاف والجدل لابد أن يهلك مع زوجته وأبنائه، وقدموا الرسالة بهذه الطريقة ومضوا.

ولما بلغ هذا الخبر، وخوفًا من هجوم جيش المغول، هرب هزاراغسف، كما اتجه الملوك الآخرون إلى ركن يحتمون فيه، ومضى السلطان محمد مع أبنائه إلى القلعة، ومضى من هناك نحو جيلان، واستقبلهم صعلوك من أمراء كيل مقدمًا فروض الطاعة، ورغبهم فى الإقامة، ورحل السلطان بعد سبعة أيام، ومضى إلى بلاد مازندران، ولجأ من هناك إلى جزيرة بحر قزوين، وتوفى هناك فى سنة ثمانى عشرة وستمائة، ونهب جبه، وسوبارای خراسان ومازندران، وعزما المضى للعراق، واستولوا على خوار، وسمنان، وأغاروا على الرى، وقتلوا أهل قم جميعًا، واستولوا على همدان، وأعملوا النهب والقتل فى زنجان.

ولما وصلوا تبريز، أرسل الأتابك أوزبك بن جهان بهلوان مالاً ودوابًا كثيرة، وتم الصلح، واستولوا على مراغة، ومضوا منها إلى مرند، ونخجوان، وأران، وكرجستان، ودربند، ومضوا منها إلى بلاد الروس والقبجاق، واستولوا على تلك البلاد فى الموعد الذى حدوده، وأصبحوا عبيدًا لجنكيز خان.

ومضى جنكيز خان فى شهور سنة ثمانى عشرة وستمائة من مر ترمذ عابراً جيحون، وأعمل القتل والنهب فى مدينة بلخ، ومضى إلى قلعة طالقان، واستولى عليها، وحارب السلطان جلال الدين على ضفة نهر السند.

حكاية: مضى جنكيز خان فى عام الحصان؛ لمحاربة السلطان جلال الدين خوارزم شاه، وحث خطاه فى أثره، وأعد السلطان السفن على شاطئ نهر السند؛ ليعبره، وكان أورخان فى كجله، وقاوم طلائع المغول وانهزم، ولما عرف جنكيز خان الخبر، علم أن السلطان سيعبر النهر فى الفجر، فعجل بالتقدم إليه ومضى ليلاً فحاصره فى السحر من أمام وخلف، ولما طلعت الشمس، رأى السلطان نفسه بين الماء والنار، وكان جنكيزخان أمر جنده ناهياً إياهم عن رمى السلطان بالسهام، وطلب إليهم أن يأسروه، وأرسل كارقلجا، وتوقوز كلجا، ليسحبوه جرياً على الشاطئ، ولما رأوا جانب جيش السلطان فى النور، وأن جيش المغول على ميمنة الخان الملك هجموا عليها، وقتلوا معظم الجند، وخان الملك، وهجموا كذلك على الجانب الأيسر، وبقى السلطان فى القلب مع سبعمائة رجل من الفجر إلى الظهر، وقاوم مثل هذا الجيش القوى. ولما رفع قلبه من روحه، كان يجرى من اليمين إلى الشمال، ويحمل على القلب، ولم يكن هناك مفر من الرشق بالسهام، فضيقواعليه الخناق، وكان يقاتل قتال الأبطال بكل ما يملك من قوة وقدرة، ولما رأى أنه لا سبيل إلى المقاومة، ركب على جواد هادئ، وحمل على جيش المغول وصدهم، ثم ارتد ثانية، وألقى الترس خلف ظهره، وأمسك بمظلته وعلمه، وضرب الجواد بالسوط، ومضى كالبرق وعبر النهر، ونزل بتلك الجهة فغسل سيفه بالماء، وعجب جنكيز خان، ووضع يده على فمه، وأشار إلى أبنائه، وكان يقول: لابد أن يكون الولد هكذا مادام الأب هكذا.

لم أرَ رجلاً على هذه الصفة فى الدنيا   ولم أسمع هذا عن مشاهير القدماء

ولما استطاع أن يخلص نفسه من هذا المعترك وتلك اللجة، وبلغ الساحل صدرت عنه أعمال وفتن كثيرة، وأراد جيش المغول أن يلقوا بأنفسهم بالماء بعده، فنهاهم جنكيز خان، وقتل جند السلطان جميعاً، وقتل أبناءه الذكور، والأطفال الرضع، وناصر الدين

الوزير، واختطف زينات الحريم، وأمر السلطان بأن تلقى جميعها فى نهر السند فى هذا اليوم، لأنها كانت ممتلئة بالذهب والنقود والجواهر والمرصعات، وأمر جنكيزخان الغواصين أن يغوصوا ويستخرجوا ما يجدونه.

وعاد جنكيز خان فى عام النعجة فى الربيع المطابق لشهر المحرم سنة عشرين وستمائة من على نهر السند، وأرسل أوكتاى لغزين، فقتل أوغار، ودانت مرة أخرى بالعبودية، وفى نفس العام الموافق سنة إحدى وعشرين وستمائة وصل إلى معسكراته، وبعد ذلك عزم على المضى إلى ولاية تنكقوت، وحارب ملوك هذه النواحى فى ولاية شيدرقو، التى تسمى بلغة تنكقوت ليوانك، وقتل كثيراً منهم، وعاد من هناك ومضى إلى الخطا، ووصل إلى مكان يسمى أنقوطالان قودوق فى بداية الربيع من سنة توقاى نيل الموافقة لسنة ثلاثٍ وعشرين وستمائة، وفجأة شعر بدنو أجله، وجعل أوكتاى ولى عهده، وأرسله على رأس الأمة، وقال: لا أريد أن يكون موتى فى دارى، وتوجه إلى ننكياس، ولما وصل ليوشان وهى بين ولايات جورجيا، وننكياس، وتنكقوت، أوصى القواد قائلاً : لا تعلنوا موتى حتى لا يعلم العدو بذلك، وعندما يأتى ملك، وأهل تنكقوت اقتلوهم جميعًا، وتوفى فى اليوم الخامس عشر من شهر الوسط فى عام الخنزير المطابق رمضان سنة أربعٍ وعشرين وستمائة، وكان يبلغ من العمر ثلاثة وسبعين عامًا، وحكم خمسة وعشرين عامًا. وأخفى القواد الأمر بناء على وصيته، حتى جاء هؤلاء القوم فقتلوهم جميعًا، وأوصلوهم إلى المعسكرات.

ورأى جنكيز خان ذات يوم فى مكان الصيد شجرة منفردة، وقال: ليكن هذا موضع دفنى، فدفنوه هناك، وشيدوا له قروقًا، وكان القرقيجان أمراء له فى يانكفت.

تتمة قصة جنكيز خان

قال نصائحًا وحكمًا وأمثالاً ونواهيًا، منها: إن القوم الذين لا ينتصح أبناؤهم بنصائح آبائهم، وهؤلاء الذين لا يستمعون لكلام السادة، والزوج الذى لم يثق فى

زوجتـه، والزوجة التى لا تأتمر بـأمر زوجـهـا، والحمو التى لا تحب العروس، والعروس التى لا تحترم حماها، والكبار الذين لا يرعون جانب الصغار، والصغار الذين لم يعملوا بنصائح الكبار، والعظماء الذين لا يرعون جانب العبيد، ولم يقربوا إليهم الخارجين، والناس الذين أعـجبوا بالأغنياء، ولم يجعلوا أهل الولاية منهم، ولم يؤيدوهم، ومنعوا العادات والتقاليد، فمن أجل هذا فإن الأعداء وهم اللصوص لم يقبلوهم، وكذلك الكاذبون، والمتمردون فى مقامهم؛ أى إنهم أغاروا عليهم، ولم تجد خيولهم وقطعانهم راحة، ولم يريحوا جيادهم التى يركبونها فى الطليعة، لدرجة أن هذه الجياد تعجز وتنفق وتبلى وتنمحى، إن مثل هؤلاء القوم الذين لم يربوا، ولم تكن لهم حضارة، وعندما بزغت شمس جنكيز خان، خضعوا له وساسهم بقانونه، وهؤلاء الذين كانوا علماء وشجعان جعلهم أمراء للجيش، ومن وجده جلدًا نشيطًا أمسكه أسرة وأعطى الجاهل سوطًا صغيرًا وجعله راعيًا، ولهذا السبب كان شأنه يعظم يومًا بعد يوم كالهلال، والنصر يهبط عليه من السماء بقوة الله تعالى، ويظهر الحظ والإقبال من الأرض لمدده، وصارت مصايفه مكان سرور وسعادة، وجاءت المشاتى موافقة ومطابقة، ولما أدركت هذه المعانى بفضل الله تعالى، استنبطت هذه العلوم منها، ولهذا السبب فإن رخاءنا وأمننا وسعادتنا بلغت هذه الغاية، وإذا احتفظ الأطفال الذين يولدون بعدنا بخمسمائة عام أوألف أوعشرة ويخلفوننا بهذه العادات والقوانين، ولا يغيرونها، فسيأتى المدد من السماء لدولتهم، ويظلون على الدوام فى رفاهية ورخاء، ويسعدهم الله، ويدعو العاملون لهم بالخير، وتطول أعمارهم، ويتمتعون بالنعم "من حسنت سياسته دامت رياسته"، وهذه المقولة إشارة لهذا الأمر.

وقال أيضًا: إن أبناء كثيرين للملوك الذين يوجدون بعد هذا، إن لم يأخذ العظماء والأبطال والقواد الذين يوجدون معهم بالقانون، فإن أمر الملك يتزلزل وينهار، ويودون طلب جنكيز خان فلا يجدونه.

والأمراء الآخرون الذين يأتون بعشرات الآلاف، والمئات فى أول العام، وآخره، ويسمعون القانون، ويعودون، فإنهم إذا استطاعوا تولى قيادة الجيش، وأولئك الذين

يبقون فى معسكراتهم، ولا يسمعون المعارف، فإن حالهم يصبح كالحجر الذى يقع فى ماء غزير وعميق، أوكالسهم الذى يرمونه فى القصباء، فلا يظهر، فمثل هؤلاء الأشخاص لا يليقون للزعامة والرئاسة.

وكل شخص يستطيع أن يقيم بيته، يستطيع أن يقيم الملك، ومن يستطيع أن يسعد عشرة أشخاص بمقتضى الشرط، يجدر أن يقدموا له الآلاف، ويستطيع إسعادهم.

ومن يستطيع أن يطهر بيته، يستطيع أن يطهر الملك من اللصوص، وكل أمير لا يستطيع أن يسعد قريته، فنعده وزوجته وأبناءه مذنبين، ونختار أميراً آخر من قريته، ويصبح أمير الآلاف والمئات.

وكل كلمة يتفق عليها ثلاثة علماء، يجب أن تعاد فى كل مكان، إلا لا ينبغى الثقة فيها، فقس كلامك بكلام غيرك من العلماء، وإذا اتفق عليها قيلت، وإلا لا ينبغى أن تقال. كل إنسان يمضى إلى عظيم يجب ألا يتحدث حتى يسأله هذا العظيم، فيجيب إجابة مطابقة لهذا السؤال، وإذا قال كلاماً أكثر من هذا، فإذا سمعوه فبها، وإلا فقد طرق الحديد البارد، وحينما يركب العظماء الذين لهم الرئاسة على جميع الجنود للصيد، ينبغى أن يقيدوا أسماءهم، ليدعوا لهم بالخير على الدوام.

كن بين الناس مثل العجل ماهراً ساكتًا، وفى وقت الحرب مثل العقاب الجائعة التى تقاتل فى الصيد. وقال : يجب أن نمضى فى الضجيج، فمضى دراكاى آوها من قوم معينين إلى بلغان، وكان معه خادمًا، فرأى فارسين من بعيد، فقال الخادمان: بما أننا ثلاثة، فلنضرب هؤلاء القادمين، فقال: كيف رأيناهما فقد رأونا كذلك، ولا ينبغى أن نضربهم، وضرب الحصان بالسوط وهرب، وبعد ذلك اتضح أن أحد هذين الاثنين تيمور آوها من قوم التتار، وأجلس مائة شخص من خدامه فى كمين، وأظهر نفسه حتى إذا قصده الفرسان الثلاثة، وانهزم مضى إلى خدامه طالبًا المدد، وفهم هذا الأمر وهرب، وكان لديه بالقرب من هذا المكان اثنان وعشرون خادمًا فأخرجهم معه، والاحتياط واجب فى مثل هذه الأمور.

وقال: لا وجود لشجاع فى أى مكان قط مثل بيونتاى، ولا مثيل له فى أفضاله الأخرى، ولكنه لم يتعب من مشقة السفر، ولا يعرف الظمأ والجوع، فإن من معه من الخدام والجند يعلمون أنهم مثله فى تحمل المشقة، وليس لهم طاقة ولا قوة، لهذا السبب لا نبغى له رئاسة الجيش، وتجدر رئاسة الجيش لمن لا يعرف الجوع والعطش، ويقيس حاله بحال الآخرين، ويمضى فى الطريق بحساب، ويحول بين جيشه وبين الجوع والظمأ، وتضمر دوابه، سيروا سير أضعفكم، ويشير بهذه العبارة لهذا الأمر.

وقال: إن تجارنا يلبسون الثياب المزركشة، ومعهم سلع ثمينة أملاً فى الربح، وتقوى قلوبهم بهذه الأمتعة والأقمشة الفاخرة، فينبغى لقادة الجيش أن يحسنوا تعليم أبنائهم الرمى بالسهام والفروسية والمصارعة، وأن يدربوهم على هذه الأعمال، فإنهم يصبحون شجعانًا مثل التجار فى حسن حالهم، وسلامة مزاجهم بتلك الفنون التى يعرفونها.

وقال: حينما يسكر الإنسان من الخمر والطراسون، فإنه يصبح أعمى وأصم وأبكم، وإذا أراد أن يعتدل فى جلسته، فإنه لا يستطيع، مثل الشخص الذى يشج رأسه، فيبقى خائفًا حائرًا، لاعقل ولا نفع، ولا فضل فى الخمر والطراسون، وليس فيها سيرة طيبة ولا خلق كريم، وإن الرجل من الخير الذى يعرفه، والأفضال التى له عمله، والملك الذى يحرص على شرب الخمر، فإنه لا يستطيع أن يقوم بالأعمال العظيمة، ولا أن يربى الكلاب والخيول، والرجل الذى يحرص على هذا يصاب ببلاء عظيم، والشخص الفقير الذى يدمن الشراب يصبح مفلساً، والخادم الذى يحرص على شرب الخمر، فإنه يقضى عمره فى العذاب والهم إن الخمر والطراسون تعمى القلوب، وتسكر الأخيار والأشرار، وإذا لم توجد حيلة فى البعد عن شرب الخمر، فليشرب ثلاث مرات فى الشهر، وإذا تجاوزها فقد وقع فى الخطأ، وإذا شرب فى الشهر مرتين كان أفضل، وإذا شرب مرة واحدة، فهذا أحسن، أما إذا لم يشرب أصلاً فلا يوجد أفضل من هذا، وأين النفس التى لم تسكر؟![٩] ، وإذا كانت فهى عزيزة.

وقال: الرجل شمس نفسه، فبها يظهر نفسه فى كل جانب من جوانبها للناس، ويجب على الزوجة أن تنظم أساس بيتها إذا ركب زوجها للصيد، أو للجيش على نحو كان سفيرًا أوضيفًا ينزل به، كما يجب عليها أن تحسن طهى الطعام، وأن تهيئ ما تمس حاجة الضيف له، فلا شك أنها تجعل زوجها حسن السيرة وترفع ذكره، وبذلك يرتفع رأسه فى المحافل، فإن خير الرجل يعرف من خير المرأة، وإذا كانت المرأة سيئة شريرة بلا رأى ولا تدبير، فإن سوء الرجل يعرف منها، فكل شئ فى الدار يشبه صاحب الدار(١٠)

وقال أيضًا: من بعدنا تلبس العشيرة قباء مخيطًا بالذهب، ويأكلون أطعمة دسمة حلوة، ويركبون خيولاً حسنة، ويحضنون نساءً جميلات، ولا يقولون : إن آباءنا وسادتنا جمعوا هذه الأموال، وينسوننا، وينسون ذلك اليوم العظيم.

وكان لجنكيز خان مائة وتسعة وعشرون ألف جندى، ويختصون بقول براوون قاروجيون قار؛ أى المختصين بالقلب والجناحين، وورث تولوى مائة ألف وواحد، والقول إن هؤلاء الآلاف كانوا مختصين بجنكيز خان، وجميع إيواغلانات كانت أربعة جيوش عظيمة، والمتعلقين بهذه الجيوش ألف شخص، وقائدهم جغان نويان من قوم المنكقوت الذى رباه جنكيز خان كابنه، وبراوون قار بمعنى ميمنة، وهو رئيسهم، وكان بورج ينويان من قوم أولات، وسوتكسون أوبرغول نويان من قوم هوشين الذى يبلغ عددهم ثمانية وثلاثين ألفًا، وجيون قار يعنى الميسرة، ورئيسهم موقلى كويانك من قوم جلايرازجات، ومعنى كويانك باللغة الصينية الملك العظيم، وكان سيسلون أوناياتويان من قوم بارين، وعددهم اثنان وستون ألفًا، وقسم الباقى، وعددهم ثمانية وعشرون ألفًا على الأم والإخوة والأبناء، ما عدا تولوى خان.

تاريخ الخواقين والخلفاء والسلاطين والملوك والأتابكة الذين كانوا فى آخر عهد جنكيز خان

كان فى الصين، كيمشان، وشودى، وشو، وسو، وفى الصين الكبرى ببنك زون، وفى بغداد الخليفة القاهر لدين الله، وفى خوارزم وخراسان وغزنة وما وراء النهر

والتركستان السلطان محمد خوارزم شاه، وذكرت أخباره فى نفس تاريخ جنكيز خان، وابنه السلطان جلال الدين منذ ذلك الوقت الذى عبر فيه نهر السند، وتخلص من يد جيش المغول، وتوقف يومين فى وسط جيش آبيشه، ولحق به ما يقرب من خمسين رجلاً وهبوا حياتهم له، وعلموا أن جماعة من أشرار الهنود، وهم مشاة وفرسان أعملوا السرقة والفساد، وهم على بعد فرسخين من مقر السلطان، فبيتهم السلطان فجأة، وقضى على معظمهم، واستولى على خيولهم وأسلحتهم، وانضم إليهم جمع آخر من كل صوب، وجاء الخبر بأن أربعة آلاف رجل من جيش الهند قدم هذه الحدود، فشد عليهم السلطان مع مائة وعشرين رجلاً، وقتل معظمهم ورأى جيشه، وقد غنم هذه الغنائم.

ولما بلغ خبر هزيمة السلطان إلى الهند، اجتمع ستة آلاف رجل من جبل بالالة، وبنكالة، ومضوا للسلطان، فتقدم السلطان إليهم فى خمسمائة فارس، وحاربهم وقضى على معظمهم، وجاء بعضهم إليه، وكان جيشه فى ذلك الوقت ثلاثة آلاف، ومضى إلى دهلى، ولما بلغ الحدود، أرسل رسولاً إلى السلطان شمس الدين، قائلاً: بما أنه كان لنا سابقًا حق الجوار، وكان بين الجانبين تعاون فى السراء والضراء، وهذا ما يليق بالمروءة . وطلب موضعًا يقيم فيه عدة أيام، ولما كان السلطان مشهوراً بشدة البطش، وانتظر السلطان شمس الدين فى الرد عليه عدة أيام، وخاف من العاقبة، فقتل الرسول فى النهاية، وأرسل عظيمًا بهدايا نفيسة وعطايا فاخرة، ومهد للمعذرة، قائلاً: إن الجو فى هذه الحدود لا يناسب مزاج السلطان، وإذا رأى السلطان هذا، فعليه أن يمضى من حدود دهلى حتى يخلص السلطان من يد الطغاة ويسلمه.

ولما سمع السلطان هذا الكلام، رجع ومضى إلى حدود بلالة، وبنكالة، وانضم إليه هناك فوج آخر للجيش، وكانت معظم فرسانه ما يقرب من عشرة آلاف، وأرسل من هناك تاج الدين ملك الخلج بجيش إلى جبل جودى، فأغاروا عليه، وغنموا غنائم كثيرة، أرسل إلى الملك كوكارسنكين وخطب ابنته، فأجابه إلى طلبه، وأرسل الابن مع الجيش والبنت إلى السلطان، فسمى السلطان هذا الولد قتلغ خان، وكان حاكم ولاية السند أميراً يسمى قباجة، وكان يدعى السلطنة، والنزاع قائمًا بينه، وبين الملك كوكارسنكين،

وأقام معسكراً على شاطئ نهر السند على بعد فرسخين من مدينة أوجه، فأرسل السلطان إليه جيشاً يتكون من عشرين ألف مقاتل بقيادة من يسمى أورنك، فبيتهم أورنك بسبعة آلاف رجل فانهزم جيش قباجة، وهرب قباجة فى سفينة إلى قلعة أكروبكر فى الجزيرة، ونزل أورنك فى معسكر قباجة، وأرسل البشرى ليقدم السلطان، ونزل فى بلاطه، ومضى قباجة إلى الملتان منهزماً فى أكروبكر، ولما اشتد الحر مضى السلطان إلى مصيف جبل جودى، وهوعلى حدود بلالة، وبنكالة، وحاصر فى الطريق قلعة بس رام، وفى تلك الحرب أصاب سهم يد السلطان، فاستولوا على القلعة، وقتلوا أهل تلك المنطقة، ولما عادوا من هناك كان طريقه نحوالملتان، فخرج قباجة للحرب، فماذا وقع له مع السلطان؟، فتقدم أهل تلك المنطقة للحرب، فأشعل السلطان النار فى المدينة، ومضى نحوالهند، وكان فخر الدين السالارى حاكماً هناك من قبل قباجة، ولاجين الصينى قائد جيشه، فخرج لاجين لأورخان الذى كان على مقدمة جيش السلطان وقتله، وجاء فخر الدين بالسيف والكفن، فمضى السلطان إلى المدينة وقضى بها شهراً، ورعى جانب فخر الدين، وأسند إليه حكم إمارة الهند، ومضى إلى دبول، وأرسى أساس مسجد جامع فى مكان القلعة، وأرسل جيشاً مغيراً صوب نهر واله، وفى أثناء تلك الحال جاء الخبر من العراق أن أخا السلطان غياث الدين قد توطد له الأمر فيه، وساق معظم جنود بلاد هواى للسلطان جلال الدين، وحاصر براق الحاجب حاكم مدينة كواشيركرمان، وانطلق من هناك بطريق مكران. ولما بلغ خبر وصول السلطان إلى براق الحاجب أرسل الهدايا واستبشر، ولما وصل السلطان تزوج ابنته، وقدم رئيس قلعة كواشير مفتاحها إلى السلطان، ومضى السلطان فى سنة ستمائة وإحدى وعشرين إليها، وأقيم هناك حفل الزفاف، وولى وجهه قبل فارس من هناك، وأرسل رسولاً إلى الأتابك سعد، فأرسل الأتابك ابنه سلغر شاه مع خمسمائة فارس بالهدايا اللائقة لخدمته، ورغب أن يواصله، وهو الدرة الثمينة التى ربيت فى صدف أسرة الأتابك، ومن هناك عزم السلطان المضى إلى أصفهان، وكان الأتابك علاء الدولة بن الأتابك سام، وهو ابن بنت علاء الدولة كرشاسف بن على بن فرامرز بن علاء الدولة من آل بويه، وكان مقيماً فى مدينة يبرر[11] ، فخرج ومعه الهدايا؛ لأنه كان هرماً فسماه

السلطان الأب، وأجلسه بجانبه وعينه السلطان واليًا على مدينة أصفهان، وكان له من العمر أربعة وثمانون عامًا، واستشهد فى أصفهان سنة أربع وعشرين وستمائة. وجملة القول أن السلطان وصل أصفهان، فعرف أن أخاه غياث الدين فى الرى مع أركان وأعيان الجيش، فاختار كوكبة من الفرسان رفعت التوق على عادة المغول، وهجمت عليهم فجأة، فتفرق غياث الدين وبعض من أمراء جيشه؛ لأنهم كانوا جبناء، فأرسل السلطان من باب الرحمة إلى أمه شخصًا فى الوقت الذى كانت فيه الفتنة قائمة، ولم يكن معظم الأعداء فى الحرب منتصرين، فغلب غياث الدين، وقدم مع خواصه إلى أخيه، فأكرم السلطان وقادته، وجعل لكل أمير منهم منزلة، وأرسل العمال لأعمالهم، وأعطاهم جميعًا فرامين ومنشورات، واستقامت أحوال المملكة مرة أخرى بقدومه، وكان مدبر ملكه نور الدين، وله قصيدة فى مدح السلطان هذا مطلعها:

تعال يا حبيبى فقد عاد للعالم جماله وروعته   بنور ملك الآفاق جلال الدين الملك الأعظم

ومضى فى شهور سنة ستمائة وإحدى وعشرين إلى تستر؛ ليشتى هناك، ووصل سليمان شاه فى ذلك الطريق، وزوج أخته للسلطان.

وتوجه السلطان من هناك إلى بغداد ظنًا منه أن الناصر لدين الله سيقدم له المدد؛ لدفع الأعداء، وأرسل رسولاً يخبر بوصوله، ولما كان الخليفة مستاء من أبيه وحده، أرسل قوشتمور، وهومن عبيده مع عشرين ألف رجل؛ ليطردوا السلطان من نواحى تلك البلاد، وأرسل حمامة إلى أربيل ليمضى مظفر الدين كوكبرى مع عشرة آلاف فارس ويعتقلوا السلطان من وسطهم، فمضى قوشتمور قبل وصول جيش أربيل مغرورًا بكثرة عدده، وقلة مدد السلطان، ولما اقترب السلطان من المدينة، أرسل رسالة إلى قوشتمور قائلاً فيها: إننا نظن أن مبادرتنا لهذا المكان، وهوملجأ السلطان الذى يستظل بظل الخليفة، لأن الأعداء أقوياء، ولا قدرة لأى جيش بهم، وإذا استظهرت بقبول إجابة الخليفة، فإن مهمتى هى دفع هؤلاء المعتدين، ولم يلتفت قوشتمور لهذا الكلام، ووصف المعركة وأصبحت الحرب ضرورية للسلطان، ولم يكن جيشه عشر جيش بغداد، فحشد الجيش، وكانت له جماعة فى الكمائن، وحمل مع خمسمائة فارس على قلبهم وجناحهم

مرتين أوثلاثًا، وأدار وجهه للناحية الأخرى وأحجم؛ لأنه تصور الهزيمة، فمضوا فى عقبه.

ولما بلغوا موضع الكمين، خرج جيش السلطان من الكمائن، وقتلوا قوشتمور فى وسطهم، ومضى الجيش منهزمًا إلى بغداد، ومضى السلطان بطريق دقوق، وأشعل النار وسلب فى تلك النواحى ومضى إلى تكريت، فوصل الجواسيس قائلين أن مظفر الدين كوكبرى قادم بجيش، وحملوا على الطلائع حتى يغلبوا السلطان بحيلة، وحمل السلطان مع عدة فرسان مبارزين، وأسروه فجأة؛ فأصدر السلطان العفو، واعتذر مظفر الدين عما صدر من أعمال، وأبدى الأسف، وبناء على هذا الاعتذار أكرمه السلطان ورده معززًا، ومضى السلطان من تلك النواحى إلى حدود آذربيجان، وفى هذا الوقت كان الأتابك أوزبك بن جهان بهلوان حاكمًا على تبرين، فهرب إلى قلعة النجة، وترك زوجته ملكة خاتون بنت السلطان طغرل السلجوقى فى تبريز.

وفى شهور سنة اثنتين وعشرين وستمائة، نزل السلطان فى ظاهر تبريز، واشتغل بالحصار، وتسلقت ملكة السور ذات يوم، وشاهدت السلطان فعشقته، وأراد أن يجعلها زوجة له، وادعت أن زوجها طلقها، ولما علم القاضى قوام الدين الحدادى أن هذا الكلام كذبًا فلم يستمع، فقال عز الدين القزوينى والد القاضى محيى الدين: إذا كان يأذن لى فى أن أتبوأ منصب القضاء أقبل هذه المصاهرة، فجعلوه قاضيًا، فزوج ملكة للسلطان، وسلمه المدينة، فدخلها السلطان، وأقام أهل تبريز مراسم التهنئة.

ولما بلغ هذا الخبر الأتابك أوزبك مات فى الحال حزنًا وانتهى ملك الأتابكة، واتجه الخدم والحشم إلى السلطان، فمضى السلطان مع ثلاثين ألف رجل إلى بلاد جورجيا انتقامًا منهم ؛ لأنهم سبق أن أغاروا على نخجوان ومرند، ووصل فى الصباح إلى وادى كرنى الواقع على حدود بلاد جورجيا، وسيطر عليه سيطرة تامة، وأخذ معه رؤساءهم شلوه، وإيوانى فى السلاسل والأغلال، وكان شلوه قوى الجسم شديدًا، ولما جاءوا به إلى السلطان، قال: أين ذهبت صولتك التى كنت قد تحدثت عنها؟، أين صاحب ذى

الفقار؟، حتى يرى السيف اللامع والسنان الذى ينفث النيران؟، فقال شلوه: إن حضرة السلطان، هو الذى صنع هذا، وآمن فى الحال، وصار مسلماً.

ووصل السلطان المظفر إلى دار الملك تبريز، وأكرم وأعز شلوه، وإيوانى حتى يعاوناه فى فتح جورجيا، وأسند إليهما أمر مرند، وسلماس، وأرميه، وأشنيه، وهيأ جيشاً عظيماً من الفرسان، والمشاة، وكان شلوه، وإيوانى قد قالا كلاماً طبقاً لحالتهم المزاجية فى ذلك الوقت، وتقبلا ذلك، ولما توجها إلى جورجيا، كان قد عبّأ جيش جورجيا فى الخفاء، ووضعاه فى كمين، فعرف السلطان هذا وقضى عليهما، وقصد ذلك الجيش، وقتل أكثره، واستولى السلطان على مدينة تفليس وتلك الولايات، وخرب بعض الكنائس وأقام مكانها مساجد، وفجأة أسروا بخبر عن أن المغول يصلون بجيش عبر نهر جيحون قاصداً السلطان، فتوجه السلطان إلى العراق، ولما وصل أصفهان أخرج أكثر من مائة ألف من الفرسان والمشاة من أصفهان لدفعهم، وحشد الجيوش وعهد بالميسرة إلى أخيه الخائن غياث الدين، والميمنة إلى أورخان، ووقف بنفسه فى القلب.

ومن تلك الناحية شاغل الجيش باجى نويان، وياقون نويان، وأسان طوغان، وبايماس، وباينال، وتقابلوا معه، وتحاربوا فى بردجين من توابع أصفهان، وهرب غياث الدين غضباً من أخيه مع إيلجى بهلوان، ومضى منهزماً إلى لرستان، ولما التقى الجيشان رفعت يد المغول اليمنى يد السلطان اليسرى، ومضى إلى لرستان، ورفعت يد السلطان اليمنى يد المغول اليسرى، ومضى حتى الرى، وما كان لأحد خبر عن الآخر، والتقت الجيوش، وبقى السلطان فى القلب وانتزع علمه، وأحاطوا به من كل جانب، وقتل الأتابك ركن الدين أبوالفتح علاء الدولة مسد[١٢] فى هذه الحرب، وحارب السلطان حروباً عنيفة حتى قفز من وسطهم، ومضى صوب لرستان، وأقام فى الوادى، واتصل به المنهزمون، وكان بعض أهل أصفهان من الذين قضى عليهم السلطان، فقدم المبشرون فجأة قائلين : إن السلطان قادم، فاستقبله أهل أصفهان، وأظهروا الفرح، ولما نزل كان أكثر الحشم غاضبين، وأمر بالشباب وعلى رؤوسهم براقع النساء أن يطوفوا فى المدينة، وكانت هذه الواقعة فى رمضان سنة أربعٍ وعشرين وستمائة، ومضى السلطان بعد ذلك نحو تبريز، ومضى إلى جورجيا استعداداً للمغول.

وكان السلطان عز الدين كيكاوس بن كيخسرو بن قليج أرسلان فى الروم، وتوفى فى هذه السنة المذكورة بمرض السل، وأخرجوا أخاه علاء الدين كيقباد الذى كان محبوسًا فى القلعة، وتربع على عرش الملك، وكان له ابن طفلاً، وعمه صاحب أرزن الروم معاديًا له، فإن الملك أشرف صاحب الأخلاط قام بالصلح بينهما، وكان بدر الدين لؤلؤ فى ديار بكر، وحاصر قلعة شوش فى هذه الأعوام ؛ لأن الصاحب هناك عماد الدين الزنكى بن أرسلان شاه كان قد مضى إلى تبريز عند الأتابك أوزبك، وأقطعه الأتابك أرضًا وجعله ملازمًا له، وجملة القول أنه حاصر القلعة هناك مدة، ولم يتيسر فتحها، فترك بدر الدين الجيش، ومضى بنفسه إلى الموصل، ولما ساء حال أهل القلعة سلموها.

وكان فى سنجار قطب الدين محمد بن عماد الزنكى بن قطب الدين مودود بن آقسنقر الحاكم وتوفى، وأصبح ابنه شاهن شاه خليفة له، وفى المدن الأخرى كان أبناء الملك العادل، وفى الشام الملك المعظم من أبناء الملك العادل، وفى مصر الملك الكامل، وفى فارس الأتابك مظفر الدين بن سعد بن زنكى، وفى كرمان الملك شجاع الدين، ولما مضى براق الحاجب إلى الهند كان يمر بهذه الحدود، فطمع الكرمانيون فى العبيد الصينيين الذين كانوا خدمًا وحشمًا له فهاجموه، ومهما قال لهم : إنى عابر سبيل، ولا مصلحة لى معكم، إلا أنهم لم يستمعوا إليه، وحارب مع أقوامه حربًا ضروسًا، وقتل منهم خلقًا كثيرًا، وقتل الملك شجاع الدين، واستولى على المدينة، وحاصر القلعة حتى وصل السلطان جلال الدين، واستولى أيضًا على القلعة، وأصبح الحاكم المطلق.

قصة أوكتاى قاآن بن جنكيز خان

كان أوكتاى قاآن ملكًا عادلاً عاقلاً كريمًا، ومعنى أوكتاى العروج إلى العلا، وبناء على الوصية، وخلوالعرش عامين دعا إلى اجتماع فى مكان يسمى كلوران فى هوركائيل الموافق لشهور سنة ستمائة وست وعشرين، وأمسك جغتاى خان بيده

اليمنى، وتولوى خان بيده اليسرى، وعمه أوتجكين الوسط، وأجلسوه على العرش وسموه القاآن. وكان له أربع زوجات عظيمات هن: يوراقجين، وتوراكنه، وموكا، وجاجين. وسبعة أبناء هم: كيوك خان، وكوتان، وكوجو، وقراجار، وقاشى، وأم هؤلاء الأبناء الخمسة توراكنه خاتون من قوم أوهان مركست[١٢] . وقدان أغول، وملك واسم أمهما أركنة، وكان لقاشي ولد، وهوقايدو بن سكينة خاتون، وكانت عجوزًا عاشت حتى عصر غازان خان، وربوا قايد وفى معسكر جنكيز خان، ولازم منكوخان بعد أوكتاى خان، ووافق وسعى فى إجلاس إريق بوكا فى الخانية، ولما مضى إريق بوكا إلى قوبيلاى قاآن وأطاعت أمره، ثار قايدو خوفًا منه، وبدأ يصادق أروق جوجى، واستولى على بعض الولايات بمعاونتهم، فأرسل قوبيلاى قاآن نوموغان ابنه مع جماعة من الأمراء والقواد بجيش عظيم لصده، وفى الطريق فكر أبناء عمومته نوموغان فى الغدر، واعتقلوه وقائد الجيش هنتوم نويان وأرسلوهما إلى منكوتيمور، وهو من سلالة أروق جوجى خان الذى كان ملك هذه الأمة ، وهنتاوم إلى قايدو، وفى شهور سنة سبعٍ وعشرين وستمائة، حارب قايدو بالاتفاق مع ابنى براق جيش تيمورقان وانهزموا، وجرح كل منهما فى تلك الحرب، ومات قايدو من هذا الجرح، وأصبح الابن الأكبر أوجالبار ملكًا مكان قايدو، ويقولون: كان لقايدوأربعين ابنًا، وقرر نوروز بن أرغون أقاآن أولاده أربعة وعشرون.

تاريخ الخلفاء والسلاطين والملوك والأتابكة وغيرهم الذين عاصروا أوكتاى قاآن

فى بغداد كان الناصر لدين الله، وتوفى فى سنة سبعٍ وعشرين وستمائة، وفى العراق وأذربيجان السلطان جلال الدين، وعاد من أصفهان فى أوائل شهور سنة خمسٍ وعشرين وستمائة، ومضى إلى تبريز، وعزم على المضى إلى جورجيا، واتحد

سلاطين الروم وملوك الشام مع جيش جورجيا والأرمن والقبجاق وحاربوا السلطان، وقتل السلطان بعضًا من جيش جورجيا، ومضى إلى الأخلاط وحاصرها، واستولى على المدينة، وبعد ذلك وصل خبر جرماغون نويان أنه عبر جيحون.

وأقام السلطان فى الشتاء فى سنة ثمانٍ وعشرين وستمائة فى أرميه، وأشنويه. وأرسل جرماغون جيشًا عظيمًا بقيادة بايماس متعقبًا السلطان، وأعاد السلطان قويرخان؛ ليكون حارسًا، ويتفحص حال المغول، ولما بلغ تبريز سمع الخبر بعودتهم، ولكنه لم يهتم بذلك، وعاد وبشرهم بعودتهم، فانهمك السلطان، وجمهور الأمراء بالطرب، وكانوا فى فرح مدة يومين، أو ثلاثة حتى وصل إليهم جيش المغول فجأة فى منتصف الليل، وكان السلطان نائمًا وهومخمور، فأيقظه أورخان فولى هاربًا، ودخل المغول المعسكر، وقتلوا كل من وجدوه، ووقع الخلاف فى مآل السلطان، ففى رأى بعضهم أن الأكراد قتلوه طمعًا فى خيله وسلاحه، ويقول آخرون: إنه لبس لباس الصوفية وسافر.

وكان علاء الدين قيقباد فى الروم، وبدر الدين لؤلؤ فى الموصل، والملك مظفر الدين صاحب أردبيل فى ديار بكر، وفى الشام ومصر أبناء الملك العادل بن أيوب الملك المعظم والأشرف، والأتابك سعد بن زنكى فى فارس الذى توفى سنة خمسٍ وعشرين وستمائة، وكان خواجة غياث الدين الوزير فى البيضا أخفى حادثته، وأرسل خاتمه إلى قلعة سبيد، وأخرجوا ابنه الأتابك أبوبكر من السجن وأحضروه، ودخل فى خيمة كبيرة، وقال لقواد الجيش: إن الأتابك يقول بأن ولى العهد هوأبوبكر فألقى سلغر شاه، والقواد الحزام فى عنقه، وأصبح أتابكًا.

وكان براق الحاجب فى كرمان، وطلب أم السلطان غياث الدين وقتله هو وأمه، وأرسل رأسه إلى السلطان، وفى خوارزم عين جينتمور، وهو من القراخطائيين أميرًا لتلك البلاد، وكان ذلك لأنه فى وقت الاستيلاء على خوارزم جعله جنكيز خان رئيسًا لشرطتها، وفى عهد أوكتاى قاآن عندما كان يرسل جرماغون لإيران أمر بأن يمضى السادة، وجباة ضرائب الولايات بأنفسهم إلى حريك[١٤] روند، وأن يعاونوا جرماغون.

فمضى جنتيمور بناء على الأمر من خوارزم بطريق شهرستانه، وقدم من الجوانب الأخرى أمير من كل ناحية، وعين جرماغون من قبل كل أمير قائدًا مع جنتيمور، ولما

أهمل جرماغون أمر خراسان، وكان مثيرو الفتنة والأوباش يثيرون القلاقل والفتن على الدوام، كان قراجة، وتغان سنقر أميرين للسلطان جلال الدين، وكانا يغيران على نيسابور، وهذه النواحي، وقتلا رجال الشرطة الذين تركهم جرماغون في هذه الأماكن، فأرسل جرماغون جنتيمور، وكلبار، ليصدا قراجة عن حدود نيسابور، وعاد كلبار بعد هزيمة قراجة.

ولما بلغ القاآن خبر اضطراب خراسان، صدر الأمر إلى طائر بهادر؛ ليسوق الجيش من بادغيس ليصد قراجة، وأن يغمر الماء في منازلهم ومساكنهم، فمضى بناء على الأمر، فسمع في الطريق أن كلبار هزم قراجة، ولجأ إلى قلعة أوك بسجستان، فمضى طائر بهادر لحصارها، وكابد المتاعب عامين حتى استخلصها، وأرسل رسولاً من سجستان إلى جنتيمور، قائلاً: إن شئون أمر خراسان بناء على ما جاء في حكم القاآن فوضت إلي، فكف يدك عنها، فأجاب أن عصيان أهل خراسان كان كذبًا، وكيف نقضي على سكان عدة ولايات بذنب قراجة، وبذلك نرسل رسولاً للقاآن؛ لإنهاء هذا الوضع، ونتصرف بناء على ما يأتي.

فعاد رسل طائر بهادر وهم غضاب، وأرسل جرماغون رسولاً أيضًا حتى يعود الأمراء، وأن ينضموا إليه مع الجيش، وأن يتركوا أمر خراسان، ومازندران لطائر بهادر، وكان كلبار من خواص جنتيمور، فكلفه مع أمراء خراسان، ومازندران بأن يدينوا بالعبودية للقاآن، وفي أثناء تلك الحال أرسل الملك بهاء الدين الصعلوك على أن يدين بالعبودية للقاآن بشرط أن ينزل من القلعة، وعاد جنتيمور من خراسان، وخضع معظم أهل قلاع خراسان لصيت حال الصعلوك، وحينما وصل جنتيمور أعزه إعزازًا خاصًا، وعين أصفهبد نصرة الدين كبور من مازندران، ومضى كل منهما في صحبة كلبار متوجهين إلى حضرة القاآن في شهور سنة ثلاثين وستمائة.

وبما أنه لم يكن أحد من أمراء هذه البلاد قد مضى إلى هناك قبل ذلك، سر القاآن بقدومهم، وأمر بأن يقيموا الحفلات، ورعى جانبهم جميعًا، وخص جنتيمور، وكلبار بأنواع من الهدايا لهذا السبب، وقالا في تلك المدة التي مضى فيها جرماغون واستخلص عدة ولايات، وقدم مع قلة العدد، والمدد فرائض العبودية، ولم يرسل أي ملك إلينا، وقد قبلنا منه هذا.

وأسند إليه إمارة خراسان، ومازندران، ولم يتدخل جرماغون، والقادة الآخرون فى هذا المدخل، وجعل كلبار فى حكم شريكه، ووهب أصفهبد ملكًا من بداية حدود كبود جام حتى إستراباد، وجعل ملك أسفرايين، وجوين، وبيهق، وجاجرم، وخورندوا رغيان للملك بهاء الدين، وأعطى كل واحد منهم خلعة من ذهب وفرمانًا.

ولما توطد الأمر لجنتيمور بأمر القاآن، لقب شرف الدين بالوزير، وعين بهاء الدين محمد الجوينى صاحب الديوان، فانتظم أمره، وأرسل جنتيمور بازكوركوز برسالة يعلن فيها العبودية للقاآن، إلا إن كلبار مانع فى هذا، وقال: إنه يغورى ويعمل لصالحه الخاص، فلا مصلحة فى هذا، ولكن لم يستمع جنتيمور لهذا، ولما وصل هناك، وسأله القاآن عن أحوال الولاية فقد قرر ما قرر بناء على ما يرى، فسر القاآن من كلامه ورده بناء على طلبه، وتوفى جنتيمور بالقرب من هذا الوقت.

حكاية عدل وكرم أوكتاى قاآن

كان القاآن متصفًا بمحاسن الأخلاق ومكارم الصفات، وينعم على الناس باختلاف طبقاتهم بالعطاء، وكان يعترض رجال الدولة، وأعيان الحضرة أحيانًا على إسرافه، وكان يقول للناس شيئًا معينًا مقدرًا، والدنيا لا تفى لأى مخلوق، ومقتضى الحكمة أن يحيى الإنسان نفسه ببقاء حسن سيرته.

قال الحكماء: "إن الذكر الباقى عمر ثان، وتكفيك هذه الذخيرة على أنها من الباقيات الصالحات".

وكان يذكر فى حضرته فى كل مرة عادات ورسوم الملوك المتقدمين، ويتحدثون عن الكنوز، وكان يقول: لقد سعوا فى هذا الأمر، ولم يكن لهم نصيب من الحكمة، فلا فرق بين الكنز والتراب، فكلاهما فى عدم المنفعة سواء، سنضع كنوزنا فى زوايا القلوب، وكل ما هو موجود ومعد، وهبناه للضعاف والمحتاجين حتى نترك سمعة طيبة ذكرًا لنا.

حكاية: قانون وأسلوب المغول هكذا، ألا يجلس أحد فى الماء فى الربيع والصيف فى بلاد المغول، ولا يحملوا الماء فى أوانى الذهب والفضة، ففى زعمهم أن هذا يوجب

الرعد والبرق والصواعق، ويخافون من ذلك كثيراً، وعـاد القـاآن مع جغتاى ذات يوم من الصيد، فرأيـا مسلمـاً يغتسل فى النهر، فأمر جغتاى بأن يقتلوه، فقال القاآن: هذا فى غير وقته؛ ليحجز فى هذه الليلة، ويُسأل غداً ثم يعاقب، وسلمه إلى الحاجب دانشمند، وأمر خفية أن يلقوا كيساً من الفضة فى الماء فى موضع غسله، وقالوا له أن يقول فى المحاكمة أنا رجل فقير، وثروتى سقطت فى النهر، وغصت لأستخرجها، وتمسك بهذا العذر فى اليوم التالى للمحاكمة، ولما مضوا إلى هناك رأوا الكيس فى النهر، فقال القاآن: لمن القدرة على ذلك؟ من هذا الذى يستطيع أن يتجاوز القانون!، إن هذا المسكين لفرط عجزه جعل نفسه فداء لهذا المحقر، فعفا عنه وأمر أن يعطوه عشرة أكياس أخرى، وأخذوا عليه تعهداً بألا يجد فى نفسه جرأة ليعود لمثلها، ولهذا السبب أصبح أحرار العالم عبيداً له، فإن الروح خير من الكنز العظيم.

حكاية: قدم أحد منكرى الدين الإسلامى للقاآن، وهويتحدث العربية، وركع قائلاً: رأيت جنكيز خان فى المنام، وقال: قل لابنى أن يقتل كثيراً من المسلمين؛ لأنهم قوم غاية فى الخبث والشر، ففكر القاآن لحظة، وقال: هل حدثك بواسطة مترجم أم بلغته؟، قال: بلغته، فسأله القاآن قائلاً: أتعرف اللغة المغولية؟، قال: لا، فقال: إنك تكذب بلا شك؛ لأننى أعلم تماماً أن جنكيز خان لم يعرف غير اللغة المغولية، وأمر بأن يعاقبوه.

عرض أهل طايفو، وهى من مدن الصين، أن عليهم ديناً مقداره ثمانية آلاف كيس من الذهب، وسوف يكون هذا الأمر موجباً لوقوعنا فى الشدة؛ لأن الغرماء يطالبوننا، فإذا صدر الأمر بمساعدتنا، فسنرده بالتدريج ولن ننكره، فأمر القاآن بإلزام الغرماء بالتعاون، إلا إن إلزامهم بالتريث يستوجب خسارتهم، والإهمال يسبب الاضطراب للرعية، فمن الأولى أن ندفعه من الخزانة، وأمر منادياً بأن ينادى على الدائنين لإحضار الحجج، وأن يحضر الغرماء، وينالوا المال من الخزانة، ويأخذوا أضعاف ما طلبوا.

أحضر شخص ثلاث شمامات من موضع الصيد، ولا يوجد شيء من الذهب والثياب، فقال لمونكا خاتون: أن تعطى لهذا الشخص الدرتين الثمينتين اللتين كانتا فى أذنيها، قالوا: إن هذا الفقير لا يعرف قدر هاتين الدرتين، فليحضر غداً، وليأخذ من

الخزانة ما يطلب من مال وثياب، فقال: ليس لهذا الدرويش طاقة للانتظار، وسيعيد هاتين الدرتين إلينا، وأعطى للدرويش الدرتين، فعاد مسروراً، وباعهما فى السوق، ففى اليوم التالى أحضر مشترى هاتين الدرتين وتحفًا أخرى للقاآن، فقال: ألم أقل إنها ستعود إلينا، ولم يبق الدرويش محروماً، فأرجعهما لمونكا خاتون، وأمر بالهدايا.

فى الوقت الذى لم تكن فيه شيراز معلنة الولاء، قدم شخص، وركع قائلاً: أنا صاحب عيال، ودينى يساوى خمسمائة كيس من الذهب، وقدمت من شيراز على شهرة القاآن بالكرم، فأمر بأن يقدم إليه ألف كيس، ولكنها ترد، فقالوا: إن الزيادة على ما يطلبه إسراف، فقال: جاء هذا المسكين على شهرتنا بالجود من طريق بعيد، وإن ملتمسه لا يفى بقرضه، وإذا لم يزد عن هذا، فإنه يعود يائسًا، ولا يمكن أن نعوق ما أمرنا به من قبل، فأعطوه ليعود مسروراً.

كان يمر ذات يوم فى سوق قراقوم، فوقع نظره على عناب فاشتهاه، فأمر دانشمند الحاجب أن يشترى كيساً من العناب من هذا الدكان، فمضى وأحضر بعضاً من العناب، وأعطاه ربع الكيس الذى كان أضعاف هذا، ولما أحضره، قال: إن مثل هذا العناب الكيس منه رخيص، فأخرج دانشمند الحاجب باقى الكيس، وقال: ما أعطيته يساوى أكثر من قيمة هذا ألف مرة، فعاتبه القاآن، وقال: من له فى كل هذا العمر ليشترى مثلنا؟! وأمر بأن يعطيه عشرة أكياس أخرى.

قدم رجل عجوز من بغداد، وجلس على قارعة الطريق، ولما وصل القاآن سأله عن حاله قال: رجل هرم وضعيف وفقير وعندى عشر بنات، ولشدة فقرى لا أستطيع أن أزوجهن، فقال له: لماذا لم تطلب من الخليفة؟، قال: كلما طلبت صدقة من الخليفة أعطانى عشرة دنانير ذهبية، وهذا لا يفى بالنفقة، فأمر القاآن بإعطائه ألف كيس من الفضة، فقال: كيف أحمل مثل هذا الثقل؟، فأمر القاآن أن يعطوه حماراً وكل ما يسهل له الانتقال، فقال العجوز: الطريق بعيد وفيه بدو وأشرار، فكيف أصل بهذا المال إلى بلادى؟، فأمر عشرة رجال من الخرس المغولى بمصاحبته؛ ليوصلوه إلى بلده بذلك

المال فى أمان، فتوفى هذا الرجل فى الطريق، فأخبروا القاآن بذلك، فأمرهم بحمل المال إلى بغداد، وأن يسلموه لأهله، وأن يقولوا: إنها صدقة القاآن؛ ليزوجوا البنات.

أحضر رجل قلنسوة، وأمر له وهوفى سكره بمائتى كيس من الذهب، وكتبوا منشوراً وامتنعوا عن ختمه خوفًا من أن يكون قد وهبه هذا المال وهو سكران، فوقع نظره فى اليوم التالى على هذا الرجل، فعرضوا المنشور(البراءة)، فأمر بأن يجعلوها ثلاثمائة، ولهذا السبب الذى جعلهم يترددون كانوا يضيفون كل يوم مائة حتى بلغ ستمائة، واستدعى فى هذا الوقت القادة والحراس وسأل، هل سيبقى أى شىء فى الدنيا أم لا؟، فقالوا جميعًا : لا، فاتجه إلى يلواج، وقال: هذا الكلام خطأ؛ لأن الاسم الحسن، والذكرى الطيبة لهما البقاء، وقال للحراس: أرى أنكم الأعداء الحقيقيون لى؛ لأنكم لا تريدون أن تبقى لى ذكرى طيبة، وظنًا منكم أنى أهب ما أهب فى سكرى، فأنتم تعرفون ما آمر به، وتحرمون منه المستحق، وما دام شخص أوشخصان منكم لا يهتمون بالآخرين جزاء أفعالهم، فلن يفيد من ذلك. وجملة القول أنهم أعطوا ذلك الشخص ستمائة كيس.

أحضر جماعة من الهند سنى فيل، فقال: ما هو ملتمسهم ومطلبهم؟، قالوا: ألف كيس ذهب، فأمر أن تعطى لهم، فاستنكر رجال البلاط ذلك، وذكروا: كيف يمكن دفع مثل هذا المال فى شىء حقير كهذا خاصة أنهم قدموا من بلاد العدو؟، فقال: ليس لى عدو، فأعطوهم حتى يمضوا.

كان من عادة القاآن أن يشتغل بالصيد ثلاثة أشهر فى الشتاء كل عام، ويجلس على كرسى خارج البلاط فى الأشهر التسعة الباقية بعد أن يفرغ من تناول الطعام، وكان يخرج كل ما فى الخزانة من أمتعة فى البيدر، ويهبها للمغول والمسلمين، وكانت كثيرة ويأمر أشداء الرجال أن يأخذوا أى متاع أرادوه بقدر ما كانوا يستطيعون، وذات يوم أمر واحداً من تلك الطائفة، فأخذ ربطة من الثياب الخاصة الفاخرة، وسقطت بعضها فى الطريق، فرجع حتى يأخذها، فقال: كيف تتأذى قدم إنسان من أجل ثوب؟! وأشار أن يأخذ مرة أخرى بقدر ما يستطيع.

لوأن حاتمًا كان حيًا، وشاهد كرم جود كفك، فليس هناك شك أنه يؤمن على يدك، وإذا ما شغلنا بذكر هذه الحكايات، فإن هذا الكتاب لا يحتمل ذلك، ويمكن قول بعضها.

وكان قد أسند أوكتاى قاآن مملكة الخطا بأكملها إلى الصاحب محمود يلواج، كما أعطى من قبل ولاية يغورستان، وختن، وكاشغر، والماليق، وقباليق، وسمرقند، وبخارى، حتى شاطىء جيحون إلى مسعود بيك بن يلواج، كما فوض الأمر من خراسان حتى حدود الروم، وديار بكر إلى الأمير كوركوز، وكانت أموال جميع هذه البلاد تصل إلى الخزانة.

وتوفى القاآن فى شهور سنة ثمانٍ وثلاثين وستمائة فى هوكاوييل ليلاً فجأة من كثرة شربه للخمر، وذكر الخواجه علاء الدين صاحب الديوان فى تاريخ جهانكشا، أنه توفى فى عام النمر الموافق الخامس من جمادى الآخرة سنة تسعٍ وثلاثين وستمائة، وكان للقاآن طبيب نظم تاريخ وفاته بالرموز، وأرسل هذا التاريخ إلى صديق فى بلاد ما وراء النهر على هذا النحو.

فى كل عام أضاف فلان خلطاً إلى الخلط   وكان يخبر عن الجهلاء ليل نهار وهو فى سكره

وأمد أمور مزاجه بعدد عظيم   فالمشترى مع الشياطين والمدد يمطر الخمر

ودفنوه فى قروق الكبرى، وكانت مدة ملكه ثلاثة عشر عامًا.

قصة كيوك خان بن القاآن بن جنكيز خان

لما توفى أوكتاى قاآن، فلم يأتِ ابنه الأكبر أوكيوك خان من جيش القبجاق، وسرعان ما توفيت مونكا خاتون، وكانت توراكنه خاتون أم الأبناء الكبار استولت على البلاد بالتآمر مع آقاوايني، واجتذبت قلوب الأمراء بأنواع التحف والهدايا حتى جعلتهم جميعًا تحت أمرها، واستقر رأى جتيقاى(١٥)، والوزراء الآخرين، والنواب، وولاة الأطراف على قرار، وبما أنها قد غضبت فى عهد القاآن من جماعة منهم، وحملت الحقد فى قلبها، وصارت فى ذلك الوقت الحاكمة المطلقة، فأرادت أن تكافئ كلاً منهم، وكانت لها حاجبة تسمى فاطمة نواقد أسروها عند استخلاص خراسان، وكانت من مشهد طوس غاية فى الذكاء والكفاية وموضع ثقة وسر الخاتون، وجعلها حكام الأطراف وسيلتهم، وكانت تعزل الأمراء الكبار بمشورتها الذين كانوا يتولون المهام

الكبرى، وكانت تعين طائفة من الجهال فى أماكنهم، وأرادوا أن يأخذوا جغتاى الذى كان الوزير العظيم للقاآن، فعرفت ذلك وهربت، ومضت عند كوتان، وكانت لفاطمة عداوة قديمة مع يلواج، فعينت شخصًا يسمى عبد الرحمن بدلاً منه، وقال: أرسلى قورجى حتى يعتقل يلواج، ويأتى به مع الخدم، فهرب يلواج بحيلة من قال، واتصل بكوتان، ولما علم الأمير مسعود بك الذى كان حاكم ممالك التركستان، مضى إلى باتو، وكان قد أرسل قرا أغول وخواتينه ألجغتائيين رقية خاتون وغيرها، وقربا إيلجى فى صحبة أرغون آقا إلى خراسان عند كوركوز، ولما قتلوا كوركوز، جعلوا أرغون آقا قائمًا مقامه، وأرسلوا فى هذه الفتنة كل شخص من هؤلاء إلى جهة، وتوسل كل شخص من الأطراف بالبراءات والحوالات، إلا من جانب سيور قوقيتى بيكى، وأبنائها الذين داوموا على العقوبات، ولم يتجاوزوا الياسا الكبرى، وأرسلت توراكنه خاتون رسلاً إلى أطراف البلاد؛ لإحضار الأمراء والقواد للمؤتمر الكبير.

وفى أثناء تلك الملابسات كانت الساحة خالية، ولم يكن كيوك خان قد وصل بعد، فأراد أوتجكين نويان أخو جنكيز خان أن يستولى على العرش بالقوة، فتوجه بجيش عظيم إلى معسكر القاآن، ولهذا السبب اضطرب الجيش كله والشعب، فأرسل توراكنه خاتون رسولاً إلى ماكلبنان[١٦]، قائلاً: نحن أعوانك ونستظهر بك، فما جدوى القدوم بجيش؟، فإن الشعب كله قد اضطرب، فندم أوتجكين من تلك الفكرة، وتمسك بعلة التعزية، وفى هذا الوقت جاء خبر نزول كيوك خان بجيشه على ضفة إيمل، فزادت ندامة أوتجكين وعاد إلى وطنه، وجملة القول إن العرش كان تحت سيطرة توراكنه خاتون مدة ثلاث سنوات بسبب عدم انعقاد المؤتمر، ولم يتحقق اجتماع الأمراء.

جلس كيوك خان فى عام موريين على عرش القاآن الموافق ربيع الآخر سنة ثلاث وأربعين وستمائة، وتوفيت توراكنه خاتون بعد ثلاثة أشهر، وكانت فاطمة خاتون قد صنعت سحرًا لكوتان الذى أخبر أخاه بذلك، ومات فخاطوا منافذها من أعلى ومن أسفل ولفوها فى لباد وألقوها فى النهر، وحل قرا أغول محل جغتاى، ولم يعط بيسكومنكوالذى كان شقيقه إذنًا بالدخول عليه، فقال كيوك خان: كيف يكون الوارث إذ

لم يوجد ابن؟، وجعل مكان جغتاى ليسومنكو ورعى جانب جيتقاى، فأسند إليه الوزارة، وعاقبوا عبد الرحمن، وكان قداق الأتابك مسيحيًا، فقوى دين النصارى، ولم يستطع أحد من المسلمين أن يتحدث إليهم بصوت عالٍ. وكان لكيوك خان ثلاثة أبناء: خواجه أغول وناقو، وكانت قيمش خاتون أمهما، وكان لناقو ولد يسمى جابات، فى الوقت الذى قدم فيه براق إلى إيران، أرسل قايدو إليه جابات مددًا مع عشرة الآف رجل، وكانت أمه هوقو قوية، ولها حفيد يسمى توكنه، كما كان يسمى أبوها توكنه، فإن جابات، وابن قايدوالذى كان ملك هؤلاء القوم كانا يتحاربان، وبعد ذلك عين كيوك خان الجيوش وأرسلها إلى أطراف البلاد، وتوجه بنفسه إلى بلاد الغرب، ولما وصل حدود سمرقند، أدركته الوفاة، وكانت مدة ملكه حوالى عام.

تاريخ الخلفاء والسلاطين والأتابكة الذين كانوا معاصرين له

كان فى بغداد الخليفة المستعصم بالله، وفى الروم السلطان ركن الدين، وفى مصر بدر الدين لؤلؤ، والملك الصالح نجم الدين أيوب الكامل، وفى ديار بكر سيد تاج الدين محمد صلابة، وفى كرمان السلطان ركن الدين، وفى فارس الأتابك مظفر الدين أبوبكر بن سعد بن زنكى.

الطائفة الثانية ـ جوجى خان بن جنكيز خان وأبناؤه

أسند جنكيز خان جميع الولايات والشعوب الواقعة فى حدود أرديش وجبال التاى إلى جوجى خان، وأصدر فرمانًا أن يستولى على جميع الولايات المستخلصة من صحراء القبجاق، والممالك التى فى تلك النواحى، وتوفى جوجى خان قبل جنكيز خان وكان له أربعة عشر ولدًا، الأبناء هم: باتو، وبركه، وبركجار، وشيبان، وتنكقوت، وبووال، وجيلاقون، وشينكقور(١٧)، وجيباى، ومحمد(١٨) ، وأودور، وتوقاتيمور، وسينكرم، وكان أورده ابن الخاتون الكبرى التى تسمى سورقان، وهى من القنقرات، وكان له نصف

المسيرة من جيوش جورجى خان ونصف ميمنة باتو، وكان له سبعة أبناء هم: سرتاقياى، وقولى، وقورميشى، وقونك، وقيوان، وجورماقاى، وقويوقنو، وأولاد باتو من أوكى قوجين خاتون، وهى بنت إيلجى نويان من القنقرات، وكانوا يسمونه صاين خان، وكان رجلاً عظيمًا خلف جوجى خان فى الملك وعاش طويلاً، ولما مات أبناء جنكيز خان الأربع، كان لحفيده آقاى جملة أربعة أبناء : سرتاق، وأوقلاجى، وأبوكان، ونوقان. وتوفى باتو فى سنة خمسين وستمائة على شاطئ نهر آتيل، وكان له من العمر ثمانية وأربعون عامًا.

وخلف سرتاق بناء على أمرٍ، وتوفى فى الطريق، وخلفه أولاقجى بعد أمر منكوخان وسرعان ما مات، وبعد ذلك خلف بركه باتو فى سنة اثنتين وخمسين وستمائة، وحارب هولاكوخان سنة ستين وستمائة، وفى سنة خمسٍ وستين وستمائة تحارب مع آباقا خان على حدود شروان ثم عاد، وعبر دربند، ومات بالقرب من نهر الترك، وخلفه مونكاتمور بن توقان بن باتوالذى حارب آباقا خان عدة مرات أيضًا، ثم تصالحا فى النهاية حتى عهد أرغون خان الذى قدم بجيش عظيم فى رمضان سنة سبع وثمانين وستمائة تحت قيادة تماتوقتا ونوقاى، وحاربا أرغون خان، وقتلوا قائد جيشه بولورتاى مع كثير من الجند، وعاد الباقى منهزمين، ولم يقع بينهم قتال منذ ذلك الوقت، وتوفى منكوتيمور فى سنة إحدى وثمانين وستمائة، وكانت مدة ملكه ستة عشر عامًا.

وأصبح تودا منك بعد أخيه ملكًا، وبعد ذلك أبناء منكوتمور آلغو وطغرل بك، وأبناء داربر بن نوقان توله بوقا وكونجك، وعزلوا تودا منكو بعلة أنه مجنون، وكان لهم الملك بالمشاركة خمسة أعوام، وقيدوا قونوقباى بن منكوتمور، فهرب منهم، ولجأ إلى بلخنجى بن كوكجو بن بركجار، وأرسل رسالة إلى نوقاى بن ياقار بن قرول يقول فيها: إن أبناء عمومتى يريدون قتلى، وأنت السيد وألجأ إليك، وتمارض نوقاى بناء على من نصحوه ومضى، وكان يستميل كل أمير وصل إليه، وكان يقول: لقد داهمتنى الشيخوخة، وتركت الجدل والفتنة، ولا أفكر فى أن أتحدث مع أحد، ولا أحارب أحداً، ولكن لدى أمر من صاين خان، وهوإذا ضل أحد فى بلده ويتعسه الشعب فعلى أن أجعل أفكارهم

متوافقة، وبناء على هذا دان له الآلاف بالطاعة، ولما وصل إلى الأبناء المذكورين، تمارض وكان يشرب الدم الطازج ويقئ من حلقه، وأرسل فى الخفاء رسالة إلى بوقتا يقول له: ينبغى أن تكون مستعداً، وأن تأتى مع الجيش الذى يؤيدك، وسمعت أم قولة بوقتا بأنه عاجز قليل المطامع، وأنه يقئ الدم من فمه، فألزم أبناءه بأن يصحبوا هذا الشيخ الضعيف فى أقرب وقت، فقدم الأبناء برسم الطاعة، والعبودية إلى نوقا، فقال لهم ناصحًا: أيها الأبناء لقد خدمت آباءكم ولكنكم لم تسمعوا كلامى الذى لست فيه مغرضًا حتى أجعل تخالفكم تآلفًا، إن صلاحكم فى الصلح، فشكلوا مؤتمراً حتى أصلح بينكم، وكان يقئ الدم من لحظة إلى أخرى من حنجرته، حتى وصل بوقتاى فجأة مع الجيش، وقتل هؤلاء الأمراء فى الحال، وعبر نوقان فى الحال نهر آتيل، وولى وجهه شطر وطنه.

وأصبح توقتاى ملكًا، وهو ابن الوجاخاتون بنت كلميش آقا أخت منكوخان، ولما تمكن فى الملك، طلب كرات نوقاى مراراً، ولكن لم يجبه، وكان أبو وأم يوقتاى سالجيداى كوركان من قوم القنقرات، وطلبا يد بنت توقاى التى تسمى قياق من أجل ابنه الذى يسمى بايلاق، وهو ابن السيدة المذكورة، فقبل توقاى وزوجه، وبعد مدة من الزمان أسلمت قياق خاتون، وبما أن بايلاق كان أويغورياً، فلم يتفق معها، فقام بينهما نزاع، وكانوا يحتقرون قياق، فأعلم أباه وأمه وإخوته، فغضب توقاى كثيراً، وبذلك وقع نزاع بين توقاى ويوقتاى بسبب سالجيداى، فحشدا الجيوش وتحاربا، وانهزم توقاى، وحملوا قائداً يسمى أروس إلى بوقتاى، فمات فى الطريق، وعاد بوقتاى منتصراً إلى معسكره، وكان لتوقتاى ثلاثة أبناء هم: توكل يوقا، وإيل يسار، وبيروس وكانت مدة ملكه ثلاثة وعشرين عامًا، وهذا الوقت كان يوافق شهور سنة سبع عشرة وسبعمائة من الهجرة، وأصبح أوزبك بن طغرل بك بن منكوتمور ملك هذه الأمة، وكان ملكًا مسلمًا عادلاً والله الباقى.

الطائفة الثالثة

جغتاى بن جنكيز خان والخواتين والأبناء

كان لجغتاى خان زوجتان عظيمتان، ييسولون خاتون بنت قيانويان بن دارتياى ملك أقوام القنقرات، وتركان خاتون أخت ييسولون، وقد طلبها بعدها، وكان له ثمانية أبناء هم: موجى بيه، ومواتوكان، وبيسونة كان، وبلكسى، وبايجو، وبايدار، وقداقى، وساربان، وكان لموجى بيه ولدان هما: تكودار، وأحمد تكودار الذى جاء إلى هنا مع هولاكوخان، وثار فى عهد آباقا خان، وأسره شيرامون نويان فى غابة كرجستان واستبعده، ثم عفا عنه آباقا خان، وبقى وحيداً مدة حتى توفى، وقتل أحمد فى حرب براق، وكان مواتوكان من بيسولون خاتون، وفى الوقت الذى كان فيه جنكيز خان مشغولاً بمحاصرة قلعة باميان، فقد رشقوه بسهم من القلعة وفارق الحياة. وكان له أربعة أبناء: بايجو، وقراهولاكو، وبيسون، وقرابورى. وكان جغتاى بن هولاكو قد جلس مكان أبيه، وجعل مواتوكان وليًا للعهد، وكانت زوجته أورغنه خاتون، فولدت مبارك شاه.

ولما توفى قراهولاكو، أصبح الغو بن بايدار الذى كان ابن عمه بحكم فرمان إريق بوكا ملك شعب جغتاى، وطلب أروغنه خاتون، ومات بعد مدة، وجلس مبارك شاه، وكان والده. وكان ليسون ثلاثة أبناء: مومن، وبراق، ويسار. وجاء براق بناء على حكم قوبيلاى قان، ونحى مبارك شاه، وأرسله إلى مكان؛ لأنه أصبح رئيسًا للبارسجيين وصار ملكًا، وحتى ذلك الوقت كان دوالحاى والد براق ملك تلك الأمة، وكان لبايجو ولد يسمى قوران، وبنت كذلك تسمى بيسونجين، أعطوها لقتلغ تيمور كوركان بن قراطا بن قوناى بن دالوجى الذى كان من قوم القنقرات، وولدت إيليورمش خاتون أم الأميرين بسطام، وبايزيد ابنى السلطان محمد أولجايتوخان (طيب الله ثراه) وهومدفون فى القبة العلية بالسلطانية.

الطائفة الرابعة - تولوى خان بن جنكيز خان وخواتينه وأبناؤه

كان تولوى خان قد تلقب بيكة نويان، وبالغ نويان، وكان له عشرة أبناء منكوخان، وقوبيلاى قان، وهولاكوخان، وإريق بوكا، وجوريكم، وقوتور قتوبوجك، وموكه، وسيوكتاى، وسيوكى.

كان جنكيز خان يسمى تولوى خان بالخادم، وكانت له الجيوش والأموال والخزائن والأسرى، وكل ما يتعلق بجيش جنكيز خان، كان تابعًا له، وكان منقطع النظير فى الشجاعة والرأى والتدبير، وزوجه أبوه فى طفولته بنت جاكمبوأخو ونك خان ملق أقوام الكرايت، واسمها سيور قوقيتى بيكى[١٩]، وكانت أكبر نسائه وأحبهن إليه، وهى أم أربعة أبناء كانوا بمنزلة أركان الدولة الأربعة.

وفتح تولوى خان معظم ممالك الخطا، ولكن القاآن مرض ، وبلغ حالة النزع ، وقدم تولوى خان إلى وسادته، وجعل كهنة المغول يقرؤون عزائم سحرية جريًا على عادتهم، وغسلوه بماء فى حوض من خشب، وأخذ تولوى خان هذه الكأس لفرط حبه لأخيه، وقال متضرعًا: أيها الإله الخالد تعلم إذا ما كان ذنب فقد ارتكبت كثيرًا منها، ففى فتوح الولايات سلبنا أرواح خلق، وأسرنا نساءهم وأبناءهم وأبكيناهم، وإذا ما اخترت أوكتاى قان لفضله وحسنه فأنا أحسن وأكثر فضلاً فاعفوعنه، قال هذه الكلمات، وشرب ذلك الماء، فشفى القاآن، وطلب الإذن ومضى، وبعد عدة أيام فى شهور سنة ثمانٍ وعشرين وستمائة مرض ومات.

قصة منكوخان بن تولوى خان وخواتينه وأبنائه

كان منكوخان من سيورقوقيتى بيكى، وزوجته الكبرى كانت قورقويتى، وكان له ولدان منها، هما : القووا، ورانك تاش.

حكاية: لما مات كيوك خان، وجد الاضطراب سبيله إلى البلاد مرة أخرى ودبرت

زوجته أوغول قيمشى مصالح الممالك مع أعيان رجال الدولة، وعندما مات طولوى خان قبل ذلك، أمر أوكتاى قان سيورقوقيتى بيكى أن تفوض له أمور المملكة والجيش، وكانت أعقل النساء، ولما ابتلى باتو بألم القدم عند موت كيوك خان، أرسل الرسل إلى جميع الولايات، وطلب قدوم جميع الأبناء، ليعقدوا مؤتمرًا ينتخبون فيه من يرون فيه الجدارة بالجلوس على العرش، ولكن تمرد أباء أوكتاى قاآن، وكيوك خان، وجغتاى، وقالوا: إن الوطن الأصلى ومقر عرش جنكيز خان وكلوران، فلا يجب علينا أن نمضى إلى صحراء القبجاق، فقالت سيوقوقيتى لمنكوخان: عندما تمرد الأبناء على السيد، ولم يمضوا إليه فامضِ مع إخوتك وزره، فمضى باتو بناء على أمر الأم، ولما وصل إلى هناك، وقاموا بشروط الخدمة اختاره باتو حتى مضى إخوته: أورده، وشيبان، وبركه، ومضى من أمراء الميمنة قراهولاكو من أبناء جغتاى، وعقدوا مؤتمرًا مع الأمراء الآخرين، وكان ذلك فى طالع السعد فى قاقائيل الموافق لذى القعدة سنة ثمانٍ وأربعين وستمائة، وأجلسوا منكوخان على حدود قراقورم التى كانت عاصمة جنكيز خان على عرش القاآن، وأرسل إخوته قوبيلاى إلى الصين الكبرى، وهولاكوخان إلى أرض إيران، وجعل أريق بوكا قائدًا للجيوش، وعلى الرغم من أن أمه سيورقوقيتى بيكى كانت مسيحية، إلا إنه كان يسعى فى الإعلاء من شأن نشر دين الإسلام، وبذل العطاء للأئمة والمشايخ لدرجة أنه أعطى ألفًا من الفضة لشيخ المشايخ سيف الدين الباخرزى (رحمة الله عليه)؛ ليبنى خانقاه، وأمر بأن يشتروا القرى ووقفها عليها، وتوفى فى ذى الحجة سنة تسعٍ وأربعين وستمائة.

وتوفى الشيخ سعد الدين محمد بن أبى المفاخر المؤيد بن أبى بكر بن أبى الحسن محمد بن أبى الفتح عمر بن أبى الحسن على بن محمد بن حمويه بن محمد الحموى فى سنة أربعين وستمائة، والشيخ سيف الدين أبوالمعالى سعيد بن المطهر بن سعيد بن على الباخرزى فى سنة ثمانٍ وخمسين وستمائة.

حكاية تفكير الأمراء فى الغدر

لما أصبح الملك لمنكوخان، كان ينتظر قدوم الأمراء الآخرين، ولم يفكر مخلوق قط أن يقبل القانون القديم، التغيير أوالتبديل، وبقى جانب الاحتياط مهملاً، فاقترب كلٌ من شيرامون بن كوجو بن أوكتاى قان، وناقوين كيوك خان، وتوقوق بن قراجار بن القاآن ومعهم عجلات محملة بالأسلحة، وفى قلوبهم الغدر والمكر، ومن المصادفات الطيبة أن الدولة عبارة عن ذلك، وهى أنه قد ضاع جمل لصاحب الحيوانات كسك الذى يدعى قنقلى من قوم قوشجيان، وكان يجد فى طلبه، فسقط فى وسط هذا الجيش، فرأى عجلات لاتحصى، وصادف فى طريقه طفلاً، وقد جلس أمام عجلة محطمة، فظن الطفل أن فارساً من هذا الجيش قدم يطلب منه العون لإصلاحها، فترجل كسك ليعاونه، فوقع نظره على الأسلحة وآلات الحرب التى عُبئت فى العجلة، فسأل الطفل قائلاً: ما هذا؟، قال: سلاح موجود فى جميع العجلات الأخرى ففطن كسك، وقطع رحلة ثلاثة أيام فى يوم واحد، ودخل القصر فجأة بلا إذن، وقال: لقد شغلتم باللهو والطرب وقدم الأعداء وذكر ما رأى، فأرسل منقوخان مانكسار نوويان مع ثلاثة آلاف فارس، وقدم شى رامون من هذا الجيش، وأغروق مع خمسمائة فارس، ولما وصل إليهم مانكسار، قال : نقلوا عنكم أنكم جئتم بنية سيئة، ووصل هذا إلى سمع القاآن المبارك، صنعوا هذا العداء بلا تفكير أو تردد على العتبة، وإلا فالأمر أننا نقبض عليكم، ونمضى بكم إلى هناك، فاعترضوا على هذا الأمر، وقالوا: أتينا بقلب صادق، واتجهنا إلى الحضرة بعدة فرسان معدودة ولما اقتربوا، أخذ معظم خدامهم أسلحتهم واعتقلوهم، وصدر الأمر بأن يقدم بعض القواد والأمراء الهدايا ومضوا، وأقاموا الحفلات عدة أيام، ولم يسألوهم عن شىء، وحينما قدموا إلى الحضرة فى اليوم الرابع صدر الأمر بأن يمضى كل خادم معهم مع الألف والمائة إلى أجاور، وإذا بقى أحد منهم إلى الليل يعاقب، ومضوا جميعاً بناء على الأمر، وبقى الأمراء وحدهم، وعين جيشاً لحمايتهم.

حكاية قدوم منكوخان في معسكر جنكيز خان ونزاع الأمراء

جلس منكوخان في اليوم التالي على كرسي في معسكر جنكيز خان، وتشاجر بنفسه مع شيرامون، والأمراء الآخرين، وسأل عن هذا الحال، فاعترضوا، وكان شيرامون حاضراً مع باباى كردندى(٢٠)، وسأله، فأنكر، فأمر بأن يسأله بالعصى، فأقر، وقال: إن الأبناء لا علم لهم، ولكننا نحن الأمراء تشاورنا في الأمر، فألقى بنفسه على السيف ومات، وفي اليوم التالي أمر جماعة من الأمراء، وهم " إيلجتاى نويان، وترمال، وجيكى، وقلجاى، وسرغان، وطوقان، وميسور بأن يجلسوا مع الأمراء منكسار، وغوجى، وتنازعوا عدة أيام، وفي عاقبة الأمر لم يبق شك في عداوتهم وأقروا جميعًا بذنبهم، وأراد منكوخان أن يعفو عنهم ولكن الأمراء لم يروا في ذلك مصلحة، فأمر بأن يسجنوا جميعًا، ونظر مدة في أمرهم(٢١).

وكان جالسًا ذات يوم في بلاطه، فأمر الأمراء وأركان الدولة أن يتحدثوا في حق هؤلاء المجرمين، فقال كل واحد كلامًا، إلا إن ما قالوه لم يصدقه قلبه، ووقف محمود يلواج في آخر المجلس، وقال: لماذا لم يقل أبركان أي شيء؟، قال: إذا كانت في مجلس الملك أذنٌ مصغية فهذا أفضل، لكن لدى خبر إذا صدر الأمر لي قلته، فقال له قل، فقال: في الوقت الذي فتح فيه الإسكندر أكثر بلاد الدنيا، أراد أن يمضي إلى الهند، ولكن لم يطاوعه على ذلك القواد وأعيان المملكة، وغض كل واحد من قيمة هذا فحار الإسكندر، وأرسل رسولاً إلى صاحب مشورته أرسطاطاليس، وعرض عليه الأمر، وسأله كيف ندبر هذا الأمر؟، فدخل أرسطو مع الرسول في حديقة، وأمر بأن يقتلعوا الأشجار الكبيرة، وأن يغرسوا في مواضعها أغصانًا صغيرة، ولم يجب على الرسول، ولما استاء الرسول مضى إلى الإسكندر، وقال: لم يعط جوابًا قط، فسأله الإسكندر ماذا رأى؟، قال: دخل في حديقة واقتلع الأشجار الكبيرة، وغرس مكانها غصونًا ضعيفة، فقال الإسكندر: إنه أجاب، ولكنك لم تفهم، إنه قتل الأمراء الطغاة وعين أبناءهم مكانهم، فأعجب منكوخان كثيراً بهذا الكلام، وعرف أنه يجب الأخذ على يد هؤلاء الجماعة، وكانوا سبعة وسبعين، فعاقبهم جميعًا، وقذف من هؤلاء ولدان إيلجيتان

بحجر فى أفواههم فقتلوهم، وأرسل أباهم لخدمة باتو ليلحقه بالولدين، ووصل كذلك ييسونبوقا، وزوجته طوقاشى، وبورى، وأرسل بورى فى صحبة الرسل لخدمة باتو؛ ليعاقبهم بعد ثبوت جريمتهم، وتشاجرت طوقاشى خاتون مع قراهولاكو، فأمر ييسونبوقا بأن يقتلوه ركلاً، ولما مضى قداق نويان عرف شيرامون، وباتو أنه كان أساس الفتنة، فأشاح بوجهه حتى حضر الموكلون، وقالوا: مضى كل الأصدقاء ودورك الآن، وجاءوا به إلى الحضرة، وضربوا عنقه.

وجملة القول أنه ظهر النزاع بين المغول فى ذلك الوقت، ولما أمن شر هؤلاء الأشرار، استوجب حسن خلقه أن يرعى جانب الأقارب والعشائر، فأمر شيرامون، وناقو، وجغان نويان بأن يمضوا مع قوبيلاى إلى الصين، ورعى جانب الأمراء، والقواد بالعطايا، ومضوا إلى بلادهم، وانطلق منكوخان فى لوئيل الموافق المحرم من سنة أربعٍ وخمسين وستمائة مع ستمائة ألف رجل إلى الصين، واستولى على كثير من المدن والقلاع فى هذه النواحى، ومرض فى هذا الجيش، وتوفى فى موغاييل الموافق المحرم من سنة خمسٍ وخمسين وستمائة عند قلعة كبيرة تسمى دولى شانك، وترك أسوناى أغول قداق نويان رئيسًا للجيش، وحمل نعش أبيه، وجاء به إلى الجيوش، ودفنوه فى مكان يسمى بولقان قالدون(٢٢) الذى يسمونه قروق إلى جانب جنكيز خان، وكانت مدة ملكه ستة أعوام وشهرين.

تاريخ الخلفاء والسلاطين والملوك والأتابكة
الذين عاصروا منكوخان

كان المستعصم بالله فى بغداد، وكان السلطان عز الدين كيكاوس فى بلاد الروم، والأمير آرغون قا فى خراسان، وبدر الدين لؤلؤ فى الموصل، وكان الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل سلطانًا فى مصر، ولما توفى خلفه ابنه الملك المعظم توران شاه سنة ثمانٍ وأربعين وستمائة، واستولى أيبك التركمانى على مصر فى سنة اثنتين

وخمسين وستمائة، وقتل الأمير أقطاى جامة دار، وكان السلطان قطب الدين فى كرمان، وكان الأتابك مظفر الدين أبوبكر سعد بن زنكى فى فارس.

قصة قوبيلاى قان بن تولوى خان بن جنكيز خان وخواتينه وأبنائه

كان لقوبيلاى قاآن أحد عشر ولداً: دورجى، وجيمكيم، ومينفكان، وينبوغان، وهؤلاء الأبناء الأربعة من جابون خاتون بنت إيلجى نويان من القنغرات، والخامس قوريداى من قوروقجين خاتون بنت قود، وكان شقيق الملك مركيت بوقيابيكى، والسادس هوكاجو، وإياجى، وأغروقجى، وكوكجو، وفوقوقيتمور، ونوقان، وهؤلاء الأبناء الستة كانوا من زوجة أخرى.

ولما توفى منكوخان، غير أريق بوكا قلبه، وأجلسه جماعة من الأمراء، والقادة الذين كانوا متفقين معه على عرش السلطنة فى موضع بايلاق والتاى، ولما سمع الأمراء والقادة الذين كانوا فى خدمة قوبيلاى هذا الخبر، اتفقوا جميعاً فى عام بيحين أيل الموافق سنة ثمانٍ وخمسين وستمائة فى وسط الصيف فى مدينة مينكقو على أن يجلسوا قوبيلاى قان على العرش، وكان يبلغ من العمر فى ذلك الوقت السادسة والأربعين، ووقع بينهم نزاع، وفى هذا الصيف أرسل كل منهم إلى الآخر كثيراً من الرسل، ولم يتم الاتفاق، وأشاعوا بعد ذلك أن هولاكوخان أعطى جومغر، ووقراجار بن أورده جيشاً مع عدة أمراء آخرين، وأرسلهم للحرب، وكان منقلاى، وييسونكه، وتارين فى جيش القاآن، وتحاربوا فى أرض صخرية، وانهزم جيش إريق بوكا، وهرب جومغر وقراجار مع عدة، ووقع الرعب لأريق بوكا وجيشه وانهزم وتشتت ودخلوا بلاد قرقيو، وكان طعام وشراب هذه البلاد من الصين، فمنع قوبيلاى قان الطعام والشراب عنهم، فوقع القحط فيهم، فقلق إريق بوكا، ورأى أن المصلحة أن يلزم ألغو بن بايدار بن

جغتاى، لأنه يعلم كل طريقة وأسلوب، وليمضى إلى عرش جده، ويخبر الأمة أن يرسلوا لنا الزاد، فرعاه وأرسله.

حكاية: لما بلغ ألغو بلاد التركستان، التف حوله مائة وخمسون ألف فارس، وكانت أورغنه خاتون حاكمة لبلاد الصين، فتوجه إلى الحضرة، وأرسل ألغو بيكى أغول مع خمسة آلاف فارس، وأوجار وسليمان بيك بن حبش عميل السلاجبة، ومن يسمى آبشقا إلى سمرقند وبخارى وبلاد ما وراء النهر، ودافعوا عنه حتى حدود هذه البلاد، ونفذوا أحكامه، ولما وصلوا إلى تلك الحدود قتلوا جميع أفراد أسرة، وخدام بوكاى لدرجة أن استشهد الشيخ جلال الدين بن شيخ الإسلام سيف الدين الباخرزى لذلك السبب، وحملوا أموال هؤلاء القوم، وأرسلوا بعضًا من النفائس إلى سكبى أغول، ومضى أوجار إلى خوارزم، وفى ذلك الوقت وصل رسل إريق بوكا، ورئيسهم بوريبا بتكجى، وسادى بن بشموت إيرمالون، ونفذوا الأوامر، وأخرجوا الأموال والسلاح والخيل، وتحصل لديهم أموال كثيرة فى مدة قصيرة، فطمع ألغو فى هذا المال، فانتحل الأعذار وأوقفهم، حتى نقلوا ذات يوم إلى ألغو أنهم قالوا: إننا نلنا هذه الأموال بحكم فرمان إريق بوكا، فأى مصلحة فى هذا لألغو، فقال وهوغاضب اقبضوا عليهم، واستولوا على هذه الأموال، فقال أمراؤه: بما أنك أقدمت على هذا الأمر، فلا شك أن إريق بوكا أفلت من يدنا، والمصلحة بما أننا تمردنا عليه؛ فليهاجر القاآن، واتفقوا جميعًا على هذا، وقتل هؤلاء الرسل.

ولما سمع إريق بوكا هذا الأمر، اضطرب كثيرًا ومضى إلى ألغو، وهزم الغومنقلاى، كما هزم راستونياى الذى كان من قبيلة إريق بوكا، وفى سنة اثنتين وستين وستمائة، أصيب جومغر بمرض بسيط، وأستأذنه فى أن يفارقه، وقتل إريق بوكا، أولوس القاآن بلا ذنب، فغضب منه القواد، ولما عرف ألغو ضعف حال إريق بوكا مضى إليه، فأعاد إريق بوكا أورغنه خاتون فى صحبة مسعود بيك، وأرسلها إلى ألغو، فتزوجها ومجاملة لها رعى جانب مسعود بيك، وجعله صاحب ديوان ممالكه، وأرسله إلى سمرقند وبخارى، وتوفى ألغو بعد عام، واتفقت أورغنه خاتون مع الأمراء والوزراء

على إجلاس ابنه مبارك شاه مكانه، وفى النهاية حينما انفض القواد والجيش عن إريق بوكا، دان لشدة عجزه إلى القاآن فى قولقيه ييل الموافق سنة اثنتين وستين وستمائة.

ولما وصل الجيش، صدر الأمر أن يحضروه إلى القاآن، واعترف بالجرائم التى كانت سببًا فى إغراء أرباب الأغراض، وبمقتضى عدالته التى فطر عليها، وخشية أن يصيب أخاه ضرر عفا عنه، وبعد يارغو ضربوا أعناق عشرة قواد من قادة إريق بوكا، وبعد ذلك توفى إريق بوكا فى عام النمر الموافق سنة اثنتين وستين وستمائة، وبنى قوبيلاى إلى جانب مدينة خان باليق التى يسمونها ختاى جونكد مدينة تسمى دايد، محيطها سبعة فراسخ، وكانت عامرة إلى أبعد مدى فى هذا الوقت، وبعد أن حكم قوبيلاى قاآن خمسة وثلاثين عامًا، توفى عندما بلغ الثالثة والثمانين فى عام مورينييل الموافق شهور سنة ثلاث وستين وستمائة.

تاريخ السلاطين والملوك والأتابكة وغيرهم الذين كانوا معاصرين له فى أطراف البلاد

كان السلطان عز الدين كيكاوس بن السلطان عز الدين كيخسرو الذى هزمه بايجونويان فى كوشه داغ، وحكم مع أخيه ركن الدين، ولما كان معين الدين بروانه مدبر مملكة ركن الدين، ووقع الخلاف بينهما، عاد السلطان عز الدين إلى أخيه، ومضى إلى حاكم إسطانبول، ولما وصل جيش موكاى اسطانبول، مضوا به إلى بركاى، وأسند إليه حكم مدينة قوم، وتوفى هناك، واستشهد أخوه ركن الدين فى سنة أربع وستين وستمائة على يد الكفار، وأصبح ابنه غياث الدين كيخسرو قليج أرسلان سلطانًا، وقتلوه شهيدًا فى آذربيجان.

وآلت السلطنة بعد ذلك إلى غياث الدين مسعود بن كيكاوس، وكان بدر الدين لؤلؤ فى ديار بكر والموصل، وغلب التركمانى على الشام ومصر، ووقعت بينه، وبين صاحب حلب ودمشق حرب، وتصالحا فى النهاية، وخرج قدوز على التركمانى وقتله، واستولى على مصر والشام، وبعد أن استولى هولاكوخان على حلب ودمشق وعاد، حارب قدوز

كتبوقانويان بالاتفاق مع أمراء مصر والشام وخانات خوارزم، وهم بقية جيش السلطان جلال الدين، وكان الملكان : ناصر الدين، وصلاح الدين يوسف من أمراء الشام قد قدما ودانا بالولاء لهولاكو خان فضرب عنقهما فى صحراء موش[٢٤].

وفى كرمان كان السلطان قطب الدين، ولما مات، كان له ولدان: مظفر الدين حجاج، وجلال الدين سيور غتمش، وكان اسم السلطنة للسلطان حجاج، وكانت تركان خاتون تقوم بالحكم المطلق، وزوجوا ابنة الملكة تركان لآباقا خان، وتوجه السلطان حجاج إلى الهند عند السلطان شمس الدين دهلى، وبقى هناك مدة خمسة عشر عامًا ثم مات فى النهاية. وكانت تركان قد جاءت فى عهد السلطان أحمد إلى المعسكر، وماتت عند حدود تبريز، وحملوها إلى كرمان، وبقيت السلطنة لجلال الدين سيور غتمش، وفى عهد كيخاتو توجهت الملكة خاتون التى كانت زوجته إلى كرمان، وأسرت أخاه سيور غتمش، وحبسته فى القلعة، فهرب من القلعة، ودخل فى طاعة كيخاتو، فأرسله كيخاتو ثانية إلى الملكة خاتون فقتله، وعندما ثار بايدو، وكانت شاه عالم ابنة سيور غاتمش زوجة له، فأرسل رسولاً، وأسرت كوردوجين خاتون ابنة منكوتيمور التى كانت زوجة سيور غاتمش الملكة خاتون، وأحضروها إلى المعسكر، وقتلوها فى حدود شيراز بحكم القصاص.

وكان فى فارس الأتابك مظفر الدين أبوبكر بن سعد، وتوفى، وهو فى السبعين من عمره فى سنة سبع وخمسين وستمائة، وكان ابنه الأتابك سعد فى المعسكر، وعاد مريضًا، وسمع فى الطريق خبر وفاة أبيه، وتوفى هو أيضًا بعده باثنى عشر يومًا.

بعد ذلك أجلسوا ابنه الأتابك الذى كان فى الثانية عشرة من عمره على العرش، وسموه السلطان عضد الدين، وأمه تركان خاتون بنت الأتابك قطب الدين محمود شاه كانت تدير شئون المملكة، ومات هذا الولد بعد مدة قصيرة، وأصبحت أمه الحاكمة، وتزوج ابن أخيه الأتابك مظفر الدين أبوبكر محمد شاه بن سلغر شاه ابنته سلغم[٢٥] فأصبح ملكًا، وكان أخوه سلجوق شاه حبيسًا فى قلعة اصطخر، فكتب إلى أخيه على سبيل الحكمة والموعظة.

لقد طال ألمى وغمى وسجنى	ومتعتك وهناءتك بلغت المدى
لا تعتمد عليهما فإن الفلك الدوار	له خلف الستار ألف حيلة

وجملة القول أن النزاع بدأ بين محمد شاه وحماته، وقتلوه فى النهاية، وكانت مدة حكمه أربعة أشهر، وأصبح الملك للأتابك سلجوق شاه، وتزوج تركان، وأمر ذات ليلة بأن يقتلوا تركان، وحبس ابنتيها فى قلعة سبيد، فعرضوا هذا الحال على الملك، فأرسل الأمير التجو بجيش بالاتفاق مع ركن الدين علاء الدولة أخى تركان خاتون؛ ليحضروا سلجوق شاه، ولما وصل الجيش برقوه، قدم ستة آلاف شيرازى، فحمل عليهم أتابك علاء الدولة بخمسمائة فارس، ودفعهم حتى باب شيراز، فلجأ سلجوق شاه إلى كازون، ومضى الجيش إلى هناك، وحاربوا واستولوا على المدينة وقتلوا وسلبوا، وأسروا سلجوق شاه وقتلوه تحت قلعة سبيد فى سنة إحدى وستين وستمائة، وأرسلوا ابنه إلى شيراز.

وأصيب هناك الأتابك علاء الدولة، وتوفى بعد عدة أيام، وأخرجوا البنتين من القلعة، وأحضروا إلى الحضرة جدتهما ياقوت تركان، وهى ابنة قتلغ السلطان بن براق حاجب كرمان، وأرسلوهما إماء إلى الحضرة، وزوجوا آبش خاتون لمنكوتمور، وصارت أتابكية شيراز باسم آبش خاتون، وزوجوا الأخت الأخرى بيبى سلغر إلى الأتابك يوسف شاه وكانت ابنة خالته، وقتل السيد عماد الدين فى سنة ستمائة وثلاثٍ وثمانين، وتوفيت آبش خاتون فى عهد أرغون فى سنة ستمائة وخمسٍ وثمانين، وحملوها إلى شيراز، ودفنوها فى المدرسة العضدية التى أقامتها أمها، وورث الأمير كوردوجين[٢٦]، وكانت مدتها اثنين وعشرين عامًا، وعلى الرغم من أن ملك شيراز كان للتجار، فقد كانوا يعزفون النوبة فى قصور الأتابكة. والله أعلم بالصواب.

قصة تيمور قان بن جينكيم بن قوبيلاى قان

أصبح الملك لتيمور قان بناء على الوصية بعد قوبيلاى قاآن فى شهور سنة ستمائة وأربعٍ وتسعين، وكانوا يسمونه كذلك أولجايتو، وهو ابن الخاتون الكبرى جينكيم كولجين خاتون التى تولت شئون الدولة لمدة عام بعد القاآن، وبعد جلوس تيمور

القاآن بأربعة أعوام هجم دوبن براق بجيش على الأمراء والقادة الذين كانوا على حدود المملكة، وتحارب لوكوزداداء مع تيمور قان، واعتقله وقتله لأنه أهمل الآخرين، وكانوا يسمون الخاتون الكبرى لتيمور قان بنولون قاآن؛ وله منها ولد اسمه تايسى طايشى، وأصبح خيشنك بن ترمه من بعده قاآن، لأن تيمور قان كان بلا أخ، وبعده أصبح تاجويرمه قاآن، وكان ذلك الوقت فى شهور سنة سبع عشرة وسبعمائة من الهجرة، وكانوا يسمونه بايانتوقان، ولقد نظمت فى مدحه قصيدة، أرسلها الأمير يوسف وعبد الله إلى حضرته مع الرسل الذين كانوا قد قدموا من عند حضرة القاآن؛ لخدمة ملك الإسلام السلطان محمد أولجايتو خان (نور الله مضجعه)، وها هى القصيدة.

فى مدح ملك الصين بايانتوقان بن كملا بن جينكيم بن قوبيلاى قان بن تولوى خان بن جنكيز خان (خلد الله ملكه)

قصة هولاكوخان بن تولوى خان بن جنكيز خان وخواتينه وأبنائه

فليكن لعرش الملك بايانتوقان الحظ السعيد	وليبق خالداً بايانتوقان مانح التيجان
وصل منه عرش جنكيز خان إلى كزاوكاناكيوك خان	وأصبحت الدنيا فى أمان منذ أن أخذه بايانتوقان
ونفى سيجن خان وخشينك من تيمور	وكتب على رأس بايانتوقان أنه الملك السعيد
إنه ملك ملوك الزمان فى الدنيا بعون الحق	فإن بايانتوقان أحيا رسوم الملك أنوشيروان
سيد أولاد جنكيز خان وأصل نيرون	وزبدة الآن قوادوبون وبيان بايانتوقان
إنه ملك الأقاليم السبعة ابن كملان	ابن جينكيم بن قوبيلاى قان بايانتوقان
لفرط عظمته يضع فى كل وقت	الأرض قائم عرشه على السماء بايانتوقان

وجـــد الطمـــأنينة التـــامـــة واســـتـــأنس	وجعل عنان جواد الفلك تحت فخده بايانتوقان
وثمـــة دليل ســـاطع على دوام تلك الدولة	العطاء والإحســـان وعـدل بايانتـوقـان الموفق
ومن كثرة ما يهب لأهل الملك والشعب من ذهب وفضة	فإن بايانتوقان تجرد من ممتلكاته وأخلى البحر والمعدن
مـــا أعظم الفـــرق بينه وبين الملـوك!	ويبلغ بمفـرق رأسـه الفـرقـدين بايانتـوقـان
إنه فى صورته ملك ولكن تملك روحه كل العالم	ومن الحق إن بايانتوقان صورة المعنى فى العالم
وليكن بايانتوقان إلى يوم القيامة فليسعد وليأمن	بعـرشـه العظيم وحظه السـعـيـد فى الدنيـا
ليكن بايانتوقان سعيداً على عرش الملك وفى يده كأس جمشيد	وليكن له الحكم مثل سليمان على الأنس والجان
وليكن بدر عـدوه فى خســوف على الدوام	وليكن بايانتوقان كالشمس على سرير السلطنة
ولوأن فـخـر بناكت بعيـد عن حـضـرته	فـإن القش جى مـوصل عنا عند بايانتـوقـان
وليـــحـــقق مـــراده على عـرش البـــلاد	وليـكن جـــيـــشـــه فى راحـــة وأمـــان

قصة هولاكوخان بن تولوى خان بن جنكيز خان وخواتينه وأبنائه

كان لهولاكوخان كثير من النساء والأبناء، واسم زوجته الكبرى دوقوز خاتون من قوم كرايت ابنة إيقوبن أونك خان، توفيت بعد هولاكوخان بأربعة أشهر وأحد عشر يومًا، وسلم آباقا خان جيشه لابنة أخيه توقيتى خاتون، وتوفيت فى عام لوييل الموافق الخميس آخر صفر من سنة ستمائة وإحدى وتسعين، وسلموا هذا الجيش إلى كوكاجى خاتون؛ لأنهم جاءوا بها من عند القاآن، وتوفيت فى شعبان سنة خمسٍ وتسعين وستمائة، وبعد ذلك أعطى غازان هذا الجيش إلى كرامون خاتون بنت قتلغ تمور بن آتاباى نويان، وتوفى فى يوم الثلاثاء الثانى عشر من شهر جمادى الآخرة سنة ثلاثٍ وسبعمائة، وكانت تملك هذا الجيش فى هذا الوقت؛ أى فى شهور سنة سبعٍ وسبعمائة قتلغ شاه خاتون ابنة أمير إيرانجين زوجة ملك الإسلام السلطان محمد أولجايتوخان،

وأخرى كويك خان من الأويرات بنت بورالجي كوركان التي ولدت من أخت جنكيز خان جيجال، كما أن أولجاى خاتون ابنته كذلك لكن من أم أخرى، وأخرى قوتوى خاتون من القنقرات، ولما توفيت كويك خاتون في بلاد المغول تزوجها، ووهبها جيشه، وأخرى أولجاى خاتون من الأويرات، وأخرى ييسونجين خاتون من سلدوس، وكان لهولاكوخان أربعة عشر ولداً.

الأبناء : آباقا خان وولد من ييسونجين خاتون في بلاد المغول، وجومغر بن كويك خاتون، وكان له ولدان هما جوشكاب وكينشو، وابنتان هما : أرغوداق من يولون خاتون وزوجوهما إلى سادى كوركان بن سونجاق، وله منها ولد يسمى حبش وبنتان أحدهما : كونجشكاب خاتون السلطان محمد، والأخرى طوغراجاق، التي كانت خاتون السلطان أحمد، وكان يشموت من قوم بوقاجين ويسمى إيكاجي، وله ثلاثة أبناء : قرانوقاى، وزبنوسوكاى، وزنبوميش الذى توفى بعد توقيتى خاتون بشهر واحد، وبعد ذلك قتلوا سوكاى بسبب سخطهم عليه، وتكشين من قوتوى خاتون، وكان له ولد يسمى توبوت، وطرقاى من قوماى ويسمى بورقجين[٢٧]، وله ولد يسمى بايدو، وأصبح ملكًا بعد لنجاتو، وقتله غازان خان، ولقوبشين ولد من أم شموت يسمى سانى، وتكودار من قوتوى خاتون، وأصبح ملكًا بعد آباقا خان وسمى السلطان أحمد واجاى من قوماى ويسمى إريقاق إيكاجي، وكان له ولد يسمى ايلدو، قتل في عهد غازان خان، وقنقورتاى من قوماى، ويسمى خواجه إيكاجي، وله أربعة أبناء : إيساتيمور وايلداى وجونكتمور وطاشتمور، وقتلوا في عهد غازان خان، وييسودار من قوماى ويسمى ييشجين[٢٨] ومنكوتمور من أولجاى خاتون، وله ثلاثة أبناء أكبرهم أبنارجي، وكان له ولدان إيساتيمور من كوجوكى خاتون بنت قورغاجي، والآخر قونجى من قوماى ويسمى أبالون من بنت نوجكون أنجكه، والابن الثاني طايجور، وقتل في عهد غازام خان، وكان له ولد يسمى بولاد من أبالون المذكورة، وأعدم بولاد هذا بعد إعدام إيساتيمور وقونجى في كرده كوه بناء على حكم السلطان محمد بعد عام في تبريز في جمادى الأولى سنة سبعمائة وإحدى عشرة وسبعمائة، وتوفى الابن الثالث كراى في عهد كيخاتو.

وكان هولاجومن قومای ويسمی إيل أنكاجی وهومن قنقرات، وأعدم مع قرابوقای فی عـهد غازان فی كرده كوه، وكـان له أربعـة أبناء : سليمان وقتل بعد أبيـه، وتوفی كوجك وخواجه وقتلغ بوقـا، وكان شيـباوجی من أم هولاجو، ومات قبل آباقـا خان، وطوغای تمور من قـومـای، وله ولدان : قورمشی وحـاجی وتوفيا، والبنات تـولوقان من لويك خـاتون، وزوجوها لجومة كوركان بن جوجی من قوم التتـار الذی كان أخا توقدان خاتون أم كيخاتو، وكان جـوجی قد قدم إلی هنا مع هولاكوخان، وتزوج بنت أوتجی نويان ابن جنكيـز خـان، ومن تسـمی جيـجكان أم جـومة كوركـان، وحمی من الجـای خاتون، وتزوجت جومة كوركان بعد تولوقان، ومنكلوكان من الجای خاتون، وزوجوها إلی جابوكوركان بن توقاتيمور، وهو من أويرات، وأخوالجای خاتون، وزوجوا كاج إلی تنكيز كوركان من أويرات، وبعده تزوجها ابنه سولاميش، وبعده جيجك كوركان، وتوفی فی رجب سنة سبع عشـرة وسبـعمـائة، وكانت طرقـای من إيقـاق إيكاجی، وزوجـوها الموسی كوركان من القنوقرات بنت أخی جنكيز خان أخی مرتی خاتون، وقيلوقان من منكلياج إيكاجی وتزوجت يسوبوقا كوركـان بن درعتونويان من قـوم دورمـان، وبعده تزوجها ابنه توكال، وبابا من الجای خاتون، وزوجوها إلی لكزی كوركان بن أرغون إقار.

خبر توجه هولاكوخان إلى إيران، وبداية تربعه على عرش الخانية

عندما أرسل القاآن بايجونويان من قوم ييسوت بجيش إلى إيران، وشكا من الملاحدة وخليفة بغداد، أرسل منكوخان أخاه هولاكوخان بجيش عظيم من حدود توران إلى بلاد إيران، وقال:

امضِ من توران منطلقًا إلى إيران   وارفع إلى الشمس اسمك المشرق

والزم عادات وحدود جنكيز خان، وأحسن إلى كل من نفذ أوامرك ونواهيك وانقاد لك من حدود جيحون حتى أقصى البلاد فى مصر، وكل من عصاك فاخذله واقهره، وابدأ من قهستان وخراسان وخرب القلاع.

اقتلع كرده كوه وقلاعها جميعًا   واجعل رأسها أسفل وجسدها أعلى

لا تتراخ قط حتى لا يكون فى الدنيا قلعة   ولا أن يكون فيها كومة من تراب

واتجه من هنا إلى العراق، والزم الطريق الصحيح مع اللور والأكراد الذين ينحرفون دائمًا، وإذا بادر خليفة بغداد بالخدمة، فلا تتعرض له بأية حال، وإذا تكبر وأجرى على لسانه ما ليس فى قلبه ألحقه كذلك بالخدم، وأرسله بعد أن توصيه وتنصحه.

حكاية: فى خريف عام النمر الموافق لذى الحجة سنة إحدى وخمسين وستمائة، اتجه إلى تلك الديار بجيش جرار بناء على ذلك الأمر، ونزل على باب سمرقند فى شعبان سنة ثلاثٍ وخمسين وستمائة، ورفع خيمة مزركشة فى مرعى كان كل وسعود بك، وأقام هناك ما يقرب من أربعين يومًا فى لهو، وأنس، وتوفى الأمير سونياى فى هذه الأيام، واستعد الملك شمس الدين كرت فى تلك الرحلة نفسها قبل سائر ملوك إيران لشرف استقباله، وأصبح موضع رعاية خاصة، وبعده قدم إليه ملوك وسلاطين الروم وفارس والعراق وإيران وآذربيجان.

وعبر نهر جيحون فى غرة ذى الحجة سنة ثلاثٍ وخمسين وستمائة، وكان كتبوقا نويان فى مقدمة جيشه، وهوفى طريقه إلى بلاد الملاحدة بعد أن عبر النهر فى المحرم

سنة إحدى وخمسين وستمائة، وأغار على تلك البلاد، ووصل هولاكوخان فى العاشر من شعبان سنة ثلاثٍ وخمسين وستمائة إلى خرقان وبسطام، وأرسل شحن هرات موكيتاى مع بيكلميش برسالة إلى ركن الدين خور شاه واعداً متوعداً، وكان عنده فى ذلك الوقت الخواجه نصير الدين الطوسى، وأصيل الدين الزوزنى، ومؤيد الدين، وجماعة من الفضلاء، فرغبوه فى الإذعان والطاعة، إلا إنه أهمل، ونزل خور شاه فى رفقة خواجه نصير الدين الطوسى، وأصيل الدين الزوزنى، ومؤيد الدين الوزير من القلعة بعد تخريب القلاع فى يوم الأحد الموافق غرة ذى الحجة سنة أربعٍ وخمسين وستمائة ووصلوا إلى حضرة هولاكوخان، وسلمه جميع القلاع والذخائر، وقال خواجه نصير الدين الطوسى فى ذلك الصدد:

لما أصبح عام العرب ستمائة وأربعة وخمسين	فى فجر يوم الأحد الأول من ذى القعدة
نهض خور شاه ملك الإسماعيلية عن	عرشه ووقف أمام عرش هولاكو

ولما رأى هولاكوخان، خور شاه، عرف أنه طفل لا تجربة له، فلاطفه ووعده وعوداً حسنة، وأعطوا الخور شاه منشوراً وخلعة، وزوجه فتاة مغولية فى يوم الخميس العاشر من شهر المحرم سنة خمسٍ وخمسين وستمائة، وبعد ذلك أرسلوه إلى حضرة القاآن، وفى قصته روايات مختلفة، ومما لا شك فيه حينما بلغ الخبر منكوخان، قال: لم يحضرونه، وأرسل رسولاً؛ ليقتلوه فى الطريق، وبعد ذلك غادر هولاكوخان ضواحى قزوين فى ربيع الأول سنة خمسٍ وخمسين وستمائة، وتوجه إلى همدان، ووصل بايجونويان من حدود آذربيجان، فرده وأرسله إلى الروم.

حكاية توجه هولاكوخان إلى ناحية بغداد

أرسل رسولاً إلى الخليفة من همدان بالوعد والوعيد فى رمضان سنة خمسٍ وخمسين وستمائة، فحواها: لقد أرسلنا إليكم الرسل أثناء فتح قلاع الملاحدة، وطلبنا منك مدداً من المقاتلين ذوى الجرأة، وقلت فى الرد علينا: أنا طوع أمرك، ولم ترسل

جيشًا. ونصحتك كثيرًا قبل ذلك، والآن أقول: كف عن الحقد علينا، ومخاصمتنا، وانهض وأقدم، وإذا كنت لا تريد أن تأتي، فعليك أن ترسل الوزير سليمان شاه، والدواتدار حتى يقدما إليك رسالتنا بلا زيادة ولا نقصان، وإلا فعين ساحة الوغى، ولتعلم أني قادم إلى بغداد، ولواختفيت في السماء، أو في الأرض.

سـآتي بك من الفلك الدوار   وسأرفعك من أسفل إلى أعلى مثل الأسد

ولن أبقي على شخص حيًا من دولتك   وسألقي في النار مدنك وأرضك من داخلها وحتى سواحلها

ولما وصل الرسل إلى بغداد وسلموا الرسالة، أرسل الخليفة ابن الجوزي، وبدر الدين محمد درنكي النخجواني في صحبة الرسل، وقال: أيها الفتى اليافع، ما تدلك بمساعدة الحظ والإقبال لك لعشرة أيام.

كيف تتوسل بالرأى والجيش والحيلة   وكيف تستطيع أن تأتي بالنجم إلى القيد

لا شك أن الأمير لا يعلم أن من المشرق إلى المغرب، والملك والشحاذ يعبدون الله جميعًا، ومن أهل التقوى جميعًا عبيد هذه العتبة، وعندما آمر فإن المتفرقين يجتمعون، وأنهي عمل إيران، وأولي وجهي منها إلى بلاد توران، وألزم كل واحد مكانه، فاستمع لنصحي وعد، وإن كنت تعزم على الحرب.

لا تتأخر ولا تجر ولا تتوقف   وإن كنت ترى الحرب فابق لحظة

ولما وصل الرسل وعرضوا الرسالة، تعجب هولاكوخان من هذا الكلام، ورد الرسل، وقال:

امضِ إلى المدينة واصنع لها سورًا من الحديد   وارفع من الفولاذ برج برج البدن

واجمع الجيش من الشياطين والجن   وبعد ذلك أقدم على وانتقم مني

فلو أني أنزلتك من الفلك   فأطرحك في فم الأسد وأنت بائس

وأمر بقدوم جيوش جورماغون، وبايجونويان التى كانت فى الروم، وأن تدخل فى ميمنة الجيش من ناحية أربيل والموصل، وأن يأتى أيضًا الأمراء بلغا، وتوتار، وقولى، والقادة توقاى تمور وسونجاق إلى الميمنة أيضًا من ناحية كريوه سونياى، كما يأتى كتبوقانويان، وقل سون، وإيلكاى إلى الميسرة من ناحية خوزستان، وفى الحادى عشر من جقشاباط أى من موغاييل الموافق المحرم من سنة ست وخمسين وستمائة قدم بايجونويان، والقادة فى الموعد المحدد عن طريق دجيل، وعبروا نهر دجلة، ووصلوا نهر عيسى، وتحارب مجاهد الدين أيبك دواتدار، وفتح الدين بن والك، وقراسنقور الذين كانوا قادة للجيش مع ثلاثين ألف رجل على حدود الأنبار على باب جوسق المنصور أعلى المزرفة[٢٨] على بعد تسعة فراسخ عن بغداد مع سونجاق توقا تيمور، فانعطف جيش المغول، وقدموا بشيرية من ناحية دجيل، ولما وصلوا إلى بايجونويان فردهم، وكان فى تلك الحدود نهر كبير، ففتح المغول سد هذا النهر حتى غرقت المنطقة الصحراوية التى كانت خلف جيش بغداد بالماء، فأغار عليهم بايجو، وتوقا تيمور فى فجر يوم الخميس الموافق العاشر من المحرم، وهزموا جيش بغداد، وقتل فتح الدين بن والك، وقراسنقر مع اثنى عشر ألف رجل غير الذين غرقوا، وفقدوا فى الماء والطين، وهرب دواتدار مع عدد محدود إلى بغداد، ووصل بايجو والقواد إلى بغداد فى منتصف المحرم الموافق يوم الثلاثاء واستولوا على الجانب الغربى، وقدم كبتوقانويان والآخرون من ناحية النحاسية وصرصر، ونزل هولاكو خان فى الخامس عشر من المحرم بالجانب الشرقى، وبدأوا الحرب فى يوم الثلاثاء الموافق الثانى والعشرين من المحرم سنة ست وخمسين وستمائة بطالع الحمل، وكان هولاكوخان فى القلب من طريق خراسان على يسار المدينة المقابلة للبرج العجمى، كما كان إيلكانويان وقويا على بوابة كلوادى، وكذلك بلغا وتومار وقولى وقادة شيرامون وأرقنونو أمام المدينة على بوابة سوق السلطان، واتفقوا جميعًا على الحرب من جميع الجهات، واشتغلوا بالقتل والنهب اثنى عشر يومًا، وقتلوا سليمان شاه قائد الجيش، وممدوح أثير الدين الأومانى مع جميع أتباعهم وأشياعهم، وقتلوا أميرحاج بن دواتدار الأكبر، وأرسلوا رؤوسهم إلى الملك الصالح بن بدر الدين لؤلؤ فى الموصل، وبعد ذلك رأى الخليفة أن الأمر خرج عن

يده، فخرج مع ولديه: أبى الفضائل عبد الرحمن، وأبى المناقب مبارك فى يوم الأحد الرابع من شهر صفر سنة ستٍ وخمسين وستمائة، ورأى هولاكوخان وأسرهم بالنيابة.

وبعد ذلك طلب هولاكوخان الخليفة فى يوم الأربعاء الرابع عشر من صفر المذكور، ففزع فزعًا شديدًا، وقال للوزير: ما الحيلة فى أمرنا؟، فقال ردًا عليه: لحيتنا طويلة، وكان مراده من ذلك أنه فى أول الأمر دبر تدبيرًا بأن يرسل عتادًا كثيرًا للجيش؛ ليدفع هذه المشكلة، وكان دواتدار قال: لحية الوزير طويلة، ومنع هذا الأمر، ولم يستمع الخليفة إلى كلامه، وأهمل تدبير الوزير، ويئس الخليفة من حياته، واستأذن فى أن يمضى للحمام ليجد غسله، فأمر الأيلخان بأن يمضى مع خمسة من المغول، فقال: لا أريد صحبة خمسٍ من الزبانية، وقرأ بيتين أوثلاثة من قصيدة مطلعها:

وأصبحنا لنا دار كجنات وفردوس   وأمسينا بلاداً كأن لم تغن بالأمس

وفى آخر يوم الأربعاء المذكور قتلوا الخليفة مع ابنه الأكبر، وخمسة خدام فى القرية، وفى صباح اليوم التالى، وضعوا الشمس على الأفق، وطوت يد المشعوذ أنوار الكواكب من على السجاد الفضى، وجعل جيش المغول يشعل نار النهب والسلب فى بغداد، فاقتلعوا السور فى البداية، وردموا الخنادق، ثم اندفعوا إلى المدينة، وهم مطلقو العنان، مخلوعو العذار، وأفرطوا فى القتل حتى انصب من دماء القتلى فى نهر من ماء البقم كأنه نهر النيل يصب فى دجلة، وانتهت دولة بنى العباس، وفى اليوم نفسه أرسلوا إلى بغداد وزير الخليفة مؤيد الدين محمد بن محمد بن عبد الملك العلقمى للوزارة، وفخر الدين الدامغانى ليكون صاحب الديوان، وعلى بهادر ليكون شحنة، وعاد هولاكوخان.

وفى أثناء فتح بغداد أرسل مجد الدين محمد بن الحسن بن طاوس الحلى، وسديد الدين يوسف بن المطهر رسالة مع رسول إلى الملك فحواها أنهما يقرا بالطاعة، فقد عرفنا من أخبار أجدادنا خاصة أمير المؤمنين على(كرم الله وجهه)، أنك ستصبح مالك هذه البلاد حيث قال: إذا جاءت العصابة التى لا خلاف لها لتخوين والله يا أم الظلمة ومسكن الجبابرة وأم البلايا، ويل لك يا بغداد ولدارك العامرة التى لها أجنحة كأجنحة

الطواويس ثمانين، كما يذاب الملح فى الماء، يأتى بنوقطور(٢٩)، ومقدمهم جهورى الصوت، لهم وجوه كملجان المطرقة وخراطيم كخراطيم الفيلة لم يصل ببلد إلا فتحها ولا براقة إلا نكسها.

فأمر هولاكوخان بإحضارهما وأنعم عليهما، وأرسل تكلة علاء الدين العجمى ليكون الشحنة هناك، ولهذا السبب لبس أهل الحلة حلة السلامة.

وفى يوم الأربعاء الحادى عشر من ربيع الآخر توفى مؤيد الدين الوزير، وعينوا ابنه شرف الدين مكانه، وأرسل هولاكوخان خزائن وأموال بغداد إلى ناصر الدين بن علاء الدين صاحب الرى فى آذربيجان، ورمم بهذه الأموال قلاع الملاحدة والروم والكرج والأرمن واللور والأكراد، وأمر الملك مجد الدين التبريزى أن يبنى قصراً عظيماً على رأس جبل على ساحة بحيرة أرمى وسلماس، وصهر كل هذه النقود وجعلها فى حمل ووضعها هناك.

وفى هذه السنة وصل بدر الدين لؤلؤ إلى حدود مراغة عند الحضرة، وكان قد تجاوز التسعين، ووجد التكريم، ووصل فى السابع من شعبان سنة ست وخمسين وستمائة الأتابك سعد بن أبى بكر السلغرى، وكذلك السلطان عز الدين الرومى فى الرابع من شعبان المذكور، ووصل فى أثره السلطان ركن الدين فى الثامن من شعبان، وقد غضب هولاكوخان من السلطان عز الدين بسبب عدم احترامه لبايجونويان، ومحاربته له، وأراد السلطان أن يخلصه من ورطة هذا الذنب بكل ماله من حيلة، فأمر أن يخيطوا نعلاً يليق بالملوك كل اللياقة، وأن يرسموا صورته فى أسفله، وسلمه للملك فى إجلال وإكبار وسط احترام وتفخيم، ولما وقعت عينه على هذه الصورة، قبل السلطان الأرض، وقال: المأمول أن يعظم الملك رأس هذا العبد بقدمه المباركة، فأدركت هولاكوخان الرقة له، فقدمها إلى زوجته دوقور خاتون ليعفو عنه.

وبعد مضى سبعة وخمسين عاماً على تربع جنكيز خان على العرش، أمر الخواجه نصير الدين الطوسى بالتعاون مع الحكماء الأربعة مؤيد الدين الغوضى، وفخر الدين

المراغي، وفخر الدين الأخلاطي، ونجم الدين دبيران القزويني، أن يبنوا مرصداً للنجوم في مراغة.

خبر توجه هولاكوخان إلى بلاد الشام

أرسل سلطان حلب وزير مزين الدين الحافظي إلى القاآن معلناً عبوديته له بتحف، وهدايا كثيرة، ومنحه منشوراً وسلطة ملكية، ولهذا السبب دهمه الشوام، فهرب ومضى إلى حضرة هولاكوخان، وبقدومه قوى عزم الملك على فتح حلب، فأرسل رسولاً إلى بدر الدين لؤلؤ يأمره أن يرسل ابنه الملك الصالح؛ ليلتحق برايات فاتح الدنيا؛ ليفتح ديار الشام، فأرسله امتثالاً للأمر، ولما وصل إليه وهبه بنت السلطان جلال الدين خوارزم شاه؛ ليتزوجها، وأرسل كبتوقانويان على رأس جيش جرار، وجعل على ميمنته بايجو، وسونجاق، كما جعل الآخرين على الميسرة، وكان بنفسه في قلب الجيش، ومضى إلى ديار الشام في يوم الجمعة الموافق الثاني والعشرين من شهر رمضان سنة سبع وستين وستمائة في طالع العقرب، ولما وصل ديار بكر، استولى على الجزيرة أولاً، وأرسل يوسموت وسونتاي إلى ميافارقين، والملك الصالح إلى آمد، ومضى بنفسه إلى دينسر[٣٠] ونصيبين وحران، وأعمل القتل والسلب وعبر نهر الفرات، وحاصر حلب، واستعان أهل تلك الناحية بحصانة القلعة، وحاربوا، وكان على بوابة باب اليهود درعتونويان، وعلى باب الروم كبتوقا، وعلى باب دمشق سونجاق، ونزل الملك على باب أنطاكيه، وحاربوا أسبوعاً، واستولوا عليها في نهاية الأمر في ذي الحجة سنة سبع وخمسين وستمائة من جانب باب العراق.

ولما استولوا على قلعة حلب، سلمها هولاكوخان إلى فخر الدين الساقي، وعين توكال بخشي[٣١] شحنة عليها، ولما مضى من حلب جار أهلها بالشكوى من فخر الدين، فأمر بقتله، وأسندوا حكومتها إلى زين الدين الحافظي، ولما قدمت طلائع جيش الملك إلى دمشق سلموا المدينة، وفي أثناء تلك الحال قدم شكتورنويان معلناً فروض الطاعة للملك من هناك، وأخبره بموت منكوخان، فتأثر تأثراً عميقاً، وترك لكبتوقا تدبير شئون الشام، وعاد من حلب، وتحارب كبتوقا مع سلطان مصر البندقدار في عين

جالوت، فانهزم وأسر وقتل، ولما بلغ خبر كبتوقا لهولاكوخان، أظهر الحزن على وفاته ورعى جانب من بقى من أسرته، وأرسل إيكانويان بجيش عظيم إلى الشام، ولما وصلها، كان البندقدار ملكًا على مصر فبلغه الخبر فخرج لصده، فمضى إيكانويان إلى الروم، وذكروا اسم البندقدار فى الخطبة، وعلى السكة فى دمشق، وفى نفس التاريخ توفى الأمير بلغا حفيد شيبان بن جوجى خان طرطوى بفحا(٣٢) ، وبعد ذلك اتهم بوقا وأغول بالسحر وتغيير النية بعد ثبوت ذنبهما، فأرسلهما بصحبة سونجاق إلى بركاى، وقتلهم فى السابع عشر من صفر سنة ثمانٍ وخمسين وستمائة، وقتل صدر الدين الساوجى أيضًا؛ لأنه كتب حجابًا تعويذة له، وبعد ذلك مات قولى، وهرب حشمهم ومضوا بطريق البحر والمضيق إلى صحراء القبجاق، وتوفى الملك الكامل فى مدينة أوقوت بعد حروب كثيرة مع إيلكانويان ويشموت طيلة عامين، وبعد أن اعتقلوا الرجال الواحد بعد الآخر، جاءوا به إلى هولاكوخان؛ ليقطعوا لحمه، ويضعوه فى فمه حتى مات.

خبر مضى الأمير يوشموت نحوقلعة ماردين والاستيلاء عليها

ولما فرغوا من أمر ميافارقين، أرسل أرقتونويان إلى الملك سعيد صاحب قلعة ماردين؛ قائلاً له: اهبط من القلعة وأقر بالعبودية لملك الدنيا، حتى تدوم عليك الحياة وأسرتك.

سأرفع بابك ولو أنه صعب ولا تعتد بقوة ساعدك فى إغلاقه

فأجاب لا ثقة لى فيك، وتحاربوا ثمانية أشهر، وظهر الوباء فى القلعة وقحط من فيها، وكان له ولدان: الأكبر مظفر الدين، فقال لأبيه: إن المصلحة فى تسليم القلعة، فلم يستمع إليه فأعطاه سمًا فمات، وأرسل إلى أرقتو قائلاً: إن من عداك فقد مات، وإذا أمرت الجيش أن يكف عن القتال فسنسلم القلعة، فأمر أرقتو الجند بالكف عن القتال، ونزل مظفر الدين مع أخيه وأسرته وسلموا القلعة، فحملوه إلى الحضرة، فسأله الملك عن دم أبيه، فقال: صنعت هذا من أجل المصلحة العامة، فعفا عنه الملك، وأسند إليه مملكة ماردين، ودامت له السلطنة حتى سنة خمسٍ وتسعين وستمائة، ولما توفى خلفه

ابنه شمس الدين داود، وبعده ابن السلطان نجم الدين الملقب بالمنصور، ونال من السلطان غازان المظلة (الحماية) والتاج.

وتوفى بدر الدين لؤلؤ فى الموصل سنة تسع وخمسين وستمائة، وكان قد بلغ السادسة والتسعين من عمره، وتولى الملك خمسين عامًا، ومنح هولاكوخان سلطنة الموصل إلى ابنه الملك الصالح، وبعد مدة ترك الموصل، ومضى إلى مصر، وأعلنت زوجته تركان خاتون ابنة السلطان جلال الدين الحضرة، وأكرمه البندقدار ورعى وفادته، ورده مع ألف فارس من الأكراد؛ ليحضر الخزائن والدفائن التى جمعها، فصدر الأمر للجيش الموجود فى ديار بكر؛ ليسد عليه الطريق، وأرسل سنداغون نويان مع جيش مكون من عشرة آلاف جندى فى إثره، وكذلك صدر الدين التبريزى مع عشرة آلاف من الجنود الفدائيين، ولما وصل الملك الصالح إلى مدينة الموصل، سد المغول كل الطرق عليه، ووقعت الحرب بينهما، ولما بلغ البندقدار، أرسل أغوش إيلور جيشًا لمعاونته، ولما وصل سنجار كتب رسالة يخبر فيها بإعلان وصوله، وربطها فى جناح حمامة وأرسلها، فجاءت الحمامة بالصدفة، وحطت على رأس منجنيق المغول، فأمسك جندى المنجنيق بالحمامة، وحمل الرسالة إلى نويان، ولما قرأها عرف أنها من إمارة دولته، فأطلق الحمامة وأرسل على الفور جيشًا يتكون من مائة وعشرة آلاف جندى لدفعهم، ففرق شملهم، وقتل معظمهم، ومن هناك ارتدى ثوب الشوام مثل الأكراد، وتوجه إلى الموصل، وأعلموا سنداغون بأنهم انتصروا فى الصباح قائلين لقد انتصرنا فى الصباح، وسنصل بغنائم كثيرة على هذه الهيئة.

ولما وصلوا فى اليوم التالى، فإن أهل المدينة ظنًا منهم أنهم شاميون خرجوا لاستقبالهم، وأبدوا سرورهم، فأحاط بهم جيش المغول من كل جانب، ولم يتركوا واحدًا منهم حيًا، وبعد ستة أشهر قضوها فى حروب، تم الاستيلاء على مدينة الموصل فى رمضان سنة ستين وستمائة، ووضعوا السيوف فى بقية المدن، واعتقلوا الملك الصالح، وأرسلوه إلى الحضرة، فأمر الرسل أن يقيدوه فى لبة، وأن يثبتوه باللباد والحبال، وطرحوه فى شمس الصيف، وسخنت اللبة بعد أسبوع، وجعلوا يأكلونه، وأسلم الروح

بعد شهر فى هذا العذاب والبلاء، وكان له ولد فى الثالثة من عمره، فأرسلوه إلى الموصل، وهناك شطروه شطرين على شاطئ نهر دجلة، وعلقوا كل شطر من شطريه على ضفة حتى بلى وسقط، وأصبح البقية عبيداً من هذا العذاب.

لقد بلى وسقط من هنا   ولم يشبع الجيش من هذا الأمر

لقد ربيت هذا الجميل ودللته   وأعطيته ثانية لأسنان الدود

خبر حرب هولاكوخان مع بركاى

حينما مات بركاى بلغا، وبوقار، وقولى، وقع العداء بينهم، وكتب بركاى إلى هولاكوخان مهدداً معنفاً، وأرسل بوقاى قريبه يطلب دمه بجيش يتألف من ثلاثين ألف جندى، فاجتاز المضيق، ونزل فى ظاهر شيروان، فأرسل هولاكوخان شيرامون نويان إلى منقلاى مع سماغار، وآباتاى نويان، ووصلوا شماض فى ذى الحجة سنة ستين وستمائة، فأغار جيش بركاى على شيرامون وقتل قتلاً شديداً، وأغرقوا السلطان جوق فى النهر، ووصل آباتاى نويان فى يوم الأربعاء آخر ذى الحجة، وهاجم جيش بركاى على بعد فرسخ واحد من شابران، وقتل كثيراً منهم، وهرب بوقاى.

وركب هولاكوخان فى السادس من المحرم سنة إحدى وستين وستمائة من حدود شماض متجهاً لمحاربة بركاى، وفى هذا الوقت اتجه جماعة من الندماء قاصدين سيف الدين البيتكجى الوزير الخاص للقاآن، وخواجه عزيز اللذين كانا فى ولايات كرجستان، وخواجه مجد الدين التبريزى، واعتقلوهم ومضوا بهم إلى شابران، وبعد قتال قتلوا هؤلاء الثلاثة، وتخلص الملك صدر الدين التبريزى وعلى ملك حاكم العراق وخراسان كل منهما بعدة عصى.

وتحارب هولاكوخان مع بركاى خان فى يوم الجمعة الثالث والعشرين من شهر المحرم على باب الأبواب، واستولى على دربندما ولحقت بهم الهزيمة، وداموا فى القتال إلى آخر يوم السبت، ومضى بوقاى مع الجيش منهزماً فى غرة صفر، وانتصر جيش هولاكوخان، وتتبع أباقا خان الجيش الثائر عليه، ونزل فى ديارهم، وهاجمهم بغتة

بركاى بالجيش؛ فانهزموا، ولما تجمد ماء الترك، تحطم الثلج أثناء العبور، وغرق كثير من الجند، ونزل آباقا خان فى شابران سالمًا، ووصل هولاكوخان فى الحادى عشر من جمادى الآخرة إلى تبريز، واكتأب من هذا النحس.

خبر إسناد الولايات إلى الولاة، ووفاة هولاكوخان

أسند جميع ممالك العراق وخراسان ومازندران إلى ابنه الأكبر آباقا خان، وأسند ليشموت آران وأذربيجان، كما أسند ديار بكر، وديار ربيعة للقائد قوران، وممالك الروم إلى معين الدين بروانة، وتبريز إلى الملك صدر الدين، وكرمان إلى تركان خاتون، وفارس إلى القائد أنكيانو، وصاحب الديوان لشمس الدين محمد الجوينى، ولما حل عام الثور الموافق لربيع الآخر سنة ثلاثٍ وستين وستمائة مرض، وفى ذلك الوقت ظهرت ذؤابة مثل الأسطوانة كانت تظهر فى كل ليلة، ولما انمحت هذه الذؤابة توفى المذكور فى ليلة الأحد الموافق التاسع عشر من ربيع الآخر.

لما مضى هولاكو عن مراغة فى الشتاء	قدر الإله نهايته
فى سنة ستمائة وثلاثٍ وستين ليلة الأحد	كانت الليلة التاسعة عشرة من ربيع الآخر

وكان عمره ثمانية وأربعين عامًا، وحكم إيران تسعة أعوام وثلاثة أشهر، ودفنوه فى جبل شاهو المواجه لدهخوار قان، وتوفيت أمه ارتقاق خاتون بعده بتسعة أيام، كما توفيت بيسونجين خاتون أم آباقا خان فى يوم الخميس الخامس من جمادى الآخرة، كما توفيت دوقوز خاتون فى غرة رمضان سنة ستمائة وثلاثٍ وستين.

قصة آباقا خان بن هولاكوخان وخواتينه وأبنائه

كانت زوجته الكبرى أودجين خاتون، ولما توفيت تزوج توقدان خاتون من قوم التتار، وجعلها فى مكانها، ولما توفيت جعل إيلتورميش خاتون بنت قتلغ تمور كوركان التى كانت من القنقرات مكانها، وبعد ذلك تزوج الملك خاتون بنت السلطان قطب الدين محمد خان الكرمانى، وجعلها فى منزلة أمه بيسونجين خاتون، وبعد ذلك تزوج يرتى

خاتون، وبعد ذلك تزوج بلغان خاتون التى كانت قريبة لبوقاى يارغوجى، وتزوج زوجة أخرى، هى تسينا خاتون بنت الملك أنطينون، وكان لها كثير من الأقارب، وكان له ولدان، وسبعة بنات، الأبناء: أرغون خان وأمه قايميش أنكاجى، وكى خاتون وأمه توقداى خاتون. والبنات: يولتغ وأمها توادى خاتون، وزوجوها إلى إيلجيتاى قوشجى، وبعدها بابليا سميس طغاى وأمها أيضًا توداى خاتون، وملكه من بلغان خاتون، وزوجوها إلى طوغان بن توقاى يارغوجى، وطووغا نجوق، وزوجوها إلى نوروز بن أرغون آقا، وإيلقتلغ من بولجين، وزوجوها لداود ملك كرجستان، وكانت فى ذلك الوقت زوجة أقسنقر ملك مصر، ويوجين من موتاى خاتون.

خبر جلوس آباقا خان

لما توفى هولاكوخان، كان آباقا خان فى مازندران، ونزل بالمعسكر فى جغل توفى هوكائيل الموافق التاسع عشر من جمادى الأولى سنة ثلاث وستين وستمائة، وأقام رسوم التهنئة والتعزية، وأجلسوا آباقا خان على العرش فى يوم الجمعة الخامس من شوى آى هوكاوئيل الموافق الثالث من رمضان سنة ثلاث وستين وستمائة بطالع السنبلة فى جغان ناور على حدود فراهان، وقدموا وأقاموا الشرائط والرسوم الخاصة بذلك، وبعد الاحتفالات أرسل الملك أخاه يوشموت إلى شروان ودربند، وعين نفسه على خراسان، وأرسل طوقوز بيتكجى بن إيلكان نويان، وتودان أخوى سونجاق الذى كان جد أمير جوبان، وابنه ملك إلى الروم، ودرماى نويان، لديار بكر، وأسند كرج لشيرامون بن جورماغون، وأرسل إينجوها إلى التاجونويان، وأسند ممالك بغداد وفارس إلى سونجاق، وعين أرغون آقا على مقاطع الممالك، ومنح منصب الوزارة بناء على المنهج السابق إلى الصاحب الشهيد شمس الدين محمد الجوينى، وجعل تبريز عاصمة البلاد ودارًا للملك، وعين الصاحب علاء الدين عطا ملكًا على بغداد نائبًا عن سونجاق، وأسند وزارة خراسان إلى عز الدين طاهر، ومقاطع فارس إلى شمس الدين تازيكو، وكرمان لتركان خاتون، وتبريز إلى الملك صدر الدين، وديار بكر إلى جلال الدين طره، ورضى الدين بابا، وأصفهان إلى الخواجه بهاء الدين محمد الجوينى، وقزوين وبعض

من العراق للملك افتخار الدين القزويني، وديار ربيعة للملك مظفر الدين قزل أرسلان، ومملكة نيمروز للملك شمس الدين كرت، وكرجستان لداود الملك بن صارون، واتخذ له في هذا العام مشتى على حدود مازندران، وعاد في الربيع سنة أربعٍ وستين وستمائة إلى دار الملك تبريز.

خبر حرب جيش آباقا خان مع بوقاي، وبركاي خان

في أوائل عهد أباقا خان خرج بوقاي من ناحية دربند بجيش جرار، وركب الأمير يوشموت في الرابع من التلح أي هوكائيل الموافق الثالث من شوال سنة ثلاث وستين وستمائة بناء على الأمر لمواجهتهم، وعبر نهر كر، وتحارب معه بالقرب من آقسو، وقتل خلق كثير من الطرفين، وقتل قوتوبوقا، والأطغا جار في هذه الحرب، وأصيب بوقاي بسهم في عينه، وولى جيشه منهزمًا إلى شاوران، وعبر آباقا خان نهر كر، وقدم بركاي من هذا الجانب مع ثلاثمائة ألف فارس، وقدم أباقا خان مع جيشه من هذا الجانب من النهر، وأمر بأن يقطعوا الجسور، والتحم الطرفان على ضفتي نهر كر وتراشقا بالسهام، وأقام بركاي خان على ضفة النهر أربعة عشر يومًا، ولما كان العبور متعذرًا، سافر إلى تفليس؛ ليعبر النهر من هناك، فمرض في الطريق وتوفى، وحملوا نعشه إلى قصر باتو، ودفنوه، وتفرقت جيوشه.

وأمر آباقا خان في سنة أربعٍ وستين وستمائة أن يستولوا على جانب كر من دالان ناور حتى صحراء كردمان(٢٣) المتصلة بنهر كرسيه، وأن يحفروا خندقًا عميقًا، وكلفوا جماعة بحراسته، وترك هناك الأمير منكوتمور مع سماغار نويان، والجاي خاتون، وسافر إلى خراسان في شتاء سنة خمسٍ وستين وستمائة، وأمر بإقامة مشتى له في مازندران، وقدم مسعود بك بن محمود يلواج حاملاً رسالة من قايدو، وبراق، وطلب رفع محاسبة إينجوهاي.

ولما وصل إلى الحضرة، لبس برقاي قباي(٢٤) جنكيز خان، وجلس على منصة جميع القادة الإيكانويين، وصدر الأمر على أن يقوم الخواجه شمس الدين حسين العلكاني بهذه المحاسبة، وأن يسلمها خلال أسبوع، وبما أنه لم يأتِ بقلب صافٍ، فكان

يعجل بالعودة، ومنح الإذن بالانصراف بعد أسبوع حاملاً الخلع والهدايا، وبعد يوم جاء الخبر بأن جيشًا متمردًا ظهر على ضفة نهر جيحون، فأدرك آباقا خان أن مسعود بك أعمل حيلة، وأن براق جاء متجسسًا، فأرسل الرسل على الفور فى أثره؛ ليعيدوه، ولكنه كان قد أخذ للأمر حيطته، وهيأ فى كل منزل مبعوثًا، فمضى الرسل إلى ضفة نهر جيحون، واتفق أن صادف وصولهم عبوره فعادوا.

وبعد ذلك جاء خبر وصول أغروق بن هولاكوخان، فاستقبله على حدود كبود جامة ومعه قوتى خاتون، وولديها تكسين، وتكودار، وأبناء جومغر: جوشكاب، وكينشو، وطرقاى، وابنه بايدو، وييسونجين أم آباقا خان فى التاسع عشر من جمادى الأولى سنة ستٍ وستين وستمائة.

خبر وصول براق إلى خراسان، وحربه مع جيش آباقا خان

عبر براق نهر جيحون فى شهور سنة ثمانٍ وستين وستمائة، وتحارب مع تويشين[٣٥] وأرغون آقا، وسافر آباقا خان من حدود آذربيجان إلى خراسان، وكان يمضى بسرعة، ولما عبر الرى، أعلنا بيشين أغول، وأرغون آقا العبودية فى قومش، وتحارب السلطان حجاج الكرمانى، والأمير أرغون، آقا، ومضى من هناك آباقا خان لمرعى رادكان، وأعطوا الجيش كثيرًا من الدراهم والدنانير، وأرسل آباقا خان يشموت إلى الميسرة، وجعل آباتاى نويان فى القلب، وأرسل بيشين إلى جانب جسر جيحون الذى كان وطن مرغاول، ولما وصل هناك، هجم على حراس مرغاول وقتل بعضًا منهم، واستولى على أمتعتهم، فمضى مرغاول إلى براق، وأطلعه على الأمر، فقال براق: إذا حارب تويشين، وأرغون آقا مرة أخرى، فكأننا جربنا حربهم، أما إذا حارب أباقا فامضِ، واقطع عليهم رأس الطريق حتى يهيئ الجيش.

ولما وصل آباقا خان بادغيس، أرسل رسولاً إلى براق، قائلاً: لقد قدمنا من العراق إلى خراسان، وخففنا عنك المشقة، ووعثاء السفر، فاعلم أنه لا يمكن الاستيلاء على ملك العالم بالظلم، والجور إلا باستمالة الرعايا ورعاية الرعية.

أضرمت النار وحرقت المدن   فمن علمك أن تملك العالم!

ومع هذا فإذا أردت أن ينتهى العداء بيننا، فاختر واحداً من ثلاثة : أولهما : السلام حتى أهبك غزنين وكرمان حتى ضفة نهر السند، وثانيهما : أن تمضى إلى ديارك سالمًا آمنًا، وثالثهما : الحرب.

إن جوهر السيف يقطر دماً أوترتفـــع نـــار الإقبـــال

فاندهش براق مدة، وعلى ذلك قال للأمراء:

وضــع أمامـــى ثلاثة طـرق مهـدداً والحقـــــود يحســـن النصـــح

فما اختياركم من هذه الطرق الثلاث، وكان بيسور يتميز عن القادة برأيه وتدبيره، فقال: المصلحة فى الصلح، لنمضِ نحوغزنين حيث لا نعود إلى محاربة الترك، فغضب مرغاول من هذا الكلام، وقال: لا ينبغى التشاؤم فى حضرة الملوك، كما لا ينبغى أن نجعل للخوف سبيلاً علينا، فقال جايرتاى: لقد جئنا لنحارب، فأعجب براق بكلامهم واتفقوا على الحرب، وأرسلوا الجواسيس، وأمر آباقا خان القائد طوغور، ليختار ميداناً جيداً للحرب، فاختار صحراء فراخ الواقعة على سفح جبل، وأمامها نهر يسميه المغول قراسو، ووجد هناك ثلاثة جواسيس، وجاء بهم إلى آباقا خان، فأمر بتقييدهم على أعمدة القصر، وسألهم مهدداً، فقال أحدهم: أقول الحق على كل حال، لا علم لبراق بقدوم آباقا خان، وقواده فى شك، وأرسلونا لنتحقق من الأمر، فخرج آباقا خان من الستار، وطلب مغوليًا جلدًا فصيحًا، واتفق معه حتى يدخل القصر بطريقة الرسل، وأعاد الكلام الذى قاله وعاد، وطبقًا للعادة تربع على العرش، واشتغل باللهو والأنس مع القادة.

ولما مرت ساعتان من الليل، كان الملك، والقادة فى حديث عن براق، وقدم فجأة ذلك المغولى المسلح، ودخل القصر وقبل الأرض، وقال: منذ أن فارق الملك الجيوش مدة ثلاثة أشهر، ظهر المتمردون والأعداء فى أطراف البلاد، وقدم جيش مثل النمل والجراد من دربند والقبجاق، وأغاروا على المعسكرات، وديار القادة، ولم يبقوا على أحد فى هذه

الديار بقتلهم ونهبهم، وكان الجيش متمرداً من دربند حتى بلاد الأرمن، وديار بكر، فإذا لم تسرع بالعودة فلن تجد الجيوش، ولا الشعب ولا الرعية.

ولما سمع القادة هذا الكلام اضطربوا جميعًا، فقال أباقا خان: لقد أحسنا صنعًا، فإننا نحافظ على مدينة هراة من التمرد، وقد تركنا الولاية والرعية والجيوش فى يد المتمردين، فالرأى أن نعود فى هذه الليلة حتى ندرك نساءنا وأبناءنا، وعندما نفرغ منهم، نعود ثانية إلى هذه الجهة، وقرعوا الطبل الكبير فى الحال، ورحلوا عن طريق مازندران، وكانت تلك الصحراء ممتلئة بالخيام والسرادقات، ومضوا هكذا على مسمع من الجميع، وأمر قائد أن يقتل هؤلاء الجواسيس الثلاث، وقال فى الخفاء بأن يطلقوا سراح أحدهم، واستوجب ذلك أن تقدموا، ورحلوا عن ذلك المكان. ونزلوا فى اليوم التالى فى ذلك المكان الذى كانوا قد اختاروه للحرب، وفى تلك الأثناء امتطى الجاسوس الذى كانوا قد أطلقوا سراحه فرسًا وولى هاربًا، ودخل قصر براق، وأخبره بالخبر، فسر براق كثيراً وبادر مرغاول وجلايرتاى بالتهنئة، وامتطوا جيادهم فى الصباح جميعًا، ولما عبروا نهر هراة، ورأوا الصحراء ممتلئة بالخيام والسرادقات فأغاروا على هذا كله ونزلوا فى الجانب الجنوبى لهراة، واتفق أباقا خان مع جميع القادة على المكوث على هذا الحال، ولما رأى براق ذلك غضب، وقال: لقد أخطأنا الظن، وصفوا الصفوف على الجانبين، وكان يدفع مرغاول من اليسار واليمين، وفجأة رشق رامٍ ماهر سهمًا من قوس قوى إلى صدره المتلئ بالحقد.

ولما قبلت أصبعه النصل	فإن هذا النصل اخترق ظهره
فقال الملك : بارك الله فى هذه اليد	جنداً ثم حبذا هذا الوتر

وحزن براق والجيش على قتل مرغاول، وقدم جلايرباى فروض الطاعة، وقال: سأقحم نفسى فى هذا الجيش، وأطلق العنان مع فرسانه، وضرب على الناحية اليسرى، وقتل كثيراً من جيش أرغون آقا، وشكتورنويان، والقادة الآخرين، وعاد الباقون منهزمين، ومضى جلايرباى فى إثرهم حتى بوشنك هرات نحوأربعة فراسخ، وحينما أراد أن يعود لم يستطع، فهرب، ويئس براق وعبر نهر جيحون منهزمًا، ووقع النزاع فى جيشه، ومرض براق، وتوفى فى سنة ثمانٍ وستين وستمائة، وكانت مدة ملكه ستة أعوام.

ولما عاد آباقا خان فى غرة ربيع الأول سنة تسع وستين وستمائة، نزل فى مراغة، وفى نفس التاريخ قدم الرسل بالعبودية من عند القاآن، وأحضروا المنشور والتاج والخلعة، وفى الثالث والعشرين من صفر سنة تسع وستين وستمائة كان آباقاخان يصطاد فى ضواحى جغاتو، واتفق أن أصيب حلقه من قرن ثور جبلى وفتح شريانه، ولم يتوقف نزيف الدم، فأخذ قورجان آقا والد مويدايداجى القوس، وجعل يضرب موضع الجرح حتى تورم والتأم الجرح، فرعى آباقا خان جانبه، وكان الكحال سلاحه مربوطًا فى ذلك اليوم، وكان قد قدم خدمات جليلة، فأغدق عليه العطاء، وامتلأ الجرح بالقيح وساء حاله، ولم يستطع شق الجرح، وتعهد الخواجه نصير الدين الطوسى أنه لن يصيبه منه أذى، وأمر أبا العز الجراح أن يشقه وينظفه، فسكن الألم فى الحال، وتخلص من هذه الشدة.

وتوفى الأمير يوشموت ليلة السبت الثامن من ذى الحجة سنة تسع وستين وستمائة، كما توفى تويشين أغول فى الرابع من صفر سنة سبعين وستمائة، ودان بالولاء من يسمى آقبك الذى كان حارس قلعة آمويه من قبل براق فى رجب سنة إحدى وسبعين وستمائة، وقرر أن الجيش الأجنبى الموجود بجوار هذا النهر يتلقى المدد من بخارى، فيستحسن تخريب هذا الموضع، فأرسل آباقا خان نيكى بهادر، والأدووجارد ومع عشرة آلاف مقاتل معهم، فأعملوا القتل والنهب فى بخارى، وحملوا كثيراً من الأموال والأسرى وتخربت عن آخرها، وكان آقبك بن امرأة هندية بنت ابن تاج الدين، ولما اغتنم هذه الغنائم، أراد أن يهرب، ويمضى إلى قايدو، فقبضوا عليه، وجاءوا به إلى آباقا خان وقتله.

وفى نفس العام وقع زلزال عظيم فى الشتاء فى مدينة تبريز حتى سقطت رؤوس المنارات، وتخربت ديار كثيرة، وقتلوا الملك صدر الدين فى ذى الحجة من تلك السنة، وتوفى فى التاسع عشر من هذا الشهر جنكلا، ويخشى، كما توفى فى ذى الحجة سنة ثلاث وسبعين وستمائة أرغون آقا فى مرغزار راد كان بطوس، ودفنوه فى ذلك الموضع،

وتوفى فى سنة إحدى وسبعين وستمائة فى الثامن والعشرين من رجب سيدى شمس الدين محمد بن عبد الرحيم بن الرفاعي، كما توفى فى الثالث عشر من المحرم سنة اثنتين وسبعين وستمائة سيدى قطب الدين أبوبكر بن حسن الزاهد التركذرى، كما توفى الخواجه نصير الدين الطوسى فى بغداد يوم الإثنين السابع عشر من ذى الحجة سنة اثنتين وسبعين وستمائة عند غروب الشمس.

خبر قدوم البندقدار إلى جانب الروم، ومضى آباقا خان لهذه الجهة

فى سنة أربع وسبعين وستمائة مضى ضياء الدين بن حظير، وابن بروانة مع مائة رجل من بلاد الروم إلى جانب الشام، وحث ركن الدين البندقدار على المضى إلى بلاد الروم، فمضى البندقدار فى سنة خمسٍ وسبعين وستمائة بجيش جرار إلى ديار الروم، وخرجوا من جبل إيلستان، وكان فى تلك الحدود من أمراء المغول طوقو بن إيلكاى نويان، وأخوه درعتو وتودان بن سودوم أخو سونجاق، ومع كل منهم جيش يتكون من عشرة آلاف مقاتل، وتحاربوا فى يوم الجمعة العاشر من ذى الحجة سنة خمسٍ وثمانين وستمائة، وانهزم جيش المغول، ونجا منه عدد قليل.

ولما بلغ آباقا خان الخبر، مضى إلى بلاد الروم فى سنة ستٍ وثمانين وستمائة، ولما بلغ إيلستان ورأى هؤلاء القتلى استاء كثيراً، وأمر بقتل جماعة من التركمان الذين أثاروا الفتنة، وجماعة من أعيان الروم وعاد، ولما وصل البندقدار إلى دمشق، كان قد رأى الرسول (ﷺ) فى المنام، وقدم إليه سيفًا، وأن السلطنة كانت له فى هذا الأسبوع، ورأى النبى (ﷺ) فى ذلك الوقت مرة ثانية فى المنام وطلب منه السيف، وقدمه إلى الملك منصور سلطان سيف الدين الفلاتونى المعروف بالألفى، ولما استيقظ من نومه عرف أن عمره قد انتهى، وأن الدولة ستكون للألفى، فطلبه، وقال: عندما تصبح سلطانًا احفظ أبنائى جيداً، وتوفى فى دمشق فى ذى الحجة سنة ستٍ وسبعين وستمائة، ودفنوه فى مدرسة أقامها هناك، وحكم ثمانية عشر عاماً.

وأسند آباقا خان بلاد الروم إلى الأمير قونقراتاى، وأمر بتخريب قلعة توقات وحصن كوغانيه التى كانت منزل بروان الحاكم، وقدم فى هوكاوئيل الموافق سنة ستٍ

وسبعين وستمائة إلى الأتاغ، وأمر بإعدام معين الدين بروانة، وتوفى الملك شمس الدين كرت فى حبسه فى تبريز فى نفس العام.

وأغار على فارس عشرة آلاف من التكودريين فى سنة سبعٍ وسبعين وستمائة، وكان محمد بك متصل النسب بمحمود يلواج ، وقتله طويناق، وأغاروا مرة أخرى على كرمسيرات فارس فى سنة ثمانين وستمائة، وتوفى الملك افتخار الدين القزوينى فى سنة ثمانٍ وسبعين وستمائة، كما توفى فى نفس السنة الخواجه بهاء الدين، وقال الخواجه شمس الدين صاحب الديوان فى مأتمه:

الفلك عبد لك يا ابن محمد ... وشعرة منك تساوى سوق الزمان
كنت عماد الأب من سلالة هذا الأب ... وانحنى مثل حاجب الجميلات بلا وجهك

وقال أحد الفضلاء فى تاريخه:

وفاة صاحب الآفاق بهاء الدين الذى ... كان زحل حارس إيوانه والقمر بوابه
الماضى من هذه الدنيا الفانية إلى الدنيا الباقية ... فى ليلة السبت يزز[٣٥] من شهر شعبان
فى عام ستمائة وسبعين وأضف إليها سبعًا ... فى أصفهان التى كانت منه مزدهرة عامرة

وتوفى أباقاى فى سنة تسعٍ وسبعين وستمائة، وفى ربيع العام نفسه صدر الأمر بتنفيذ الأمر بأن يكون مجد الدين اليزدى مشرفًا على جميع الممالك من ضفة نهر جيحون حتى ديار مصر، وأن يكون صاحب الديوان مشاركًا له، وأصبحت عتبة مجد الدين ملجأ وملاذ الكبار والصغار، وتدهور شأن صاحب الدين، ولم يكن له رونق عظيم، وأرسل مجد الملك هذا الرباعى إلى الصاحب:

سوف أغوص فى بحر حبك ... فإما أغرق وإما أستخرج الجوهر
إن قصدك خطر وأريد هذا ... فإما أجعل وجهى بهذا أحمر أوعنقى

وأرسل الصاحب شمس الدين ردًا على هذا، ذلك الرباعي:

بما أنه لا يمكن رفع المنشور إلى الملك فينبغى أن يأخذ ناشد يد الحزن من الزمان
ذلك الأمر الذى لك نصيب فيه تجعل الحمرة فيه لوجهك وعنقك على السواء

وقصد مجد الملك علاء الدين صاحب الديوان، وصدر الأمر بالقبض عليه، وأخذوا منه ثلاثمائة تومان من الذهب، وقيدوه بالسلاسل، وجاءوا به إلى بغداد، وعذبوه بكل أنواع التعذيب، حتى أعطاهم كل ما يملك، وباع أبناءه أيضًا، وساءت أحواله كلها، وسمت مرتبة مجد الملك، ومضى آباقا خان، وهو يصطاد إلى رحبة الشام فى سنة ثمانين وستمائة، وأرسل منكوتمور فى المقدمة، وعاد إلى سنجار، ووصل إلى المعسكرات فى منتصف رجب، والتقى بالجيوش فى يوم الخميس الرابع عشر من رجب فى حدود حمص، ودفع عليتاق ميسرتهم، وكان الأمير منكوتمور طفلاً، ولم يشاهد الحروب الشديدة، فخاف وطولاداى يارغوجى، وأشاح عنهم، وانهزم الجيش، وقتل منه خلق كثير.

ولما بلغ هذا الخبر آباقا خان، غضب غضبًا شديدًا، وعبر نهر دجلة فى السابع عشر من شهر رجب، ونزل بكشان، ونزل فى الثانى من شعبان فى محول بغداد.

وفاة آباقا خان

مضى فى الثالث من ذى القعدة سنة ثمانين وستمائة من بغداد إلى همدان، ووصلها فى يوم الأربعاء السادس من ذى الحجة، ونزل فى قصر الملك عماد الدين، وخرج فى منتصف ليلة الأربعاء الموافق العشرين من ذى الحجة؛ لقضاء حاجته بعد إفراطه فى الشراب، فإن محول الأحوال، ومقدر الآجال خيل لآباقا خان طائرًا أسود، فصاح قائلاً: ما هذا الطائر الأسود؟، فأمر القرجيين أن يضربوه بالسهم، وعلى الرغم من اهتمامهم بالأمر، فلم يكن هناك شىء، وأطبق جفنيه فجأة، وأسلم الروح، وهو جالس على الكرسى.

وضـعـوا تحـتـه عـرشًـا من ذهـــــب	بديبـــاج مزركش ومنطقة ذهبيـــة
وزينـوا جـــــــــمـــه الملـكى	وكانوا يطلبون الورد والمسك والكافور
فاقتلعوا شعورهم وجرحوا وجوههم	ولسانهم يقول الملك والروح تبحث عنه
وامتلأت رؤوس العظماء بالتبن والتراب	وعيونهم ممتلئة بالدمـــاء وثيابهم مقدودة

وقالوا فى تاريخه:

آباقا خان الذى كان من إنصافه وعدلـــه	كـــانت الدنيـــا سعيدة مثل جنـــات عدن
مضى من الهجرة ستمائة وثمانون وواحد	ومن شهر ذى الحجة لم يكن هناك زيادة أونقصان
فـمضى إلى دار البـقـــاء وقت الأسـفـــار	مـــــن دار الفنـــاء هذه، واللـــه أعلـم

وكانت مدة ملكه سبعة عشر عامًا وثلاثة أشهر وسبعة عشر يومًا، وتوفى منكوتمور يوم الأحد السادس عشر من المحرم سنة إحدى وثمانين وستمائة فى بقعة من توابع الموصل، ودفنوه عند الأيلخان الأعظم.

قصة السلطان أحمد تكودار بن هولاكوخان وخواتينه وأبنائه

لما توفى آباقا خان، أجمع واتفق الأمراء سيم قونقراتاى، وهولاجو، وجوشكاب، وليشو، والقادة شينكتور نويان، وسونجاق، وعرب، وأسيق[٣٧]، وقرابقا على أن يكون الملك لأحمد، وعاد الأمير أرغون بعد ثلاثة أيام ومضى إلى خراسان، وفى يوم الأحد الثالث عشر من ربيع الأول من السنة المذكورة كان قونقراتاى قد أمسك بيد أحمد اليمنى، وأمسك شينكتور نويان بيده اليسرى، وأجلسوه على العرش، وأقاموا مراسم التهانى جريًا على عادة المغول، ولقبوه بالسلطان أحمد.

ذكر خواتينه وأبنائه

كانت الخاتون الكبرى له تكوز خاتون من القنقرات، وبعدها أرمنى خاتون[٣٨] وهى من القنقرات أيضًا، وبعدها مايتكن بنت حسين آقا، وتودا كو خاتون بنت مورينى[٣٩] لوركان، وإيلقتلغ بنت كنيشوام طوغاجاق، وفى النهاية تزوج توداى خاتون،

وكـان له ثـلاثة أبنـاء، وست بنـات، الأبنـاء: قـبـلابجى، وأرسـلانجـى من أرمنـى خـاتون، ونوخانجى من قوماى التى تسمى قرقجين، والبنات: كوجوك من تكوز خاتون، وزوجها إلى اليناق، وكونجك من أرمنى خاتون، وكانت فى هذا الوقت زوجة الأمير إيرنجين بن ساروجة، وجيجاك من أرمنى خاتون أيضًا، وزوجوها إلى توراجو بن درباى الذى كان أمير ديار بكر، كما كانت مايتومنها وزوجوها إلى حنـدان بن كراى باورجى، وسـايلون من توداكوخـاتون وزوجوها إلى قراجة وإيوا غلانان من أروك خـاتون، وكلتـورمش من قوماى وتسمى فويفورجين، وكانوا قد زوجوها إلى شادى بن طوقو أمير نويان، وبعده تزوجت أخاه طوغان، وفى هذا الزمان كانت الخاتون بنت الأمير جوبان تمورتاش.

حكاية: لما أصبح أحمد سلطانًا، أمر بإحضار الخزائن التى كانت معدة فى شـاعـوتله، وقسـمـها على الخواتين والأمـراء والقادة، وأعطـى كل واحـد من الجند مـائة وعشرين دينارًا، وطلب علاء الدين صـاحب الديوان الذى كـان قد صـادر أمواله مـجد الملك، وحبسه فى همـدان، وأنعم عليه، وأسند إليه بغداد، وقـتلوا مـجد الدين فى ليلة الأربعاء الثـامن من جمادى الأولى سنة إحدى وثمـانين وستمائة، وأرسلوا أعضـاءه إلى أطراف البلاد، وقال الصـاحب علاء الدولة فى حقه هذا البيت:

وقع التـزوير فى الدفـتـر فى يومـين أوثـلاثة   وكنـت تبـحث عن المـال والجـاه والتـوفـيـر
واسـتولى كل إقليم على عـضـو من أعـضـائك   وأصبـحـت مـالكًا للدنيـا فى أسـبـوع واحـد

وفى التاسع عشر من هذا الشهر أرسلوا مولانا قطب الدين الشيرازى برسالة إلى مصر بأمر الشيخ عبد الرحمن، والصاحب شمس الدين، وتوفى علاء الدين عطا ملك فى الرابع من ذى الحجة من نفس العام، ودفنوه فى تبريز، وقال الصاحب شمس الدين فى رثاء أخيه:

كأننـــا كنـــا شمعتيـــن معـــًا   انطفأت إحداهما وأخرى تحترق

وتوفى الشيخ تاج الدين أبوالفضل محمد بن محمد بن داود البناكتى فى بستر فى صفر سنة اثنتين وثمـانين وستمائة صاحب كتاب الميسور فى شرح المصابيح، وكتاب مصباح الضمير من صحاح التفسير والد هذا الضعيف(٤٠).

خبر وفاة قونقراتاى، ومضى السلطان أحمد إلى خراسان، لمحاربة أرغون خان، أرسل السلطان أحمد من الأتاغ الشيخ عبد الرحمن برسالة إلى مصر، وسجنوه فى دمشق سجنًا مؤبدًا، وتوفى فى حبسه هذا، وطلب السلطان أحمد قونقراتاى باسم قوريلتاى، ولما كان متفقًا مع بعض قادة أرغون، وعلم أحمد الخبر، أرسل اليناق قبل موعدهم بيوم واحد؛ ليعتقلوا قونقراتاى، وجاءوا به إلى أحمد فى السادس والعشرين من شوال سنة اثنتين وثمانية وستمائة، وفى اليوم التالى عند الفجر، أو فى الصباح أتموا أمر بيجين فى رأس السنة فى قراباغ أران، وأعدموا كوجوك أنقرجى، وبادى أفتاجى.

وأرسل السلطان أحمد اليناق بجيش؛ لمحاربة أرغون، والتقى الجيشان فى حدود آق خواجه من توابع قزوين فى يوم الخميس السادس عشر من صفر سنة ثلاثٍ وثمانين وستمائة، وتحاربا، وانهزم تبرت واليناق، وعاد أرغون، وسحب السلطان أحمد الجيش ثانية، وتوجه إلى خراسان، وتوجه أرغون إلى قلعة كلات كوه، فمضى اليناق، وأنزل أرغون من القلعة، ومضى به إلى السلطان أحمد أرغون، واحتضنه وقبل وجهه، وسلمه إلى اليناق، وقال: احتفظ به حتى عندما نصل إلى قوتى خاتون، نعرف كلامه هناك.

وعاد السلطان إن بوقا، وييسوبوقا، وأروق، وقورومشى الذين كانوا أقرباءه واتفقوا، وكانوا متفقين معه، وتوجهوا إلى هولاجو، وجوشكاب، وأخرجوا أرغون فى الليل وتوجهوا إلى اليناق، وكان قد نام ثملاً، فقطعوا رأسه، وألقى القائد على بفاجى تبريز الذى كان من ملازمى بوقار رأسه خارج الخيمة فى ليلة الثلاثاء الثامن عشر من ربيع الآخر سنة ثلاثٍ وثمانين وستمائة، وفى نفس الليلة أرسلوا أوقسون هولاجو، وتكنا إلى شيركوه قائلين لهما: إننا قتلنا اليناق، وتيناق، ويجب عليكما أن تقتلا ياسا أرغول، وأبوكان، وكان هولاجو مستاءً من ياسا، فخنقه بوتر القوس واحتفظ بأبوكان، وقبضوا فى تلك الليلة على درابوقا بن الناجور مع تيناق، وقتلوا بعضهم، وأرغون الذى كان سجينًا فى الليل أصبح ملكًا فى الصباح.

ولما وصل الخبر السلطان أحمد، فر هاربًا فى التاسع عشر من ربيع الآخر نحو ضواحى أسفرايين، فأرسل أرغون قائد الجيش، قونقراتاى حربك بأربعمائة فارس فى أثره، وأرسل بعده طولاداى بجيش قوامه أربعمائة فارس آخرون، ووصل أحمد فى يوم الاثنين الثانى من جمادى الأولى إلى جيوشه فى سراة، ووصل فجأة جيش قزاونة، ونهب هذه الجيوش، وقتلوا أحمد فى ليلة الخميس السادس والعشرين من جمادى الأولى سنة ثلاث وثمانين وستمائة، وكانت مدة ملكه عامين وشهرين وثلاثة عشر يومًا.

قصة أرغون خان بن آباقا خان بن هولاكوخان وخواتينه وأبنائه

كان لأرغون كثير من الزوجات والجوارى، وتزوج قبلهن قونلوق خاتون بنت تنكيز كوركان، ولما توفيت تزوج أولجتاى خاتون بنت أخيها بنت سولاميس، وكانت من تودا كاج، ولما كانت طفلة فلم يجامعها، وبعد ذلك تزوج أروك خاتون بنت ساروجة أخت الأمير إيرانجين من قوم كرايت، وكان ساروجة أخا دوقوز خاتون، كما تزوج سلجوق خاتون بنت السلطان ركن الدين، وبعدها تزوج بلغان خاتون الكبرى التى كانت زوجة أباقا خان، ولما توفيت تزوج بدلاً منها بلغان خاتون بنت أريمان بن أتاباى نويان، وبعدها تزوج درتوداى خاتون من قوماى، وأتبعها بمرتاى خاتون، وبعد ذلك قولتاق إيكاجى، وأخرى من تسمى قوتى بنت قتلغ بوقا بن حسين آقا، وأخرى أركنه إيكاجى.

وكان لأرغون خان أربعة أبناء، وأربع بنات، الأبناء : غازان وأمه قولناق إيكاجى، وييسموتور، وخربنده وأمهما أروك خاتون، وختاى أغول وأمه قونلوق خاتون، والبنات: أولجاى من أورك خاتون وكانت مخطوبة فى البداية لقونجوقتال، وبعد ذلك زوجوها لآقبوقا، وكانت فى ذلك الوقت لابنه القائد حسين، وأولجاى تمور كانت كذلك منها، وزوجوها إلى توكال، وبعده للقائد قتلغ شاه، وماتت قبله، وقتلغ تمور من أورك خاتون وتوفيت وهى بكر، ودلانجى من بلغان خاتون، وماتت هى الأخرى بكرًا.

خبر جلوس أرغون خان

بعد وفاة السلطان أحمد، وبالاتفاق مع الأمراء أمسك هولاجو يد أرغون اليمنى، والأبنارجي يده اليسرى، وأجلساه على عرش الملك في يورت شوكتوالموافق يوم الجمعة السابع والعشرين من جمادى الأولى سنة ثلاثٍ وثمانين وستمائة الموافق التاسع والعشرين من التنج أي أقنقوئيل بطالع برج القوس، وألقوا جميعًا المناطق في أعناقهم وركعوا وقرعوا الطبل، وأرسل الملك المنشورات إلى أطراف البلاد، وبعد ذلك شكلوا محاكمة لأبوكان بن شيرامون بن جورماغون وقتلوه، وأمر بتعيين كلاً من جوشكاب، وبايدو من الأمراء، وأروق من القادة على بغداد وديار بكر، وأرسل هولاجو وكيخاتو إلى الروم، وأسند جورجيا إلى عمه أجاي، وسلم ممالك خراسان إلى ابنه غازان، وأرسل القائد كينشو، لمساعدته، كما عين نوروز على خراسان، وأمر يوغاميشي أن يهاجر من هناك، وأن يتوجه إلى سنقولوق، ونفذ أمر الوزارة باسم بوقا.

خبر حال شمس الدين صاحب الديوان واستشهاده

عندما انهزم أحمد، هرب صاحب الديوان من حدود جاجرم، وقد ركب ناقة، وقدم أصفهان عن طريق الصحراء، ومضى من هناك إلى قم، فقال ملازموه: الصواب أن يمضي الخواجه إلى ميناء هرمز، فقال: الأبناء أسرى في يد المغول، وليست المصلحة أن أمضي إلى الحضرة، فإذا كان يتيسر لي أن أنال رضا أرغون وذلك بمعاونة القائد بوقا، وهوصديق قديم فهذا هو المراد، وإلا فقد رضيت بقضاء الله تعالى وأسلم به، وفجأة قدم الملك إمام الدين القزويني من عند الحضرة؛ لتفحص حال الصاحب، وبعد ذلك بشره الأتابك يوسف شاه اللورى بأن أرغون خان قال: إن الله تعالى منحني تاج، وعرش أبي فقد عفوت عن ذنوب المجرمين جميعًا، وإذا بادر الصاحب بالخدمة فسوف أكرمه، ووصل في يوم الجمعة العاشر من رجب سنة ثلاثٍ وثمانين وستمائة بأمر شيره[٤١]

ونزل عند بوقا، وحمله بوقا فى اليوم التالى عبداً، ولكن لم يلتفت إليه الملك، وكان القائد على تمغاجى قد ذهب، واعتقل ابنه يحيى، واستولى على أموال وأملاك الصاحب، وكان هو، وفخر الدين المستوفى، وحسام الدين الصاحب القزوينى من أصفياء الصاحب، واتفقوا على قتله، فأخبروا بوقا بهذا، وقصدوه فى عبودية الملك، ونفذ الأمر فى موضع أوجان حتى ينالوا من الصاحب ألفى تومان، فأرسله إلى بوقا قائلاً: ليس لدى نقود فلو كنت أخفيت المال فى الأرض كالجهال، فكل ما كان يدخل يدى كنت أنفقه على أملاكى، ومثل هذه الأسباب موجودة الآن، وكان يتحصل كل يوم ألف دينار كنت أرسلهم إلى طولاداى يارغوجى، وقدان، فتنازعوا فى هذا، ولم يتم الاتفاق على أى نقد، فضربه تغلوق قراوند من الجلائر بالعصى ضرباً مبرحاً، لكن دون جدوى فصدر الأمر بإعدامه، واستشهد على ضفة النهر فى يوم الاثنين الرابع من شعبان سنة ثلاثٍ وثمانين وستمائة بعد صلاة العصر على باب مدينة آهر من توابع آذربيجان.

وقتلوا فى نفس السنة السيد عماد الدين العلوى فى شيراز وسط سوق صانعى القلانس، وأرسل بوقا القائد على إلى تبريز، وتصرف فى أملاكه وأمتعته، وبعد مدة قتلوا ابنه يحيى فى الميدان، ودفنوه إلى جانب أبيه فى جرنداب تبريز.

خبر مقدم بولاجنيك سانك وأردوقيا من عبودية القآن وإحضار المنشور الخاص بملك أرغون

ولما وصل أرغون إلى قصر المنصورية بأران، قدم القائد بولادجينك سانك، وعيسى كلجى، وأردوقيا من عبودية القاآن، وأحضروا المنشور بأن يكون أرغون خلفاً لأبيه، وأن يتلقب ببوقا جينك سانك، وفى العاشر من صفر سنة خمسٍ وثمانين وستمائة، جلس أرغون مرة أخرى على العرش، وقدموا إليه الرسوم والتقاليد، وتوفيت بلغان خاتون على شاطئ نهر كر فى يوم الجمعة الثالث والعشرين من صفر، وحملوا نعشها إلى جبل سحاس.

وقدم أرغون خان فى الربيع إلى تبريز، ثم مضى منها إلى سورلوق، ولحق به فى هذا الموضع القائد أروق، وكان الخواجه هارون بن صاحب الديوان ملازمًا له، وقتل أروق بتمكنه وشجاعته أخاه بوقا، ومجد الدين بن الأثير، وسعد الدين أخا فخر الدين المستوفى، وعلى جكينان دون استئذان من الملك، ولما كان مجد الدين بن الأثير قريب كيخاتون خان غضب منه، فقال جماعة لكيخاتون: إن أروق تصرف هذا التصرف بأمر هارون، فمضى إلى الروم وصحب معه هارون، وقتله فى الأتاغ، ومات ييسوبوقا نوركان بالقرب من هذا المكان، وقتلوا الخواجه وجيه بن عز الدين هارون فى العشرين من ذى القعدة سنة خمسٍ وثمانين وستمائة، وتوفيت قتلغ خاتون بنت تنكزكوركان فى السابع من صفر سنة سبعٍ وثمانين وستمائة.

ووصل رسل من عند بوقاى فى السابع من ربيع الأول، وكان على ضفة النهر، وأحضروا شاريل، وهو عند عباد الصنم، وعندما أحرقوا شكمونى، كان أمام قلبه عظمة شفافة مثل الخرزة لم تحترق ويسمونها شاريل.

وأسندوا إمارة بغداد للقائد أردوقيا، ولما توفى تونسكا عينوا بايدو، وسكورجى شحنة لبغداد، وشرف الدين السمنانى على الملك، وسعد الدولة مشرفًا عليهم.

حكاية: لما عظم أمر بوقا كان ينظر بعين الحقارة إلى طغاجار، وقوبجوقتال، وطولاداى إيداجى، والسلطان إيداجى، وطوغان، وجوشى، وأردوقيا، فساء ما بينه وبينهم، وتحدثوا عنه على أنه زير نساء، وكان أروق يعيش فى بغداد عيشة الملوك، وسقط بوقا من نظر الملك، واتفق بوقا مع جماعة من القادة، مثل: أروق، وقورمشى بن هند، وقونويان، وأوجان الذين كانوا من قادة الجيش وقدان إيلجى، وزنكى بن نايانويان، وبايجو وقازان أخوا شك تغعلى، وتوقلوق قراوند، وتلك الجماعة من الجلايريين، ومنهم موجلكا سند الذى كتب بخط يده إلى جوشكاب ودعاه إلى الملك، فدان جوشكاب بالولاء للملك، وعرض هذه الرسائل، فأمر أرغون خان الجيش والقادة أن يعتقلوه، فجذب جوشكاب من شعره من خلف ثم ضرب عنقه بالسيف، وحشا جلد رأسه بالتبن وعلقوه فى بول جفان على رأس السوق فى يوم السبت الحادى والعشرين من ذى الحجة سنة سبعٍ وثمانين وستمائة.

وفى اليوم التالى بدأوا الاحتفالات، وأعدموا بعض القادة الذين كانوا متفقين معه، وعفوا عن قدان إيلجى، وبيان تبكجى، ومنكونتاى بشفاعة القادة، وقتلوا من التاجيك القائد على تمغاجى، وحسام الدين القزوينى، وعباد الدين منجم، وشمعون المعروف بروم قلعه، وبهاء الدين أبوالكرم النصرانى، وفى نفس اليوم أرسلوا ياتيمش قوشجى، ونامودى أقتاجدى، وشادى بن دوقوز مع خمسمائة فارس للقبض على أروغ، وأتباعه فى ديار بكر، وجاءوا به مقيداً، وفى التاسع والعشرين من المحرم قتلوا أروق وأوجان.

وبعد ذلك أمر الأمير بالإنعام على جوشكاب، وأعاده فى آخر صفر، وعرف أن قلبه ليس صافياً له، فأرسل جماعة من القادة فى عقبه ليعيدوه، وكان قد سافر إلى الشام، ووصل إليه أرتسون نويان، وياتيمش قوشجى، وغربناى، وبورجو بن درباى على ضفة نهر تومان بين أرزان، وميافارقين، فتحارب معهم، وقبضوا عليه، وأعدموه فى الحادى عشر من جمادى الأولى.

وبسبب ذلك ثار نوروز فى خراسان، واتهموا الأمراء هولاجو، وقرابوقاى على أنهم موافقين له، وبناء على قول مقبل أخوار دوقيا الذى كان قريب قرابوقاى أنهم اعتقلوه فى الثامن من جمادى الأولى، وأرسلوه إلى قلعة كردكوه، وقتلوه فى العشرين من رمضان فى دامغان، وأرسلوا فى السابع والعشرين طوغان بجيش؛ ليكون مدداً للأمير غازان فى خراسان.

وفى العام نفسه أحضر أردوقيا، وسعد الدولة مال بغداد كله فى مصيف قنقورأولانك، فسر الملك، فقال سعد الدولة: لولم يمنعنى الحراس لكان أضعاف هذا، فصدر الأمر بإعدام تلك الجماعة، فقتلوا أربيب أوجى، وقتلغ شاه، وأرسلوا رأسيهما إلى بغداد، وجاءوا بمجد الدين الكتبى، ومنصور بن علاء الدين عطا ملك من بغداد، وقتلوهما على رأس الجسر، وأسند أرغون خان الوزارة إلى سعد الدولة بن صفى الدولة بن هبة الدولة بن مهذب الدولة الأبهرى فى أوائل جمادى الآخرة، وهو فى مصيف سقورلوق، وقتلوا أخا الملك شرف الدين الملك جلال الدين السمنانى فى الثامن عشر من رجب بقصر المظفرية على الجبل الأسود، وقتلوا مسعود، وفرج الله ابنى الصاحب

شمس الدين فى ميدان تبريز فى الثالث من رجب، كما قتلوا على بن الخواجه بهاء الدين فى أصفهان، وعظم شأن سعد الدولة، وأرسل إخوته فخر الدولة، ومهذب الدولة، وجمال الدين اللاستجردانى حكامًا على بغداد فى السابع من شعبان، وأسند مملكة فارس إلى شمس الدولة بن منتخب الدولة المنجم، وديار بكر إلى أخيه الآخر أمين الدولة، كما أسند لابن عمه مهذب الدولة أبى منصور الطبيب الإشراف على تبريز(٤٢).

خبر وفاة أرغون خان

عبر أرغون خان نهر كر فى الرابع والعشرين من المحرم سنة تسعين وستمائة، ونزل فى حديقة أران، ولشدة مرضه يئس القادة من حياته، وغضب طغاجار، والأمراء الآخرون بعضهم من بعض، وساءت الأحوال بينهم وبين سعد الدولة، فاقسم طغاجار، وقويجوقتال باتوكال ، وإيلجيداى فى الرابع من صفر، واتفقوا على أن يواجهوا الأعداء، فأعدموا السلطان إيداجى فى البداية فى غرة ربيع الأول، وفى نفس اليوم اعتقلوا أردوقيا، وأرسلوا طوغان؛ ليقبض على قوجان، وسعد الدولة، وفى تلك الليلة قتلوا جوشى، وقوجان، وقتلوا فى اليوم التالى سعد الدولة، وأردوقيا فى بيت طغاجار، وسلبوا حظيرة خيول سعد الدولة، وتوفى أرغون خان يوم السبت السابع من ربيع الأول سنة تسعين وستمائة، وحملوا نعشه إلى جبل سجاس، ودفنوه هناك، وكانت مدة ملكه سبعة أعوام وتسعة أشهر وعشرين يومًا ، وقال فى تاريخه:

سيد سادة الدنيا ملك الأرض	وحيد كل الآفاق الملك أرغون خان
كان فى اليوم السابع من ربيع الأول	فى سنة ستمائة وتسعين فى سربول جغان
يا أسفًا لقد مات مثل هذا الملك	فمضى عن هذه الدنيا وكل من عليها فان

خبر كيخاتوخان بن آباقا خان وخواتينه وأبنائه

سماه الكتاب إيريجين دورجى، وكان له كثير من النساء والسرارى، تزوج فى البداية عائشة خاتون بنت طوغو بن إيكاتويان، وبعدها إيلبتوزمش خاتون بنت قتلغ

تمور كوركان، وبعد ذلك ملكة خاتون كرمان، وبعدها أروك خاتون، وبعدها بولغان خاتون، ودوندى خاتون، وكانت له جارية وتسمى بنى، وأخرى تسمى الش بنت بيكلاميش أخو أوجان من قوم أولات، وله ثلاثة أبناء: الإفرنك من دوندى خاتون، وإيران شاه منها أيضًا، وجينك بولاد من بولغان خاتون وسموه تيرى، وأربعة بنات: أولاقتلغ، وأراقتلغ، وإيل قتلغ، والثلاثة أمهن عائشة خاتون، وقتلغ ملك من دوندى خاتون، وكانت فى هذا الوقت زوجة القائد محمد من الأويرات، وهى أخت حاجى خاتون أم السلطان أبى سعيد.

خبر تربع كيخاتو

أجلسوا كيخاتو على العرش الخانى فى يوم الأحد الرابع والعشرين من رجب سنة تسعين وستمائة الموافق الخامس والعشرين من التنج أى قويئيل على حدود مدينة أخلاط، واعتقلوا جميع القادة بعد الاحتفالات، والمآدب فى بداية شعبان، وبدأوا الاحتفالات، وأمر بالإنعام على القادة بعد الانتهاء من المحافل، وكان طوغان محبوسًا، فأرسل أقبوقاكوركان بن أردوقيا، فاعتقلوا طوغان وقتلوه.

وعزم كيخاتون على العودة فى يوم الجمعة الرابع من رمضان، وأسند النيابة المطلقة عنه إلى شينكورنويان على هذه الممالك، وجاء الخبر أن جيش الشام قد وصل، وأن الملك الأشرف حاصر قلعة الروم، وفى شهر رجب توجه منكوتمور، وطغاجار، وبزغداى أختاجى، وتماجى إيناق بجيش؛ لمحاربته، واستولى الملك الأشرف على قلعة الروم فى رجب، وقتل بعض أهالى تلك الناحية، وسلم القلعة إلى كوتوالان وعاد، وعين صدر الدين الزنجانى فى وظيفة صاحب ديوان الممالك فى السادس من ذى الحجة، وهوفى طريقه إلى مشتى آران ولقبوه صدر العالم، وأخوه قطب العالم، وابن عمه قوام الممالك، وتوفى فى الثالث من جمادى الأولى سنة اثنتين وتسعين وستمائة فى دكنة تنفاول فى آران، وأعدموا قنلوق بوقا، وصارون كرجى فى أواخر شعبان فى أسكير[٤٣]، وتوفى فى السابع من رجب من السنة المذكورة كراى بن تنكوتمور.

وتداولوا العملة الورقية فى يوم السبت التاسع عشر من شوال سنة ثلاثٍ وتسعين وستمائة فى مدينة تبريز، ووقع الناس فى شدة فألغوها، وتداولوا العملة الورقية (جاو) ثانية، وتوفى الأمير إبنارجى فى يوم الجمعة الثانى من ذى القعدة سنة ثلاثٍ فى حدود نخجوان.

حكاية عصيان بايدو فى بغداد، والخلاف بين القادة

لما كان كيخاتو قد أمر بقتل الأمير بايدو بن طوقاى قبل ذلك، ووجد العفو والخلاص بشفاعة نورامجين إيكاجى، بدأ العصيان مع جماعة من قواده فى بغداد، وقتل محمد سكورجى الذى كان أمير بغداد بحكم قرار كيخاتون خان، فأخبر عويباى كوركان كيخاتو، وقال: إن القادة طولاداى، وقويجوقتال، وتوكال، وإيلجيداى، وبوغداى متفقون معه، فاعتقلهم كيخاتو وسجنهم وسلمهم إلى قبجاق أغول، ثم أرسل بايدو إلى سجن تبريز، وهرب جميع القادة، ماعدا توكال الذى كان فى جورجيا، وفى يوم الخميس الثامن والعشرين من شهر ربيع الآخر سنة ستمائة وأربعٍ وتسعين أرسل أقبوقا طغاجار، لمحاربة بايدو، وكان طغاجار قد أرسل رسالة فى الخفاء إلى بايدو وحرضه على العصيان، ولما وصلوا إلى ضفة نهر جغاتو، قال أقبوقا ضمن كلامه مع طغاجار:أنت رجل وبعد ذلك تنتظر موضع الهرب، وليس لديك خبر عن أى عمل تفعله!، ولست عالمًا على ما جاء فى رسالته إلى بايدو، ولما سمع طغاجار هذا الكلام تصور أن أقبوقا عرف سره، واتفق مع القائد هزاره على أن يمضوا فى وسط الليل؛ لمحاربة بايدو، ولما رأى أقبوقا هذا فر، ووصل إلى كيخاتو فى حدود أهر، فحار كيخاتو من هذا الأمر، وأراد أن يرحل إلى الروم، ولم يرَ بعض ملازميه أن المصلحة فى هذا فعاد، ومضى إلى بله سوار، وكان القائد حسن بن طوغو ملازمًا له من المهد، فهرب مع أصحابه فى منتصف الليل، وولى وجهه شطر بايدو.

ولما بلغ هذا الخبر طولاداى، وقويجوقتال وكانا سجينين فخرجا، واتفق إيرنجين، وبايجاق مع جماعة أخرى، وأخرجوا قبجاق بن بايدو الذى كان محبوسًا فى السجن وحملوه إلى أبيه، وفى يوم الخميس السادس من جمادى الأولى تحارب تاتياق، وطغر يلجة على الحدود مع باشماق أغول، وقراجة صهر السلطان أحمد، وكان النصر لتاتياق، وقدم توكال من جورجيا وأرسل رسولاً إلى تبريز لقواد السجناء قائلاً لهم: لقد قدمت بجيش كبير لأعين الأمير، وأريد أن أمضى إلى آران قاصداً كيخاتو، وينبغى أن تنضموا إلى فى أسرع وقت، فمضوا فى الحال، ووصلوا توكال على ضفة نهر كر، فاعتقل كيخاتو وسلمه لهم فقتلوه فى يوم الخميس السادس من جمادى الأولى سنة أربعٍ وتسعين وستمائة، وكانت مدة ملكه ثلاثة أعوام وتسعة أشهر واثنى عشر يومًا، وقتلوا معه تماجى إيناق، وايت أغول اللذين كانا من المقربين إليه.

وراسل القادة القائد رمضان من جغاتو؛ ليلحق بخدمة الأمير غازان فى يوم الأربعاء التاسع عشر من جمادى الأولى؛ ليخبره بموت كيخاتو، وأرسلوا رسولاً إلى بايدو؛ ليأتى على وجه السرعة؛ ليتربع على العرش، ولما سمع بايدو هذا الخبر طاب نفسًا، ومضى إلى تلك الديار، وتأتى هذه الحكاية فى قصة غازان خان.

قصة غازان خان بن أرغون خان بن آباقا خان بن هولاكوخان بن تولوى خان بن جنكيز خان وخواتينه وأبنائه

ولدت قولتاق خاتون غازان خان فى يوم الجمعة الخامس والعشرين من شهر ربيع الأول سنة سبعين وستمائة، فى وقت السحر الموافق الأول من بيرنكر مينج أى قويينئيل فى آبسكون على حدود مازندران فى طالع السعد ببرج العقرب، وسلموه إلى مرضعة على خلق حسن تسمى موغالجين، وجاءت امرأة صينية تسمى إيشنك مع قوليتاق خاتون، وأخذوه منها وأعطوه والدة حسن الذى كان قائد توقجيان من قوم سلدوس، وبعد ذلك وفى شهور سنة ثلاثٍ وسبعين وستمائة، أدخل أرغون غازان فى عبودية آباقا خان فى قونقور أولانك، وسلمه إلى بلغان خاتون، فقال آباقا خان: ليكن جيشى من بعدى لغازان خان، ولما أصبح أرغون ملكًا، جعل غازان خلفًا له فى خراسان.

ذكر خواتين غازان خان

تزوج فى البداية بندى قورقه بنت منكوتمور كور كان من قوم سلدوس، وكانت أمها طوقلغ شاه خاتون أخت مبارك شاه بن قرا هولاكو، وبعدها تزوج بلغان خاتون الخراسانية بنت القائد تسو، وكانت أمها بنت أرغون أقا، وبعدها أشيل خاتون بنت توق تمور قائد نويان بن نوقاى يارغوجى، وبعدها كوكاجين خاتون، وهى من أقرباء بلغاى خاتون الكبرى، وجعلها مكان دوقوز خاتون، وقوقينى خاتون، وبعدها بلغان خاتون بنت أرغان سرآباتاى نويان، وولدت ولدًا يسمى الجو، وتوفى طفلاً فى سنة سبعمائة، ولها بنت تسمى الوجاء قتلغ، وهى خاتون خواتين السلطان أبى سعيد، وبعدها دوندى خاتون، وبعدها إكرامون خاتون بنت قتلغ تمور بن أتاباى، وجعلها فى مكان كوكاجى خاتون.

خبر ركوب غازان خان قاصدًا آذربيجان، وما وقع من أمور له مع بايد وقان

ولما وصل غازان خان بطالع السعد مع قادة الدولة، وأركان الحضرة إلى خيل دك(٤٣) وصل أرال تمور أنداجى من عند بايدو، وذكر موت كيخاتو، وقال: اتفق القادة طغاجار، وطولاداى، وقوبجوقتال على أن يكون الملك لبايدو، ويرون أن الفتنة شىء تافه، فتشاور غازان مع نوروز، والقادة الآخرين، وأرسل الرسل إلى بايدو قائلين له: لم يكن معهودًا فى قوانين جنكيز خان القديمة أن أمراء قراجولا يعرضون للأسرة بدلاً منهم، فينبغى أن ترسل إلى هنا الجماعة التى قتلت كيخاتو حتى نسمع أقوالهم، ويحكم عليهم بمقتضى قانون الياسا.

ولما وقف قادة بايدو على مضمون الرسالة، أجلسوه فى الثامن من جمادى الآخرة سنة أربع وتسعين وستمائة على العرش، وأرسل غازان عملاً بمشورة نوروز قتلغ شاه مولاى، وياغميس إلى بايدو، قائلين له: نحن نصل متعاقبين فأين يرى بعضنا بعضًا؟ فطلب أروكلوك، وكان بايدو فى هشترود مراغة، فأعلن ناقلو الأخبار أن غازان اقترب بجيش جرار، وأن القائد نوروز أرسل بوغداى أقتاجى فى خدمة بايدو لاستقبال

واستطلاع الأمور والأحوال، والتحدث فى كل شىء، وصلوا صلاة العصر قبل وصول مداد الحرب، وأشار نوروز لغازان من بعيد على تل عالٍ بإصبعه قائلاً: نصل غداً إلى قمة هذا التل قبل أن يصل المتمرد إليه، فيكون الظفر والنصر لنا.

والتقى الجيشان على حدود توبان شيرة فى فجر يوم الخميس الخامس من رجب سنة أربعٍ وتسعين وستمائة، واعتلى نوروز، وغازان قمة هذا التل، ودبر الفتح والنصر، وقال نوروز: لم تجتمع بعد جيوشهم، وصلاح الأمر أن نبادر بالحرب، وكان القائد قتلغ شاه على ميمنته، ويقابله إيلدار، وتوكال، وإيلجيداى، ولم يكن كهوركاى قد اقتحم قلب الجيش، ولم يكن الجيش قد دخل المعركة بعد، فهزموا جيش إيلدار، وأغار عليهم جيش قتلغ شاه، وسقط إيلدار عن صهوة جواده، وأصاب سهم عين نائبه طغاى فمات، وقتل فى لحظة واحدة ثمانمائة فارس جرار، وجرح وهرب فوج منهم، وجاءوا بأرسلان كوون ماشيًا وفى عنقه حبل، ودخل القواد من الجانبين إلى الوسط، وسعوا فى الصلح، وتحدثوا فى هذا حديثًا طويلاً قائلين: يخرج كل ملك من قلب الجيش بخمسة فرسان، فمن طرف بايدو، طغاجار، وطولاداى، وقوبجوقتال، وإيلجيداى . ومن طرف غازان، ونوروز، ونورين، وقتلغ شاه، وسوناى من وسط الصفوف فى المكان المتفق عليه، وتعانقا آقا، وإينى وتعاهدا على ألا يتعدى أحدهما على الآخر، وأن يشتركا معًا فى الملك متفقين، واستقر الرأى على أن يقدموا جيوش أرغون بتمامها إلى الملك مع طغاجار، وتومان قرار، وناس، لأن هذا الملك خاص بأرغون، فقال بايدو: يعلم غازان أن آباقا خان مثل أبى، ومنحنى ضيعة بجانب بغداد مع طغاجار تقدر بعشرة آلاف، وإذا كان يقرر ذلك بموجب الأمر فهو حاكم، ويسلموا بقية الأشياء حتى يعود الأمير، وقال قويجو قتال لبايدو فى هذا اليوم: إن أقبوقا سجين فإذا كان النصر للخصم، فإنه يسعى فى قتلنا سعيًا حثيثًا، فأعدموه.

وفى هذا الوقت كانت الجيوش تصل من بغداد، وموغان على الدوام حتى يعظم أمر بايدو، وتعزز شوكته، وغير القادة جلد الميثاق، وكفوا عن العداء والخلاف، ولكن بايدو لم يرض بهذا، ففارقه توكال غاضبًا منه، ومضى إلى جورجيا، ولما عرف غازان

بمقدم الجيش سلك طريق سياه كوه ومضى، وأقسم القواد بعضهم لبعض، فأقسم بورين وقتلغ شاه، وبعض القادة بالشمس، ونوروز، وبورالقى، ومولاى مع القادة الآخرين بالقرآن الكريم، وفى أثناء هذا قال نوروز: لى التماس إذا وجدت شرف الإذن منكم فأقوله لكم، فوجد الإذن، فقال: إذا أسلم الملك فإن الناس جميعًا يسلمون ويدعون له، ويستوجب أن ينصروه ويظاهروه، فوضع غازان يد القبول على صدره، وأجاب قائلاً: إذا تم الخلاص من هذا الحرج، فأنا أتم هذا، فأخرج نوروز من كيسة الكبير قطعة من الياقوت المصقول اللامع تزن عشرة مثاقيل، وركع، وقال: ولو لم يكن لقراجو الحد فى أن يعطى المعرفة للأسرة، أما من حيث الكرم الشخصى، فإنى أقدم هذه الياقوتة على أنها منشور ملكى إلى عبيد الحضرة حتى أدين بالعبودية، فسلم غازان خان هذه الياقوتة إلى أحد المقربين منه، وفى ليلة الثلاثاء الثامن من رجب سنة أربعٍ وتسعين وستمائة، ركب وتوجه إلى سياه كوه، واتصل بجنوده، وترك نوروز، وتوقتمور بن بوقايا غوجى فى نفس الموضع حتى يأخذ منشور حكم ممالك فارس والعراق، وأن ترحل جيوش خواتين عمه وأبيه والجيش الخاص بآباقا، وأرغون، واطلع على أحوالهم وعرف أنهم سوف يأتون خلفه. ولما مضى غازان، عذبوا نوروز، وتوقتمور مدة أسبوع فى الحبس، وكان قوبجال يريد قتل نوروز، فعرف نوروز أنه لاسبيل إلى الخلاص، إلا بالخداع والحيلة، فبدأ يتملق، فأحضره بايدو فى خلوة ومدحه كثيرًا وأثنى عليه، وقال: إذا أردت الخلاص؛ فاعقد معى عهدًا وميثاقًا، وعدنى بأنك ستسلمنى غازان، وأقسم بأنك لن تخالفنى، فسرعان ما أقسم نوروز بأنه سوف يأتى بغازان مقيدًا وأسلمه لك.

حبذا الرجل العالم فى وقت الشدة	يثير الهياج من الفلك الدوار
وإذا سنحت له الحيلة	فإنه يطلق بالسحر روحه

فانخدع بايدو بخدعته، وأنعم عليه، وفى يوم الثلاثاء الخامس عشر من رجب مضى نوروز، وتوقتمور فى أربعة أيام بلياليها من حدود مراغة إلى فيروز كوه، ووصلا إلى العبودية فى السابع والعشرين، وشرحا الأحوال، ونفذ نوروز ما أقسم عليه، وأرسل غازان إلى بايدو مقيدًا، وتعجب القادة، وقالوا:

ذلك الأسد الذى أوقعته فى الشرك أطلقته من الشرك وساءت الحال

خبر إسلام غازان خان

تشاور غازان خان مع القادة فى تدبير دفع التمرد، وقهر الأعداء، وقال كل قائد كلامًا حسب مرتبته، وبما أن القائد نوروز بحكم أنه قدم منشورًا ملكيًا من قبل، فقد ركع على ركبتيه، وقال للملك: يروى عن علماء الإسلام، وأصحاب النجوم، أنه بين عام ستمائة وتسعين يعظم الإسلام بملك عظيم بعد أن اضمحل، فتعود إليه نصرته وقوته وازدهاره، ويزدان التاج والملك به أعوامًا، وأنى أذكر أن هذا الملك هو غازان، وأن أمارات وعلامات من شمائل صورة الحالة، وصفحة آثار جبينك تبدو واضحة جلية، وإذا تقلد الملك قلادة الإسلام، لاشك أن العهد سيكون لأولى الأمر، ويجب على المسلمين جميعًا أن يعاونوه، ويظاهروه بقلوبهم وأيديهم، ويهبه الله بيمن همتهم النصر.

ولما نور الحق تعالى فى الأزل قلب غازان بنور التوحيد، فاستمع إلى كلام نوروز، وطلب ذلك الحجر الذى كان قد استودعه إياه، وفى الرابع من شعبان سنة أربع وتسعين وستمائة أقاموا حفلاً على باب جوسق كان فيه عرش أرغون فى مقام لاردماوند، واغتسل غازان خان فى الحمام، ولبس ثياب الشيخ سعد الدين الحموى، وصعد إلى أعلى القصر، ووقف على قاعدة العرش بتواضع فى الحضرة الإلهية، ولقنه الشيخ صدر الدين إبراهيم الحموى كلمة الشهادة، وبدأ الأمير يقول كلمة الإخلاص وأمن، وأسلم جميع رجال الجيش مجاملة له، ونثروا الأموال، وكانوا يقولون:

مال وحال وسال وفال واصل ونسل وعرش وحظ ليكن كل ذلك مستقرًا فى ملكك على الدوام

خبر حال بايدو، وعداء القواد له وقتله

من هذه الناحية أصبح طغاجار حزينًا من دولة بايدو، وأصبح صدر الدين الزنجانى بسبب وزارة جمال الدين الدستجردانى ذليلاً مبعدًا، فأظهر طغاجار العداء

لبايدو، وأرسلت بلغان خاتون الشيخ محمود مع خادم يُسَمّى قتلغ شاه إلى غازان، ليعرض سر القواد، وهرب صدر الدين بعد ذلك، واتصل بغازان، وقال على لسان طغاجار متحدثًا عن ولاء، وإخلاص، وميل القادة الآخرين، وضعف بايدو.

انطلق غازان إلى الرى فى يوم الجمعة الموافق منتصف شوال سنة أربعٍ وتسعين وستمائة، ومضى نوروز مع خمسة آلاف فارس إلى منقلاى، وكان معه صدر جهان، وبعد ذلك هرب القائدان جوبان، وقوروومشى، وانضما إلى غازان، وفى العاشر من ذى القعدة انضم طغاجار مع ساربان بن سونجاق، وبوغداى أقتاجى إلى نوروز، ولما بلغ الخبر بايدو، ثارت ثائرته وهرب، ووصل نوروز إلى دار الملك تبريز فى غرة ذى الحجة، وطبق ما قد جاء فى المنشور فى يوم الثلاثاء الثامن من ذى الحجة، فقد شرع فى تخريب المعابد والبيع والكنائس، وأرسل نوروز، وقوروومشى مع شادى بن طوغور أربعة آلاف فارس فى أثر بايدو، عملاً بهذا الحديث الذى قال فيه المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم) : (خير الأصحاب أربعة، وخير السرايا أربعمائة، وخير الجيوش أربعة آلاف)[٤٤] ، فوصلوا إلى بايدو وقبضوا عليه وأحضروه أمام نوروز وبشروا غازان، فأمر بأن يتوجه سوتاى أكتاجى، لإتمام أمر بايدو، فأمر بأن يمضى سوتاى أكتاجى؛ لينجز أمر بايدو، ووصل سوتاى مع المقربين لكيخاتوخان إلى حديقة بيكش عند باب تبريز إلى بايدو، وفرغوا من أمره فى ليلة الأربعاء الثالث من ذى الحجة سنة أربعٍ وتسعين وستمائة، وهرب إيلدار إلى ناحية الروم، وتوكال إلى جورجيا، وأعدموا قبجاق أغول بن بايدو فى منتصف ذى الحجة على حدود مراغة.

ودخل الملك دار الملك تبريز فى يوم الأربعاء الثالث من ذى الحجة، ونزل فى القصر المبارك بالشام[٤٥] ، وجلس على عرش المملكة، وأسند حكومة تبريز المحروسة إلى شرف الدين عبد الرحمن، وسافر إلى مشتى آران، وفى يوم الأحد الثامن والعشرين من ذى الحجة تربع على عرش السلطنة عند حدود "أبوبكر مرغان" .

حكاية جلوس السلطان محمود غازان خان

لما ازدان التاج، والعرش بذاته الشريف، رفع الأمراء والقادة قلانسهم، وجعلوا المناطق فى الأعناق، وركعوا وباركوا وهنئوا العرش والتاج بجلوسه، ونثروا الأموال، وبعد إقامة الولائم والحفلات انشغلوا بتدبير أمور الملك والرعية، وأرسل الملك المنشورات إلى أطراف البلاد، وبعد ذلك أمر بتعيين سوكاى بن يشموت واليًا على إقليم خراسان، كما أسند ديار بكر إلى مولاى، وفى غرة المحرم سنة خمس وتسعين وستمائة، أرسل طغاجار إلى بلاد الروم، وفى يوم الخميس الثالث عشر من صفر توفيت أروك خاتون فى قراباغ، ووصل الرسل من ناحية خراسان، وذكروا: أن دوا بن براق أعمل النهب والسلب فى مازندران، وسوكاى بدأ فى العصيان هناك. فأرسل غازان خان فى العاشر من ربيع الآخر هورقوداق بجيش جرار فى إثر نوروز إلى خراسان، واعتقلوا سوكاى على حدود خرقان، وأعدموه، وقبضوا على إيلدر فى آخر ربيع الأول بعد معركة على حدود أرزان الروم، وأعدموه، وأعدموا يورالقى قياتى سكورجى بن مبارك شاه فى يوم الأحد السادس من ربيع الآخر، وتوفى فخر الدين إيداجى فى نهاية يوم الأربعاء الثالث والعشرين من ربيع الآخر، وأعدموا يستمور، وجريك ابنى قونقيراتاى، وقورمشى فى ليلة الجمعة آخر ربيع الآخر، واعتقلوا أرسلان كوون فى يوم الخميس الثالث والعشرين من جمادى الأولى، وأعدموه مع الخدام، وفى نفس الوقت اعتقلوا توكال، وجاءوا به من جورجيا، وأعدموه مع غازان بن طايجو، وقتلوا ابنه بك فى ميدان تبريز، وأعدموا خمسة أمراء وثمانية وثلاثين قائدًا فى مدة شهر واحد، وأرسلوا خرمنجى إلى بلاد الروم؛ ليقتل طغاجار، وأعدموا ابن إيلدار وييسوتاى بن طاشمنكو فى ديار بكر فى يوم الخميس العشرين من رجب، واستشهد حسام الدين فى يوم الأربعاء الثالث عشر من شوال فى يوزآغاج، وقتلوا ياقوت بن شيرامون فى السابع من ذى القعدة، وأعدموا فى الرابع من ذى القعدة إيلدار أغول بن قونقيراتاى، وسافر الملك إلى بغداد فى يوم الثلاثاء السابع من ذى القعدة، وعزلوا شرف الدين السمنانى من الوزارة فى يوم الخميس السابع والعشرين من الشهر

نفسه، وأسندوها إلى جمال الدين الدستجرداني في يوم الجمعة، واستشهد في يوم الأربعاء التاسع من المحرم سنة ستٍ وتسعين وستمائة في حدود قرية سبندان، وآلت الوزارة إلى صدر الدين الزنجاني، ونزل الملك في يوم الأربعاء الرابع عشر من صفر في دار السلام بغداد.

حكاية: لما وقع الشر بين نورين ونوروز، وتخوف صدر الدين من القائد نوروز بسبب من يسمى قيصر الذي قدم من مصر برسالة، فأعمل الخبث والخديعة، وقدم رسالة مزورة على لسان نوروز، ووضعها في كيس أخيه حاجي عندما كان جالسًا بجانبه، وأخبر الملك بعصيان نوروز، فأمر الملك بالقبض على أفراد أسرته، وفي غرة جمادى الآخرة سنة ستمائة وستٍ وتسعين، بدأوا بقتل ابن نوروز أردوبوقارا، ونائبه ستلميش، وابنه قتلغ تمور في مكان واحد مع أفراد أسرهم وذوي قرباهم، واعتقلوا في نفس اليوم كمال كوجك في بغداد، وجاءوا به إلى المعسكر، وقتلوا على الساكن في بغداد، وكان معهم في يوم الخميس الخامس من جمادى الآخرة منشور يارغوي حاجي، وكمال كوجك في حدود خانقين، ولم تثبت عليهما أية تهمة، ووجدوا هذه الرسالة في كيس صدر الدين الخاص فعرضوها عليه، فاندهش، ولهذا السبب قتلوه مع كمال كوجك، ونهبوا أمتعته وخيوله وقبره في تبريز، وفي السابع من جمادى الآخرة أعدموا أخاحاجي لكزي كوركان في الميدان، وبعد ذلك اتهموا أبناء هندوقورنويان، وشيدون، وعمر، وإيلبوقا بارتكاب ذنب وقتلوهم.

خبر حال نوروز واستشهاده

أرسل غازان خان قتلغ شاه بجيش جرار إلى خراسان في يوم الاثنين الثاني عشر من شعبان سنة ستٍ وتسعين وستمائة، وبعد ذلك أرسلوا خربنده من بيستون؛ ليكون حاكمًا على خراسان، وقبض أمراء الروم والعرب على ابن سماغار، وبالتوبن تانجي في يوم الثلاثاء الثالث والعشرين من رمضان، وجاءوا به إلى الحضرة، ولما وصل قتلغ شاه خراسان، دعاه الملك فخر الدين بن شمس الدين كرت إلى القلعة، ولم

ير الأمـراء في ذلك مـصلحـة، فـقـال نوروز: لا حـذر مـن الموت، كل من جـاءه الموت في هراة، فلا يمكن رده إلى مكان آخر.

وقال: يحكون أن ملك الموت حملق في شخص في حضرة سليمان (عليه السلام)، فخاف ذلك الشخص، ولما غاب أبو يحيى طلب من سليمان (عليه السلام) أن يأمر الريح أن تحمله إلى بلاد الهند، ولما عاد ملك الموت سأله سليمان (عليه السلام)، لماذا دققت النظر في هذا الرجل؟، قال: أمر الله تعالى أن أقبض روحه في الهند بعد ساعة، فوجدته هناك فتعجبت، كيف سيكون هذا!

ولما سمع القادة هذا الكلام مضوا جميعًا حاملين أرواحهم، وبما أن أجل نوروز قد جاء فقد تحصن في القلعة، ووصل قتلغ شاه على أثره كالظل، وأحاط بالقلعة كأنه حلقة حول نقطة، فقال حاجي رمضان في الخفاء لنوروز: إن المصلحة في أن نقيد ونسجن حفاظًا على الملك، فلم ير نوروز مصلحة في هذا، فسمع القائد هذا الكلام، فأخبر الملك، فاستشار أعيان هراة من خوفه، فاعتقله بحيلة، وأرسله إلى قتلغ شاه، وقتلوه على باب هراة في الثالث والعشرين من شوال سنة ستٍ وتسعين وستمائة، وأرسلوا رأسه إلى الحضرة على يد بولادقيا؛ ليحملها إلى بغداد، وعلقوها على باب نولي، وأعدم القائد قتلغ شاه قادة نوروز: توكال فرا، وبوراجار، وقراوسون، والنوجاق في مرعى شوران، وأعدموا بالتوابنة في ميدان تبريز في يوم السبت الخامس والعشرين من ذي القعدة، وأنعم على صدر جهان، ووهبه ضيعة في يوم الإثنين، وأقام في وسط حديقة العادلية بتبريز قبة عالية في السادس عشر من ذي الحجة الموافق أقنقوئيل، وعاد القائد قتلغ شاه من خراسان في الثامن عشر وأنعم عليه، وتوفي أمير الصين أغول في دالان ناوور في التاسع من ربيع الآخر، وتوفيت دوندي خاتون في بازاينه في يوم الأحد الخامس والعشرين، وحملوها إلى تبريز، ودفنوها في سرخاب، وأعدموا طانجو أغول مع أربعة من الخدم في يوم الثلاثاء الثاني من رجب على ضفة نهر نواردالان، وفي يوم الأحد الحادي والعشرين من رجب أمسك صدر جهان يدي القائد سوتاي في وقت الضحى، وشطروه شطرين، وأعدموا قطب جهان وقوام الملك

على بوابة تبريز فى يوم الاثنين الحادى والعشرين من شعبان، وتوفى ساربان بن سونجاق فى ليلة التاسع من ذى القعدة فى تبريز، كما توفى بورالتاى أغول فى الخامس والعشرين، وتوفى القاضى محيى الدين بتبريز فى يوم الأربعاء الثانى من ذى الحجة، ومات قبله بيوم القاضى تاج الدين المسكين.

وارتحل غازان من تبريز إلى آران فى يوم الخميس، ووهب منصب وزارة هذه الممالك إلى الخواجه سعد الدين محمد الساوجى، وتوفى إيسن بوقاكوركان بن بوقايار غوجى فى المحرم سنة ثمانٍ وتسعين وستمائة، وأعدموا إقبال فى الثامن والعشرين من شعبان، وكانوا قد أعدموا قادة الروم كوزه، وجركس مع سولاميش بن أروك بن بايجونويان يوم الأربعاء الرابع والعشرين من رمضان، وأمر بإنزال الأعلام الملكية فى دار الملك تبريز فى يوم الجمعة الرابع من ذى الحجة، وقبض على سولاميش، وأحضروه من الروم، وقتلوه فى يوم الثلاثاء الثالث والعشرين من ذى الحجة فى ميدان تبريز بطريقة شنيعة، وأضرموا النار فى جثته.

خبر مضى غازان خان إلى ديار الشام

لما سمع غازان خان خبر عصيان المصريين، خرجت الأعلام الملكية من تبريز فى سبيلها إلى الشام فى يوم الجمعة التاسع عشر من المحرم سنة تسعٍ وتسعين وستمائة، وعبر النهر، ونزل أمام قلعة كشاف فى الخامس عشر من صفر، ووصل فى الخامس والعشرين إلى حدود نصيبين، واستعرض الجيش، وأرسل قتلغ شاه فى السابع والعشرين بجيش فى الطليعة، وعبر نهر الفرات فى يوم الثلاثاء الثانى عشر من ربيع الأول محاذيًا لقلعة حعير[٤٦] ، ووصل إلى مدينة حلب فى يوم الأحد الموافق السابع عشر، وتجاوز مدينة حماة فى الخامس والعشرين، ونزل فى محاذاة مدينة السالمية، وظهر هناك يزك الثائر، ونزل على بعد ثلاثة فراسخ من مدينة حمص على ضفة نهر باريك فى يوم الأربعاء الموافق السابع والعشرين، وجاء الثائر، فصلى ملك الإسلام غازان مع جميع الجيش ركعتين، وركب وواجه الثائر بما كان معه من جند، وكان على

ميمنته القائد مولاى، وبعده القائد زاده، وبعده القائد قتلغ شاه، وبعده وموتدو، وكان مع كل منهم عشرة آلاف من الجند، وكان الملك فى القلب،، وفى المقدمة جوبان، والسلطان يسوول، وكان أمام الملك فى القلب طغريلجه بن مانجوسكورجى، وعلى ميسرته إيل باسميش، وبعده جيجاك وبعده قومشى بن اليناق، وكان آخرهم كوربوقا الذى كان على الساقة، ونشب القتال قبل أن يركب جميع الجيش، وحارب الشوام بعددهم وعدتهم.

وأمر قتلغ شاه بإقامة خيمة كبيرة، فظن المصريون أنه الملك فحملوا عليه جميعًا، وكانوا يصلون فوجًا بعد فوج، وحطموا صفوفهم، وجعلوا يغيرون عليهم، وأوقعوا الشجعان، وقتلوا عددًا كبيرًا كما جرحوا، ولحق القائد قتلغ شاه مع فوج من الفرسان بالعبودية، وكما جرت العادة فى ذلك الوقت جعل المصريون منكوتمور مع خمسة آلاف فارس من العرب فى كمين، فعرف الملك ذلك، وأمر كوربوقا، أن يغير عليهم فشتت جمعهم، وحمل الملك بنفسه على جيش المصريين، وصرع عدة أبطال منهم، وفى النهاية لحقت الهزيمة بالمصريين وعادوا فارين، فتعقبهم الملك، ونزل على بعد فراسخ من مدينة حمص، وخضع له أهلها ومن فى القلعة.

وسلموه خزينة سلطان مصر فى يوم الأحد الثانى من ربيع الآخر، ونزل فى التاسع من الشهر بمرج راهط تحت دمشق، وبادر أهلها جميعًا بعرض الولاء، فسألهم الملك قائلاً: من أنا؟، فقالوا جميعًا فى صوت واحد:

الملك غازان بن أرغون بن آباقا بن الملك هولاكوخان بن تولوى بن جنكيز خان

وسألهم بعد ذلك قائلاً: من أبو ناصر؟، قالوا: ألفى، قال: ومن والد ألفى؟، فسكتوا جميعًا، وعرف الجميع أن سلطانهم اتفاقى، وليس بسلطان استحقاقى، وأن جميع العبيد وأبناء العبيد من أروق المشهور جد ملك الإسلام، وقال الملك لهم: لا خير فى الحياة فى وجودكم، ولكن الخير والبركة الكثيرة فى الموتى، ولقد عفوت عن ذنوبكم أيها الجهلاء من أجل هؤلاء الموتى، فاستبشر أهالى دمشق بهذا، واستظهروا ودعوا للملك وطلبوا الشحنة، فعين قتلغ شاه شحنة لدمشق، وعاد منها فى يوم السبت الموافق

الثالث عشر من شهر جمادى الأولى، وترك الأميرين جوبان، وقتلغشاه للحراسة هناك، وعبر نهر الفرات فى يوم الأربعاء الرابع والعشرين من جمادى الأولى ولحق بآغروق، ومن ذلك المكان أرسل سيد نظام الدين البناكتي، أخو هذا الضعيف إلى تبريز؛ لينال الخلعة، وطلب منه البركة، وانتقل سيد نظام الدين إلى ربه فى الحادى والعشرين من شهر رجب، وقال هذه القصيدة، وهو فى حالة النزع، وأمر هذا الضعيف، حتى يتيح لها من يسمعها، والقصيدة هى:

أيها الملك صاحب الفضائل ... خلد الله لك العمر والدولة

أنت روح الدنيا ولقد تحقق ... لك السلطان على الدنيا بأسرها

إن أقل عبيد صدر بناكت ... جعلته ينزوى عن الدنيا

جاء الأمر من حضرته أن ارجع فارجع ... إلى دار البقاء من هذه الدنيا الفانية

فى الساعة التى جاء فيها هذا الأمر ... انتهى دور هذا الزمان عليه

لقد حطموا هذا الطلسم وطاروا ... ومضوا إلى مقر جيش الفضائل

لقد افتديت طلعتك الملكية ... من أعماق القلب والروح والشباب

ألا أيها الملك صاحب السعادة ... يا من أنت سلطان سلاطين الدنيا

عندما تأتى إلى تبريز المباركة ... فأنت تتربع على العرش الملكى

يقبل ملوك الأرض جميعًا الأرض أمامك ... وتضع على مفرقك التاج الملكى

تذكرنى وتذكر كلامى ... وتغنى بها بصدق قلبك

واعلم أن هذه الدنيا لا تبقى لأحد ... وترأف بأهل الدنيا

بما أنك تعلم أن الدنيا لا ثبات لها ... فلا تضيع الفرصة بقدر ما تستطيع

خذ الحسن من كل شيء وأعط منه ... ولتكن الحياة على ما تهوى

أنت مع جـــميـع النســاء والأمــراء والقــادة ليكن لك ولجـــمــيــعــهم العــز والســـرور

لقــد تلوثنا وتصــفــينا ووجــدن الراحـــة وتــعـــــــــــــرف هــذا الـكـلام لأنـك روح

وقال هذا الضعيف فى تاريخ وفاته هذين البيتين:

توفى فى شــهــر رجب سنة ٦٩٩ هـفى ثلث الليل ومضت روح هذا الولى الطاهرة من الدنيا إلى العقبى

فـــخـــر أهل بناكت قطب أوليـــاء الزمـــان الملك المتربع على عرش السلطنة سيد نظام الدين على

وعبر غازان خان دجلة بغداد فى يوم الجمعة غرة شعبان، ووصل إلى مراغة فى الخامس عشر من رمضـان، وقدم أوجـان من هنـاك، وتوفى الأمـير جـواغـول فى يوم السبت الثالث من ذى الحجة سنة تسعٍ وتسعين وستمائة، وسافر إلى الشام مرة أخرى فى المحرم سنة سبعمائة، وأرسل القائد قتلغ شاه فى الطليعة، ومضى بنفسه فى أثره، وفجـأة اشتد المطر والبرد، ومات بعض الجند؛ فعـاد الملك فى الثـانى والعشـرين من جمادى الأولى، وتوفى القـائد زاده سـاتلميش بن يورالغى، وهومن أقـارب التـاجونويان على حدود كشاف فى آخر ربيع الآخر، وعبر الملك دجلة فى يوم الأربعاء آخر شعبان، ونزل بمدينة الإسلام أوجان فى الرابع والعشرين من رمضان.

خبر الإنعام على الخواجه سعد الدين، وإعدام حساده

فى السابع والعشرين من شهر ذى القعدة سنة سبعمائة أنعم على الخواجه سعد الدين السـاوجى، ومنحه ضيعة، وفوض إليه أمـور صـاحب الديوان، وتشـاور فى هذا المشتى مع أعضـاء الأسرة، وأصحـاب الديوان مثل : صـائن القاضى، وشيخ المشـايخ مـحمود، وسـيد قطب الدين الشـيرازى، والخدام الآخرين فى خلع السادة، وكانوا فى انتظار الفرصة، وذات ليلة كان الملك يشرب فيها الخمر، ويذكر القادة، فكان سيد قطب الدين حاضراً، وقال: إن ياتيمش رجل حسن السيرة، فقال الملك: تتحدث عن حسن سيرته؛ لأنك كنت قد توجهت معه إلى شيراز، وكان سبب كسبك ونفعك، وحصلت مـالاً كثيراً

من هناك، ثم قال: كنت تسعى على الدوام فى الشر والفتنة، فقال سيد قطب الدين، وهوفي سكره: إن الملك يأمر بالكرامات، وكأنه كان معنا فى المداولات، وقد شعر الملك بأمرهم بالحدس والفراسة، وأمر فوكلوا الشيخ محمود فى تلك الليلة، وفى الصباح قبضوا على صائن القاضى، وسيد قطب الدين، ومعين الدين الطغارجى، وأمير الدين قانجى، وسعد الدين حبش، وقدموهم للمحاكمة، وأعدموا صائن القاضى، وسيد قطب الدين يوم السبت الثانى والعشرين من ذى الحجة فى موضع دول، وفى ذلك الحال ذكر الملك غازان خان محاورة السيد نظام الدين البناكتى.

حكاية: وكان ذلك أن سيد نظام الدين على بن مولانا تاج الدين البناكتى أخو هذا الضعيف، كان درويشًا أعزب صاحب نوق، وجميع الملوك منذ عهد آباقا خان إلى غازان خان كانوا معه على مودة ووفاق، وأحبوا حديثه ومحاورته، وحدث أن كان قد جلس ذات يوم فى مدينة أوجان فى مجلس الملك، وفى أثناء المحاورة كان الحديث يدور عن الطامات والفواجع، فقال الملك: لا تكذب، فقال مجيبًا: الملك يكذب، وإذا قلت فلا عجب، فقال الملك: أى كذب قلت؟ ، قال: كذب الملك كذبتين، ولا يمكن أن يقال مثلهما، أولهما: أن صاور[٤٧] القاضى أسميته صائن القاضى، وثانيهما: أنهم قالوا عن الشخص الذى لا يعلم الفرق بين الاستبراء، والاستنجاء شيخ المشايخ، وأطلق سراح شيخ المشايخ محمود بشفاعة بلاغان خاتون فى يوم الأربعاء منتصف المحرم سنة واحد وسبعمائة، ومضى إلى آران فى الشتاء، وعاد فى الصيف إلى أوجان، وكان الملك قد أمر بأن يقيم الأساتذة العظماء، والمهندسين المهرة خيمة ذهبية وعرشًا بأدوات جميلة، فأقاموا هذه الخيمة فى قرون أوجان فى القصر فى أواخر ذى القعدة سنة واحد وسبعمائة، ودعا قبل الحفل العظماء، والأئمة والمشايخ والقضاة والصلحاء، وبعد ذلك وضع قدمه المباركة فى الخيمة ، وأسند ظهره، وأمر بأن يحضروا نقودًا وثيابًا لا حصر لها، وكان يتصدق بها بيده شاكرًا، بحيث نالت عموم الطوائف نصيبًا من هذه الصدقات، وكان كاتب هذه التواريخ من دعاة هذه الحضرة، وهو أبو سليمان داود الملقب بفخر البناكتى، ونظر إلى حاله بعين الرحمة والرأفة، وأمر بالإنعام على بلقب ملك الشعراء، وأنشدت هذه القصيدة فى المعسكر الذهبى، ووجدت الإنعام، وهاهى القصيدة:

فى مدح سلطان الإسلام غازان خان (نور الله مضجعه) و(طاب ثراه):

البارحة من بحر المعانى ومن البنان الذى له در البيان
أظهر منطق تلك الببغاء التى تنشر السكر

أى ببغاء أنت التى تنشر الكلام من اللطف
وهى ذات منقار مثل العنبر مثل الليل على وجه صبح من البيان

ممتلئ مقرها فى روضة الدنيا بحواصل الطيور
وألقت السكر من جناح الغراب فى الماء الجارى

ليس كالببغاء السمكة الذهبية التى فى بحر الفضة
إنها تنشر الدر بلا فم من المعانى والبيان

إنها مثل النار التى تهب هبوب الريح التى من طريقها
يصبح نبع الحياة ظاهراً عياناً فى عين العلم

ليست كزورق يشبه القمر من فيض فضل ذى الجلال
الذى مضى إلى بحر الصين وله من علمه شراع

إنه زورق وجد من العلم الطبيعى
فى علم الرياضة والإلهيات الكم والكيف وهذا وذاك

وبرز من هذا مدار الفلك الدوار
واستقر مركز التراب فى مكانه من هذا السواد

لديه مئات الآلاف من الجنس والفصل والنوع والذات والخاص والعام
مع عرض المفارق حين جاء إلى الدنيا

أوجدت فى الحيرة من غرق فى بحر الفكر
فظهر لى فى هذا شيخ العقل الذى يعرف الدقائق

قال : يا من أنت فى أصل الفطرة معدن فى الوجود
لماذا بقيت فى بحر الحيرة فاعلم هذا السر

لقد قدر خالق الأرزاق لكل نفس نصيبها
بلا تعب من هذه المراتب ما ظهر منا وما بطن

ولقد أصبحت الدنيا اليوم من عدل الملك
ملكًا له صفات الملوك وهو سلطان العالم غازان خان

الأيلخان الخاقان الأعظم المحارب البطل الفاتح
ملك الربع المسكون الملك السعيد

ذلك الذى تفيض كفه عطاء فى المحافل
ماء المعدن ودم قلب البحر والمعدن

وذلك الذى أصبح عدله سوار ساعد الملك
حينما كان أفريدون يرى عمارات الدنيا

لم يرَ إنسان قط عمارات مثلها فى الدنيا
ولا يجد إنسان فى الدنيا أثرا لمثله

وصارت مدينة الإسلام أوجان روح عين المملكة
وورده روح الدنيا فى عين أوجان خان خان

بلاط الملك مع خيمته الذهبية جنة
إذ إن معسكر الخان أصبح غرفة ملكية للسماء

إن معسكر الملك خير من روضة رضوان
لأن الغفل فى حيرة من عظمة معسكره

إنها روضة الفردوس وكل طرف من أطرافها ممتلئ بالحور العين
فى كل مكان طرب من الولدان كأنها مائة روح تسير

إنهم كانوا يعدون بالفردوس فى العقبى
وقد أظهر الملك من ذلك فى جميع أطراف الدنيا مائة مثلها

إن صفوت دكاكين السوق متصلة حتى تبريز
والقصر فى وسط الحديقة والبساتين والمروج

لقد اندهش رضوان فى تبريز على أنها جنة الخلد
فتعجب كيف جاءت من العقبى إلى الدنيا جنة الخلد

ووجدت الجنة فى هذا الزمان منذ أمر بها الملك ... بالسور والبرج والقلعة والخندق والماء الجارى

الناس فى حيرة من أمر قبة السلطان ... وحاروا وقالوا عنها سلم إلى الفلك

لستار قصره ملك من الفلك فى كل ليلة ... يسدل حريراً أخضر مرصعًا عليها

أيها الفلك إن قدر من له سيرة الملك قد تحقق ... فأصبحت بناء على قول النبى ملكًا وصاحب الزمان

أيها الملك أنت مهدى آخر الزمان ... ويشهد على أسد الله أن لك النصيب الوافر

لقد عمرت العالم بسخائك وعدلك ... وإن مائة مثل كسرى عبيد أو خدم على بابك

أنت ملك ملوك الدنيا وسلمت لك ... دولة الدنيا والدين بملكك الموفق

وبما أن فخر بناكت أدنى مداحى الملك ... فاتغنى ليل نهار شرعًا وغفلاً بمدحك من روحى وقلبى

لقد أصبح ثريًا من عطاء وبذل ملك الدنيا ... فكيف يجوز أن أحرم بينهم

بما أن المعجز والإلهام والدولة من أصل واحد ... وهى للملك وما دام العمر فلدينك ودولتك الأمان

بارك الله على دولتك المباركة أيام العيد ... وليكن عيدك مائتى عيد من فيض المستعان

ولتزد دولتك كل يوم من الهام الله ... وليكن لك من اقتران زحل الحظ السعيد

السعادة واليمن على عتبتك ليل نهار ... فأصبحا حارسًا من ألطاف الحق على عتبتك

وكانوا يشغلون أنفسهم ثلاثة أيام بلياليها بختم القرآن، وأداء العبادات، كل طائفة على طريقتها، ووضع فى إحدى الحفلات ذات يوم على رأسه تاجًا لم ير له أحد نظيراً قط، وتمنطق بحزام جميل ولبس ثيابًا مرصعة غالية، وأمر الخواتين والأمراء والقواد أن يتزينوا بكل أنواع الزينة، وبعد الانتهاء من ذلك اشتغل بتدبير أمور المملكة، ولسان حاله يقول فى دخيلة نفسه:

لما تصنع بيت من زخرف وينبغى إليك الرأى الذهبى ... فأقم العدل فى الملك إن كان الملك ينبغى إليك

أنت صاحب عرش وقلنسوة ... فلا تقتل مثل قباء فى الصين إن كان لابد لك من الشام أوالصين

إذا كنت تتزوج عروس السلطنة ... فينبغى أن تترك خاتمك من أجر مهرها

كن متفقًا مع مصائب الفلك ... إذا كان لابد لك من أن يكون لك وسادة ناعمة على العرش

ضع وجهك على وجه الترس واجعل عينك على الراية ... إن كان لابد لك أن تنظر إلى الوجه الجميل والشعر المجعد

وفى غرة المحرم سنة اثنتين وسبعمائة، عزم السفر من أوجان إلى الشام، إلا أنه عرج على همدان، وأعدموا نظام الدين يحيى بن خواجه وجيه ودولت شاه بن أبى بكر الداغابادى على حدود هشتر فى يوم عاشوراء، وفى اليوم التالى عرب شاه بن حفيد السلطان حجاج الكرمانى، ومضى من هنا إلى بغداد، وأنفذ جيشًا إلى ديار الشام، ومضى القائد قتلغ شاه فى الطليعة، واستولى على قلعة رحبة، وتحاربوا مع جيش الشام فى الثانى من رمضان فى موقعة مرج الصفر، وقتل خلق كثير من الطرفين، وعاد قتلغ شاه، واتصل بالحضرة فى صحراء كشاف فى التاسع عشر من رمضان.

ونزل الملك فى مدينة الإسلام أوجان فى يوم الخميس العاشر من ذى القعدة، وبدأوا فى العصيان فى الثانى عشر، وانتهى فى غرة ذى الحجة، وأعدموا أغوتاى ترخان بن جينيك ترخان، وطوغور تيمور من قوم منكقوت، ونزل بدار الملك تبريز فى القلعة فى يوم الخميس الخامس والعشرين من المحرم سنة ثلاثٍ وسبعمائة، وأصيب بالرمد، ودامت مدته، وكان الوقت وقت السفر إلى المشتى، ووصلت من خراسان فى يوم السبت الرابع من صفر إيلتورمش خاتون مع الأمراء بسطام أغول، وبايزيد، ولم يصلوا إلى حضرة الملك، وأقام غازان خان فى قلعة تبريز حفلة غاية فى الروعة، وزوج ابنته أولجاى قتلغ إلى الأمير بسطام، وأنشد هذا الضعيف هذه القصيدة فى هذا الحفل على سبيل التهنئة:

فى مدح السلطان محمود غازان (طاب ثراه)

الشكر لله فمن تأييد دورة السماء ... وجدت العافية الذات الطاهرة للملك السعيد الموفق

ملك الربع المسكون الملك فاتح الآفاق ... الملك الكريم المعطاء الذى له قوة الفلك

الملك غازان بن أرغون بن آباقا بن ... الملك هولاكوخان بن تولوى خان بن جنكيز خان

الملك العادل الذى زمانه زمان سليمان وعصره عصر جمشيد ... كسرى الثانى غازان محمود سلطان الدنيا

مالك ملوك السبعة أقطار ذلك الذى ... قامع أعداء الدين ومهدى آخر الزمان

ذلك الذى عقد منطقة الخدمة على عتبته ... مائة مثل كيكاوس وفغفور وجم وأردوان

إنه كالشمس وغيره من الملوك كالنور ... وجسم الدنيا وهوفيها روحها

هو شمس بالعدل وسماء بالفضل ... ويقاس فضله وعدله بالإسكندر وأنوشيروان

أصبحت ذاته نفس الأمان فإذا كنت لا تصدق فانظر ... فإن الممالك لا تجد الأمان من الحوادث والمصائب

لم تشهد عين الزمان فاتحًا مثله ... ولم تلد أم الأيام مثله غازيًا

وعلى باب حجرة قدره مائة حارس مثل القمر ... وعلى رأس إيوان جاهه مائة مثل نجم زحل من الحراس

يا من حفلك حربك نسيت قصة حاتم ... وتزيد عن ألف بحر ومنجم بيدك وقلبك

لم يأتِ في العالم مثلك مزين للتاج والعرش ... ولم ترَ السماء سلطانًا مثلك على وجه الأرض

منذ أن رأت الشمس أساس عدلك وأصول سياسة ملكك ... وقد وضعت بنان الحيرة في فمها

إن سيفك له أثر القضاء على عدوك ... إن حكمك مثل القدر وثار على كل الآفاق

وكذلك يرسل لخدمتك الخاقان من الصين ... كما يرسل إليك ملك الهند فيلاً حربيًا

الأسد والببر والفيل الحربي مع النمر والفنان ... صاروا بعد لك قرناء وأصدقاء وأحباء

في مدحك كلام فخر بناكت الببغاء ... تنثر السكر من روضة المعاني والبيان

لقد تزين سقف هذه القلعة الزرقاء كل ليلة ... وتأخذ من الليل الطيلسان بجرح السيف

جعل الله عمرك بلا حد وكنزك وجيشك ... ودولتك بلا نهاية ولطفك وعطاءك بلا حد

وليعلى مسندك الملك والحكم ... الملك والشعب تحت يديك وجواد الدولة تحت فخذيك

وخرج من مدينة تبريز على ظهر فيل في يوم الجمعة التاسع عشر من ربيع الأول حتى دخل الميدان، ووصل قصر الضاحية في الرابع من ربيع الآخر، وأمر بإقامة مشتى على ضفة نهر هولان موران، وأعدموا الشيخ يعقوب التبريزي، وحبيب مريد الشيخ رشيد، وسيد كمال الدين، وناصر الدين.

وتوفيت كرامون خاتون في ليلة الجمعة الثاني عشر من جمادى الآخرة، وحملوا نعشها إلى تبريز، ولما كانت في ريعان الشباب، ولم تتمتع بعمرها، اشتد عليه موتها وتألم وبكى كثيرًا، وبعد ذلك التفت إلى الحاضرين، وقال: أي شيء في هذه الدنيا أصعب، وأشد من هذا؟ ، فقال القادة: أن يكون الضعيف عدوًا، والأسير متمردًا، فقال الحاضرون: الفقر، وقالت جماعة أخرى: الموت، فقال الملك: أصعب شيء هو الولادة والمجيء إلى الدنيا، إذ إنها كلها شدائد، ومصاعب ومشقات تحت اسم الحياة،

ولم لم يكن الوجود لما كان شيء صعب، ولا توجد راحة في الدنيا للإنسان مثل الموت بدليل إنه إذا مضى رجلان في طريق يعدو أحدهما، ويمشي الآخر، فأيهما أكثر راحة؟، قالوا: ذلك الذي يجلس، فقال: إذا جلس واحد، ونام الآخر، فأيهما أكثر راحة؟، قالوا: النائم، فقال : وبناء على ذلك، فشأن الميت أكثر راحة من النائم، وخلاص النفوس والفائدة الكلية في التخلص من مضايق الطبيعة، وما من سجن وجحيم وعذاب أشد من الجهل وحب الدنيا، فمما لاشك فيه أن الجاهل يتخلص من سجن الطبيعة، وغاية الجهل أن يعرف أن الميت هو الروح، وأن الحي هوالجسم، ولا يعلم أن الحال على خلاف هذا، ويفخر ويتباهى بالحماقات والجهالات، ولا يعلم أن الموت حالة مرغوب فيها والعدل حق، فإذا لم يمت الآباء، فكيف تصل الأموال والمناصب والعظمة إلى الأبناء؟!، وإذا كان موت الآباء صعبًا، لكنه يكون مرضيًا بالنسبة إلى النوبة الأخرى، وما من فضل فائدة في طول العمر، إلا لمن جعل الكمال نصب عينيه، وهذا أولى بمن يرضى بما قدر الله له، وفضلاً عن هذا فقد قال كلامًا قيمًا، وهاجر في أواخر شعبان سنة ثلاثٍ وسبعمائة من هولان موران إلى ناحية ساوه، ومنها إلى الري، وقد أصابته وعكة هناك زادت عليه.

خبر وفاة غازان خان

لما وصل نهر بيشكلة على حدود قزوين، استدعى الملك في أواخر شهر رمضان جميع القادة والخواتين وأعيان الدولة، وجعل كلاً منهم خليقًا بأن يوعظ وينصح، وجعل ولاية العهد إلى أخيه بنده خان، وانتقلت روحه المطهرة من دار الغرور إلى دار السرور، في يوم الأحد الحادي عشر من شوال سنة ثلاثٍ وسبعمائة، وأرسلوا نعشه الشريف إلى تبريز، وكانت مدة عمره اثنين وثلاثين عامًا وستة أشهر واثني عشر يومًا، وتولى الملك ثمانية أعوام وعشرة أشهر وثلاثة عشر يومًا.

على نعش هذا الملك العادل التقي   آخذ البكاء الزمان والأرض

وكان كل شخص يقول : يا أسفاه يا أسفاه   فقد أصبح شمس الدنيا تحت السحاب

وقد قال هذا الضعيف فى تاريخ وفاته، هذا الرباعى:

في يوم الأحـــد سنة ثلاث وســبــعــمــائة ... وقد مضى أحد عشر يومًا من شوال فسلطان الدنيا
غادر الملك العادل غازان خان من بلاد قزوين ... إلى دار الملك الباقى من هذه الدنيا الدنيئة الفانية

وكسـت الأرض المآذن بلباس الحـداد فى جميع مدن ممالك إيران، ونثـروا فى الأسواق والشوارع والميادين التبن والتراب، وفرق الناس صغارًا وكبارًا رجالاً ونساءً ثيابهم، ولبسوا ثياب الحداد، وأقاموا العزاء سبعة أيام، ودفنوا نعشه الشريف فى موضع شم تبريز فى العتبة العالية، وأنشد هذا الضعيف فى مأتمه فى ذلك اليوم هذه المرثية:

أيهـا القلب اعـتـزل الخلق فى هذه الدنيـا ... والتفت إلى أمر الله ونهيه فما الدنيا بخالدة
لا تحسبن أن الدار دار قرار أيها القلب فإن الخلق والأمر ... هم أغيار فانتبه ولا تتشبه بهما فى هذه الدنيا
افـتح عـين رأيك فـمن العـقل يـستـفـاد ... وانظر فى البـاطن بعـين أحـد هذا وذاك
واعلم أنك مـســافــر ولك ... فى كل قـدم من النظر أفكار لا حـد لهـا
واعلم أن الدنيـا رباط والناس يمـرون به ... والشرط أن تمضى القـافلة عن الرباط جـارية
إن العـاقـل فـى هـذه الدنـيـا ... وإن فكر فى أعماق نفسه بأن روحه سوف تفارقه
وا حسرتاه فعلى رأسي مائة كنز من ذهب وفضة ... وتكون عند موتك فـقـيـرًا مـعـدمًـا
إذا كنت مفلسًا ولا تريد الهوان فى يوم الحشر ... فضع قدمك فى طريق الله واسلك الطريق السوى
فـهـذا واد للمـخـاطر وبحـر بعـيـد العـمق ... فـاصنع من العلم سـفـينة ومن الزهد شـراعًـا
فـمن ليس له علم فـهـو عـار فى هذا الطريق ... ومن ليس له زهد سـواء أكـان ذنبًـا أم راعـيًـا
ولو أن فى هذا الزمـان من العلم والمعـرفـة ... اسـمًـا بلا مـسـمى على أهل هذا الزمـان
وذلك الذى فـمـا صـاحب المال والمفلس ... ومـن لـه مـنـزلـة ومـن لـه سـلـم
لا تـنـظـر إلـى الخـلـق واسـلـك طـريـق الـلـه ... من قـبل أن لا يجـد أحـد أثرًا لك بعـد مـوتك
انـهـض بعـشـق ودع نفـسـك وتعـال ... فـهنا لا يعطون أحـدًا كـثـيـرًا من الأمـان
الكل أمام قـهـر الموت سـواء ملك أو شـحـاذ ... وطفل رضـيـع وشـيـخ كـبـيـر وشـاب
لتـشق فى هذا فـخـذ منى هذا عـبـرة ... من مـوت ملك الدنيـا الملك الـسـعـيـد

سلطان الملوك غازان الشهير | الملك فاتح الدنيا والملك الذى يولى الملوك
سلطان الربع المسكون غازان العادل | الذى كسرى خادمه ودارا حارسه
الدنيا جنة وجماله مثل رضوان | ورضوان جنة الخلد وخرج من الدنيا
لقد خلى المسند والعرش والتاج من الملك | وخرج بغتة ملك الدنيا من الدنيا
قمر فلك الدنيا بهذا الملك المشهور | وخلت الأرض من النور عندما ذايل البدر السماء
كان ذلك الملك روحًا للدنيا بلطفه وحسن خلقه | وأصبح العالم من عدله كالحديقة والبستان
ولم تثمر حديقة الشباب فى الربيع النضر | وتساقطت أوراقها من الموت كما فى الخريف
أصبح العالم أسود مثل الخلق فى ثياب الحداد | منذ أن اختفت شمس الدنيا وراء الستار
عجبًا ما ذلك الخطب الذى رمانا به الفلك | وأين مضى الملك غازان وهو ميزان الزمان
صعدوا زفرة بألم من قلب مخزون | واذكروا عصر غازان من أعماق أرواحكم
يا أسفاه فما حيلة لنا إلا احتراق القلب من فراقه | وما الجدوى من الاحتراق إلا أن نتحدث فى المناسبة
ما الذى يتأتى من الفلك الذى يدور فى عوج | من أضعاف الحادثات فى آخر الزمان
ليسبق الملك السعيد العظيم | خدابنده خان وجميع الخواتين السعيدات
أمراء العصر والقواد والمشاهير | مع سادة الدهر والوزراء المحنكون
لقد اشتغلوا فى الدولة وسعادة الحق | ولكل منهم على ما يهوى العمر السعيد

خبر السلطان محمد أولجايتوخان بن أرغون خان بن آباقا خان وخواتينه وأبنائه

ولد السلطان محمد من أروك خاتون ابنة ساروجة، من قوم كرايت أخت دوقوز خاتون، فى أفضل وقت من الأوقات، وفى أسعد ساعة من الساعات، وذلك فى يوم الثلاثاء الثانى عشر من ذى الحجة سنة ثمانين وستمائة بطالع برج الجوزاء السعيد بين مرو وسرخس فى موضع جدب لا ماء فيه، وفى الحال انهمر المطر الغزير حتى غمر الماء الصحراء كلها، فأقاموا سبعة أيام، ولم ينقطع المطر، ولذلك السبب كان مسعود المقدم مبارك المجىء، ولذلك سموه الجايتو، وبعد مدة، وطبق عادة المغول، أنهم يسمون

الأبناء الأعزاء بعد مدة فقد سموه تمودر منعًا للعين الشريرة، وبعد مدة سموه خدبنده التى ينبغى أن تكتب (خدابنده).

وكان للسلطان محمد كثير من الخواتين والجوارى، وتزوج قبلهن نوطوغان خاتون بنت لكزى كوركان بن أرغون آقا التى ولدت من ماما بنت هولاكوخان، وبعد ذلك تزوج كوبخشكات خاتون بنت شادى كوركان بن سونجاق، وبعدها إيلتورمشوخاتون بنت قتلغ تموركوركان، وبعدها حاجى خاتون بنت كوركان، وبعدها أولجتاى خاتون بنت سولاميش أخت حاجى خان، وبعدها قتلغشاه خاتون بنت القائد إيرنجين، وهى بنت كتنجك خاتون بنت السلطان أحمد، وكان يحبها ويؤثرها على غيرها من الخواتين، وبعد ذلك دنيا خاتون بنت سلطان ماردين، وبعدها سيور غاتميش خاتون بنت القائد حسين، وبعد ذلك تبسينا خاتون بنت الملك استانبول، وبعدها قوتوقباى خاتون التى أحضروها له من قان، وبعدها عطا ملك خاتون بنت مجد الدين البرهانى.

وكان للسلطان محمد عشرة أبناء، ستة أبناء، وأربع بنات، الأبناء: بسطام، وبايزيد، وطيفور، وأمهم إيلتور ميش خاتون، وماتوا فى طفولتهم قبل أمهم، وتوفيت إيلتور ميش خاتون فى سنة خمسٍ وسبعمائة فى يورت، وراقان من توابع تبريز، وجاءوا بنعشها إلى السلطانية، ودفنوها أمام أبنائها فى القلعة فى العتبة العالية، وولد لأولجاى خاتون أبوسعيد، ومات طفلاً كذلك، ودفنوه فى جرنداب تبريز، وولد سليمان شاه من عادل شانام بنت مرتاق، وتوفى فى طفولته أيضًا، ودفنوه فى السلطانية فى قبر الشيخ براق، وولد أبوسعيد سلطان جهان بهادر خان من حاجى خاتون، كما ولد وليدى من أرتوجوغان خاتون، وزوجوها إلى القائد جوبان، وتوفيت فى شهور سنة سبعمائة وسبعٍ فى آران، وولدت ساقى بك من إيلتور ميش خاتون، وكانت خطبًا للقائد جوبان، وفاطمة خاتون من قتلغ شاه خاتون، وتوفيت فى طفولتها، ودفنوها فى السلطانية فى قبر أمها، كما ولدت مهر قتلغ من جارية واسمها عائشة خاتون، وتوفيت فى طفولتها بعد أمها، ودفنوها إلى جانبها.

ووصف جلوسه على العرش فى ذلك الوقت بحكم الوصية، والمواكب الملكية بعون التأييد الإلهى من خطة ممالك خراسان حتى مخيم عساكر المنصور، ومقام الجنود

الذين لا يحصون، وكان ذلك فى السفر صوب العراق، وأذربيجان، وهما مقر عرش السلطنة.

السعادة من أمام والنصر من خلف | والعصمة فى القلب والنصر فى الجناح

ووصل إلى المعسكر المعظم فى يوم الاثنين الثانى من ذى الحجة سنة ثلاث وسبعمائة بجانب مدينة الإسلام أوجان، ولحق جميع الخواتين والأمراء بشرف عبودية الحضرة العليا، وصاح هاتف السعد من وراء الغيب قائلاً:

أبشر أيها الدهر فقد عاد فلك الملك | وبلغت الشمس ثانية أفق العظمة
لقد ظهر بطلان ظلم من يحسد الإسلام | ووصل برهان الملك فائق الدنيا
عرفت الفتنة الدنيا والدين والدولة | وزوال الفنا وصل للفتنة
كانت شجيرة ورد الإقبال ذابلة فأصبحت نضرة | حتى جاء ماء عدله فنبتت وترعرعت

وكان ينظر عدة أيام فى جميع المهام، ويتأمل فى مصالح البلاد، وبعد ذلك عقد مؤتمراً عظيماً، وذلك فى أحسن يوم فى فجر يوم الاثنين من منتصف ذى الحجة سنة سبعمائة وثلاث.

بالفأل الميمون والنجم السعيد | وبالحظ الموفى والسعد الموفر

وتربع السلطان محمد خدابنده على العرش، وأدى القادة جميع شروط المراسم التى كانت معهودة فى هذا الصدد.

وبعد إقامة مراسم السرور والبهجة، بسط بساط السعاة، وبحث أمر ياساق ويوسون، وهما أخوا السلطان سعيد غازان (نور الله مضجعه)، وجعل فراديس الجنات مأواه، ورأى من الصواب فى حق أخيه لفرط محبته له وإخلاصه أن يكون لجميع القادة وعظماء دولة غازان، ما كان لهم من قبل من رفعة المنزلة، وأن يشغل كل منهم منصبه.

وبعد ذلك فإن جماعة أسرة جنكيز خان، الذين كانوا منذ خمسين عاماً فى نزاع، دانوا بالطاعة، وأرسلوا الرسل، ورفعوا الفتنة والنزاع من بين الناس، فعد الناس

جميعًا مقدمه مقدمًا سعيدًا مباركًا، وقالوا: بحكم الله تعالى سيبقى اسم السلطان محمد أولجايتوخان ملك الإسلام؛ أى الملك المعظم المبارك، وتقرر الأمر بذلك.

وبنى مدينة السلطانية فى شهور سنة أربع وسبعمائة، وجعلها فى طالع العقرب مقرًا لعرشه، وتوفى سيدى تاج الدين محمد الرفاعى فى نفس السنة، وأنفذ جيشًا نحو جيلان فى عام الخروف الموافق شهور سنة ستٍ وسبعمائة، وقتل القائد قتلغ شاه فى هذه المعركة، وحملوا نعشه إلى تبريز ودفنوه هناك.

واستشهد الشيخ براق فى سنة سبعٍ وسبعمائة فى جيلان، وحملوا نعشه إلى السلطانية، وضربوا السكة، وقرأوا الخطبة فى بغداد فى سنة ثمانٍ وسبعمائة، وأعدموا يستمور، وقونجى ابنى أبنارجى فى كرده كوه فى شهور سنة عشر وسبعمائة، وحملوا نعشهما إلى تبريز، وتوفى مولانا قطب الدين الشيرازى فى نفس العام، وقال هذا الضعيف فى تاريخ وفاته:

فى يوم الأحد فى عصر سنة سبعمائة وعشر	توفى فى السابع عشر من رمضان فى تبريز
وفاضت روح قطب الدين محمود الشيرازى	إلى الفردوس مع كل إجلال وإعظام

وأعدموا بولاد بن قوجى فى تبريز فى جمادى الأولى سنة سبعمائة وإحدى عشرة، وتوفيت فى نفس السنة بلغاتى خاتون، كما توفى فى السنة نفسها سيدى سيف الدين على بن محمد الرفاعى ودفن فى السلطانية، وفى يوم السبت فى وقت صلاة المغرب استشهد الخواجه سعد الدين محمد الساوجى، مع نوابه : شهاب الدين مبارك شاه، ويحيى بن جلال طره، وزين الدين الماسترى، وداود شاه فى محول بغداد فى العاشر من شوال سنة إحدى عشرة وسبعمائة، وأسند منصبه إلى خواجه تاج الدين على شاه جيلان، كما توفى خواجه أصيل الدين بن خواجه نصير الدين الطوسى فى سنة سبعمائة وأربع عشرة، وأعدموا بوجير(٤٨) بن ساربان بن قيدوخان فى السلطانية فى ليلة الجمعة فى الحادى عشر من صفر سنة خمس عشرة وسبعمائة، وتوفيت أولجاى خاتون بنت سولاميش فى قوروق السلطانية فى ليلة السبت الرابع من رجب من السنة المذكورة، وحملوا نعشها إلى تبريز، ودفنوها إلى جانب ولدها.

واتخذ ملك الإسلام مشتى له فى السلطانية فى سنة ست عشرة وسبعمائة، وخرج للصيد، وفى أثناء ذلك مرض بمرض عارض، فعاد السلطان محمد، وفى يوم الخميس من شهر رمضان سنة ست عشرة وسبعمائة، استجاب صقر روحه المطهرة من الروضة السلطانية لنداء "يا أيتها النفس المطمئنة ارجعى إلى ربك راضية مرضية"(٤٩) ، فغادر قفص الجسد واتخذ له عشًا فى غرفات الخلد العلية وشرفات أعلى عليين "فى مقعد صدق عند مليك مقتدر"(٥٠)

بما أن قدره كان أعلى من قدر الدنيا فأصبح جناب القدس الأعلى مكانًا له
لتكن روحه ألف روح فى كل نفس من أنفاسه ليكون عليها سلام من الحضرة الإلهية

وحملوا نعشه فى يوم العيد، غرة شوال من الروضة إلى القلعة، ودفنوه فى القبة العالية، وعاش خمسة وثلاثين عامًا وتسعة أشهر وثمانية عشر يومًا، وحكم اثنى عشر عامًا وشهرين ونصفًا، وغمر الحق جلّ وعلا هذا السلطان السعيد بفيض رحمته، وجعل الله ملك الإسلام السلطان علاء الدين إلى سعيد، وارث الأعمار حتى تقوم الساعة وحقق له الآمال.

وتوفى قاضى القضاة الشهيد نظام الدين عبد الملك المراغى فى نفس السنة.

خبر السلطان علاء الدنيا والدين أبى سعيد

ابن السلطان غياث الدنيا والدين محمد أولجايتوخان بن أرغون خان بن آباقاخان بن هولاكوخان بن تولوى خان بن جنكيز خان (خلد الله ملكه).

ولد السلطان أبوسعيد من حاجى خاتون بنت سولا ميش بن تنكيز كوركان من أويرات فى أفضل ساعة من الساعات، وأسعد وقت من أوقات ليلة الأربعاء الموافق الثامن من ذى القعدة سنة أربعٍ وسبعمائة من الهجرة، وكانت الشمس فى الدرجة الخامسة من برج السرطان، وذلك فى حدود أوجان من أعمال تبريز فى طالع برج

الحوت المسعود، ورصد جماعة المنجمين، الذين كانوا حضوراً أثناء ولادته الكواكب، ولما وجدوا طالع مولده سعيداً، قالوا:

نظــــرنا فــى طالعــك ورأينــــا أن نصيبك سوف يكون مائة ألف روح

واتفقوا جميعًا أنه ملك جدير بالملك وعادل، واتفقت كلمتهم على أن:

إن حظـــــــــه سعيـــــــــد ويصــل عرشــه إلى الشمس المشـرقــة

وجعلوه عند مرضعة حسنة الخلق تسمى مريم؛ لتربيه فى حجر الرحمة، كما أنه نطق فى صغره بالكلام الفصيح بحيث أخذ العجب زملاءه.

المهــد ينطــق عــن سعــادة جــده أثـــر النجــابة ساطــع البرهــــان

خبر ركوب سلطان الإسلام أبى سعيد من خراسان، وقدومه إلى العراق ودار المـلك السلطانية

أرسل السلطان محمد أولجايتوخان فى شهر المحرم من سنة أربع عشرة وسبعمائة، الأمير أبا سعيد مع أمه حاجى خاتون إلى خراسان، ووهبه هذه الممالك والجيوش العظيمة، وكان القائد سونج بن ششى بخشى ملازمًا له، وكان يسعى، ويجتهد فى أمر الجيش والإمارة، ولما وصل خبر وفاة السلطان سعيد (طاب مثواه)، أصبح وارث عرش الملك، والتاج وحكم العالم، وبعد وصول الرسل وصلت المواكب الميمونة الملكية بعون التأييد الإلهى فى شهور سنة سبع عشرة وسبعمائة من ممالك خراسان إلى دار الملك السلطانية.

النصــر والإقبـــال فــى ركابـــه والسعادة والفضـل معـه فى عنـــان

وكانت أولجاى قتلغ خاتون، قد تربت فى العز الغازانى، وفى صدف الأسرة الأيلخانية، وتزوجت السلطان أبا سعيد (خلد الله ملكه)، وأقيمت الولائم وأعلنت المسرات والأفراح عدة أيام، وتربع على عرش الملك فى يوم الإثنين الثالث من ربيع الآخر سنة ثمانى عشرة وسبعمائة فى طالع السعد برج الأسد فى قرون السلطانية.

اعتلى الملك العرش مثل جمشيد وقام على الخدمة أمام الجن والإنس

جلسوا في خدمته واصطفوا واقفين القادة المحنكون والملوك السعداء

وأعطاه الفلك بناء على أمره دورانه وجعل علامة سيطرته توقيعه

وقدم القادة وأركان الدولة المعهودة فى المراسم والشرائط فى هذا الشأن، وكان هاتف الإقبال يردد على لسان الخاص، والعام فى الصباح والمساء هذه الرسالة:

أيها الملك أقر الله دولتك على الدوام ولتكن رؤوس حسادك على الدوام فى أسفل الأعواد

وجد العالم القرار بسيفك الذى ليس له من قرار ولتدم سلطنتك إلى يوم الحشر

لقد كان التوفيق لخنجرك فى كل الديار ولتكن دولتك موفقة فى كل ما تريد

إن جو ملكك قد وافقنا وليكن هواء ملك موافق لك

الحظ عبدٌ لك والفلك مطيع والنصر قرينك وليكن النجم معينًا لك وكذلك الجبار

وبسطت عواطفه الرحمة على المتظلمين، وفتحت ألطافه أبواب الرأفة، والنعمة على المظلومين، فقد أرخ التقويم الملكى بتاريخ هذا الملك، وزينت جريدة الإنصاف بقلم عدله، وأدام الحق سبحانه وتعالى على الناس جميعًا ذاته الشريفة، وعنصره اللطيف أعوامًا لا حصر لها فى السعادة والتوفيق والعدل والملك بمحمد (صلى الله عليه وسلم وآله).

ليجعل الله العرش والسعادة مكانك على الدوام وليكن الحظ والإقبال لك دليلاً

وكل سعادة باقية فى الدنيا لتكن كلها من أجلك على الدوام

وعون الحق فى أى موضع حللت فيه ليكن حارسك فى قصرك

وكل ما تريده من خالق الدنيا ليكن حاصله كله وفق هواك

الظفر والعز والسعادة والإقبال لتكن دليلك بالفضل على الدوام

ولأنه لا وجود لنعمة أفضل من العمر فليكن بقاؤك حتى فناء الدنيا

هوامش القسم التاسع

(٢٨) من أعظم علماء إيران فى القرن السابع الهجرى، عندما سقطت قلعة (الموت) فى يد هولاكوخان، اصطفاه لملازمته ومشاورته، فزين له أن يسقط الخلافة العباسية فى بغداد، وفى عام ٦٥٧هـ ، أمره هولاكوخان بإقامة مرصد فى مدينة مراغة، وكان فضلاً عن علو كعبه فى شتى العلوم، من رجال السياسة العارفين ببواطن الأمور، فأفاد منه هولاكوخان، ومن بعده ابنه أباقاخان، وله مؤلفات فى شتى العلوم : كتحرير إقليدس فى الهندسة، والتذكرة النصيرية فى علم الهيئة، وشرح إشارات ابن سينا فى الفلسفة، وتجريد العقائد فى علم الكلام، وله أكثر من مائة رسالة فى الفارسية والعربية.

(٢٩) المزرفة على حد قول ياقوت الحموى قرية كبيرة أعلى بغداد، تقع على ضفة نهر دجلة، وتبعد عن بغداد ثلاثة فراسخ.

(٣٠) هكذا فى الأصل.

(٣١) هكذا فى الأصل.

(٣٢) هكذا فى الأصل.

(٣٣) هكذا فى الأصل.

(٣٤) هكذا فى الأصل.

(٣٥) هكذا فى الأصل.

(٣٦) هكذا فى الأصل.

(٣٧) المقصود بها هنا حساب الجمل.

(٣٨) هكذا فى الأصل.

(٣٩) هكذا فى الأصل.

(٤٠) هكذا فى الأصل.

(٤١) يقصد والده؛ أى مؤلف الكتاب.

(٤٢) هكذا فى الأصل.

(٤٣) البناكتى يسوق الكثير من المعلومات، فتختلط بعضها ببعض، ولايدرى ماذا يأخذ، وماذا يترك، فيخلطها معًا فى مزيج مختلط، وبذلك يضطرب سياق الموضوع الذى يتحدث عنه، فهو ينتقل من خبر إلى آخر، ومن معلومة إلى أخرى، مما يحدث فجوة فى تأريخه.

(٤٥) هكذا فى الأصل.

(٤٦) الحديث رواه أبو داود، وابن ماجة، والدارمى.

الحافظ عبد الله الدارمى السمرقندى: مسند الدارمى، دار القاهرة، ١٤٠٧ هـ، جـ٢، صـ٢٨٤

(٤٧) هكذا فى الأصل.

(٤٨) هكذا فى الأصل.

(٤٩) هكذا فى الأصل.

(٥٠) هكذا فى الأصل.

(٥١) سورة الفجر: الآية ٢٧، ٢٨ .

(٥٢) سورة القمر: الآية ٥٥ .

المؤلف فى سطور

هو أبو سليمان داود بن أبى الفضل محمد المشهور بالبناكتى، نسبة إلى مدينة بناكت التى تقع فى بلاد ما وراء النهر فى المشرق الإسلامى، تبدل اسمها، وهى الآن مدينة طشقند السوفيتية .

ولد وعاش البناكتى فى مسقط رأسه ، إلا أن مرحلة الطفولة، وصباه يكتنفها الغموض ، كان والده من العلماء المشهورين في العلوم الشرعية فى ذلك الوقت ، وله عدة مؤلفات منها على سبيل المثال لا الحصر (مصباح الضمير فى صحاح التفسير) .

فرض البناكتى نفسه، على أنه مؤرخ وشاعر للمغول ، فقد أرخ كتاب «روضة أولى الألباب فى معرفة التواريخ والأنساب»، والمشهور بتاريخ البناكتى . كما أنشد فيهم المدائح والقصائد ، ولقبه غازان خان - الذى لقب بعد إسلامه بالسلطان محمود غازان، والذى جلس على العرش فى سنة ستمائة وأربعٍ وتسعين ، بلقب ملك الشعراء .

عاش معظم حياته فى البلاط المغولى مقربًا من السلاطين الذين عاصرهم شاعرًا ومؤرخًا ، ولقبه الكثير من كتاب التذاكر بلقب «إمام المؤرخين»، وتوفى فى عام سبعمائة وثلاثين من الهجرة .

المترجم فى سطور
محمود عبد الكريم

من مواليد مركز كفر صقر محافظة الشرقية - التحق بالتعليم الأزهرى ، وتخرج فى كلية اللغات والترجمة - جامعة الأزهر - ثم عمل معيداً بها، وحصل على درجة الماجستير ، ورشح للسفر إلى ألمانيا على بعثة إشراف مشترك للحصول على درجة الدكتوراه فى الأكاديمية الإسلامية - بجامعة كلن - له أبحاث عديدة فى اللغة، والأدب الفارسى، والحضارة الإسلامية من أبرزها الشاعر أثير الدين الأخسيكتى، ومدحه لسلاطين الدولة السجلوقية، وقضايا لغوية عند الكتابة باللغة الفارسية، وكنوز الفن الإيرانى فى ألمانيا من خلال متاحف برلين وغيرهم .

يعمل أستاذًا مساعدًا بكلية اللغات والترجمة - جامعة الأزهر .

المراجعة اللغوية معتز العجمى
الإشـراف الفنى : حـسن كـامل